للبيوت اسرار

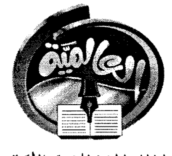
بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م

رقم الإيداع

١٩٢٦٧ / ٢٠٠٥



الدار العالمية للنشر والتوزيع

١٠ ش محمود صدقي متفرع من ش الإقبال - لوران - الإسكندرية

محمول: ٠١٠٥٤٠٦٤٠٣ / ت: ٠٣٥٨٥٧١٤١ / تلفاكس: ٠٣٣٨٠٩٧١٧

للبيوت أسرار

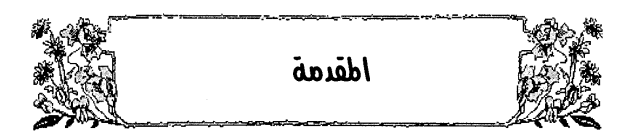
(قصص أسرية من واقع الحياة)

بقلم

الفقير إلى عفو ربه

نبيل بن محمد محمود





إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

للقصة عادتاً تأثيراً في عجيب نفس السامع والقارئ وما أكثر ما ذكر الله تعالى في كتابه العزيز عن القصص النبوي حيث قال: ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾ (يوسف: ١١١) وكان النبي ﷺ يستشهد بالقصة في أحاديثه ليقرب المعنى في نفوس أصحابه ومن يحدثهم، وليس ببعيد حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ بسرد القصة المشهورة بحديث أم زرع.

وفي معترك الحياة الأسرية تمر بنا العديد من القصص والحكايات بعضها يستمر تأثيره لفترة بسيطة لا يتعدى ساعات أو أيام أو أسابيع وقد يستمر شهوراً وبعضها يستمر بلا نهاية وتترك تأثيراً عميقاً في النفس سواء كان التأثير سيئاً أو مفرحاً فهي في كلتا الحالتين تترك في النفس أحاديث تتراود بين الحين والآخر.

وفي كتابنا هذا نستمع لهذه الأحاديث التي تراود كل فرد في الأسرة ليعبر من مشاعره بالطريقة التي تحلو له وينفس عما بداخله من ألم أو فرح لنأخذ منها العبرة ونستشعر بهموم

الآخرين ونعطي لأنفسنا الوقت والفرصة لإصلاح ما قد نهدمه بأيدينا أو نقيمه ونرفعه حتى تستمر سفينة الحياة على الوجه الصحيح بلا ألم أو شحناء أو بغضاء .

والقصص المذكورة عبارة عن رسائل قصيرة مفتوحة أي ليس لها نهاية في أغلبها تعبر عما في داخل النفس وتترك لمن يقرأها أن يضع بنفسه النهاية التي تتناسب مع مفاهيمه ومعتقداته التي يحب أن يتعامل بها مع من حوله

والأسماء الواردة في القصة ليس المقصود بها أشخاص بأعينهم ولا أسر بعينها ولكنها لشخصيات من وحي الخيال لتتم معه أركان القصة وأحداثها على الوجه المطلوب.

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب كل من قرأه واستفاد منه وساهم في نشره ليعم النفع بين الناس.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وكتبه

الفقير إلى عفو ربه

نبيل بن محمد محمود

أسميته (راشد) متفائلة برشده ونضجه، وأراد والده تسميته (ناصر) (هذا اللي يناصرني ويساعدني بعد الله) فكان رسميًا وفي الوثائق (ناصر) وفي البيت (راشد) ولكن لم يكن له من أسميه نصيب.

هو الذكر الوحيد لي بين ست بنات، لم يكن مدللاً كمن هم على شاكلته حيث توفى والده وهو صغير فتحمل المسئولية مبكرًا ونضج قبل أوانه، ولكنه نضج يمازجه دخن.

كبر ولم يعد قاصرًا فآلت إليه أعمال الشركة الصغيرة التي كان يديرها والده حيث أثرنا ألا نتقسمها لتبقى دخلاً ثابتًا لنا.

لم يلعب (ناصر) بالمال ولم يبعثره، بل كان حكيما حسن التصرف يحرص على تنمية المال واستثماره، ولكن المال لم يكن كل شيء في حياتنا إنه لم يجلب السعادة لأحد قط.

لقد جعلت- والحمد لله- لابني مكاناً مرموقًا في العائلة، فلم يكن تربية (حريم كما يقول البعض) ومع ذلك فهو لا يأبه بي ولا يهتم بحالي وأخواته.

إن هناك قضايا متعلقة بالإرث تحتاج منه إلى مراجعات بسيطة لبعض الجهات المسئولة ثم ينتهي كل شيء ومع ذلك مازالت تلك الأوراق حبيسة الأدراج والقضايا معلقة، الحجج كثيرة كلها واهية إذ لا يمكن أن يبررها قول (مشغول)، وهو يتهرب ولا يبالي وأخواته يطالبن بنصيبهن من الإرث وحصتهن من أرباح الشركة، وأنا حائرة ممزقة بين الاثنين، إن أرضيتهن سخط، وأن أرضيته سخطن.

وكذا هذه الشركة التي حرصنا على تماسكها مازالت هناك بعض المعاملات المتعلقة بها وأيضاً أوراق تخص تقاعد والده من عمله السابق، وكذا بعض الديون لنا عند آخرين كلها ينقصها توقيع أو صورة أو شهادة ومازالت قابعة في الخزانة يعلوها الغبار.

ولدي راشد أنت عائلنا الوحيد وسندنا وقوتنا وناصرنا- بعد الله سبحانه- وفي هذه الدنيا الموحشة من لنا غيرك- بعد الله- حتى نلجأ إليه في تدبير شئوننا الخاصة، لا الأخوال ولا الأعمام يقومون مقام رجل مكتمل النضج حصيف الرأي، فطناً.

حين أراد ذلك الشاب أن يتقدم لخطبة أختك (نوره) هل تذكر؟ لقد تكبد المشاق حتى يضرب معك موعدًا بحث عنك في المكتب، في العمل، في المنزل، وأخيرًا (ترصد لك) وأنت عائد من المدرسة بأبنائك، كلمته وقابلته ووعدته خيرًا وسألته الإمهال حتى تتحرى أكثر ومرت الأيام تلو الأيام (ناصر عساك سألت عن الرجل) (والله يا أمي ما لقيت وقت، مشغول حتى رأسي)- طيب اتصل يا ولدى بالتليفون واسأل عنه في عمله وأنت في مكتبك، وإلا وصى أحد يسأل عنه ويجيب أخباره) (لا، لا يمكن، لازم أنا اللي أتحرى وأتأكد من المعلومات بنفسي، لا تنسين إن أخواتي أمانة في رقبتي).

واقتنعت بكلام ولدى الراشد وانتظرت أسابيع ثم شهوراً، واتصلت والدة الشاب مستفسرة وخجلت منها وصرت في موقف لا أحسد عليه فماذا عساني أقول؟ هل أقول أن ابني لم يتحر عنكم؟ أم أقول لم يجعل الله بيننا نصيب؟ أم أعيب الولد، شاب خلوق وعليه سيما الصلاح وشهادة عالية ومركز جيد إنها فرصة كبيرة ولكن... أثرت الحل الثاني وأغلقت السماعة.

وحين رأيت ناصر أعلمته فكان رد فعله كالصاعقة علي (لماذا تتصرفين دون علمي لماذا تردين عليها دون الرجوع إلي؟ أنا اليوم كنت في حيهم وسألت عنه الكل أثنى عليه خيرًا حتى إمام المسجد قال إنه صديقي، وكذا جهة عمله وأصدقاؤه أثنوا عليه.. لقد ..).

(كفى يا بني.. خمسة أشهر تسأل عن الرجل لو كان يسكن في أقاصي الدنيا لكان معك من الوقت ما يكفي للسفر والسؤال عن حاله ثم العودة وترتيب الأمور كلها، الناس كانوا مستعجلين ولكن حين رأوا أختك تريثوا وصبروا صبر أيوب حتى يظفروا بها ولا تضيع من بين أيديهم ومع ذلك فللصبر حدود، وجمال أختك لم يكن ليشفع لك على هذا التأخير كله .. كفى يا ناصر لقد ضيعت علينا فرصة كبيرة.. وأختك عسى الله يجبر بخاطرها).

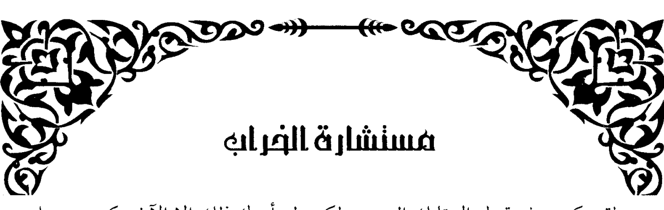
إن كلامك دائما جميل ولسانك فيه عذوبة وحديثك تغلفه اللباقة ولكن حين الفعل لا أجد شيئًا، هذه (شيماء) عانت من زوجها ما الله به عليم، وصبرت وتحملت الأذى ولكن حين كشر الذئب عن أنيابه وغاص في وحل المخدرات والرذيلة بلغ السيل الزبد ولجأت إليك- بعد الله- لتفك أسرها من براثنه وكالعادة .. طيبت خاطرها بكلمتين وطمأنت قلبها ولكن أتبعت ذلك بوعود ومماطلة وتسويف.

وحين تعبت ونزل بها داء السكري من كثرة الهم والتفكير في مصيرها ومصير هؤلاء الأولاد وتعلقت ذلك اليوم بثوبك تبكي وتنتحب، حينها فقط تحركت بعد سنتين من الهم والغم، وهو فقط موعد تقابل فيه الخصم في ردهات المحكمة وانتهى كل شيء.

لا أعرف لماذا هذا الإهمال واللامبالاة أمورنا تتعقد وتتأخر ولا تنجز في وقتها وأنت تسعى في كل ما يخصك وتنهيه على وجه السرعة، الخادمة والسائق لو كان يصنعان صناعة لما تأخر كل هذا الوقت، فما الأمر؟ لقد أدخرتك ليوم الشدة فخذلتني.

أنت تتولى شئوننا، ونحن النساء ضعفاء، والرسول ﷺ حرج حق الضعيفين المرأة واليتيم، فاسمع وتدبر وفقك الله وهداك.

"أمك"



لقد كنت غبية طوال تلك السنين، لكني لم أدرك ذلك إلا الآن، كنت عمياء عن رؤية الحقيقة صماء عن سماعها، كنت ألعوبة في يد أختي، نعم أختي الوحيدة التي تكبرني بعشر سنوات والتي تزوجت قبلي بزمن طويل، زوجها رجل طيب ساذج ضعيف الشخصية ترك لها زمام الأمور تدبر وتخطط وتقرر؛ فأختي لها شخصية قوية متسلطة منذ صغرها، كانت تفرض آراءها على من حولها وتجبرهم على الانصياع لها والاقتناع برأيها بحجة قوية ولسان طويل.

كانت أول نصائحها لي ليلة عقد قراني، سهرت معي حتى ساعات الصباح الأولى تحثني على التمسك برأيي وفرض شخصيتي (أفهميه أنك لست خادمة، بل أنت المخدومة، لا تدعيه يذلك، أشعريه أنك مدللة في بيت أهلك وأنك اعتدت العيش هكذا، صدقيني إن لم تكوني شخصيتك من الأيام الأولى فلن تستطيعي فعل ذلك بعد، لا تبدي الود لأهله حتى لا يحقروك، عامليهم بشكل رسمي (سلام وكيف الحال) اجعلي من نفسك أول اهتماماته، ثم أمه وأهله لا تفعلي ... لا تقولي ...) نصائح كثيرة حرتُ فيها وأبحرت معها أفكر في مضامينها، فقطعت أختي على حبل التفكير قائلة (أكبر منك بيوم أعلم منك بسنة، اسأل مجرب ولا تسأل حكيم، الرجال ما ينفع معهم إلا هذا).

وكانت كل مرة تزودني بعدد من نصائحها وتجاربها حتى امتلأت بها وتشربتها، كنت صغيرة وجاهلة وسريعة التأثر، ولم أجد أحدًا ينصحني غير أختي هذه، وكانت حياتها هي المثال الحي أمامي فأردت أن أكون نسخة كربونية منها وحقًا فعلت.

تزوجت، كان شابًا طيبًا، متعلمًا يسكن قريبا من أهله ذا خلق كريم عاملني معاملة حسنة، لكن أختي قالت إن كل الرجال يبدون في البداية طيبين حتى نبلو أخبارهم، فانتظرت ما تأتي به الأيام!!

ذات يوم كنت أود الذهاب إلى السوق، كان يومًا حارًا، فرفض زوجي (أجلي هذا الغرض حتى حين فالجو في الخارج حار جدًا) فتمسكت برأيي ظانة أن هذه فرصتي لأفرض شخصيتي، ودار بيننا جدل عقيم فقلت (يجب أن نذهب الآن)، وهنا بدت علامات التجهم والضيق على وجهه وصار يكرر (يجب، الآن) صرت تأمرين وأنا فقط أنفذ، قلت لا يعني لا)، وخرج ضاربًا الباب خلفه بكل قوة، وفار الدم في عروقي إذ لم أصل إلى بغيتي، وفي الحال اتصلت بأختي أشكو لها الأمر، فلقد خفت عليه ومنه، فهدأتني من جانب وأثارتني من جانب آخر (يا غبية خليه يطلع مصيره إلى البيت، لكن أنت خليك زعلانة ولا تكلميه واتركيه بدون عشاء، لازم يحس أنك واثقة من كل كلمة قلتها، لا تتراجعن ولو زاد عليك في الكلام قولي أروح لأهلي).

ترى ماذا حصل؟ كبرت المشكلة، وهي كانت صغيرة، وتضخمت وساءت العلاقات بيننا حتى تدخل والدي وأعاد المياه إلى مجاريها. ولكنني لم أتب فلقد كنت ناقصة الإيمان وإلا فالمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين وأنا لدغت عشرات المرات.

مواقف بسيطة كهذه أجعل منها قضايا وأزمات، وأختي تحشر أنفها في كل صغيرة وكبيرة تريدني أن أكون مثلها، وما علمت أن زوجي غير زوجها، لقد صرت أنكد عليه حياته قائمًا وقاعدًا، أريده ألا يخرج عن طوعي وإشارتي، أحاول أن أتدلل عليه، أضغط بكل قوتي حتى لو كان الأمر تافهًا، أكدر مسامعه حين أريد السوق أو الذهاب إلى حديقة أو حفلة أو غيرها حتى يستجيب لي.

كنت عند أهلي ذات يوم وجاء زوجي مبكرًا على غير عادته ليأخذني فرفضت بحجة الجلوس مع أهلي وأختي التي لم تحضر ذلك اليوم إلا متأخرة. كان زوجي متعبًا ولم يكن

لديه الرغبة في العودة مرة أخرى، ولكن مع إصراري وإلحاحي قال بلهجة حادة (أجلسي حتى يسمح خاطرك)، وفعلاً جلست وما عدت لبيتي إلا كالمرة الأولى.

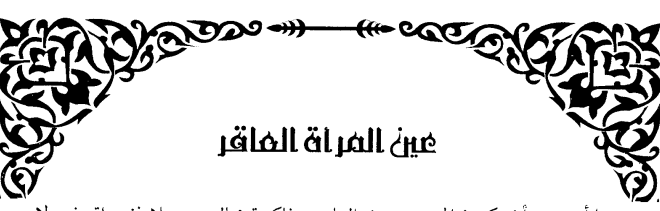
أحيانًا أجلس وأفكر في حالي، أين الراحة والسعادة التي تكلمت عنها أختي؟ وأين مملكتي الخاصة؟ كل يوم خناق وصراخ لا تلتقي وجوهنا إلا وهي عابسة هو يريد شيئًا وأنا أخالفه وعندما يرفض أمرًا أصر عليه، أخرج مع أهلي إلى حيث يريدون دون أن استأذن، لا أصل أهله إلا نادرًا، أصرف ببذخ زائد في كل اتجاه... مع كل هذا لم أجد السعادة، بل صارت حياتي كالعلقم مُرة لم يعدلها طعم الألفة والمودة، نكد وكدر، وجفاء لم أسعد زوجي ولم أحقق مطلبي، فكثر خروج زوجي من البيت وكثر صمته فيه، وخيم الملل على حياتنا، ومازالت أختي تمطرني بنصائحها الغالية.

ولكن حدثت الطامة التي غيرت حياته وقلبت موازيني وأعادت عقلي إلى مكانه، لقد تزوج زوجي بأخرى فلم يعد دلالي يعجبه، ولا قوة شخصيتي تجذبه، (أنا أريد امرأة لا رجلاً في البيت، أريد ظبية لا لبؤة، تزوجت أبحث عن الحنان والاستقرار فقلبك مقفر مثل لسانك، لقد مللتك ومللت استبدادك).

الآن هل أتراجع عن تلك النصائح التي تشربتها؟! هل أمحو هذه النسخة؟ نعم ولكن بعد ماذا؟!

"أختكم"

قال أبو الدرداء- رضي الله عنه- لأم الدرداء: «إذا غضبت فرضيني، وإذا غضبت رضيتك، فإن لم نكن هكذا ما أسرع ما نفترق».



ما أصعب أن يكون المرء حديث الناس وفاكهة مجالسهم بلا ذنب اقترفه ولا جرم ارتكبته، لقد صرت لهذا السبب أكره الاختلاط بالناس والخروج من بيتي.. صادقت العزلة وألفتها وأحببت الوحدة.

أثنا عشر عاما من العذاب واللهم والألم ممزوجة بالصبر، والحمد لله وحده على كل حال واللهم لا اعتراض، نظرات الناس تقتلني، خناجر تطعن قلبي، وسكاكين تخترق فؤادي، وخصوصا أولئك الفضوليين وما أكثرهم وما أثقلهم والسبب إني امرأة لا تنجب (عقيم).

مجالس النساء تغص بالعشرات كل واحدة تقدم نصيحة، وتعرض نوعا من العلاج، وأخرى تدل على طبيب ماهر كان له الفضل بعد الله في شفاء فلانة وفلان سواء طبيباً شعبيًا أو أكاديمياً. وثالثة تحقق وتتحرى وتبحث لتصل من خلال الكلمات التي تجذبها من فمي جذباً إلى نتيجة أكيدة (السبب مني أو من زوجي) كل هذا الكلام في جو خانق ثقيل، فالنساء لا يعرفن السرية.

ربما أن هذا كله يهون فقد يقول البعض أن من باب محض النصح والخير ولكن لحساسية موقفي صرت أتضايق، أقول ربما!! وأتغاضى ولكن الذي يقلقني أنى صرت مصدر خوف للبعض، فزوجة أخي القريبة مني صارت تزورني وحدها دون الأطفال، وعندما أزورها تترك أطفالها في مكان قصي في البيت مع ألعابهم وتهددهم أن هم أتوا للسلام علي (تخشى عليهم من عيني) لقد كنت أحبهم وأجلب لهم الهدايا والحلويات وأفرح بالجلوس معهم لأنهم أبناء أخي قبل كل شيء وليس لأنهم أطفال فقط.

قريباتي وصديقاتي اللاتي يلدن يحسبن لزيارتي لهن في النفاس ألف حساب، فالوليد يخبأ لحين انصرافي وعندما أطلبه للسلام عليه وتقبيله والدعاء له تبرز علل كاذبة (توه نائم- نخاف عليه من هواء المكيف- ما غيرت ملابسه) وهكذا.

ولقد كنت عند إحداهن فلما وليتها ظهري متجهة إلى الباب الخارجي سمعتها تنادي الخادمة لتحضر وليدها لتراه بقية الزائرات.

وبعض النساء لا تحاول أبدا ذكر محاسن الأطفال ولا تحب أن تمتدحهم في وجودي تخشى من (العين الحاسدة) وعندما تدخل امرأة إلى المجلس ومعها طفل ممسك بها أو تحمله تتجه الأنظار نحوي ويتعالى ذكر الله- ونعم بالله- ومن النساء من ترفع صوتها بنبرات حادة وتوزع نظرات حارقة تدمي الفؤاد. إن تلك المرأة لا تعني لي شيئًا فلماذا الشك؟! لو استوقفت طفلاً أو طفلة وحادثته أو لو أثنيت على أحد الصغار فبالتأكيد ستؤخذ بقايا الطعام من بين يدي أو الكأس الذي شربت فيه ويُعمل فيها اللازم!!!

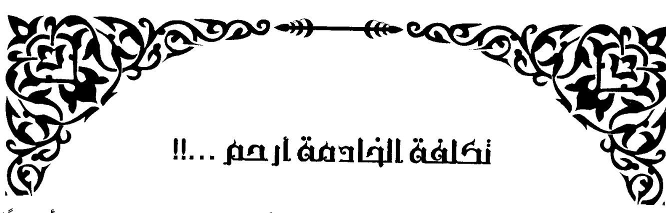
فمرة امتدحت ابنة صاحبة البيت وكيف أنها قد وفقت بين بيتها وابنائها وبين وظيفتها وعندما جاءت الخادمة لتحمل صينية القهوة أشارت لها صاحبة البيت بعزل هذا النوى وذلك الفنجان بحركات سرية فهمتها بسرعة، فلقد صرت- بالخبرة- أميز بين تلك الحركات.

لقد رضيت بقضاء الله وقدره، وبذلت كل سبب ولا أزال، أنني أحب الأطفال وهذا أمر فطري في كل امرأة واذكر الله عند رؤيتهم فلماذا تحرمونني تقبيلهم وشمهم ومداعبتهم، لماذا تخافون مني وتخبئون أبناءكم في جحورهم.

لطفًا : أغلقوا سيرة هذا الموضوع في كل مجلس فعندي الآلاف من القصص ومثلها من الأعشاب وربما ضعفها من الأطباء فقلن خيرًا أو اصمتن.

والحمد لله وحده..

"أختكم العاقر"



تكلفة الخادمة أرحم ...!!

لقد مضى على اجتماعنا ذاك سنتان أو تزيد أنجبت فيها ابني الرابع ولم أر شيئًا من بنود الاتفاقية نُفذ إلا البند الأول المتعلق بعدم إحضار خادمة مهما كانت الظروف نظرًا للضرر الكبير المترتب على ذلك سواء على الأبناء أو علينا نحن.

أما بقية البنود فأسمع جعجعة ولا أرى طحنًا.

فالبند الثاني كان أن نتعاون على أمور الحياة فلا تكلفني ما لا أطيق ولا تكثر علي اللوم (وما يجيء مني فهو بركة).

والثالث: أن توفر مع الزمن كل ما من شأنه إعانتي على العمل وتوفير الوقت والجهد من أجهزة كهربائية (مطبخية) للتقطيع والفرم والعجن و.... وأجهزة كهربائية للتنظيف والغسيل وهكذا..

والرابع أن تكون عونًا لي في ذلك كله وأن تتحمل بعض الأعباء إن كنت في حالة شغل أو عجز لمرض ونحوه (لا عليك إن احتجت لثوب ورأيتك مشغولة ثقي أنني سأقوم بكيه... وكذلك الأبناء إذا أردنا الخروج فإني سأقوم بمساعدة الأولاد في اللباس، وهذا كله لأن أبنائي كلهم مازالوا في سن الحضانة اليوم أرى أن هذا الكلام صار هباءً منثورًا.

فالخادمة لم تدخل البيت ولن تدخله (حسب الاتفاقية) ولكن أين بقية البنود؟! (ما يجيء منك فهو بركة) كيف وأنت كل يوم تطلب تنويعًا على مائدة الطعام.

(مللت طبق الأرز بالخضار والدجاج المسبك) ألا تجيدين غير هذا؟! أين المقبلات والحلويات والمشويات و...

الملابس متراكمة بعضها فوق بعض فأين التعاون إذا كنت ترفض أن تأخذها للمغسلة حتى تخفف العبء عني؟

أقوم بعملية الغسيل من الصباح حتى المساء ثم أطلب منك أن تكوي ملابسك فقط عند الكاوي فترفض مستقبحًا الأمر مرة ومهونة مرة أخرى.

واليوم ضيوف على العشاء، والغسالة تعمل منذ الصباح. وعملية تنظيف كاملة للبيت فماذا يضيرك لو أحضرت لنا طعام الغداء من المطعم المجاور فالوقت عبر بسرعة وأنا لا أعرف بماذا أبدأ؟!

وعندما تلزمني الحمى الفراش- وهذا يحدث كثيرًا من جراء الأنفلونزا- أكون عاجزة عن العمل في البيت أو الاهتمام بشئون الأبناء فأبحث عنك!!

أطفالك يريدون من يساعدهم في اللباس ومن يحضر لهم الغداء. وبعض الأشياء المبعثرة على الأرض في حاجة إلى من يرتبها، فمن لي في هذه الظروف الصعبة؟!

حسنًا: أنا لا أقول أريد الخادمة لأني أعرف ماذا ستجر وراءها من المتاعب، ولا أقول لك ساعدني في عمل البيت لأني أعلم أن هذا طعن لك في رجولتك ولكني أقول بكل صراحة: أريدك أن توفر كل ما من شأنه إعانتي وتوفير الجهد والوقت لي.

فمثلاً الغسالة الأوتوماتيكية تقوم بعمل مضاعف في وقت قليل فهي تغسل وتجفف وتكوي الملابس أيضًا.

وغسل الأواني لن يكون متعبًا أبدًا إذا اشتريت (غسالة الصحون) خصوصًا وأنك ترغب في التنويع الدائم فباستطاعتي مثلاً بضغطه زر أن أحصل على أواني نظيفة جافة فقط أرتبها في أماكنها.

أما مسألة الكنس وتنظيف (الموكيت) والأرضيات الصلبة فإذا اقتنيت المكنسة الكهربائية المخصصة، لذلك فستكون عملية التنظيف ممتعة إذ إنها ستنظف البقع وتجففها وتغسل الأرضيات وتكنسها في أسرع وقت وأقل جهد.

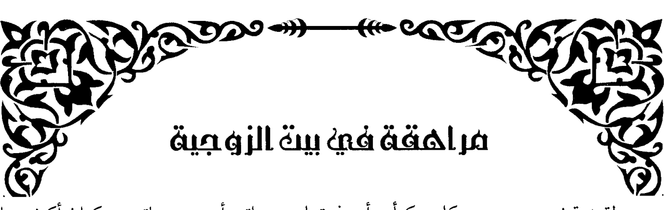
فمـاذا بقـي؟! إنهـا عملـية الطهـي فهـناك الكـثير والكـثير مـن الأجهـزة الكهربائـية المخصصـة للتقطيع والعجـن بـالخلط والفـرم، وكذلـك قـدور الضـغط والغلايـات والأفـران الكهربائية وأجهـزة التحمـيص والشـواء والتحمير والقلي التي ستوفر علي وستجعل الطهي متعة وراحة.

إن توفـير مـثل هذه الأجهزة وغيرها حتى وإن كان مكلفًا بعض الشيء فإن فيه منافع عدة منها ألا تدخل الخادمة بيتي فتجد الراحة والحرية التي تنشدها فيه.

ومنها ألا يرهقني العمل كثيرا فتجد زوجًا في الليل وصديقًا في النهار.

ومـنها أن أخصـص وقـتًا كـبيرًا لتعلـيم أبـنائي وتربيتهم.. ووقتًا لتثقيف نفسي وتوسيع مداركها. وغير هذا كثير، فما رأيك الآن؟!

"زوجتك"



مراهقة في بيت الزوجية

لقد قضيت عمري كله -كأي أم- في تعليم بناتي أمور حياتهن، كان أكثر ما يهمني أن تدير بناتي بيوتهن بنجاح، أن تعرف كل واحدة منهن ماذا تفعل؟ ومتي؟ وكيف. غرست في نفوسهن فضل طاعة الزوج وفن خدمته، وكنت في كل مرة أزف فيها واحدة منهن إلى زوجها بيد أتسلم باليد الأخرى شهادة شكر وتقدير منه على حسن التربية والتعليم. وقبل حوالي سنة زففت صغرى بناتي إلى زوجها الذي كان يؤكد لنا أن سمعة بناتي الطيبة هي الدافع الرئيسي وراء اختياره لنا، وصعقت إذ لم أتسلم شهادة تقدير ككل مرة بل خطابات شكوى وعتاب.

(هالة) فتاة هادئة، ذلك النوع من الهدوء الذي لا تستطيع تخمين كنهه، قليلة الكلام لا تفصح عن آرائها ولا تتجاوب مع آراء الآخرين، على محياها ابتسامة باردة لا تنبئ عن شيء، أعني أنني قبل زواجها لم أكن لأستشف شخصيتها. ولكنني على كل حال لم أتوقع أن تكون على تلك الحال أو نصفها.

زوجها يشكو إهمالها وعدم مبالاتها بكل شيء، هي تتقن كثيرًا من أصناف الأطعمة والأشربة ولكنها لا ترغب في أن يتذوق زوجها شيئًا من صنع يديها، وحتى عندما يطلب طبقًا معينًا يفضله ترد بكل برود أن المطعم الفلاني يتفننون في صنعه كثيرًا.

وكل الأيام عندها سواء -هكذا يقول زوجها- حيث إن أمه حينما رغبت في المجيء عندهم لعدة أيام لم تبد (هالة) شيئًا من الترحيب الحار والفرحة الغامرة بقدومها كما أنها لم تغير نظام حياتها تبعًا لذلك فنومها واستيقاظها وأكلها في مواعيدها كما هي، ولم تفكر مرة واحدة بسؤال خالتها عما تشتهي على الغداء أو العشاء، ولم يخطر ببالها - كما يقول- عمل قهوة في الصباح أو التبكير بموعد الإفطار من أجل أم زوجها.

أنا أعلم أن ابنتي ليست سيئة الطوية تجاه خالتها، ولكنها سلبية جامدة لا تعير اهتمامًا كبيرًا بالأشياء من حولها ولا تقدر حجم المسئولية وهذا اتضح لي حين عاتبتها وواجهتها بما قاله زوجها.

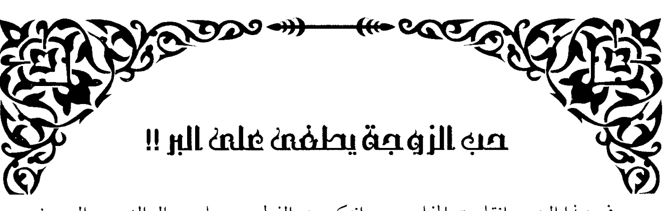
ولقد تعبت في تجهيز هالة كثيرًا حيث زوجها وأهله من طبقة غنية فحفيت قدماي أبحث معها عن أفخم الملابس والأحذية والحلي، وفي النهاية لا ترتضي عن تلك البلوزة والتنورة بديلاً، في كل مرة يأتون إلينا أو يذهبون لأهله أو يزورون أحد الأقارب أو الأصدقاء أو حتى زارونا تفتح دولابها- كما يقول- وتأخذ تلك التنورة السوداء وأحد القمصان القطنية وذلك القرط الكبير ثم تجمع شعرها غير مبالية بحجم المناسبة ولا أهميتها ولا حتى إن كان دعوة خاصة بها أم لا؟

لماذا يا ابنتي (فشلتيني) أين تلك الفساتين الفخمة والتايورات ذات التكلفة الباهظة وتلك الجلابيات التي حيكت بأغلى الأسعار، أين حليك الذهبية والألماسية؟ أنت الآن لست صغيرة، ولم تعودي تلك الفتاة المراهقة التي لا يلتفت إلى هيئتها أحد، مهرك كان كبيرًا والناس يريدون أن يروا أثره عليك، هل تريدين أن يقولوا أكلت أمها مهرها أو ادخرته لها؟ الأواني في بيتك من أجود الأصناف ومع ذلك لم تقدمي الأكل فيها لأحد، لماذا؟ وماذا تفعل في بيتك؟ هل هي زيادة ديكور؟ أم اقتنيتها للعرض والفرجة؟

ما بالك لا تعيشين واقعك؟ تسقطين أمام أي مشكلة مهما كانت صغيرة؟ لا تحسنين التعامل مع الحياة؟ وتجهلين فن التكيف فيها؟ كل مرة يشكو زوجك من وضع جديد وحال سيئ، (متى تنعدلين يا هالة، فشلتني) أرهقتني أمام زوجك وأهله، ماذا أقول: هل أقول إنني لم أحسن تربيتها كأخواتها؟ أو أقول إنها هكذا وستظل (عوجاء). معاد الله أن تكوني هكذا.

غاليتي: عديني أن تلتفتي إلى نفسك وأن تصلحي من حالك وأن تعرفي حجم التغيير الذي حدث في حياتك ومقدار المسئولية الملقاة عليك ومن كنت؟ ومن أصبحت؟ وفي أي مجتمع تعيشين؟ والله يوفقك ويقر عيني بك.

"أمك"



حب الزوجة يطغى على البر !!

في هذا الزمن انقلبت المفاهيم.. وانتكست الفطر وصار بر الوالدين والبحث عن أرحتهما في آخر قائمة الاهتمامات في جدول كثير من الأبناء، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وصار الارتباط بالأهل- عند البعض- حسب الحاجة. رحم الله زماننا، وزمان آبائنا، كنت متزوجة وعند أهل زوجي أسكن ومع لك لم أكن أرى زوجي إلا لمامًا مع أنه لم يكن في دوام رسمي، بل كان في مهنة أهله وخدمتهم يحصد ويزرع ويسقي النخل وغيرها من الأعمال المتعلقة بالزراعة والفلاحة، وكنت أنا مع خالتي (أم زوجي) في البيت نطبخ ونكنس ونجهز اللقمة حتى يحضر الرجال وكنا في عيشة راضية وهنية.

والآن صار الرجل يبحث عن زوجته وأبنائه.. يجلس معهم ويحادثهم ويتفكه في بيته وعندما يكون مع أهله- أعني أمه وأخواته- يجلس بشكل متكلف متصنع ويحسب لكلامه ألف حساب ويجعل علاقته معهم علاقة مصلحة وحاجة.

ربما ليس الكل ولكن البعض وابني- هداه الله- من هذا البعض، فعندما نكون جلوسًا ومعنا زوجته- عند زيارتنا طبعًا- تجده مرتاح البال هاشاً باشاً يوزع الطرائف والتعليقات ويملح الجلسة (وقعدته ما تمل) ولكن حين يزورنا بمفرده يعد الكلمات عدًا (وتقول جالس على جمر) كلمتين سد غرض ثم يمشي، لماذا لا يفكر في أمه؟ ألا يشعر أنني- وقد كبرت- ازددت حاجة لهم؟ هل هو فقط يأتي ليطل على والده المريض؟ إذن - لاقدر الله - لو صار تحت الثرى فلن نراه؟ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

إن ابني مع الأيام يثبت لي صحة نظرتي؟ فالعطلة التي سافرت فيها زوجته وأبناؤه مع أهلهم إلى المصايف مدة شهر كامل حولت بيتنا مطعماً (أم صالحر بتسافر مع أهلها وأنا يمكن أكون معكم على الفطور والغداء).

الساعة العاشرة صباحًا، جرس الباب يرن، (صباح الخير يا أمي)، (صباح الخير خالد) (أين الفطور بسرعة عندي شغل) البنات يجهزونه .. يا بنات بسرعة الفطور أخوكم مستعجل) تمد سفرة الطعام وعليها الفول وما تشتهي النفس مما يتسر في البيت.. لقمة أو لقمتين (صراحة أنا ما احب البيض المسلوق) (لا تقربين الطحينية.. هي من ألد أعدائي) وهكذا ثم بعد ذلك (كوب شاي وإلى الباب) ولا نراه إلا مع الغداء حوالي الساعة الثانية والنصف أو الثالثة، وعلى نفس المنوال إما أن يعيب الأكل أو يتذوقه بأصابعه أو يفرض علينا طبقًا معينًا ربما نحن لا نحبه.

وعندها يضيق صدري إن قلت للبنات شيئًا تضايقن وتأففن.. وإن صمت قال لا تهتمون بوجودي (لعل الله يجيب عيالي يحطون عشاء أشتهيه).

الناس يفرحون بالعطلة وكما تقول (هند) أنها تحب السفرة المنوعة على الغداء خصوصا في العطلة حيث لا هم دراسة ولا مذاكرة، ولكن خالد يحرمها من هذا الفرح.

فمن غير المعقول أن يكون الغداء كل يوم صنف واحد (أرز وسلطة خضراء) والثلاجة ملأى بالخضر من كل لون.

والذي يغيظني دائمًا أنني سمعت من زوجته أكثر من مرة أنها حين تكون مشغولة أو (مالها نفس في الطبخ) أو لأي ظرف طارئ تقلي بيض أو بطاطس لأنها على حد قولها لا تريد مجهودًا، وهو دائمًا يعيب هذين الصنفين بمناسبة أو بدون فما الفرق؟

وخالد باهت الشخصية، غامض الملامح لا تستطيع معرفة ما بداخله ولا تحدد سببًا لبعض تصرفاته فمرة طلبت احدي أخواته فستاناً من زوجته لترتديه في إحدى المناسبات وحين رأتها بعد ذلك قالت زوجة خالد لابنتي روحت لك الفستان مع خالد لماذا رجعتيه)

قالت: (لم يكن مقاسي) مع أنها لم تر خالد ولا الفستان وقد ظنت في زوجته الظنون، والصورة تكون مقلوبة إذ لو طلبت زوجته من عندنا شيئًا وهذا شيء يفرحني تجده في لمح البصر يهب لتلبية طلبها دون تردد.

(بنت الناس) طيبة ولا أظلمها وهي حين ترى معاملة زوجها لها ولأبنائها وحين يشعرها بحلاوة لسانه أنه يخدم أهله ويسعى في راحتهم فإنها تصدقه ثم من غير المعقول أن تكون (بنت الناس) أحرص منك على سعادة أهلك وأرضائهم.

خالد.. اليوم فقط وبعد هذه السنين كلها اكتشفك.. يؤسفني أن أقول أنك تظهر لنا في وجود زوجتك بوجه وحين لا تكون موجودة يظهر منك الوجه الحقيقي، هل هذا نفاق؟ أم خوف منها؟ أم تلميع للصورة؟ أيا كان فإنه شيء لا يرضي الله البتة وحتى أنت لن ترضاه من أبنائك ولكن كما تدين تُدان. وسلمت من كل مكروه.

"أمك"



لا نفرط في الجوهرة!!

مرّ شهران قبل أن تعود إلينا "نورة" وهي تحمل في يدها ورقة "طلاقها" وحسرتها في آن، لم تستطع العيش مع رجل لا يصلي ولا يعرف القبلة. شهران كانت كافية لأن تقرر مصيرها لكنها لم تكن كافية لوالدها ليراجع حساباته ويرتب أوراقه، بينما نصفها فقط -أعني شهرًا واحدًا- كان -بإذن الله- سيختصر الطريق، فقط، لو أنك سألت عن الخاطب وتحققت من دينه وصلاحه!!

متى تدرك يا أبا صالح أن بناتنا أمانة عندنا؟ سهرنا على راحتهن وتعبنا في تربيتهن وأخذنا نرقب تفتحهن كالزهرات الفواحة العطرة فإذا حان قطافهن ضننا بهن إلا على من يأخذهن بحقهن، وهو الذي نرضى دينه وخلقه ليصونهن ويحفظهن كريمات عزيزات؟!!

إن حسن اختيار أزواج لبناتنا هو ختام أعمال مؤتمرنا التربوي الكبير لننام بعدها قريري العين مرتاحي البال بعد توفيق الله لهن، وحتى إن لم يكتب لهن التوفيق فإن حسبنا أننا قمنا بالمهمة على أكمل وجه يرضي الله عنا ويبرئ ذممنا ويعفينا من الوقوف بين يدي الله للمساءلة، أليس الله سائلا كل عبد عما استرعاه؟!!

إن أي شخص "شاب أو كهل، لا فرق" يطرق الباب خاطبًا تستقبله وتعطيه كلمة موافقة مبدئية.. لماذا؟! لأن شكله "ابن حلال" أو لأنه جاء من "طرف" فلان قريبك الذي تثق به "أو" الذي ربما ترى أنه لن يرسل لك إلا من يثق به، أو لأن مهنته لا يلتحق بركابها في الغالب إلا الناس الجيدون!!

كم مرة سترنا الله بسترة ولم نقع على رؤوسنا، تذكر "عبد الرحمن" ذلك الذي أردت أن تعقد له على "فاطمة" ابنتك ولولا لطف الله بنا لكانت "فاطمة" تعيش في عذاب نفسي كبير "الشاب طيب ولا يظهر عليه ما يسوء" هذا ما بدا لك، ولكن إحدى المعلمات معها في المدرسة تعرفه جيدًا ولقد أسرت لها بحقيقته "عبد الرحمن" عديم الشخصية، تحركه أم متسلطة وهي تعامل زوجات أبنائها كالجواري، كل واحد من إخوانه إما طلق أو أوشك زواجه على الأنهيار!!

وهل تذكر "إبراهيم" الذي بدا مسالمًا وديعًا، ولم تفكر بالسؤال عنه لأنه جاءك بتوصية من صديقك!! الحمد لله الذي أراحنا منه قبل أن نندم فهو بخيل وعاق لوالدته وسمعته سيئة في عمله!! هذا ما استطاع أخي معرفته عنه وما خفي كان أعظم!!

"أبو صالح" أرجوك فكر دائمًا وبترو، وقرر بعد بحث وقص، لا تستعجل النصيب فكل بنت سترى ما كُتب لها، لا يغرك قرابة قريب، ولا حلاوة لسان، ولا جاذبية مظهر، فتش عن الدين والخلق والخوف من الله.. ألا يؤلمك قلبك؟ ألا يعذبك ضميرك؟ حين ترى "صفية" ابنتا البكر زوجها قريبك، والده ابن عمتك، لما تقدم لخطبتها لم تسأل عنه استقبحت ذلك وعددته عيبًا؛ هذا العيب حول حياتها إلى ألم وحسرة، زوجها سكير، لا يستغني عن الشراب، له أصحاب يدعون إلى الضلال، هاهي تكابد الحياة معه لأجل أبنائها الذين شبوا عن الطوق ولا تدري ما تفعل معه، سكتت في البداية وابتلعت الخزي حفاظًا على سمعة والده وجدته!! ولما استحكم الأمر وطفح الكيل كان لها منه ستة من الأبناء!! كلما رأيتها شعرت أنك ظلمتها وأنا أشاركك الإثم لسكوتي حينها..

أتمنى أن تغير طبعك وأن تحول التدقيق في الخاطب وحسن اختيار الزوج اسأل عن صلاته، عن دينه، اسأل عنه في عمله، ابحث عن أصدقائه، مع الأسف كل ما يهمك هو أن تعرف أصله وفصله وما هي "بلدته مسقط رأسه"، من هم أخواله، ومع أهمية هذه المعلومات إلا أنها لا توازي سابقتها ولا تضارعها مكانة!!

في كل مرة يتقدم إلينا أحد أضطر للاستعانة بأخي فهو- جزاه الله خيرًا- لا يقصر في السؤال، ويتحرى الدقة ويجمع المعلومات من الجيران وإمام الحي وأصحاب العمل وأقارب الرجل أيضًا، كم أبدو محرجة في كل مرة أضطر لسؤال أخي، فزوجي مازال على قيد الحياة لكنه مفرط ومتساهل ومع أنه لدغ أكثر من مرة إلا أنه لم يرتدع.

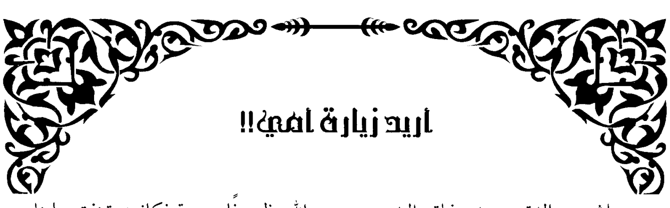
ويبدو أنه لن يتوب من اللدغ، "فنورة" حين طلقت أصبحت حقًا مشاعًا لكل أحد أن يتقدم لخطبتها- مع أنها ما زالت صغيرة وجميلة- فهذا رجل قد طلق للمرة الثالثة، وذاك آخر رأسه كالثغامة وثالث أسودت شفتاه من التدخين!! ورابع ليس له عمل يعيش منه!! ولولا رحمة الله سبحانه ثم وقوفي في وجهه كالجبل الرأسي لا أتزحزح عن قراري بعدم الموافقة على هؤلاء ومن على شاكلتهم لكان أن شمت بنا الشامتون وهزأ الساخرون!!

فالحمد لله أن وهب لي شخصية قوية وحضورًا فاعلا في حياتنا الأسرية مما مكنني من صد كثير من الركلات الموجعة عن بناتي وتفادي الكثير من الأخطاء الفادحة التي كادت أن تعصف بحياتهن، فمثل هذا الأب لا يستحق البنات اللاتي هن نعمة من الله سبحانه حين نحسن تربيتهن ونحسن اختيار بعولتهن ليكن لنا سترًا من النار يوم القيامة!

"أبو صالح" على رغم محبتك لبناتك ورفقك بهن وفرحك بمولد كل واحدة منهن إلا أنك حين يتهيأن للزواج تبدو كحاطب ليل، مرة تصيب وعشر تخيب.

استميحك العذر إن قلت لك إنني لم أعد أثق في كل من يأتي إلينا من طريقك من صديق أو رفيق عمل أو حتى جار حتى أسأل عنه بنفسي وأوصي من يسأل عنه من أهل الخير والصلاح لما أرى من تساهلك في هذا الجانب، فالبنت جوهرة ثمينة حفظناها كل تلك السنين لنقدمها على طبق من ذهب لمن يستحقها فقط ويعرف كيف يحفظها ويكرمها، إنها غالية وعزيزة، فأدرك ذلك. وفقك الله.

"زوجتك"



أريد زيارة أمي!!

عاشت والدتي بعد وفاة والدي -يرحمه الله- ظروفًا صعبة فكانت تنفق علينا من كسب حلال من كد يدها وعرق جبينها: تخلط البهارات، تصنع أردية للصلاة وغطاء للوجه وبارك الله في جهدها.

وكنت أبنتها المدللة، كان اهتمامها بي يفوق اهتمامها بأخواتي جميعًا لأنني كنت في بطنها حين مات أبي، فخرجت للدنيا يتيمة فأحاطتني بحبها وحنانها.

والآن وبعد أن بلغ الكبر بأمي مبلغه وجاء الوقت لأخفض لها جناح الذل من الرحمة أجد من يعيقني عن برها والإحسان إليها بحجج واهية.

إن زوجي بقدر حرصه على بر والديه والإحسان إليهما بالزيارة الدائمة وتفقد أحوالهما وتقديم الهدايا لهما ومساعديهما والتحبب إليهما بقدر استغرابه وتضايقه من طلبي لزيارة أمي!!

إنه يرى أن في أخواني البركة وأنهم لم يتركوا لي دورًا أقوم به والمهم أن تجد أمي حاجتها!!

لا، يا زوجي الحبيب، أمي ستجد حاجتها عند الخادمة التي تنظف البيت وتجهز لها الطعام وتكرم ضيوفها لكن ليست هذه هي حاجتها فقط، إنها تحتاج ليد حانية تحقنها بالأنسولين، وهي تسمي الله وتدعو لها بالشفاء تحتاج لكلمة طيبة تخفف عنها الألم، لعاطفة صادقة، ولقب كبير يسعان همومها.

أنت لا تسمح لي بزيارة أمي إلا مرة واحدة في الأسبوع بحجة أن الأولاد عندهم واجبات، وهل قصرت معهم يومًا! إنني حين أود زيارة أمي أرتب أموري مسبقًا وإن

تداركني الوقت أخذت دروسهم معي ليذاكروا في بيت والدتي، فنجلس معها جلسة عائلية نرتشف الشاي ونتذاكر أيام الماضي المرة التي مضت كأن لم تكن .. تنطلق أمي في حديث عذب عني وعن أخوتي، حديث كالماء المنسكب من الجرة حين تقلب على فمها تندلق معه كل الرواسب العالقة بالقعر فتنشرح نفسها لذلك ويصفو مزاجها.

أنت لا تسمح لي بتكرار زيارة أمي في مرضها، على رغم أنك لا تدع زيارة والديك يومًا واحدًا، لا يعيقك عنهما زحمة المرور أو بُعد المسافة أو ضيق الوقت و- هنيئًا لك- ولكن ليتك تقدر الوضع.. أمي تسقط طريحة الفراش، الجسم مهدود، والأنفاس متقطعة، تحتاجني كما تحتاج كل واحدة من أخواتي، فستكثر زيارتي لها كل يومين وترفض أن تأخذني لها مع أنك بإذن الله ستشاركني الأجر وسيصيبك بركة دعائها، وماذا أفعل عندها؟! هل تراني "أثرثر وأتفكه" إنني أقيس لها الضغط ونسبة السكر وأتأكد من سيرها على الحمية والعلاج الذي وصفه الطبيب لها، إن أخواتي مثلي لهن أبناء يدرسون ولكن لديهم أزواج يتفهمون الوضع جيدًا.

فأمي في مرضها ليست بحاجة لابنتها التي معها نصف دستة من الأبناء بقدر حاجتها لابنتها المتفرغة لرعايتها التي تزورها لتساعدها وتقف إلى جانبها، أنت لا تحاول مساعدتي بأخذ أبنائك معك أو تركهم في البيت مع الخادمة، بل تجبرني على أخذهم معي لأفك اشتباكهم وأهدئ أصواتهم حتى لا يزعجوا والدتي!! مع أنني أتركهم في البيت حين أذهب إلى السوق!!

أتساءل دائمًا: لماذا تشدد علي في مثل هذه الأمور؟ لماذا تتضايق حين أطلب منك زيارة والدتي؟ مع أنها امرأة طيبة، عفيفة اللسان، كريمة المعشر، ثم إنها كبيرة ومريضة ووحيدة تحتاج إلى أنيس ومعين.

أتمنى مرة أن أشاركها الغداء أو العشاء كما يفعل أخواتي، كم مضى من عام وهي تأكل وحدها، ترى هل لهذه اللقيمات نكهة أو مستساغًا؟! أتمنى هذا وأنت ترفض!!

كم أود أني بجانبها حين يأتيها ضيوف، أصب القهوة وأعد الشاي وأقدم أطباق المعجنات التي كانت تفخر بصنعي لها عند جاراتها!! ولكنك تتضايق!!

ليس في كل مرة أطلب منك زيارة أمي لرؤيتها والجلوس معها، بل أحيانًا يتطلب الأمر أن أذهب وحدي كأن أرتب غرفتها وأعيد تنظيم الأثاث فيها ففي البرد يكون موقع السرير وهو محاذ للشباك يؤذيها.

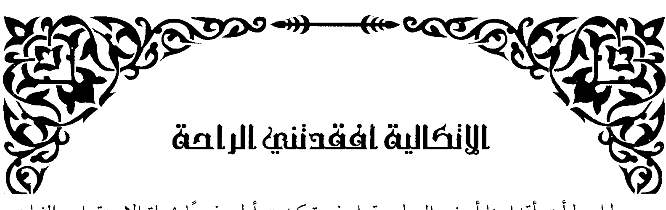
وفي مرة فقدت ورقة مهمة تخص تقاعد والدي- رحمه الله- ولما أعلمتني وعدتها أن آتي لأبحث عنها ولكني لم أفعل لأنك لم ترغب في ذلك وجاءت أختي ونالت الثواب والدعاء من أمي.

كم أحب والدتي، وأتمنى أن أبرها وأحسن إليها، أرتب غرفتها أرسل إليها طعامًا تحبه، أنظم المخزن، أنظف البيت كما تهوى، فوالدتي قبل أن تهدها السنون كانت مضرب المثل في النظافة والنظام مما يجعلها حريصة على جمال البيت وإبراز رونقه، ولا يبرد حرها في ذلك خادمة آسيوية!!

أتمنى ... وأحب .. ويتقطع قلبي حسرة لذلك.. ولكني لا أجد من يقدر هذا الأمر قدره أو يعينني على ذلك، بل أجد من يرفض ويتضايق ويملّ.. فمتى يفتح الله على قلبك ويلينه لأمي.. عسى أن يكون ذلك قريبًا..

"زوجتك"

قال تعالى: ﴿**إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً**﴾ (الاسراء: ٢٣-٢٤)



الإشكالية أفقدتني الراحة

لما وطأت أقدامنا أرض الوطن قبل فترة كدت أطير فرحًا بحياة الاستقرار والثبات.. سنسكن بيتنا، سيدرس أبناؤنا مع أبناء بلدهم، سنسمع الآذان، سنفعل كل شيء حرمنا منه في غربتنا، سنزور أقاربنا، ونصل أرحامنا ونصلى مع المسلمين، سنعتمر ونحج.. سألزم عشي فقد أن لي القرار يا لها من حياة طيبة وكريمة.

حططنا الرحال وبدأنا نذوب في مجتمعنا ونصير قطعة منه، وعدت أمارس دوري الطبيعي كأم وزوجة فقط، بعد أن كنا في الغربة شخصين: شخص يدرس ويحضر رسالته وهو زوجي، وشخص آخر يقوم بجميع المهمات الأخرى وهو أنا، ذلك أنني كنت حريصة على عدم تضييع الوقت في غير الدراسة والطلب، لذا تحملت عبء القيام بمهمات زوجي في البيت، ومع الأولاد وفي السوق وفي المستشفى وغيرها.. إذ ما كنت لأقتطع جزءًا ولو يسيرًا من وقته لأطلب منه شيئًا، كنت أقدر على القيام به لنفسي أو بمساعدة من إحدى جاراتي وخصوصا نحن في بلد تتبعثر فيه الأدوار وتختلط المسئوليات (!!).

كنت أدرس الأولاد وأراجع لهم دروسهم وأسأل عنهم في مدارسهم، كنت أتفقد حاجات البيت، وأحضر الأغراض اللازمة، واتصل بالصيانة حين يحدث خلل ما، أذهب بأبنائي للمكتبة إذا احتاجوها، وأشتري لهم ملابسهم من السوق وآخذهم للمستشفى إذا مرضوا ترافقني في ذلك إحدى جاراتي الطيبات..

شعرت أن علي القيام بدور الأم والأب في وقت واحد، ولقلة الارتباطات واختلاف البيئات استطعت القيام بمهمتي الجديدة بكل جدارة، وصرت ربان السفينة لخمس سنوات هي مدة ابتعاثه..

لما عدت لأرض الوطن وأردت أن أمارس دوري الجبلي كأم وزوجة واجهني زوجي ببرودة الشديد، واتكاله المقيت، لقد استعذب حالنا تلك وبقي الدارس المنكب على كتبه ومراجعه المتخفف من مسئولاته الحقيقية!!

الأمور هنا مختلفة، والأدوار الاجتماعية مقسمة، وما يصلح هناك معاب ومشين هنا (!!) ولكن تفريطي في السابق وحرصي على الخروج من ذلك الكابوس المزعج "الغربة" بأسرع وقت هما اللذان أضاعات الحقيقة وزرعا هذه الاتكالية!!

فأول مشكلة واجهتني هي المدرسة التي سنختار لدراسة أبنائنا فيها فحرت لكثرة العروض ولما جائت استشيره رمي عبء الاختيار علي، فعلي أن اتصل وأسأل عن مميزات المدرسة ومناهجها وإدارتها ثم أقرر إن كانت هي الأنسب.. لاحظوا "أقرر أنا .." وكأننا ما زلنا في بلد الغربة!!

مسألة كهذه تحتاج لثقل رجل ومسئولية آب ومع هذا يرميها بكل اتكالية علي!!

لقد كنت هناك أرفض أن أزور أهلي وبلدي حتى يتسنى لنا أخذ المزيد من ساعات الدراسة لتقل المدة الزمنية المقررة، ولما عدنا صار يتضايق من زيارة أهلي ويطلب مني أن أبقى في البيت وأقلل من الزيارات لأقاربي وصديقاتي لأنه اعتاد على ذلك وأصبح يحبه!!

عدت إلى الوطن وما زلت الأم والأب في آن واحد حين احتاج إلى شيء من مستلزمات البيت فعلي أن أدبر أمري إن كان قريبًا ذهبت سيرًا على الأقدام مثلا إلى محل البقالة المجاور وكذلك محل الخضار وأيضاً إلى الجزار!!!

أما إن كان مما يتطلب سيارة فعلي أن ألح في الطلب وأكرر الحاجة فربما أحصل على بغيتي- وهذا قليل- وربما لا أحصل على شيء وعلي حينها أن أجد الحل!! حتى لا تتعطل أشغالي وتتراكم الحاجات.

فمثلا أنا التي آخذ الأولاد للخياط لأفصل لهم ثيابهم وملابسهم الرياضية!! وحين مرض "أسامة" أخذته للطبيب بنفسي مع ما أواجه من حرج خاصة أنني استخدم في تنقلاتي ومشاويري سيارة الأجرة "الليموزين"!!

حقًا من عاشر قومًا أربعين يومًا صار منهم، فكيف بخمس سنوات.

تمزق لحم وجهي قطعة قطعة من كثرة ما أطلب من أخواني قضاء حاجة لي!! أو تسهيل أمر لبيتي أو أولادي!

حين تعطل الفرن اضطرت لطلب سيارة كبيرة لنقله للفني ليصلحه، كم كان موقفًا مخزيًا!!

هل يعقل أنني أنا التي اتصلت بشركة النظافة واتفقت معها ووقعت العقد أيضاً لتقوم بمهمة تنظيف البيت ورشه بالمبيدات!!

وصرت أحفظ رقم السباك والكهربائى لاطلبهما عند الحاجة!!

وحتى المطعم كم مرة اتفقت معهم ليحضروا لنا عشاءً أو غداءً نكرم به ضيوفه (!!) إذ إنه لم يعد يعرف شيئًا غير عمله، ونحن أعمالنا معطلة!!

لم يعد يجدي معه النقاش، صارت حياتنا خصومات ونزاعات كل يوم، متى يدرك دوره، ويعود إلى وظيفته؟!! لقد مللت هذا الازدواج!! أريد أن أرتاح.. أن أخلع ثوب الذكورة هذا.. أن أشعر بأنوثتي وضعفي؟.

لقد كنت أنسى أنني امرأة أنتمي إلى هذا المجتمع المحافظ الذي كانت نساؤه يعتبن على الخراجات الولاجات.

تركت العمل وتظاهرت في سبيل العودة إلى طبيعتي التي خلقني الله عليها فصار بيتي خرابًا... الثلاجة خاوية، والحديقة كادت أن تموت لأنني لم استدع البستاني ليرعاها -كالعادة- وشعور الأولاد طالت حتى أوشكت أن تغطي رقابهم وانقلبت الأشياء رأسا على عقب!!

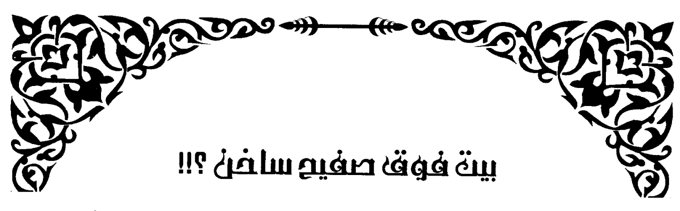
لقد تعبت من ممارسة دوري ودور غيري.. إنني أكاد أفقد شخصيتي لقد تعذبت في بلاد الغربة وجئت لأنشد الراحة والاستقرار.

وأنت وجدت الراحة في بلاد الغربة وعدت لتتمسك بها ناسيًا أن لنا في بلادنا عادات وتقاليد، وقبل ذلك قيم دينية نبيلة تعطي كل ذي حق حقه.

أرجو: أخلع عنك هذا الرداء فلم يعد يناسبك مقاسه ولا علم أن هذه الاتكالية المقيتة والتخفف من المسئولية ليست من مستلزمات (الدكتوراه)..

جمع الله بيننا بتوفيقه.

"زوجتك"



بيت فوق صفيح ساخن ؟!!

لم يكد يمض عام واحد على وفاة أخي "محمد" يرحمه الله حتى كانت الأبواب مغلقة والستور مسدلة !! كيف؟!

كان أخي "محمد" رجلاً حازمًا.. ذا شخصية قوية، رجلاً غريبًا عن هذا الزمن الذي أصبح رجاله أو بعضهم كالورق تحمله الريح معها حيث سارت، كان فيه نوع من الشدة الممزوجة بالحكمة وربما أن وضعه الأسري كزوج لامرأتين يحتم عليه ذلك، فقد حكم أسرته الكبيرة كأحسن ما يكون الحكم، فالأولاد مع بعضهم، والبنات مع بعضهن، مع أن كل زوجة مستقلة في بيت خاص بها ولكن لا يفصل هذين البيتين سوى باب في الجهة الخلفية من البيت، ليس له من الباب إلا اسمه فهو فتحة بطول حائط السور عرضها متر ونصف تقريبًا.

كان أبناء "أم صالح" و"أم عبد الله" زوجتي أخي دائمًا مع بعضهم حتى إن الأقارب لا يفرقون بينهم، فهم إما في بيت "أم عبد الله" يتناولون طعام الغداء مع أبيهم أو في بيت "أم صالح" يحتسون الشاي، والصغار دائمًا في مرح ومرج يدخلون ويخرجون وينتقلون بين المنزلين بلا حساب ولا عتاب.

كانت كلمة أخي لها وزنها، ورضاه هو مسعى الجميع، وكانت تقطيبة حاجبيه كفيلة بتحويل أحلى ساعات اليوم إلى نكد وغم.

إن نهر أحد الصغار في غير بيت أمه يعني شيئًا مؤسفًا، لذا لم يكن أحد يجرؤ على فعل شيء فيه إغضاب لأخي "محمد" وحقا لقد كان رجلا والرجال قليل. قد يقول البعض إني معجبة بأخي، وحق لي ذلك فلقد تمتع أبناؤه في حياته بجو أسري نقي خال من

الميكروبات التى تسببها عادة خلافات الضرائر، وهذا يدل على حكمته وحنكته وشخصيته القيادية القوية.

مات أخي- يرحمه الله- ولم يمض عام في وفاته حتى أغلقت الأبواب وأسدلت الستور!!!

نسي أبناؤه وصيته بأن يعيشوا كما هو موجود بينهم، وبدأت بعض الرواسب القديمة تطفو على السطح لتعكره، وتحيل صفوه إلى كدر.. "قالت، وكانت تقصد.. ولم تكن نيتها سليمة" وشعر أبناء "أم عبد الله" أن أبناء "أم صالح" وهي الأولى وأبناؤها كبار.. أن إخوانهم يودون ممارسة دور الوصي عليهم وأن "صالح" يتقمص شخصية والده.

ولا شك أن هذه الخلافات والاختلافات وجدت من يغذيها ويزيد نارها اشتعالاً حتى احترقت الطبخة واسود القدر ولم يعد بالإمكان تدارك شيء!

من يصدق أنني حين أذهب إلى زيارتهما أقسم وقت الزيارة بين الأثنتين فإن كان الغداء عند "أم صالح" صارت قهوة بعد المغرب عند "أم عبد الله" وبالأمس القريب كنا نجتمع في ظل أخي كأحسن أسرة.

أغلقت الأبواب فلم يعد أحدهم يزور الآخر إلا أن تكون هناك مناسبة اجتماعية كبيرة فإن الزائر منهم يطرق باب المزور كأي ضيف مدعو!!

وأسدلت الستور بين البيتين فأقاموا حاجزًا من الألمنيوم على حائط السور الفاصل بينهما حتى لا يكشف أحدهما بيت الآخر!!

لقد اختفت عالم الغداء الأسري الكبير الذي كان يجمعهما، وأصبحت لديهما أسرار يخفونها عن بعضهم وتولدت خلافات كبيرة من تفاعلات مواقف صغيرة لا مبالية.

حين تقدم شاب لصالح يخطب منه أخته "نجلاء" غير الشقيقة بصفته الأخ الأكبر في العائلة نبت جذر شيطاني التف على بعض المودة الباقية وابتلعها فثار "عبد الله" أخو المخطوبة لأن في الأمر انتقاصاً لمكانته واستخفافاً به ورد هذا الخاطب الكفؤ لا لشيء سوء

تفاهة عقولهم.. ولما حاولت وأخي "عبد الرحمن" النصح والتوجيه قيل لنا إن هذه مسألة شخصية لا يحق "لأحد"!! التدخل فيها!!

ليس هذا فحسب فلقد سافر في الصيف الماضي كل بيت على حدة، بل إلى جهة مختلفة وهذا يحدث لأول مرة منذ عرفا بعضهما.

إن العلاقة بينهما تزداد تنافرًا، انقطعت بينهما الهدايا التي كانت تزيد أواصر المحبة وتشعل العواطف في مناسبات عديدة كالنجاح والزواج والنفاس وغيرها... الآن لم يبق من هذا شيء!!

وحتى مزرعتهما الخاصة لم تقم بدور إيجابي حيال تدابرهم فأصبحت كل عائلة لا تذهب إلى المزرعة إلا حين تتأكد بما لا يدع مجالاً للشك أن الأخرى لن تخرج إليها، ليحلو لهم السمر والسهر والشوي مع الأقارب والأصحاب.

لقد باءت محاولة جمع الشمل بالفشل فكل واحدة منهما اعتذرت بأعذار ساذجة لا تدل إلا على حرصها على عدم الاجتماع!!

لماذا كل هذا التقاطع؟! ألستم أخوة ودمكم واحد ومالكم واحد وعرضكم واحد؟! لماذا تتركون كل هذه المساحة في قلوبكم لتملأها وساوس الشيطان وتهيؤات الحاسدين وشكوكهم؟!!

"أم صالح" أنت الأولى وأنت الكبيرة قدرًا، والكبير يحتوي الصغير ويضمه تحت جناحه ويتحمل الأذى منه وفي الحقيقة أنه لم يأت من "أم عبد الله" أي أذى ألا تذكرين ذات مرة حين قلت لي أنك لا تعلمين أيكما الأثيرة عند "أبو صالح" ؟ فلماذا تسمعين من الناس حديثًا ينقصه الوضوح والإخلاص؟!

"أم عبد الله" : "أم صالح" مثل أختك مصيركما مشترك وربما كان من الأجدر بكما أن تقتربا من بعضكما وتشدا أزر بعض- بعد أن فقدتما السند- لتصمدا أمام عواصف الحياة وتبنيا جدارًا صلبًا لا تهزه النوائب، ثقا أنكما إن فعلتما ذلك فقد أحسنتما إلى أبنائكما أولاً وأخيرًا..أحسن الله لكما الخاتمة وجعل الآخرة همكما ووقى الجميع شر الشيطان وكيده..

"أخت زوجكم"



خزينة الهفوات والزلات ؟!

حين تسير في الاتجاه الخاطئ تحتاج من يرشدك ويأخذ بيدك إلى الاتجاه الصحيح، وحين تمشي في الاتجاه الصحيح تحتاج من يشجعك ويدعمك حتى لا تزيغ عنه.

أما حين تتعثر مئة مرة قبل أن تصل إلى الطريق الصحيح ثم حين تسلكه تجد من يثبطك ويسخر منك ويذكرك بكل هذه المرات فكيف يمكنك أن تستمر؟!!

إن حالي مع زوجي كحال هذا السائر المتعثر، فمضي عشرين عاما من زواجنا لم تنسه بعد تلك الهفوات والعثرات المعتادة في بداية كل حياة زوجية، فهو يملك ذاكرة كمبيوترية تحتفظ بكل هذه الزلات لتعرضها كلما دب خلاف أو عن له أن يتفكه!! ذلك التفكه السمج الثقيل!!

حين تزوجت شعرت أن زوجي كتاب جديد يجب أن أقرأ منه كل يوم صفحة أو اثنتين حتى أفهمه ثم أعود لقراءته من جديد حتى أستوعبه جيدًا، حاولت أن أتعرف على طباعه، أن أبحث عن مكامن الرضا في قلبه، وفي عملية البحث هذه واجهني بالسخرية والاستهزاء أمام كل صعوبة تلحقني.

ثم أيضاً هناك أهله عشت معهم شطرًا من حياتي، وكانت تدب بيننا الخلافات وتختلف وجهات نظرنا فتنفر نفوسنا بعض الوقت وهذا كله ناتج عن عدم فهمي لنفسياتهم ودراستها جيدًا.

ولكن بعد هذه الحفريات النفسية الشاقة وبعد عدد غير قليل من المواجهات اتضحت لي الصورة واستطعت الوصول إلى مبتغاي، وتعلمت أشياء كثيرة، واكتسبت معارف

عديدة وصرت كما يقولون ربة بيت من الدرجة الأولى، وعرفت كيف أكسب قلوب من حولي وكيف أتودد لهم وأدركت أن هناك أمورًا هامشية لا تعدو أن تكون كذلك فلماذا نضخمها ونجعلها تتصدر اهتماماتنا؟! فصفت قلوبنا ومحا البعد ما في نفوسنا من غشاوة الماضي، ووضعت قدمي على الطريق الصحيح وانتظرت من زوجي التشجيع والمؤازرة فهذه نقلة مهمة في حياتنا، إلا أن زوجي خيّب ظني وفاجأني بتهكمه وسخريته ونشره لكل أخطاء الماضي ورصده لها جيدًا.

فحين عدنا من زيارة قصيرة لأخته (آمنة) ثنيت عليها وعلى حسن استقبالها فقال لي هازئًا (الست كنت تقولين إنها لا تطيقك)!!

لقد دهشت لهذا الكلام كان هذا في الماضي في زمن مختلف نحن أبناء اليوم. وفي مرة كانت عندنا أخته (ليلى) وحين دخلنا المطبخ لإعداد العشاء قال: (لا تتخاصما على كمية الملح في الطعام أو على مقدار الأرز، الأفضل أن تدخل واحدة منكما المطبخ) تذكيرًا بمواقفنا السابقة.

ومازال إلى الآن يذكرني بكيفية استقبال ضيوفي والاحتفاء بهم مؤكدًا أنني كنت في السابق أسبب له حرجًا مع الآخرين لشدة حيائي وبرودي في استقبالهم. حقا لكن هذا في السابق أما الآن فلقد تغير الوضع كثيرًا.

وهو دائمًا يذكرني بسالف عهدي حين كنت لا أجيد إلا نوعًا واحدًا من الحلويات بقوله: لقد مل أصدقائي منه، كنت أحمل هم الدورية حين يأتيني الدور لهذا السبب!!

لقد صرت أسعى لجعل سفرة طعامي لذيذة وشهية وجديدة كل يوم ومع هذا لم أسلم من الاستهزاء.

هو هكذا دائمًا مازال يثبطني ويشعرني بعدم الأمان إنه مازال لا يثق بي وربما إنه يستكثر مني بعض الأمور، وحتى لو فعلت ما يرضيه فيبدو أن الصورة الأولى انطبعت في ذاكرته ولم يستطع منها خلاصاً أو أنه لا يريد أن يمحوها لأنه يتلذذ بتحقيري.

هل تذكرين حين فعلت ذلك الشيء؟! كنت ساذجة!! يالك من غبية هل تذكرين موقفك من فلانة؟!! ما هذه الصداقة المتينة بينكما كنت في السابق تتمنين موتها..!!

"كنت في السابق" نعم "كنتُ في السابق" لكنني تغيرت الآن وأصبحت شيئًا آخر.

هل تصدق يا زوجي الكريم أنني بت أتمنى البقاء على مواقفي السابقة وإن كانت خطأ ولا الرجوع عنها حتى لا أسمع كلامًا يسمم البدن ويجرح المشاعر، لقد تمنيت ألا أتغير أو أتحسن أبدا لأنني في كلا الحالين سأسمع شاكيًا ومهزئًا وساخرًا يبدو أنني الآن سأسلك الطريق الخطأ.. بسببك.

"زوجتك"



زوجي "قرقوش" هذا ليس أسمه بالطبع لكنه كناية عن الدور الذي يتقمصه في حضور أهله، فهو طيب ورقيق معي إذا كنا في بيتنا أما إذا كنا عند أهله أو معهم فهو يتحوّل إلى شيء آخر.. شخص غريب لا أعرفه قاس وغليظ، إنه لا يعاني انفصامًا في الشخصية لكنه يفعل ذلك بمحض إرادته تحت ستار شيء اسمه المجاملة ومراعاة شعور الآخرين- هكذا يزعم- .

فعندما نكون عند أهله لا يمكن بحال أن يكلمني أو يشاركني الحديث إنه يتحاشى حتى أن تقع عينه على عيني، وفي المرات التي يكون حديثي محتاجًا إلى تعقيب منه أو توضيح إما أن يصم أذنيه كأن لم يسمع أو يتحدث وعيناه على لوحة في الجدار!!! وعذره أنه من العيب أن يأخذ ويعطي في الكلام معي عند أمه وأخواته!! وكأنني أتحدث بما لا يليقّ أو لكأني قد تجاوزت الحد المعقول!!

وذات مرة كنت عند أهله أيضًا وجد على قميص "إبراهيم" بقعًا بفعل الحلوى وكنت سأغير له ملابسه بعد الغداء، فجاءني وهو ينفخ الهواء من أنفهّ وزعق بكل قوته!! ليسمع من في البيت ونعتني بالإهمال واللامبالاة على الملأ.

أين المجاملة ومراعاة شعور الآخرين هنا؟! لا أعرف ما علاقة إهانته لي بمجاملة أهله؟ إنه في بيتنا لا يفعل ذلك أبدًا.. يتفهم الوضع تمامًا.

إن اجتماعي بأمه وأخواته شيء جميل حين لا يكون معنا، فأعصابي ترتخي وتقاسيم وجهي تتمدد وأساريري تنشرح، لقد صرت أتحين الفرصة التي يكون فيها على موعد مع أحد لأذهب إلى أهله حتى لا يكون معنا ولا يجلس معنا.

إنه أحيانًا يتعمد الإساءة إلى أو الإعراض عني في وجودهم، أسأله مثلاً متى سيعود ليأخذنا فلا يجيبني، لقد تعلمت أن أرسل ابنتي إليه لتسأله عما أريد بصوت خفيض ثم تعود لتصب الجواب في أذني همسًا، مرة سألتني أخته عن المحل الذي اشتريت منه حذاء "إبراهيم" وكنت قد نسيت فحاولت تجاهل الموضوع حتى أرسلت ابنتي إليه لتسأله بشكل سري.

حقًا لقد كرهت بسبب تصرفاته الاجتماع مع أهله وكرهت أكثر وأكثر السفر معهم، فهذا وحده كاف لأن يلغي أهميتي عنده، ويشعرني بتعاستي، وبأنني حمل ثقيل وضيف ممل في بيتي.

إنه لا يكلمني ولا يجلس معي وإذا حاولت المبادرة بذلك تهرب مني كأنه يرتكب جرمًا أو يقترف إثمًا، تحدثنا عن ذلك المنتزه الجميل الذي عدنا منه للتو، وأبديت امتعاضي لغلاء الأسعار فيه مقارنة بغيره ثم تشعب بنا الحديث وعادت بنا أخته إلى مسألة غلاء الأسعار فبادر مشكورًا بالتعليق وتوضيح الأسباب الدامغة لذلك بصدر رحب ونفس سخية، وكأنني حين سألته في المرة الأولى وضعته في موقف صعب ومحرج!!

وفي السفر تبرز مشكلة أخرى وهي النزول إلى الأسواق فهو يرفض ذلك جملةً وتفصيلاً دون نقاش أو تفكير وحين أحاول مجادلته منفردة يبرر ذلك بأن أمه وأخواته لايحبذن ذلك، أو لا يجدن رغبة إليه ومن المستحسن أن أفعل فعلهم، بينما لو طلبن هن هذا الأمر لفرض علي دون استشارة أو سؤال.

وأيضا هناك المشاركة في برنامج الرحلة، فأنا أظل صفرًا على الشمال في هذا، وغيري يُسأل ويُؤخذ برأيه والويل لي لو فتحت فمي بكلمة!!

إننا حين نسافر وحدنا يصبح زوجي وديعًا ساكنًا يسعى إلى أرضائي فيشركني في برنامج الرحلة، بل يترك لي الحرية غالبًا في تحديد الأماكن التي يجب أن نزورها، ثم إنه يأخذني إلى الأسواق نتجول في ردهاتها ونتبضع من بضائعها..

أنا لا أعرف لماذا يفعل زوجي ذلك كله؟ هل للتربية دور في ذلك؟ إن أمه وأخواته وأهله عمومًا طيبون، لم يبدر منهم ما يسوء أو يزعج، ثم إنهم لا يلمزون ولا يهمزون حتى أستطيع القول إنه يفعل ذلك إرضاءً لهم أو اسكاتًا لألسنتهم؟!!

لقد حاولت إفهامه مرارًا أن فعله هذا يضايقني، وأنه يهز صورتي في عيونهم، ويمحو شخصيتي، وتجرؤهم علي، لكن "أذن طين وأذن عجين" يقول "إنه يفعل ذلك حتى يشعر أهله أنه ما زال ابنهم وأن "بنت الناس" التي هي "أنا" لم تستطع أن تنسيه أهله، إن بعض العنترية تفرح الأهل حتى لو كانت هشة كقشرة البيض، وحتى يستطيع زوجي الموازنة بيني وبين أهله أسلي نفسي بالنظر إلى الأمور من وراء هذه القشور الرقيقة، فاللب مازال جيدًا ونافعًا والحمد لله على كل حال.

"زوجتك"



أنين أم

هدى الله بنات هذا الزمن.. فبعضهن لا يعرفن لكبير قدرًا ولا لأم فضلا فلا يحترمن أمهاتهن ولا يحسن التعامل معهن وعند أي توجيه تعلو أصواتهن مستنكرات ومحتجات.

ابنتي "ناهد" إحدى هؤلاء، دائمًا تعارضني في كل شيء، لا تسمع كلامي، ولا تأخذ بنصائحي، وحين أعنفها مرات قليلة تصرخ في وجهي وترفع صوتها، فأنا في نظرها "دقة قديمة" لا أفهم مصطلحات هذا العصر ولا أحسن تفكيك رموزه.

لم نتفق أنا وهي على شيء أبدًا، حين تنزل من غرفتها متوجهة إلى المدرسة يزعجني منظرها؛ فشعرها مسرح بشكل لا يليق بالمدرسة وهذا الماكياج على وجهها يعرضها لسخط الإدارة فأعاتبها بلطف لكنها لا تستجيب وأشد عليها قليلاً فتثور ثائرتها، إذ إنني كل صباح أسمعها هذه الأسطوانة المملة التي لن تجعلها تحيد عن فعلها فما دامت مجتهدة في دروسها فلن يضرها ذلك!!

الله يهديها فهي لا يهمها رضاي ولا تبحث عن البر بي كثيرًا ما نتخاصم عند الخياط على الموديل، وفي السوق على الأسعار، وفي البيت لكثرة النوم وقلة العمل، لم تقل مرة واحدة سأفعل هذا لأجلك ولا سأترك هذا من أجلك، بل تصر على رأيها وتجادلني بصوت عال كأنني واحدة من أخواتها الصغيرات.

"مراهقة، غدًا تكبر وتعقل، وإذا تزوجت وعرفت طعم فراق والدتها ندمت على سوء تصرفها معي"، هكذا حدثت نفسي لأخفف من حسرتها.

وتسارعت الأيام وتزوجت "ناهد" وكانت فترة تجهيزها عصيبة، إذ لا يمر يوم دون خناق ولا شقاق، تزوجت ناهد وما تغير في حالها شيء، الحفل الذي أقمته إكرامًا لأم

زوجها وأهله قامت معه الدنيا فخاصمتني على اليوم الذي لم يكن في نظرها مناسبًا، وكذا العشاء والضيوف الذين دعوتهم، أي أن ما عملته لم يكن مرضيًا لها، فقط حصلت على كم من عبارات القهر (فأنا لا أفهم، أتصرف حسب هواي، لا أستشير أحدًا، يجب أن أسألها مرة أخرى"، توجه لي الكلام وكأنني تلميذة مشاغبة أتلقى تأديبًا من معلمتي.

قلت: "إذا جاء الأولاد سيفيض معهم نبع الحان والحب، وستنفتق بذرة الأمومة والتضحية وتسهل الطباع.." وجاء الأولاد وبقيت "ناهد" على حالها لم تغيرها أحاسيس الأمومة العذبة ولا مشاعرها الرقيقة، بل إنها - هداها الله - صارت تصب جام غضبها على أحياناً بدون سبب وفي أقل الأحوال "تصد عني".

إذا ذكرتها بتقصيرها في حق أحد أقاربها لم تعر كلامي اهتمامًا يذكر، وإذا أرشدتها إلى الأصوب في بعض الأمور لم تأخذ به عنادًا وتكبرًا.

قلت لها ذات مرة: "لماذا لا تذهبن لزيارة ابنة خالك؟ خالك عاتب عليك سنذهب يوم الخمس استعدي لذلك"

فأرعدت وأزبدت وقالت: "أنا لم أعد صغيرة حتى توجهيني، إنها لا تستأهل الزيارة، فليغضب وليخبط رأسه في الجدار..".

ولما سافر زوجها عدة أيام في الإجازة كانت عندنا واحتاجت إلى السوق، أو أنها تواعدت مع إحدى صديقاتها لم أشعر بها إلا وهي تقف بجانبي تخبرني بذلك، وبالرغم من أن ذلك اليوم غير مناسب لنا لأن أعمامها سيأتون للعشاء والسهر إلا أنها رفضت تأجيل ذهابها بحجة أنهم لن يأتوا إلا متأخرين.

وحين قلت لها "ولكننا نحتاجك في المطبخ؛ صرخت في وجهي بصوت عال "لا دخل لي بذلك.. أنا ضيفة عندكم.. الذي دعاهم يتكفل بهم"!!

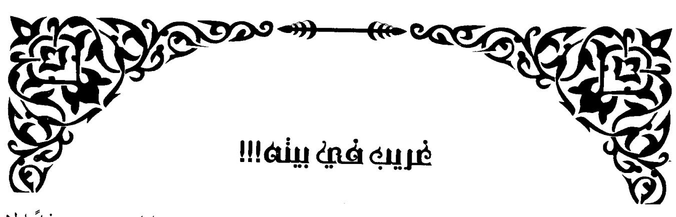
لم أشعر يوما ما أنني أمها.. دائمًا هي كعود الثقاب.. سريعة الاشتعال تثور في وجهي وتعاملني بقسوة، لم تلن لي الجانب ولم تخفض جناح الذل من الرحمة، تقارعني الحجة

بالحجة، وتجادلني بالتي هي أسوأ، وترد الكلمة بعشر، وكأني واحدة من أعدائها، بينما هي رقيقة، لطيفة العبارة مع صديقاتها، ومع من تحب، تجلس عندنا فترات طويلة، لا تفكر بشرب فنجان قهوة معي، ولو طلبت منها ذلك سردت علي قائمة طويلة عن مضار القهوة علي وليتها تسردها بلطف، بل بعنف وغلظة.

سامحك الله- يا ابنتي- فالكلمة الطيبة صدقة والأقربون أولى بها والجنة تحت أقدام الأمهات ودعاء الأم لك أو عليك مجاب بإذن الله فاظفري بدعوة صادقة من أم حنون.. وفقك الله لما فيه الخير.

"والدتك"

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: "من أحق الناس بحسن صحابتي يا رسول الله ؟ قال: «**أمك**». قال: ثم من؟ قال: « **أمك**» قال: ثم من؟ قال « **أمك**». قال: ثم من؟ قال «**أبوك**».



غريب في بيته!!!

البيت سكن وراحة، أنس واستقرار، وحين يفقد خواصه تلك يصبح عذابًا لا يطاق.... في بيتي لا أعرف طعمًا للاستقرار ولا الهدوء، لا أملك الحرية المطلقة التي يتمتع بها الأزواج الآخرون في بيوتهم مع زوجاتهم وأبنائهم، علي دائمًا أن أجامل وأتصنع لابدو طبيعيًا.

ذلك أن بيتي كالفندق.. يضاهي فنادق الخمس نجوم في الخدمة لكنه لا يماثل أي فندق في السعر، فخدماته دائمًا مجانية، وعلى حساب راحة أهله وعافيتهم.

ولأنني هنا في العاصمة وأهلي وأهل زوجتي هناك في مدينتنا صار بيتي فندقًا يأوي إليه كل من يأتي لينهي عملا له أو يقضي حاجة ماسة.

هذا يأتي ليراجع دائرة حكومية أو يتتبع أثر معاملة ما فيعقل دابته أمام بيتي.. إذن لدينا اليوم ضيف على الغداء، لكن لا يكتفي بالغداء بل يمكث يومًا أو أثنين.

وتلك تأتي لتراجع مستشفى العيون وتحتاج لعمل الفحوصات والتحليل فتمكث أسبوعين تحبسني في بيتي في مجلس الرجال لا أدخل إلا بعد أن أتنحنح!!

وحين أرادت أخت زوجتي أن تجهز لعرسها بقيت عندنا شهرًا كاملا، كل يوم في السوق أو المشغل وبالتأكيد كنت السائق المثالي لهذا المهمة!! لا يحق لي أن أقول "لا" أو أعترض حتى لا يغضب أهلها علي، فهذا عيب في تقاليدنا مشين في حقها، فلك أن تتصور كيف كانت نفسيتي متعبة إذ إنني غريب حتى في بيتي.

لـو كان الأمر مجرد حاجة وتقضي لجعلت عيني إحداهما فراشًا والأخرى لحافًا ولكن الوضـع صار فوق الاحتمال، لقد تعدى حدوده المعهودة، فلم يعد بإمكاني أن أنام براحتي في البيت، أنا أجلس كما يحلو لي، أن أخرج مع زوجتي وأبنائي كالسابق.

جـاء والـد زوجتي لمراجعة طبيب القلب الذي يزوره بين الحين والآخر، وجاءت معه زوجته لتؤانسه وطبعًا لمن تترك أبناءها فجلبتهم معها لأنهم يريدون الذهاب للملاهي والأماكن الترفيهية الأخرى، فصارت زوجتي تخدم والدها المريض وتطبخ له طعامه الخاص، وتلك خلافات الأطفال الذين لا مهنة لهم إلا الشجار، وتجلس مع زوجة أبيها وتحادثها وتعزم لها الجارات وتأخذها في زيارات مماثلة كل هذا لترضي والدها، ثم تسقط على فراشها كالميت على نعشه دون حراك من شدة التعب والإعياء!!

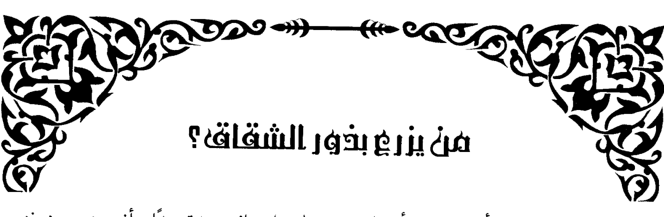
إنني أقدرها كثيرًا وأعلم كم تعاني من هذه المسائل ولكنها تكتم غيظها وتصطنع ابتسامة على وجهها حتى لا تفعل ما يجعلها موضع انتقاد.

إن أهلي وأهل زوجتي طيبون، لكنهم لا يعلمون كم يسببون لنا من المتاعب بأفعالهم تلك. لم يعد في بيتنا موضع قدم للراحة، أناس يأتون وأناس يغادرون وعلينا أن نمهد لهم سبل الراحة والاستجمام وأن نقدم لهم مستلزمات الضيافة على طبق من ذهب.

أمي وأبي وكذا والدا زوجتي على الرحب والسعة، أما أن يتعدى الأمر كل من له صلة قرابة أو كل من يشبه اسمه اسم عائلتي فهذا غير منطقي إذن لمن وضعت هذه الشقق المفروشة وهذه الفنادق بجميع المستويات؟

إن مما يؤلمني كثيرًا أنني أسكن في العاصمة ذلك أن مستوى الخدمات عال، وجميع المراجعات الحكومية فيها ما يعني استمرار تدفق هذا السيل البشري، من أقاربي، ومن أبناء مدينتي إليها مما يجعلني في موقف حرج منهم، هل أفتح بيتي لهم وأفقد السكن والاطمئنان أم أغلقه في وجوههم وأكون محل انتقادهم وسخريتهم. متى يدرك أقاربي أنهم بهذا يؤذونني ويحولون بيتي إلى عذاب لا يحتمل.

"زوجك"



من يزرع بذور الشقاق؟

كانت علاقتي بأم زوجي وأخواته وزوجات إخوانه جيدة جدًا، أزورهن ويزرنني، يسألن عني وأسأل عن حالهن نتهادى ونتحاب في جو عائلي مليء بالسعادة والتفاهم لم يكدر علاقتنا شيء إلى أن تزوج "حمد" من "خلود" فكان هذا سببًا لتغير أحوالنا وسوء مآلنا. فكيف حدث هذا؟!

"حمد" هو أخو زوجي و"خلود" بالطبع زوجته كانت امرأة من طراز غريب تعاني من الغيرة وتشعر بالنقص وتحاول أن تعوض بهذه التصرفات العابثة!!

حين حلت في أسرتنا بدأت تنشر أفكارها ومبادئها القديمة التي لم تعد تصلح لزماننا هذا، تنفثها كالسم في دمائهم لتسري في أجسادهم فلا يستطيعون منها فكاكًا.. وعلى مدى ست سنوات استطاعت تغيير الصورة والعبث بألوانها..

لم تعد خالتي ولا البنات يتصلن بي، بل بتن يطلبن مني المبادرة بهذا ويعتبن علي ذلك أن "خلود" زرعت في أدمغتهن أن الحق دائمًا لأم الزوج ولأخواته فالمفترض على زوجات الأبناء- وأنا إحداهن- أن يتصلن دائمًا للسلام عليهن والسؤال عن حالهن ولا يجب أن أعاملهن كما يعاملنني به، بل صار علي أن أسعى لإرضائهن وأن أتجنب إغضابهن فلهن المكانة السامية والقدر الرفيع.

عندما خطبت "زينب" اشترى لها زوجي أسوره ذهبية بألف ريال ولما قدمتها لها في يوم عقد قرانها ثارت ثائرة "خلود" إذ كيف أجرؤ على تقديم هدية مثل هذه "لعمة عيالي" ولما أخبرتها أن زوجي هو الذي اشتراها لأغيظها قالت بملء فيها "ولو" المفروض أن تقدري

العمة قدرها وتسدي النقص الحاصل من زوجك فتكملي الهدية بعقد مثلا... لن أكمل الموقف.. فمن الطبيعي في هذا الجو المشحون أن تتوتر الأعصاب وتغلظ النفوس.

ليتها تحتفظ بآرائها لنفسها وتكتفي بتطبيقها في حياتها لكفتنا الشيء الكثير، ولكنها ترش رذاذ أفكارها في مجلسنا كل أسبوع بمناسبة وبدون مناسبة أنها تتحدث عن "وجوب" تسمية المولود الأول باسم والد الزوج أو والدة الزوج إن كانت أنثى وتعد مخالفة ذلك عصيانًا وتمردًا، بل ذنبًا عظيمًا يجب الاستغفار منه - أي والله إنها تقول ذلك - حتى كادت أن تحدث قطيعة بين أم زوجي وأحد أبنائها لهذا السبب.

ثم أنها تؤكد علينا دائمًا أن نحضر الهدايا التي نود تقديمها للأقارب حتى تراها أم زوجي وأيضاً إن خصني أحدهم بهدية فيجب أن أطلع عليها أم زوجي والبنات لأنه من العيب والعار أن أخفي عنهم أمرًا مثل هذا!!

إن شيئًا كهذا ليس تفضلا مني، بل هو واجب في حقي تحتمه على الأصول!! من جراء أفكارها الرهيبة قلت زيارتهن لي حتى أنقطعت وأنعدمت المكالمات وتلاشت الهدايا وتقطعت الأواصر ثم تقول إن هذا هو الوضع الطبيعي!!

فالبر يكون من طرف واحد، والإحسان أيضاً من طرف واحد هو زوجة الابن، أما الخالة والعمة فهن على الرأس والعين لا يحق لي أن "أشره" عليهن ولا أحاسبهن فحتى إن لم يزرنني فيجب أن أزورهن وأن أقدم لهن الهدايا في المناسبات وأن أسأل عنهن وأعود مريضهن!! فهذا هو الواجب والمنطقي في العرف!! كما تقول ولكنه عرفها هي فقط.

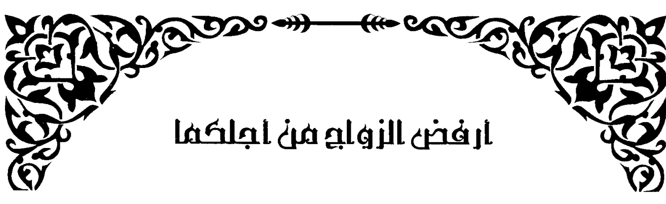
وإلا فهل من الواجب والمنطقي كما تقولين أن أقوم بواجبي تجاههن في الدورية الأسبوعية من عمل أصناف عديدة على الغداء ما لذ وطاب ثم حين يأتي دور إحداهن تشتري لنا "أرزًا بخاريًا مع الدجاج" بدون سلطة أو فاكهة أو أي شيء يسهل المضغ لماذا؟ وهي أي عرف هذا؟

وهل من الواجب والمنطقي ألا أزور أحدًا إلا وقد أخذت إذنًا من خالتي واتفاقًا مع "العمات" لنذهب سويًا ثم أعلم أنهن وفي أكثر المرات يفعلن الشيء نفسه دون إعلامي ولو لمجرد الإعلام فقط؟!

إن حبال الود ذبلت حتى بليت وكانت في السابق في عز قوتها وقوة ارتباطها بدون هذا النفاق الاجتماعي كله، كنت أعرف واجبي تجاههم ويعرفون واجباتهم تجاهي فما الذي حدث؟!

إنك قد جانبت الصواب وبذرت الشقاق، فأرجوك افعلي ما تعتقدين أنه الصواب في نظرك وخططي لتصلي إلى هدفك، ولكن عليك ألا ترغمي الآخرين على المضي في طريقك، فللآخرين مبادئ لو سعوا إلى إرغامك عليها فلن تهنأ لك لقمة ولن يخلد لك جفن فارعوي رعاك الله.

"أختك"



ارفض الزواج من اجلكما

موقف صعب أقفه لأول مرة، مستقبلي يتحدد منذ هذه اللحظة التي أقرر فيها الأمر، طبعًا علمه عند الله ولكن قد تتضح معالمه نوعًا ما.

شاب في مقتبل العمر، كريم الخلق حميد السجايا يتناسب تمامًا مع أحلامي تقدم إلي خاطبًا فهل أقبل أم أرفضه ؟!

أرفضه.. لا لعيب فيه بل لأظل قريبة من فراش والدتي المريضة أرعاها وأقوم على حاجتها هي ووالدي الكبير في السن والمريض أيضًا.

أقبله.. إذن لقد حكمت على والدي بالإهمال والنسيان فإخوتي وأخواتي كلهم متزوجون ولديهم أسر كبيرة يعتنون بها.

فمن لأمي وأبي بعد الله سبحانه؟!

إن أمي - حفظها الله - تحتاج لمن يساعدها عند قضاء الحاجة، وعند الاغتسال وعند تبديل الثياب، فهل أتركها لهذه الخادمة الآسيوية، التي لا تربطها بأمي أية صلة حتى وإن أبدت لها بعض الحنان وبعض الرحمة؟

ثم هل هذه الخادمة قادرة على إسعاد والدتي تجلس معها وتحادثها وتطعمها بكل ود ورحمة؟ هل تتبادل معها الحديث عن أيام زمان تلك الأيام التي تطير بكبار السن على جناح السعادة والبهجة؟ هل...

أسئلة كثير دارت في مخيلتي وتراءت أمام ناظري حرت في جوابها، ووالدي.. كبير في السن هدته السنون وقضمت ظهره حتى حنته، من له؟ من مؤانسه؟ من تجهز له إفطاره؟ ومن يمد له كوب اللبن؟ ومن سيعتني بملابسه وفراشه؟ الخادمة أيضًا؟!! لا هذا لن يحدث.

فهل الخادمة ستتفهم حاجة أبي؟ هل ستجلس معه ليشرب القهوة؟ هل ستصبر على صراخه وغضبه الذي يعلو يشتد كلما تأخرت حاجته أو حتى لم تتأخر.

إنني بين أمرين أحلاهما مر، إن وافقت على الزواج فهذا يعني أن أدع والدي تحت يدي امرأة لا تعرف حقهما، ولا يعنيها من أمرهما إلا أن تستلم في آخر الشهر راتبها كاملا، ثم قد تمل من رعايتهما، وقد تقصر في الاهتمام بهما، وقد تقسو عليها أيضاً ولم لا؟ وكلنا يعلم كيف تكون نفسية المرء الكبير المريض في آن واحد.

أخوتي لا يقصرون بالمال ويمدون البيت بما يحتاجه ولكنهم مشغولون بأرواحهم عن والدي، وزوجاتهم لم يعتدن أن يفعلن شيئًا كهذا.

فمثلاً هل ستبدل زوجة أخي لأمي ملابسها أو تقدم بغسل شعرها؟ إن والدتي تذرف الدمعات الساخنة وتتألم في كل مرة أقوم بهذا العمل لما يسوؤها من انكشاف ما لا تحب فكيف بحالها من زوجاته أبناءها أو حتى مع الخادمة؟

ثم إن زوجي يعني ألا يبقى ولدي مستقر فيوم هنا وآخر هناك، وهكذا مما يؤثر على نفسيتهما كثيرًا، فليس أصح للكبير والعاجز من البقاء في مكان واحد بقرب ملابسه وأدوته وأغراضه وفراش نومه أيضا فتنقلهما يستوجب انتقال كل هذه الأغراض معهما مما يشعرهما بثقلهما.

إن لوالدتي فضلا كبيرًا علي، وهذا أمر بديهي، كنت أصغر أخوتي منحتني من صنوف المحبة والدلال الشيء الكثير، كنت أذاكر وأذاكر وأذاكر حتى أحصل على الدرجات العليا التي تؤهلني دخول القسم الذي أرغبه في الجامعة فكانت تسهر على راحتي، وتنام بجانبي حتى توقظني للمذاكرة في الوقت الذي حددته، لم أكن أصنع شيئًا في البيت.

ووالدي بذل ما في وسعه بل فوق طاقته ليسعدني ويدخل السرور إلى نفسي، لم أنس حين كنت في السنة الثانية الابتدائية طلبت منا معلمة الرسم كراسة للرسم، رفعت

كراستها لترينا ماذا تعني، فظننت أنها تقصد نفس الشكل- كأي طفل- فبكيت حين أحضر لي أخي كراسة غير التي حددت المعلمة، ورفض أخي إرجاعها أو شراء غيرها، فما كان من والدي وهو شيخ كبير إلا أن أمسك بيدي وأخذني بنفسه إلى المكتبة البعيدة في آخر الحي لأبحث عن نفس الشكل الذي حددته المعلمة.

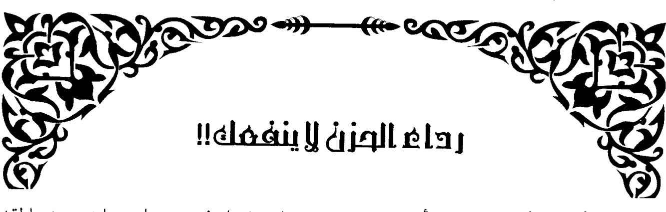
إن والدي الآن لا يشرب القهوة إلا من يدي، ويحب الفطائر التي أصنعها له فهل أمنّ عليه بهذا العمل البسيط؟!

في لحظة عصبية، جاء المخاض شديدًا وكادت الأفكار أن تتعسر، خرج القرار الوليد الذي أعاد على والدي تبسمهما وسعادتهما، لن أتزوج الآن!!

سعادتي مقرونة بسعادتكما، وسعادتكما في بقائي بجانبكما، أنا لكما رهن إشارتكما وطوع أمركما ولن أتخل عنكما ولن يفرقنا إلا هادم اللذات فاعلموا الخاطب أن يبحث له عن عروس أخرى ففتاته نذرت حياتها لوالديها. فعسى الله أن يتقبل مني ولا يحرمني دعاءهما المستمر.

ابنتكما

عن النبي ﷺ قال: « **رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما، فلم يدخل الجنة**» رواه مسلم.



رداء الحزن لا ينفعك!!

إيه أيتها الأيام!! حين رأيت زوجة عمي ما عرفتها.. ليست على سابق عهدها لقد تغيرت كثيرًا، كساها الحزن رداءه وزحفت عليها السنون بخطوطها المتغضنة فلم تعد (أم ناصر) تلك المرأة التي تشيع مرحًا وتفيض أنسًا وتعطر المجلس بحلو حديثها.

كان المجلس الذي لا تحضره باردًا وثقيلاً، الآن صار المجلس الذي تحضره باردًا وكئيبًا، بات البعض يتمنى تغيبها.

ثماني سنوات مرت على وفاة والدتها ومازال حزنها طريًا وجرحها ينزف دمًا ساخنًا كأنما رُزئت للتو، لم يتغير في حزنها شيء، البكاء.. الدموع.. الكآبة والذكريات، بل حتى الحداد .. تعيش حدادًا مستمرًا، هجرت الزينة والماكياج انعزلت عن المجتمع والناس...الناس الذين يحبونها... ويأسون لحالها.. صارت تكره الخروج للمناسبات وترفض الاستجابة للدعوات.

حين عدت من سفري الذي دام خمس سنوات في الخارج، ذهبت مع أمي لزيارتها فإذا هي تنخرط في بكاء متواصل تتذكر والدتها- رحمها الله- (كانت تحبك يا أم صالح) تقول لوالدتي ثم تضيف (ما أحلى جلساتها في مدخل البيت على هذا الفراش تطلب القهوة وتناديني لأعطيها إبرة الأنسولين) وتبكي بكاء حارًا (لا أنسى دعاءها على الأولاد حين يتقاذفون الكرة بالقرب منها تدعو عليهم وإذا اعتذروا منها ندمت ثم دعت لهم بالهداية والتوفيق" ثم تبكي كأنما سينفطر قلبها، كأن والدتها ماتت البارحة بل كأنها ترانا لأول مرة.. حينما ينفرط عقد هذه المواقف وشبيهاتها التي حفظناها كثيرًا حتى صارت لحنًا شجيًا على شفاهها تفرغه عند كل زائر. تتمنى لو أنها تسكت!!

الجلوس معها يعني الصمت الطويل أو البكاء الدامي.. ياه.. كم تعذب نفسها بهذا الحزن، الدنيا في عينيها صارت خرابًا، لم يعد للأشياء طعم الحياة، كل الأيام سواء أمس واليوم وغدًا، لا جديد.. أيام معتمة، لا تعني شيئًا ولا توحي بشيء.

مسكينة!! الأسى يغلف عينيها، والوجوم يكسو محياها، واليأس يتسرب إلى روحها.. حين تحضر إحدى المناسبات مرغمة تبقى صامتة، ساكنة، تلتف بعباءتها وتنزوي في أحد الأركان كأنما هي امرأة غريبة أخطأت العنوان.

لا أعرف ما الذي أصاب زوجة عمي لكنه بالتأكيد ليس شيئًا إيجابيًا!!

إن هذا تسخط على قضاء الله وقدره.. إنه نقص في الإيمان وضعف في الدين، فالموت حق وكل الناس وارده ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام، إن موت حبيب لنا لا يعني أبدًا أن تتوقف الحياة عن النبض، ولا أن يتوقف المرء عن العمل، وهذه العزلة لا تفيدك بشيء!!

اسمحي لي زوجة عمي الغالية.. أن عزلتك لم تنفعك، وهذا الحزن لم يؤد الواجب المأمول منه.. مازلت أرى تقصيرك في عبادتك.. مكثت تهاتفين ابنتك- ذلك اليوم- حتى خرج الناس من صلاة العصر ولم تعيرى ذلك اهتمامًا. فأين أثر الموت في نفسك؟!

ومازلت تركبين مع السائق لوحدك، ألا تخافين أن يصيبك حادث أو يزورك ملك الموت وأنت في السيارة معه!!

إذن ما هذا الحزن على وفاة والدتك وهي امرأة كبيرة صالحة - إن شاء الله - لا تعرف إلا الذكر وقراءة القرآن والاستماع إليه.. يجب أن يكون حزنك على نفسك المقصرة حزنًا يدفعها للاجتهاد في العبادة والإكثار من عمل الصالحات.. هذا هو الأثر الحقيقي للحزن.

هذا الذي تعيشين ليس حزنًا.. إنه بؤس ويأس من رحمة الله تعالى... إنه قنوط وسوء ظن بالله.. إنه ضعف التوكل على الله وعدم تسليم مقاليد الأمور إليه.

قومي.. وانفضي عنك غبار الهم العالق بقلبك.. أحيي بذرة الإيمان في فؤادك.. تجملي بالصبر وتحلي بالثبات... اجتهدي لتكون صلاتك صحيحة.. رطبي لسانك بذكر الله وتسبيحه بدل هذه الذكريات التي تجترينها كلما قابلك أحد.. ثقي أنها لن تنفع والدتك في قبرها.. بل ستسعد حين تتصدقين عنها، وحين تدعين الله لها.

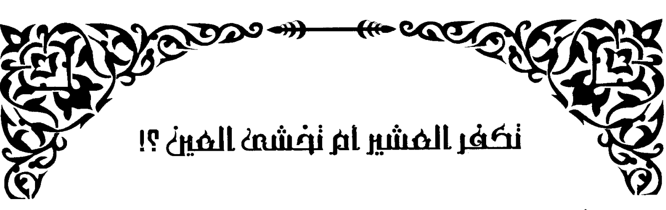
عودي (أم ناصر) تلك المرأة الحيوية، النشطة، التي تبهج الجالس معها، وابتعدي عن هذا التصوف المذموم، والانغلاق والتقوقع المميت.

موت أمك مصيبة لك ولكنه لا يعني نهاية العالم، ولا أسوداد الدنيا.. أتمنى أن تدركي حقيقة الدنيا الفانية.. ولكن تذكري أن تعملي لها كما لو كنت تعيشين أبدًا، وأن تعملي لأخرتك كأنك تموتين غدًا..

هذا هو التوازن المطلوب وهذا هو المأمول منك..

وفقك الله وجبر مصيبتك.

"أختك"



تكفر العشير أم تخشى العين ؟!

مع أننا معاشر النساء متهمات دائمًا بكفران العشير حتى تثبت براءتنا إلا أن هناك من استعذبت هذا الوصف وثبتت عليها التهمة فهي لا تسعى إلى البراءة منها ولا تود الانفكاك عنها كحال أختي (سارة) التي تردد دائمًا (حظي تعيس، زوجي كدَّر حياتي).

إنها تتحدث عن زوجها بإجحاف وتنعته بأسوأ الصفات (بخيل، حاد المزاج، معقد...) حتى إنها طبعت في أذهان المحيطين بها صورة سيئة عن زوجها ياله من ذنب عظيم، إثم كبير هذا الذي تفعلهّ!!

لو كانت محقة فيما تقول وكان لزوجها هذا الكم المتراكم من الصفات السيئة لما جاز لها أن تتحدث عنه بهذه الصورة، بل وجب عليها الصبر عليه واحتمال الأذى واحتساب الأجر وحفظ عرضه- مادام مصليًا- حتى تلقى الله أو يفرجها.

فكيف بها وهي تكذب فيما تقول وتبالغ، وتجحد عشرته وتكفر حقه عليها؟!

كم أخاف عليها العقوبة إنها تقول عن زوجها أنه بخيل! لأنه لا يقتنع كثيرًا بالعلاج في المستشفيات الأهلية الخاصة وبالذات إن كان المرض صداعًا أو أنفلونزا أو تلك الآلام المعتادة بينما هو لا يمانع أبدًا في أن تكون ولادتها في أحد هذه المستشفيات لأن هناك طبيبة ممتازة يثق بها!! أو لشهرة المستشفى بجودة الخدمة فهو يراعي حالها أثناء الولادة ويدفع من جيبه الكثير في سبيل راحتها!!

ومع هذا فهو بخيل!! لأنه مرة واحدة من عشر مرات ذهبت فيها إلى السوق رفض أن يشتري لها الذي ترغبه إما لعدم قناعته به أو لضيق يده ذلك الوقت أو لتعكر مزاجه أو

لأي سبب، فتنسى كل ما اشتراه لها وأتحفه بها في تلك المرات التسع ولا تذكر إلا هذه فقط!!

إنها ترتدي ملابس جميلة وكذلك أبناؤها ودائمًا تجدد حليها وحقائبها مع أنها ليست موظفة وفي أكثر من مرة أخرجت محفظتها من حقيبتها لتساهم معنا في العشاء وكانت ملأى بالمئات!! وتقول (سليمان) بخيل!!

ثم إن زوجها (حاد المزاج)!! وعصبي!! ولا يطاق غضبه!! لأنه حين يأتي من العمل لا يحتمل حديث أحد، وعند أقل سبب يصرخ ويشتم، بل ربما ضرب، وهو لا يأخذها إلى السوق أو إلى زيارة أحد إلا بعد شجار وجدال بظهر فيه (لسان الموت)، ثم إنه أحيانًا يغضب لسبب تافه جدًا!! كزيادة الملح في الطعام!!

أو حين يجد على السفرة صنفًا واحدًا مع السلطة!!

وهي دائمًا تكرر على مسامعنا مواقف مثل هذه لترسخ في أذهاننا صورة زوجها العنتري كالصقر وصورتها الوديعة المسالمة كالحمامة، منتهى البطش مع منتهى الضعف!!

أخيتي.. من الطبيعي أن يكون مزاج زوجك متعكرًا حين يعود من العمل خاصة في الصيف فالمسافة ليست قصيرة بين البيت والعمل تحت وهج الشمس المحرقة وأشعتها اللاسعة كالسياط ثم إنني أعرفك جيدًا!! فكأني بك تبادريه وهو في هذه الحالة بطلباتك وتلحين عليه مما يدفعه للغيظ والحنق.

وأنا لا ألوم زوجك حين يغضب على الغداء فأين المشتريات التي يغدق بها البيت من خضر وفاكهة ومواد غذائية أخرى وليس لك عذر، في وجود الخادمة!!

إننا نقول عن الشخص إنه يغضب إن كان من طبعه وديدنه هذا، أما من يغضب لدقائق ثم يعود إلى سابق عهده بعد عودته من المسجد أو من أي مشوار آخر فهذا لا يعد غاضبًا حاد المزاج فافهمي ذلك جيدًا.

ولا تقولي إن زوجك معقد!! حين يطلب منك أن تقللي الخروج من البيت فهو نادرًا ما يخرج وأنت اليوم هنا وغداً هناك، لا تنقضي أشغالك ولا تنتهي أغراضك!! وهو في البيت يُعلم الأبناء ويتصفح الجرائد ويشاهد التلفاز ويمل من عمل هذا لوحده.

ثم إنه حين رفض نومك عند أهلي في حال سفره فهذا لحرصه عليك وعلى الأبناء. أنت تعلمين حال أهلي. إخواني في سهر دائم، الأبواب مشرعة طوال اليوم وأصدقاء محمد في الملحق يتمرغون عند الدش، ثم إن لكل رجل قناعاته ومبادئه التي يجب أن ينشأ أبناؤه عليها لماذا تريدين النوم عند أهلي وتلحين عليه؟!

لماذا تعكسين صورة المعقد المتزمت على زوجك؟!

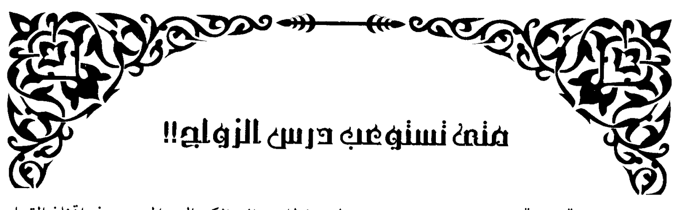
لو كان زوجك كما تقولين فاعتبريه مصيبة وبلاء من الله واصبري واحتسبي الأجر فالصابر في الجنة.

وإن كان خلاف ما تقولين- وهذا الذي عرفناه فيها بعد- فاحمدي الله على فضله واشكريه على نعمه فالشاكر في الجنة.

إن زوجك رجل عملي، يحب النظام والجدية ويقسم وقته بين تدريس الأبناء والجلوس معكم وقضاء حوائجكم وإدخال السرور إلى بيته. فلا تقولي بعد اليوم إنه حاد المزاج وبخيل فلن تجني شيئا غير الإثم وربما أيضا تغير الحال، فلقد تجاوزنا هذه المرحلة التي كنا فيها نفغر أفواهنا اندهاشا ونقطب حواجبنا تأثرا لحالك، فكل هذه المواقف العصيبة وإن حاولت تحويرها تظهر وجهًا مشعًا للحقيقة!!

قولي لي بربك أهو كفران العشير أم الخوف من عيون الحاسدين؟!!

"أختك"



متى تستوعب درس الزواج!!

ولدي "خالد" مازال ذلك الفتى العجول.. الطامح إلى الكمال.. المتسرع في اتخاذ القرار دون دراسة ولا ترو.. لماذا هذه العجلة دائمًا؟ لا أعرف.

هذا هو زواجه الرابع.. ومع هذا لم يتعلم الدرس جيدًا، إنه لا يتريث في دراسة حاله، لا يحاول أن يجد لزوجته عذرًا، بل يحكم عليها بالفشل وعدم الصلاحية منذ أول تصادم بينهما مما يؤدي بالأمر إلى النتيجة المؤلمة "الطلاق".

لا أدري ماذا بوسعي أن أفعل من أجله.. إنني أدعو الله دائمًا له بالتوفيق والهداية.. أدعوه أن يرزقه الأناة وسعة الصدر.. ثم إنني أحثه وأنصحه واذكره بصفة النقص التي تلازم البشر.. ولكن لا حياة لمن تنادى.

منذ زواجه الأول، شعرت بهذه الصفة تبرز فيه، كانت زوجته طيبة وجميلة ولكنها كانت سريعة الغضب كمراهقة تستفز لأتفه سبب، فكان لا يحاول امتصاص غضبها ولا تهدئتها بل يزيد النار اشتعالا... تتعالى أصواتهما حتى يبلغ الأمر حدًا لا يطاق فيخرج من البيت وتذهب هي إلى أهلها منتفخة الأوداج، حتى فرخ الشيطان في عقليهما فكان الطلاق في نظره هو الحل لهذه المعضلة الكبرى!!

ليتها كانت معضلة حقًا.. بل هي مواقف عادية تحدث في كل بيت كل يوم!! هي تريد حضور ذلك الزواج وهو يرفض، الملح زائد في الطعام أو ناقص، الغداء تأخر عن موعده وهكذا.. وحين تزوج مرة أخرى قلت لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، الآن أدرك ما هو

الزواج عرف أن المسئولية جسيمة وأن الحياة تنازلات وتضحيات وتفاهم قبل أي شيء، ولكن هذا كان ظنًا في غير محله.

فبالرغم من الهدوء الذي يكسو منطق زوجته وخلقها إلا أن ذلك لم يشفع لها عنده.. ففي إحدى المرات دعا أصدقاءه على العشاء وكانت مدعوة عند خالتها لمناسبة زواج عائلي.. وكانت قد أخبرته بالموعد قبلها بفترة إلا أنه ركب رأسه وآثر دعوة أصدقائه ولما جهزت لهم العشاء طلبت منه أن تذهب مع أخيها فرفض فما كان منها إلا أن اتصلت بخالها معتذرة متعللة بضيوفه.. لو كانت أخرى مكانها لخلقت من هذا مشكلة لا تنتهي.

مواقف كهذه تمر دائمًا بهدوء، ومع هذا بقيت عنده أشهرًا لم تكمل السنة ثم أرسلها إلى أهلها ومعها ورقة الطلاق قال لي إنه لم يحبها قط!!

خجلت من الناس حين سألوني عن السبب، فتاة مثلها تحب ، والله لخلقها وهدوئها وحلو منطقها ولكنه ليس كفؤًا لهذه النعمة فحرمه الله منها.

مرت الأيام وقام خالد من نكسته تلك ولملم شتات نفسه وأخبرني عن عزمه على الزواج. دققت النظر هذه المرة.. سألت وتقصيت وأشرت عليه بالكبيرة أو المطلقة.. فالأولى ستكون أشد حفظًا لأنائها والثانية أكثر تمسكًا بحبل حياتها الزوجية.

فكانت زوجته الثالثة مطلقة وليس لها أبناء.. يبدو أنه أحبها، فتنفست الصعداء.ز خدمته بحب وإخلاص وأحسنت له ولي.. وسارت حياتهما بشكل طبيعي حتى زف لي خبر حملها.ز كان وحمًا قاسيًا جدًا.. نفسيتها مرهقة ومتعبة، يومان في بيت زوجها وأسبوعان في بيت أهلها، وحتى إذا جاءت تكون حالتها سيئة، لا تستطيع صنع شيء في البيت، وجهها مكفهر، تثور وتغضب بسرعة، لا تشتهي الأكل.. "محمد" لم يعجبه الوضع، بل إنه لم يدركه جيدًا قال إن هذا دلع!! وأنها تختبر حبه وتستغل عواطفه، أخبرته عن الحمل والوحم وعجائبه لكنه أصر على رأيه "لن تذهب إلى أهلها بعد اليوم وسوف نرى نهاية هذا المشهد".

بقيت المسكينة في البيت وتعبت كثيرًا، لم يدخل جوفها شيء منذ يومين، وأهلكها القيء - أعزكم الله - فصارت كقطعة جلد بالية، لم تعد تحتمل، اتصلت بوالدها فجاء فأخذها فكانت هذه هي النهاية التي ينتظرها..

هدأت من روعه، حاولت ثنية عن عزمه.قلت له إنه هو المخطئ لكنه- هداه الله - لا يستجيب فكان أسرع قرار يتخذه هو الطلاق، لقد طلقها وهو يشرب كوب ماء من البرادة!! لقد زاد ألمها ونكئت جراحها ثم تزوج الرابعة!!

زواجه الآن يسير إلى حيث لا أدري طريق طويل محفوف بالأشواك والزهور لكنه لا يرى إلا الشوك ومع هذا لا يتوقاه!! أشعر أن زواجه على حافة الانهيار.. هل لازمنا زمن الألم والدموع؟ هل حانت الساعة التي أمقتها أم قربت؟!

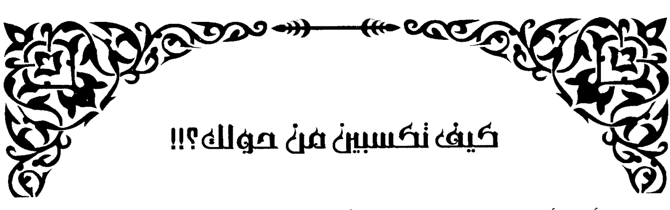
"خالد" مازال تلميذًا بليدًا لا يعي دروسه ولا يفقهها، الزواج مسئولية، والمال الذي أنفقه على زيجاته الأربع كان سيبني له بيتًا رائعًا لو أنه استطاع منذ البداية أن يتفهم ماذا تعني الحياة الزوجية.. "**إن كره منها خلقًا رضي منها آخر**" الزواج بناء شامخ ظاهره الرحمة والألفة وباطنة الستر والصيانة.

الزواج يا ولدي مؤسسة حتى تنجح لابد من قيامه على أسس سليمة "دين صحيح وخلق رفيع وحفظ كل طرف لأخر في حضوره وغيابه" وحتى تستمر لابد من الأخذ بالطرق الشرعية لمعالجة الخلل والنقص.

إنك يا ولدي إن اتخذت كل يوم فراشًا مختلفًا لن تستطيع النوم جيدًا. بل ربما لازمك الأرق، وحين تصير على قساوة الفراش لأنه جديد فسيأتي يوم يلين فيه ويحلو عليه المنام.

ولدي الحبيب : متى تستوعب الدرس جيدًا لتدخل امتحانات الحياة بعقل فطن وقلب واع حتى تفرحني بنجاحك فلقد مللت هذا الرسوب المتكرر!!

"أمك"



كيف تكسبين من حولك؟!!

ما أقبح أن يريد المرء من الآخرين أن يهتموا به في حين أنه لا يهتم بهم، ويريد أن يقدموا له الخير وهو لا يبذله لهم إن هذا هو المنتهى الأنانية.

ابنتي (سمية) مُدرسة وهي متزوجة وتسكن في حي آخر، ولي من البنات ثلاث غيرها كلهن متزوجات اثنتان منهن معلمتان أيضًا ولهن جميعًا أولاد وبنات، إلا أنهن لسن مثل "سمية" فهي تزوجت وكأنها لم تتزوج، أعني في وجودها بيننا واهتمامها بإخوانها ومعاونتي على تربيتهم، فهي دائمة السؤال عنهم وعن دروسهم، تحدثهم في الهاتف، وتمازحهم وتعطيهم جزءًا من اهتمامها الصغير قبل الكبير والمشاكس قبل الأديب، تلاطف الصغار وتستمع إلى الكبار حين تأتي لا تخلو يدها من علبة حلوى أو كيسا من رقائق البطاطا توزعها عليهم، ولا تعود إلى بيتها مساءًا إلا وقد تفقدت حاجاتهم فهذا "إبراهيم" لا يروق له كي الخادمة لشماغه و"علي" يجد صعوبة في التعبير والإنجليزي فتكوي لإبراهيم دون أن يشكو لها ذلك ثم تجلس مع علي تساعده في دروسه ولا تنس أبدًا أن تدس في يده "ممدوح" مبلغًا من المال يعينه على المتطلبات الجامعية.

"سمية" هي بنت البيت وملحه تفعل الخير من تلقاء نفسها لا تنتظر أن يوجهها إليه أحد، حينما جاءها "العيال" لم يتغير منها شيء فلإخوانها مكانه محفوظة.

بفضل الله ثم بجهودها اتجه "أبنائي" للطريق الصحيح فانضم "إبراهيم و علي" لحلقة التحفيظ في الجامع وتبعهما "صالح وعبد الرحمن"، أما ممدوح فقد أقلع عن كثير من العادات السيئة وبدأ يخطو نحو الالتزام.

وكنتيجة حتمية لهذا كله صارت "سمية" محط اهتمام إخوانها ومستودع سرهم ومحل ثقتهم، يسألونها رأيها في أمور كثيرة ويسرعون في الاستجابة لها وخدمتها حتى وإن لم تطلب منهم ذلك.

وهذا الذي أثار أخواتها ضدها، فبدأن يتذمرن من الوضع ويعتبن علي لسكوتي عليه.

[فلماذا إخواننا دائمًا في خدمة "سمية" وطوع هواها؟! وأبناؤها محل رعاية وحنان خاصين؟ وحتى زوجها له الحفاوة والتقدير اللذين لا نرى جزءًا منهما يقدم لأزواجنا]؟! هكذا قلن!! وهن نسين أو تناسين ماذا تفعل سمية وماذا فعلت؟!

حين اشترى "ممدوح" سيارة بالتقسيط سلمته نصف قيمتها كمساعدة ليرتاح من شروط التقسيط؟هو ما زال طالبًا في الجامعة بينما لم تقدم "هديل" سوى خمسة آلاف كدين وقالت: "أتمنى ألا يعرف زوجي ذلك"!! وما الضرر إذا كان أخوك سيقوم بسدادها لك علم زوجك أو لم يعلم؟!!

أيام الاختبارات تأتي "سمية" كل يوم لا يكون فيه مادة لها تصححها، تدرس إخوانها، وتراجع لهم، وتوفر لهم الجو المناسب، تعمل لهم العصير والشاي وهي أيضا تدرس ابنتها في الصف الثاني الابتدائي.

ولن أذيع سرًا لكن- يا بناتي- إن أخبرتكن أن "سمية" هي التي أعطت "علي" المال الكافي ليسجل في دروس التقوية التي فتحتها المدرسة لأنها لم تنس أو والدها المتقاعد لا يملك من المال ما يكفي لمثل هذه الأمور.

"سمية" شعرت بعد زواجها بخطورة الوضع الذي يعيشه أخوانها فوالدهم كبير في السن ولا يعرف حيل الشباب ولا حتى متطلباتهم وأنا ما عدت قادرة على ضبطهم واحتوائهم وأخواتها كلهن متزوجات، خافت أن يفقدوا السند والمعين المادي والمعنوي فوجدت الحل في كسبهم والتودد إليهم والقرب منهم ومن مشكلاتهم ونفسياتهم،

فأعطتهم أغلى ما تملك الوقت والمال والكلمة الطيبة، لم تمن عليهم بمعروفها ولم تشعرهم بفضلها عليهم ولم تربط هذا كله بمدى ما يقدمونه لها من خدمات ومساعدات.

ليس في أخواتها من عملت مثلها، كلهن يأتين آخر الأسبوع للزيارة المعتادة ولا يعرفن عن حال إخوانهن شيئًا.

الخميس الماضي كان "صالح" في رحلة مع حلقة التحفيظ إلى إحدى الاستراحات وقد أخذ معه بعض الكعك والفطائر وترامس الشاي والقهوة!!

من الذي صنعها؟! من الذي يتصل كل يوم ليعرف أحوال هؤلاء الأولاد؟ وما الذي يحتاجونه؟! إنها "سمية" حين علمت بخبر الرحلة جاءت بعد عصر الأربعاء وجهزت لأخيها حاجته ليخرج مع رفاقه عالي الرأس!!

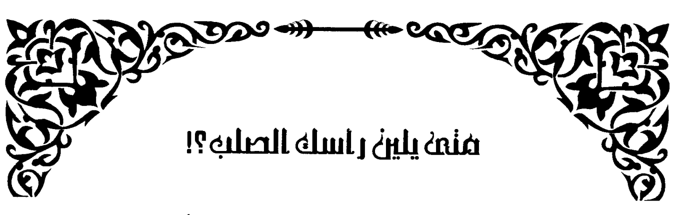
أبعد هذا كله تغضبن حين يسارعون- أعني إخوانكن- في تقديم خدماتهم لإحضار "سمية" أو إرجاعها لبيتها أو النزول بها إلى السوق أو المكتبة أو تخصيصها بزيارة أو اتصال أو الاحتفاء بأبنائها أو زوجها أو شراء حاجة لها أو الذهاب بأحد أبنائها إلى المستشفى أو أي مكان آخر.

إن غرفهم ملأى بالساعات الحائطية الجميلة والميداليات الفضية الفاخرة والكتب القيمة والأشرطة النافعة وبعض ألعاب الكمبيوتر الهادفة وكلها هدايا من "سمية" فقط وليس لكن فيها نصيب!!

فقبل أن تغضبن وتعتبن وتثرن فكرن جيدًا في أن من يريد من الآخرين أن يهتموا به يجب أن يهتم بهم أولاً ويبذل لهم نفسه وماله ووقته.. أظن أن عباراتي واضحة ولا تحتاج إلى إيضاح. وفقكن الله إلى خيري الدنيا والآخرة

"أمكم"

قال رسول الله ﷺ: «**أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة أو تقضي عنه دينًا أو تطرد عنه جوعًا**».



رأس من حجر تحمله هذه بين كتفيها، يثقل كاهلها ويتأرجح بها يمنة ويسرة حتى تكاد تسقط ولكنها لا تريد الإقرار بذلك، بل تتمادى في عنادها وتتباهى بهذا الرأس الصخري القاسي.

يا لها من عنيدة ليس في أولادي أحد مثلها، كم تعبت معها في طفولتها وفي مراهقتها، بل حتى الآن في الوقت الذي يفترض فيه تعقلها ورشدها.

أتذكر جيدًا يوم كانت صغيرة كانت تخبط الأرض برجليها مرة وبرأسها مرة حين تصر على طلب أمر نرفضه أو لا نستطيع تنفيذه الآن، ولما كبرت قليلاً كانت تنام دون عشاء وتذهب للمدرسة دون إفطار وتمتنع عن الطعام ليوم كامل لتجبرنا على الرضوخ لحاجتها.

ولكنها لم استوت على عودها أذاقتني المر والصبر لشدة عنادها ومكابرتها عن قبول الحق الذي عليها وتفننت في طرائق المعاندة حتى خلتني معها كخطين متوازيين لا يلتقيان أبدًا؛ فهي مرة تبكي بكثرة وقوة، ومرة تضخم الأمور وتعطيها أكبر من حجمها لتكسب تفاعلنا معها، المهم أن تحقق ما تصبو إليه حتى لو كان فيه هلاكها!!

لم أشر عليها بأمر وأخذت به، لم توافقني في كثير من آرائي، بل تتعمد الأخذ بالرأي المخالف مهما كان فيه من الضرر، لا تنظر إلى العواقب ولا تبصر أبعد من أرنبة أنفها.

لما قبلت في القسم الذي ترغبه أشرت عليها بصعوبته وأنه لا يتناسب مع قدراتها فأنا أمها وأعرف حالها جيدًا، ثم أنها مقبلة على زواج وهذا القسم يحتاج تفرغًا تاما ومواصلة الدراسة ليلاً ونهارًا، إذ ليست الرغبة هي كل شيء.

هل سمعت مني؟! بالعكس بل ظنت المسألة تحديا واقتحمت هذا المجال دون سلاح ولا دروع فهزمت عند أولى عتباته وكانت السنة باثنتين.. وفي النهاية حولت إلى القسم الذي أشرت به عليها مصرة على أنها لم تفعل ذلك إلا لتكون مع صديقاتها!!

ولما تزوجت كنت أريدها أن تتعلم أصول الحياة التي ستعيشها، وأن تعرف المقبول والمفروض في عرفنا، فهناك أناس ينظرون إليها وينتظرون منها الكثير، فهي الآن ليست صغيرة، بل زوجة مسئول ومدركة، فكنت أوجهها لما فيه عزها عند زوجها وعند أهله ولما فيه حفظ مكانتها عند أقاربها فكانت تلقي بنصائحي خلفها ظهريًا.

فمرة دعيت لحفل كبير أقامه عمها في بيته سألتها: هل ستحضر؟ وماذا ستلبس؟ فرمتني بجواب كالصاعقة بأن زوجها لا يرغب في ذهابها، لماذا؟! ليس هناك جواب. أفهمتها بأن هناك أمورًا يجب أن تدركها منذ البداية وهي ألا تجعل زواجها مانعا لها من زيارة أقاربها والاستجابة لدعواتهم، ثم إن معظم الأزواج يستعرضون عضلاتهم في مستهل الحياة ليختبر صبر زوجته وهي يجب أن تبين لزوجها أن هناك أصولاً مرعية لا يمكن أن تفرط فيها فتتركها لزيارة عمها مدعاة لغضبه عليها أو ربما مقاطعته وهذا أمر يكرهه الشرع ولو جلست مع زوجها وشرحت له الوضع فهو حتماً لن يخذلها لأنه رجل كريم الخلق.. أنهيت حديثي وهي ظلت صامتة.. إنني أعلم علم اليقين أن هذا ليس نزولاً عند رغبة زوجها بقدر ما هو شيء يوافق هواها لذا لم تحضر وذهب حديثي أدراج الرياح!!

عاهدت نفسي ألا أحدثها في شيء ما دامت تزداد عنادًا وطلبت من أخواتها أن ينصحنها فربما تسمع منهن ما لا تسمعه مني! فكان أن اتصلت بها "ليلى" تشرح لها بكل رفق كيف يمكن لها أن توفق بين دراساتها وبين عمل البيت، وهي دائمة الشكوى من هذا،

بشيء من التنظيم المجدول فقط حتى تتمكن من التفرغ يومي الخميس و الجمعة لتحضر اجتماعنا الأسبوعي وتزور أهل زوجها أيضاً، هل قالت سأجرب هذا الأسبوع، سأنظر في أمري؟! كلا، بل ثارت في وجه "منيرة" بأن لا أحد يقدر ظرفها وأنها لا يمكن أن تأخذ بآرائهم لأنها لا تناسبها!! وبقيت في "حيص بيص" مع أعمال المنزل ومتطلبات الدراسة.

كم مرة أوشك زواجها على الانهيار وكادت أن تحمل ورقة طلاقها لأنها لا تحسن التعامل مع زوجها، تخضع له فيما يعود عليها بالذل والمهانة، وتعانده فيما فيه رضاه، وطاعته وجلب محبته فلا هي كسبته زوجًا ولا هي أثبتت شخصيتها، وليتها حين تأتيني وقد انتفخت أوداجها، وامتلأت غيظًا تقر بأنها هي المخطئة لكان أن تعلمت منذ زمن ولكنها أصلاً لا تراها أخطاء فهي دائمًا المحقة وهي التي على صواب وغيرها!! لا يفهمون ولا يريدون أن يفهموا!!

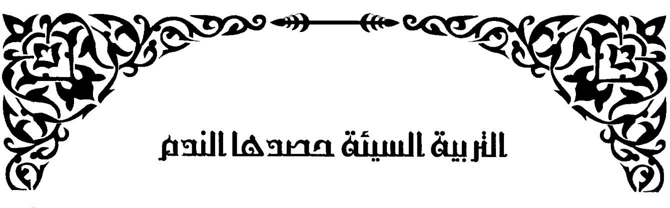
حين كانت تجهز لعرسها نصحتها مرارًا بأنها لن تستفيد من هذا الكم الهائل المغالى فيه من الفساتين فركبت رأسها وأصرت على أن تكون خياطة فساتينها في ذلك المشغل بالذات، وهاهي الآن تعض أصابع الندم كلما ألقت نظرة خاطفة إلى خزانة ملابسها، ولما ذكرتها بنصحي أعرضت عني!

كم هي عنيدة وقاسية، ليتها تسمع مني ولو مرة واحدة، لتطفئ لهيبًا يضطرم في داخلي، أتعذب من أجلها وأبكي أحيانًا، وهي لا تشعر بي ولا تبالي بسعادتي أو رضاي، اتخذت شعارها أن تخالفني في كل شيء وكأنني أعدى أعدائها، بل إنها تمتلك مزاجًا خاصًا لا يتوافق مع أي واحدة من أخواتها.

هي الآن في طريقها نحو الأمومة، وسوف تعلم أن بسمة طفلها لا تساوى بالدنيا، أتمنى أن تلين قليلا ويتفتت الصخر، وإلا فإنني أخشى أن تشرب من الكأس التي سقتني منها عندها ستندم ولات حين مندم..

"أمك"

قال رسول الله ﷺ: « **رضا الرب في رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد**».



التربية السيئة حصدها الندم

لا أعرف أين أذهب بوجهي في كل مرة تشكو إلي زوجة ابني حالها مع ابني "عبد الرحمن" الذي علمته وربيته وأنفقت عليه ولم أقصر بما أستطيع، لقد صارت رقبتي قصيرة وأسود وجهي من سوء فعله!! ألهذا ربيته وعلمته ؟!! هل قلت إنني "ربيته"؟!! أعتقد أنه حان الوقت لأدقق في عباراتي جيداً .. يجب أن أصارح نفسي بتقصيري في الاهتمام به، لقد أخفقت في تأديبه!! وربما أنني وقتها لم أفكر في عواقب عملي؟! إذ إنني تركت ثغرات كثيرة استطاع الشيطان أن ينفذ منها إلى قلب "عبد الرحمن" وعقله!!

في كل مرة تشكو إلي زوجته حالها معه، أعود للوراء لأتذكر تفاصيل دقيقة كانت تمر دون أن أعيرها اهتمامي.

فمثلاً المصروف الذي كنت أمنحه "عبد الرحمن" حين كان شاباً صغيراً لم أكن لأسأله عنه أين وضعه وفيم أنفقه؟ وما كنت أحسب المدة الزمنية التي يبقى معه المصروف خلالها، إن جل شعوري ينصب على تعويض نفسي حياة الشقاء والفقر التي عشتها ببسط يدي لأبنائي وإغراقهم في الدلال!!

ولما بدأت مصاريف "عبد الرحمن" تزيد ما كنت لأحاول مراجعته في الأمر، بل ظننت هذا أماً طبيعياً لشاب في مثل سنه يحتاج إلى المال ويجد عند والده حاجته، إنني حقاً لم أفكر في هذا بقدر تفكيري في الحرص على استثمار ما لي وزيادة دخلي لأتمكن من الوفاء بمتطلبات الأبناء المستمرة.

وإن أنسى لا أنسى موقفي الباهت الضعيف من شرب "عبد الرحمن" للدخان حين أعلمتني والدته، إذ عددت ذلك موضة بين جيله وغداً يكبر ويتركها!! فما دام يفعل ذلك

في العلن!! فهو خير من أن يخفيه عنا!! ويبدو أن هذه الخطوة كانت الأولى في صعوده إلى الهاوية ولكنها مع الأسف لم تكن الأولى لصحوتي وانتباهي فما زلت أسير في الدرب أشيد البناء من الخارج وأهدم الأساس من الداخل وأنا لا أدري!!

بدأ "عبد الرحمن" يغوص في عوالم قاتمة دون أن أشعر!!

كان تصريح قيادة السيارات الذي استخرجته له تصريحاً لدخول حياة موحشة ومؤلمة، يأخذ السيارة في أي وقت ويذهب بها حيث شاء دون أن تعلم أمه بمكانه، إنها لا تعرف أحياناً هل هو في غرفته أم خارج البيت!! حذرته ألا يأخذ السيارة إلا في أوقات معينة ولأغراض محددة ولكنه لا يحترم كلامي!! إنني لم أعلمه كيف ينبغي له أن يتعامل مع والده!!

لم أتخذ في حياتي معه قراراً صارماً إزاء تميعه، ولم أطبق مرة واحدة عقوبة قاسية تجاهه، ألنت له القول، وأرخيت له الحبل، وجعلت ظهري له مهاداً، وجيبي مصرفاً عاملته بطريقة حضارية زائفة، ومنحته كامل الثقة، وعودته الجدال في كل شئ وألا يفعل إلا ما يقتنع به، تربية سيئة حصدتها ندماً.

نسيت أن الشيطان ينتظر لحظة الانقضاض على فريسته ولا يغفل عنها، نسيت أن الشهوات تتنازعه وأن النفس الأمارة جولة قد يعقبها الانحراف والضياع إن هي انتصرت فيها.

يوم كبر واستوى على عوده- أو هكذا بدا لي- اشتريت له سيارة خاصة به ليشعر بالاستقلالية أكثر ويبني حياته ويعيش دقائق يومه كما يحلو له. ولأنني أب "ديمقراطي!!" فلم أعد أسأله عن روحاته وغدواته ولا عن سهراته وسفراته واتصالاته.. بل لم أحاسبه عليها.

ودخل الجامعة- دفعاً وبالواسطة- وبدأت أمواج السهر تجرفه بشدة وكثر خروجه من البيت أو إن شئت قل وجوده في البيت وتخلف عن محاضراته.

لم تهزني تلك التغيرات وإن كنت أرقبها عن بعد، أوجه أحياناً وألوم أحياناً أخرى ولكنها صيحات خافتة في وادي سحيق ليس لها حتى الصدى؟!

فرطت كثيراً إذ لم أحاول مرة واحدة التعرف على أصدقائه، نوعياتهم، ميولهم، وحتى أسمائهم، لم أسأله من يخالل؟ وأين يسهر؟ وماذا يفعل خارج البيت؟

وحتى إذا طلب المزيد من المال بحجة أنه وأصدقاؤه يتفاخرون بمستوى المطاعم التي يرتادونها ويدعون بعضهم للعشاء فيها أو أنه يحتاجه لتصوير وشراء الكتب المقروءة، لم أكن لأتأكد من صحة حديثه، بل أمنحه وبسخاء، أردت أن أكون أباً مثالياً وأن يشب ابني في رخاء وسعة وما المانع؟! والمال موجود وأنا قادر؟!

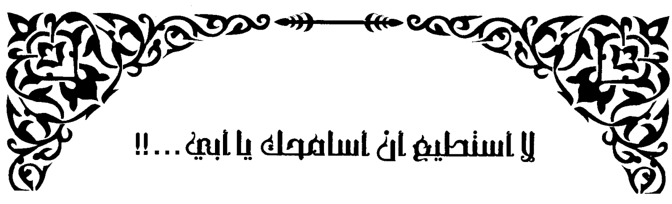
ولكن وما أسوأ لكن حين تأتي بعد ندم طويل مليئ بالأحلام العذبة الجميلة .. ولكن صحوت على دوي انفجار شنيع وطرق قوي متتابع على مغاليق عقلي خلخل بنياناً أقمته على شفا جرف هار فعراه وفضحه! تنبهت فإذا بابني "عبد الرحمن" مدمن مخدرات!!

خطوات متداخلة ثقيلة، عقل حائر مضطرب ووجدان عليل تائه ماذا أفعل؟!! حاولت ثنيه عما هو فيه، استجمعت قواي لأقول له لأول مرة وبصوت قوي توقف.

تقدمت خطوتان للأمام، واستبشرت خيراً ووجدت الحل في تزويجه بعد أن خسر الجامعة وكاد أن يخسر نفسه، أزوجه لأصرفه عن رفقاء العفن، بحثت له عن الشابة الطيبة التي تدفعه لطريق النور، ربما أني ظلمته وظلمتها!! اللهم اغفر لي وتجاوز عما لا أعلم.

لم يعد عبد الرحمن إلى رشده واستمر في تعاطيه وإن كان يراوح بين الاقلاع وبين الاستمرار أحياناً ومع إطلالة أول مولودة أشرقت شمس النقاء في حياته، ولكنها لم تلبث أن غابت ثم ظلمت!! وكلما شكت لي زوجة ابني حاله عدت باللوم على نفسي وعجزي وتقصيري وودت أن الأرض ابتلعتني لكن هذا لا يجدي، لقد اتخذت قراراً صائباً- إن شاء الله- سيكون هو الأمل الوحيد- بعد الله- في شفاء ابني وتعافيه، سآخذه إلى المستشفى بنفسي لعلاجه من الإدمان لعلي أتدارك ما يمكن تداركه، اللهم اعف عني واشف ابني وارحم ضعف هذه المسكينة. آمين.

"أبوك"



لا أستطيع أن أسامحك يا أبي...!!

هل من العقوق في شئ ألا أسامح والدي على خطأ ارتكبه في حقي .. خطأ دفعت ثمنه باهظاً من سعادتي وراحتي؟

قد يقول البعض نعم إن هذا من العقوق! ولكني أقول: كلا فأنا أملك كامل الحق في أن أقول: لا بملء في لمن لا أريده، وقد أعطاني الإسلام حرية اختيار شريك حياتي بأن أُستأذن، ولن يعيب علي أحد ذلك لأنه لم يعب أحد على تلك المرأة في عهد رسول الله ﷺ التي أرادت ألا تجيز والدها على عمله؟!!

منذ أكثر من عشرين عاماً تقدم لخطبتي "أبو طلال" فرفضت بدون تفكير فليس فيه ما يغري فتاة صغيرة مثلي فهو يكبرني بثلاثين عاماً تقريباً ولا يملك مالاً ولا جاهاً، في ذلك العام كنت قد جاوزت السادسة عشرة بقليل وكنت أدرس في الصف الخامس الابتدائي وكانت لي تطلعات وطموحات لم يكن الزواج من "أبو طلال" أو من على شاكلته واحداً منها.

حيث أعلمت والدتي والدي برفضي لهذا العرض فاجأها بقوله: "أنا لا أسألها رأيها ولكني أُعلمها" ذهلت للجواب، هل يعني هذا أن والدي أعطى الرجل كلمة؟! هذا ما كان "لقد أعطيت الرجل كلمة ولن أتراجع عنها" قال والدي ذلك ثم أردف: "لو كان في ابنتك خير لما فكرت في أن تكسر كلام والدها" بكيت كثيراً وحاولت أن أصر على رأيي ولكني لم أكن من بنات هذا الزمن لا يستطيع أحد أن يجبرهن على فعل شئ لم يقتنعن به، بل كنت من جيل لا تستطيع الواحدة منا أن ترفع رأسها حياءً حين يحدثها والدها، لذا

سلمت أمري إلى الله ووافقت على مضض أعني أنني لم أوافق ولم أعارض فليس لي خيار في ذلك.

وفي ثوب مطرز لطالما حلمت به زففت إلى "أبو طلال" بين دموع الفراق ودموع الحسرة، مما أفقدني لذة الفرح بثوبي المطرز.

ومنذ أن وطأت قدمي عتبة بابه وأنا أشعر بمرارة قاتلة تغري كبدي بصراحة- لم أستطع أن أحبه- ولكني في محاولة مني لتقبل الوضع الجديد حاولت أن أرضى بواقعي وأن أعيشه بحلوه ومره، فأنا الآن زوجة ومسئولة، دست على كل تلك المشاعر المضطرمة في داخلي وحاولت بكل السبل أن أحيا حياة هانئة أو على الأقل هادئة، ولكني عجزت واستسلمت لأحاسيسي الحقيقية التي كانت كالنار تشتعل في جوفي وتلهب وجداني، أحسست كأنني بين قرصي الرحى تطحنني الأيام وتذروني الرياح.

وذات يوم انفجرت باكية - أبت براكين القهر إلا أن تثور - وطلبت من زوجي أن يأخذني إلى أهلي، وكانت هذه بداية للنهاية، ليست بداية لنهاية عذابي معه، بل بداية لنهاية وجودي فأنا شئ من هذا الجسد الذي هو زوجي ولابد أن أظل ملتصقة به، ومن بين الدموع والنشيج أفهمت والدتي الوضع وشرحت لها المعاناة فنقلت الصورة لوالدي الذي استشاط غضباً (ما عندنا بنات تطلق) أخذني وأرجعني إلى بيت زوجي.

وكانت نفسي قد عافت كل شيء، عشت جسداً بلا روح، أنكرت أن لي قلباً يشعر ويحب ويكره، هربت إلى بيت والدي كثيراً حاولت واستمت في محاولة الإنفكاك من هذا الرجل الذي لم أستطع حتى استيعاب أنه زوجي ولكن دون جدوى.

تحت لهيب الشمس الحارق وفي تلك الأزقة الضيقة القديمة كانت فتاة نحيلة تنهب الأرض ذهاباً إلى بيت والدها ... تسير وتتلفت وتتعثر كأنما يلاحقها أحد ... إن خطواتها محفورة في تربة ذلك الزقاق لكثرة ما وطئته.

كنت تلك الفتاة، كنت أهرب إلى بيت والدي كلما تداعت علي الهموم، أفر في عز الظهيرة أو في حالك الليل أو عند بوادر الفجر لا فرق فالزمن بات واحداً من الرمضاء بالنار، فوالدي يرجعني إلى بيت زوجي تحت لهيب السوط والعقال وتوبيخات لوالدتي، وماذا تملك أمي سوى الكلام إنها مثلي تماماً ليس لها خيار في شيء.

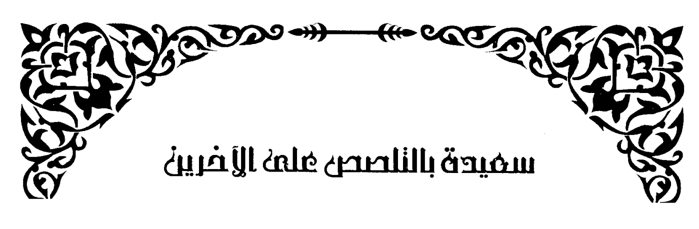
ضربني أبي وحرمني من التعليم نهائياً، طلب ملفي من المدرسة ثم مزقه إرباً ورماه في وجهي سحبني من ذراعي حتى كانت تنكسر ورماني في بيت زوجي كالـ(......) هددني بالقتل إن عدت إلى هذا الجنون مرة أخرى ... وتوعدني بأن يكون بيته قبراً لي لو أرغمت زوجي على تطليقي!! ووالدي صادق دائماً ... !! فكأنني كنت عبئاً ثقيلاً انزاح عن كاهله أو هماً مقيماً فرَّجه الله !! استسلمت مكرهة وعشت مع زوجي تحت سقف واحد، لم أستطع أن أحبه، ولم أهبه قلبي وعواطفي فمشاعر الحب الدافقة ظلت رهينة القلب لم تنبع لأحد حتى كادت أن تجف.

مللت من الحياة في هذا الأسر، كرهت بيتي فكل يوم يزداد شحوبه ... ثلاث سنوات انقضت كأنها عمر بأكمله لم يتغير فيها شئ سوى أن الجرح ما زال يتعب والألم يزداد.

أنجبت طفلي الأول ثم الثاني فكانوا هم السبب الوحيد الذي أشعل في جوانحي وقود الصبر، لأجلهم أصبر على هذا الزواج التعيس ومن أجلهم أتحمل كل شاق ومؤلم، وحتى يحيوا سعداء فإني سأفجر لهم ينابيع الحب التي كادت أن تندثر تحت ركام سنين القهر والأسى.

لقد سلبت مني السعادة وحرمت الحب بسبب والدي، إنني لا أستطيع أن أجعل قلبي صافياً تجاهه، فهل علي ملام؟!!

"أبنتك"



سعيدة بالتلصص على الآخرين

مسكينة تلك التي يشغل جل تفكيرها ما يحدث في بيوت الآخرين، فتراها توظف الأطفال لالتقاط الأخبار، وتسعى جاهدة للتحقيق معهم بشتى الطرق المباشرة والملتوية! وهي تعلم يقيناً أن هؤلاء الأطفال يحملون الطهر والنقاء في قلوبهم فلا يتبادر إلى أذهانهم مثلاً أن هذا الحديث ليس الغرض منه مداعبتهم ومشاركتهم!! بل تجدهم يتجاوبون بكل براءة مع كل ما يسألون عنه.

إن هذه الفئة من أشد الناس حرصاً على كتم أخبارها السارة والمحزنة، بل العادية أيضاً بقدر حرصها على معرفة ما يدور خلف أبواب الآخرين وما هي تفاصيل حياتهم.

إن أخت زوجي واحدة من هؤلاء النساء اللاتي أشغلن أنفسهن بالتلصص على البيوت وكشف الأستار. فما الذي تروم اكتشافه حين تسأل بناتي الصغيرات عن المكان الذي ذهبت إليه "أين أمك؟" لا أدري!! ذهبت إلى السوق؟! يمكن ما أعرف" وتذهب في سؤالها بعيداً حين تدقق في الأسئلة أكثر وتحاول انتزاع الإجابات من أفواههن!!

وهي لا تكتفي بهذا، بل تدخل معهن في حوارات طويلة لتعرف من الذي زارنا هذا الأسبوع وإلى أين ذهبنا، وهي تغلف كل أسئلتها بشيء من الفكاهة والمرح لتتمكن من جذب قلوب هؤلاء الصغار، وهذا ما استطعت استنباطه من شدة ولعهم بها وبأسئلتها حين يحدثونني عنها "قلنا لعمتي جواهر، وسألتنا عمتي جواهر".

سألتهم ذات مرة لماذا لم نحضر زواج إحدى قريباتنا "أكيد لا تعرفون كيف ترقصون!! قالت راغدة بعفوية: لا ولكن ما عندنا فساتين جديدة، وقالت شمس: والدي

رفض، وحين عدنا إلى البيت جاءتني راغدة مستفسرة عن الجواب الصحيح هل هو جوابها أم جواب شمس!!

أحاول دائماً أن أفهم أبنائي أن لكل بيت خصوصياته التي يجب ألا يطلع عليها أحد غير أهله، ولا يعرفها أحد سواهم، وأن هناك أموراً من الأفضل أن نخفيها عن الآخرين وأشياء يجب ألا يعرفوها كلها لأننا لن نستطيع دائماً أن نوجد المبررات لتصرفاتنا، وأن هناك نوعاً من العلاقات تحكمها ظروف معينة لا يستطيعون في هذه السن إدراكها، ولو أسهبت في شرحها لربما فهموها بشكل خاطئ.

أنا أحب عماتكم كما أحب صديقاتي ولكنني لا أستطيع أن أتحدث إليهم بكل شيء يخص حياتي، ولا بكل شئ يحدث في بيتي لأنهم لن يستفيدوا كثيراً من معرفة ذلك وربما لن يفهموا لماذا حدث، هل فهمتهم.

إنهم ما زالوا صغاراً واستغلال الصغار بهذا الأسلوب المشين قبح ودناءة. سألتني ابنتي ذات يوم ماذا أهديت لأخي وعروسه؟ فقلت لها لماذا هذا السؤال الآن؟ قالت: إن عمتي وعدتني إن عرفت أن تعطيني شوكولاته.

ولماذا تودين أن تعرفي، وما هي الفائدة التي تعود عليك إذا عرفت؟ وماذا تتوقعين أن تغرسي في نفوس الصغار بهذه الطريقة؟

تعلمينهم التجسس وتتبع الأخبار؟ تعودينهم أن يشنقوا آذانهم عند كل خبر ويفتحوا عيونهم لكل حدث؟ ما أتعس أبناؤك إن ربيتهم على هذا الطبع القبيح، إنهم لن ينجزوا شيئاً ولن يبدعوا في حياتهم أبداً لأنهم سيكتفون بالاستماتة في سبيل الحصول على خبر جديد يزفونه إلى أمهم لترضى عنهم.

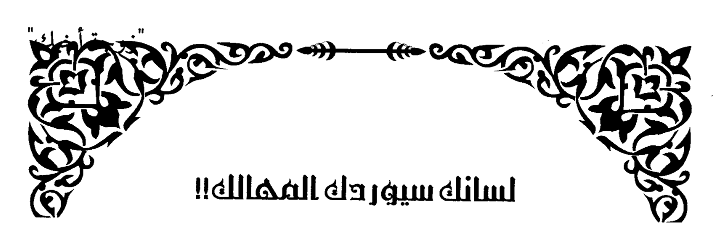
ما زلت إلى الآن أحفظ لساني من الوقوع في سبك والتشنيع عليك أمام أبنائي، لأنني ما زلت أحفظ لك من الود شيئاً قليلاً، فلا تدفعينني لشن الحرب عليك ومعاملتك بالمثل، أنا أعلم حرصك على بقاء علاقتنا سليمة وقائمة ... برأيك أنك لا تسعين لسؤالي

مباشرة خوفاً من أن يكون في هذا حرج لي أو إساءة لك وأعلم حرصك أيضاً على بناء سياج منيع حول نفسك فلا يستطيع أحد اجتيازه أو تسلله وترين احترامي لهذا، فأنا لم أسألك مرة واحدة عن سبب تأخر حملك هذه المرة، ولم أسأل خالتي أيضاً، ولم أحاول معرفة سبب تركك للمدرسة التي تدّرسين فيها مع أن مديرتها ابنة خالك!! ولم.. ولم أفكر في البحث والتنقيب في ثنايا حياتك مع أن فيها الكثير من علامات الاستفهام!!.

أفلا ترين أنه من باب الأدب لا يليق بك مثل هذا الفعل؟ تسألين الأولاد هل نذهب للعشاء في المطاعم؟ أم نحضر ما نشتهي إلى البيت؟ هل نذهب إلى أهلي مرة أم مرتين في الأسبوع؟ وإذا بقينا عندهم عدة أيام تسألينهم ماذا قلنا فيها؟ وأين ذهبنا؟ ومن الذي جاءنا؟ وإن سافرنا تسألينهم هل الهدايا التي أحضرناها غالية أم رخيصة؟ وماذا قدمت لأمي وأختي؟ وأسئلة كثيرة تنبش في كل ذرة من حياتنا وكأني بك تفرحين حين تسمعين بطرف خلاف بيني وبين زوجي؟ أو تستائين حين يصل إلى مسامعك أخبار رحلة قضيناها في أي مكان.

أخاطبك بلفظ الأخت لأنك مثل أختي واستثير فيك إيمانك بأن هذا العمل قبيح وسيئ، ولا يعود عليك إلا بالحسرات، تشغلين قلبك بتتبع أخبار إخوانك وزوجاتهم وأقاربك، أراك لا تتورعين عن سؤال بعض أطفالهم عن شيء من خصوصياتهم، وتعملين فكرك في تحليل ما يصلك ن أحداث ليجمعوا لك ما تريدين من أخبار وكأن الدنيا ما جُعلت إلا لهذا. هل تدركين معنى حديث رسول الله: "**من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته وفضحه في جوف بيته**" أو كما قال: فهل تتلذذين بمآسي الناس؟

هل يصيبك عسر هضم حين لا تظفرين بخبر ولا تعرفين ما وراء الحدث؟ إن حياتك إذن تعيسة وعيشتك قلقة، أسأل الله لك القدرة على التغيير إلى الأفضل واسلمي.



لسانك سيوردك المهالك!!

هـل جمعـك المجلـس يومـاً بـإحدى اللاتـي لا يقمـن للكـلام وزنـاً. تـرمي الكـلمات كالقـنابل تحـرق وتدمر وتتلف؟ هـل ساءك وجودها؟ هل تمنيت أن تصمت؟ إذن كيف لو كانـت هـذه المتحدثة المنفلتة هي أخص قريباتك؟ لكنت تعيشين عذاب اللحظة في كل وقت يجمعـك بهـا وستجلسـين معهـا في قلـق مـن أن يفلـت لسـانها بكلمة جارحة أو مؤذية أو غير لائقة أو ليس لها معنى أو تخص أحداً تربطك به علاقة من نوع خاص؟

إن "نـورة" زوجـة أخـي- هداهـا الله- لا تـزن كـلماتها ولا تعـرف للكـلمة وقـتاً، فللكـلام أوقـات ينبغي أن يقال فيها، وأوقات يجب أن يحبس فيها، وأوقات حسبما تترجح المصـلحة، ثـم إنهـا لا تبـالي في أي حال تتكلم، أحياناً في وجود أناس غرباء عنا، أو نجتمع معهـم لـلمرة الأولى أو تربطنا بهـم علاقـة رسمية، أو في حـال وجـود خلافـات مترسبة قد يدفعهـا الكـلام المجنون للظهـور عـلى السـطح!! لا يهـم كـل هـذا، المهـم عـندها أنهـا كـلمة تتأرجح على طرف لسانها تود التخلص منها والمشاركة بها في أحاديث مع الأخريات.

ذات مـرة قالـت لإحدى الحاضرات التي كانت تحب التميز والظهور في شكلها: [أكيد اشـتريت فسـتانك مـن سـوق الـ .... لقـد هممـت بشرائه لأنه رخيص!! ولكن لم أجد اللون المناسـب] قالـت هـذا الكـلام في مجلـس يفصل بينهما فيه مسافة بعرض الغرفة التي جمعتهما وهي خمسة أمتار.

وفي أحـد اجـتماعات العائلـة الشـهرية كانـت الحاضرات يهنئن "هدى" إحدى قريباتها بالمسـكن الجديـد ويتـبارين- كعـادة النسـاء- في طـرح الأسـئلة المعـتادة عـن ألـوان الأثـاث

والمحلات التي اشترت منها وغيرها فأثنت زوجة أخيها على ذوقها الرفيع في اختيار غرفة النوم وتأثيثها الجميل فألقت زوجة أخي سؤالاً أبله بذر نبتة شقاق بينها وبينهن: "سمعت أنك أنت التي دفعت نصف قيمة غرفة النوم بقيمة بعض الحلي التي بعتيها" لقد تغير وجه هدى وأمها وزوجة أخيها فليس هذا بالكلام السهل في وسط يرى ذلك عيباً خاصة وأن المجلس يغص بالنساء وفيهن الغريبات، ثم إن هذا من خصوصيات حياتها لقد حصلت زوجة أخي على هذه المعلومة القيمة عن طريق قريبتها التي تدرس في نفس المدرسة التي تدرس فيها أخت سارة.

هل انتفخ وجهها حين رأت أثر ذلك في وجوههن؟؟ بل استمرت في طرح أسئلتها الثقيلة دون حياء.

ولأن نورة منا وفينا يعني من أقاربنا لذا تزداد المواقف حرجاً فحين لم يدع أهلها إلى زواج بعض الأقارب لأسباب خاصة بهم لم تخف امتعاضها من هذا، بل بادرت من سألها عن أهلها بجواب ليس فيه ترو: اسألي آل فلان ليس فيهم خير، لم يرسلوا لأهلي بطاقات، وفي نفس الليلة سألتها امرأة كبيرة في السن عن عدم حضورها مناسبة معينة قبل أسبوعين فقالت: "لم يخبرني عنها أحد، ذهبوا ولم يعلموني".

من تعني "بأحد" هذه إنها أمي بالتأكيد، الداعية كانت خالتي واكتفت أمي بإخبار أخواتي ليخبروا زوجاتهم فإن كان زوجها ينسى أو لم يرغب في ذهابها أصلاً لذا لم يخبرها فما ذنب والدتي، ولكن هل سنشرح هذا الموقف لكل الناس الذين يسمعون جوابها.

لقد فكرت في محادثتها وإيضاح شناعة فعلها وأنها تسبب ضيقاً وحرجاً للكثيرات دون أن تدري بإلقائها الكلام على عواهنه دون ترتيب ولا تمحيص، ولكن لما سمعت والدتها ذات مرة تسب أبناءها الذين هم أبناء أخي في وجودها دون مراعاة لأدنى أصول الذوق أدركت أن هذا الطبع المشين متأصل ومتوارث في العائلة اللهم لا شماتة.

أحياناً أقول ليتها لم تحضر وإن حضرت أقول ليتها تصمت، ولكن ما حيلة المضطر إلا الصبر فليس من الأدب أن أقعد لها بالمرصاد وأتلقط سقطاتها، وليس من المستحسن في عرف الناس أن أتولى تبرير كل كلامها وتفسيره على الوجه المرضي بل إنني لو حاولت فلن أستطيع أن أجد لبعضه مصرفاً من مثل قولها لخالتي الشابة: إنها وزوجها "يعني أخي" يتحدثان عن جمال شعرها وطوله، فقال أخي: ما أسعد زوج خالتي بها وبشعرها!! لقد مادت الأرض تحت قدمي واحمر وجهي خجلاً وأطرقت خالتي الخجولة إلى الأرض حياءً وهي تبتسم بكل ثقة.

لا أعلم إلى أي مدى يذهب بها قولها ألا تشعر بأنها في كل يوم تخسر واحدة، وأن غالبيتهن صرن يتحاشين الجلوس بجانبها أو محادثتها لأن الكل يخشى أن تخطئ في حقه أو تفضحه أو تحرجه؟ لأنها اعتادت أن تعج من فمها ما لا تفكر في عاقبته.

زوجة أخي الكريم: أنسيت أن عليك كراماً كاتبين، وأنه لا ينبغي لك أن تتفوهي بكلمة ضائعة ليس لها هدف أو تتكلمي بما لا يعود عليك بالربح والزيادة في دينك، وأنه ينبغي أن يكون حديثك من باب المباسطة مع الغير والتودد لهم وتأليف قلوبهم وجمع شملهم، أما هذا الحديث الذي لا يسمن ولا يغني من جوع والذي يوقع الآخرين في الحرج أو الكذب فهو مذموم،

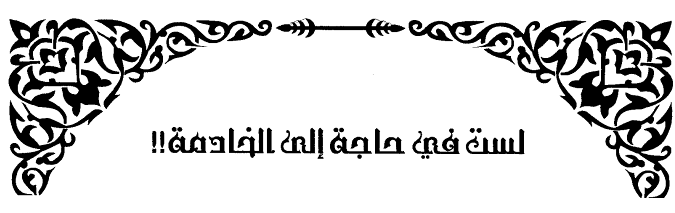
"فمن عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه.

فأحرصي - رعاك الله - على ما ينفعك واستعيني بالله ولا تعجزي فإن عجزت فأمسكي عليك لسانك وليسعك بيتك.

"أخت زوجك"

قال تعالى مبيناً صفات المؤمنين اللذين كتب لهم الفلاح:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ (المؤمنون: ٣)



لست في حاجة إلى الخادمة!!

اتفقت أنا وزوجي على الاستغناء عن الخادمة ما أمكننا ذلك، فأنا أكره الخدم وهو أشد كرهاً لهن مني وانتهجت نهجاً معيناً جعل حياتي تسير بشكل طبيعي والحمد لله.

ولكن الناس لا تستطيع أن تستوعب هذا الأمر تماماً خاصة وأنا الآن أنتظر مولودي الخامس، إذ كيف يمكن لأي امرأة أن تعيش في هذا الزمن بدون خادمة؟!

لقد صاروا يربطون بين كل شئ في حياتي وبين عدم وجود الخادمة، لقد أزعجوني بكثرة حديثهم واستفساراتهم عن وضعي الجديد. إنهم لا يتصورون الحياة بدونها، فمع أن هذا هو الحمل الخامس، ومن الطبيعي أن المرأة تتعب مع تكرار الحمل إلا أن تعبي هو من نوع آخر، فأنا متعبة وأحس بإجهاد لأنه ليس عندي خادمة.

ولأنه ليس عندي خادمة فلقد تأخر مستوى ابنتي الدراسي هذا الشهر عن الشهر الذي سبقه، هكذا قالت لي أختي إذ كيف لي أن أستطيع تحمل عمل البيت وتدريس الأولاد؟

إنني حين أتغيب عن حضور بعض المناسبات الاجتماعية لأن وقتها مثلاً لا يناسبني أو لأن زوجي غير متفرغ أو لأن أحد الأبناء متعب أو لأي سبب آخر قالوا: مسكينة (لو عندها شغالة كان قدرت تحضر) وحينما أستطيع الحضور واستجيب للدعوة لا يكفون عن سؤالي وتجريحي: متى تنامين؟ ومتى تصحين؟ ماذا تعملين بالغسيل والكي والطهي والترتيب؟ لماذا زوجك لا يريد خادمة؟ يقصد التكلفة المادية لها والمصاريف المتعلقة بها؟ إن راتبه جيد وأبناؤك يزيدون والعمل لا ينتهي؟ متى تستقدمين خادمة؟ بعد الطفل السادس أم السابع؟ أسئلة لا تنتهي ونظرات يشوبها شيء من الشفقة والرحمة لي وكأنني أستحق

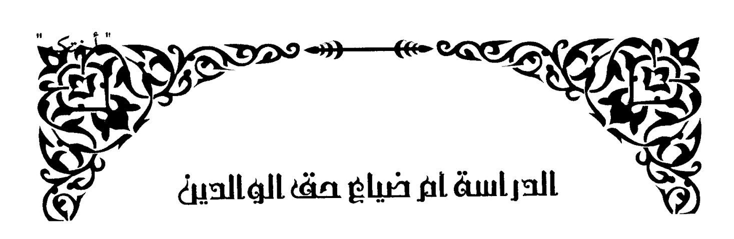
هذا، وأعلموا أنني أنا التي أشفق عليهم وأرحمهم، فهم لا يعرفون الراحة في بيوتهم ولم يتذوقوا طعم الحرية، بيوتهم كالسجن ينامون وعيونهم مفتوحة ويخرجون من بيوتهم وقلوبهم فيها، إنهم قلقون على صغارهم، وخائفون من هذه - الغريبة - أليس من العجب أنهم يحضرونها امرأة ضعيفة ذلتها الحاجة جاءت لتعمل عندهم فاستعبدتهم وأذلتهم لها. يا لها من حياة بائسة تلك التي يريدونني أن أحياها.

إنني أمقت الخدم ولا أرى أنني في حاجة لهن، فما دمت في صحة وعافية وربة بيت لا ترهقني وظيفة ومنزلي ليس كبيراً وزوجي متفهم لوضعي ومقدر لظروفي فلماذا أجلب الهم لي؟

أنا لا أشعر أنه ينقصني شئ عنكن، هأنذا أخرج معكن للاستراحات والمتنزهات وأشاركتكن بطبق أو اثنين - حسب المقدرة - بينما اللاتي لديهن خدم يأتين أحياناً وأيديهن صفراً أو ربما أحضرت طبقاً من محل الحلويات القريب من بيتها.

إنني لا أرى الذين عندهم خادمات ينجزون أعمالهم في وقت قياسي، ولا أراهم لا يمرضون أو أن أبناءهم دائماً متفوقون، بل إن بعضهم لديه خادمة أو اثنتين ولا تقوم بواجباتها الاجتماعية من زيارة مريض أو السلام على كبير.

إنني راضية عن حياتي بدون خادمة، والمستقبل بيد الله سبحانه هو الذي يعلم ما في الغد وبيده مقادير كل شئ سبحانه، لا أعلم هل سأحتاج إلى الخادمة أم لا؟ لكن الذي أعلمه أنني الآن لست في حاجة لها، ثم إنني أشعر بالتحدي ولهذا لا زلت صامدة مهما تكاثرت السهام.



الدراسة أم ضياع حق الوالدين

تشكلت الأماني أمام عيني عرائس في ثياب بيضاء يرقصن كالفراشات حين ولدت ابنتي الكبرى "علياء" وتبددت الأحلام كرمال تذروها الرياح حين كبرت "علياء".

منذ كانت صغيرة والدراسة هي شغلها الشاغل ، كانت متفوقة وذكية ، وكنت أشجعها وأفخر بها ، كل وقتها للدراسة والكتاب والقلم ، لا تراها إلا تراجع ، تذاكر ، تكتب وتبحث ، كبر معها هذا الوهم ولكن كبر أسفي أيضاً.

لم تكن تلتفت إلى عمل البيت ، ولا المطبخ ، لم تفكر في ثيابها ولا مظهرها ، هيئتها وهي منكبة على الكتاب وقلمها معلق فوق أذنها لا تفارق مخيلتي حتى بعد أن تزوجت.

لم تكن تجلس معي لنشرب الشاي سوياً. تعود من المدرسة ، تأخذ قسطاً من الراحة نكون خلاله قد تناولنا غداءنا وبعد العصر تتناول وجبة خفيفة ثم تجلس في غرفتها وتغلق الباب حتى لا يزعجها الصغار لا يرافقها سوى أبريق الشاي ، كأنها ليست في البيت لا تعلم عما يدور شيئاً ، لا تشارك في القرارات ولا تعترض على شيء إلا إذا كان يمس الدراسة.

وتزوجت ولم أكن أتصور أن أراها يوماً في ثياب العرس ، وواصلت دراستها الجامعية وسعت إلى ما فوق ذلك. وأكبت على المحاضرات والبحوث وانشغلت بالطالبات وتبددت أحلامي في ابنتي الكبرى التي ستشاركني الهم والفرح معاً فقد أخذتها الدراسة والبيت وغرقت "حتى شوشتها" الدراسة أولاً والدراسة أخيراً وحق الوالدين ضاع بينهما. ليس هناك مساحة في حياتها لوالديها. أو دقيقة تسأل عنهما فيها. في الصباح الجامعة وأحياناً

بعد الظهر ثم وقت للراحة وآخر للبحث والتنقيب وثالث للزوج والأبناء ثم ماذا بقي من اليوم غير ساعات قليلة للنوم؟

تتذكرني لكن متى؟ حين يداهمها الوقت ولم تكمل بحثها أو تنهي تحضيرها فترسل الأبناء لي حتى ترتاح من إزعاجهم ويصفو ذهنها للتحضير، وليتها اتصلت لأسمع صوتها "وأبرد قلبي" إنهم فقط يطرقون الباب في اللحظة التي يتصل والدهم بهاتفه النقال ليعلمني بحضورهم.

هي دائماً هكذا لا تذكر أن لها أهلاً إلا حين تحضر المصلحة. كانت تقضي فترة الاختبارات عندنا تترك أبناءها الصغار عندي وعند الشغالة لأعتني بهم ونغسل لها ملابسها، ونحضر لها الطعام ونرتب أغراضها إنها فقط تذاكر وتأكل وتنام لا أراها أبداً، لكنني أرى مراسيلها "علياء تريد شاي، تقول علياء خلوا الشغالة تعمل لي عصير وساندوتش، قولوا للشغالة تكوي بلوزتي الحمراء"

(عمري ما شعرت أن لي بنتاً مثل بنات الناس. تقعد معي أحكي لها وأشكي لها وأفضفض عليها. تروح معي للمناسبات. تتصل علي كل يوم وتسأل عن أهلها، أعلمها بالذي يحدث في البيت واللي أشوفه في العزائم والأعراس).

حتى إذا صار عندنا مناسبة أو اجتماع عائلي تتعذر إنها مشغولة جداً في بحثها ورسالتها وإذا حضرت جاءت معها بأوراقها وكتبها وجلست في غرفتها وأغلقت الباب-كالعادة وأخذت تكمل عملها (ما تساعدني في الشغل ولا قد شفت منها خير تجي للعزومة من أجل أن ترتاح من عمل الغذاء في بيتها لزوجها وللصغار).

افشلتيني مع الناس، إذا اتصلت عليها لنزور ابنة خالتها الوالدة قالت "معليش روحي لخالتك وأعطيها هدية من عندي" أنا مشغولة في البحث وإن قلت إن خالتك فردوس دعتنا لزيارة ابنتها لطيفة آخر الأسبوع في قصر الأفراح قالت "سلميني عليها وتعذري منها والله ما أقدر" وحتى صارت ما تراعي مشاعر أحد، فهذه عمتها نرجس

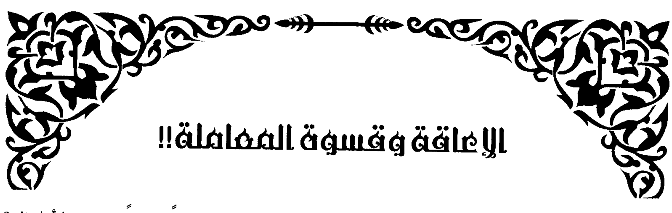
حساسة وتزعل بسرعة تركت علياء زيارتها بعد ما جاءت من مكة بالسلامة من فريضة الحج بحجة أن ما عندها وقت وأنها مضغوطة جداً في الرسالة ووالله كادت تحدث مشكلة كبيرة لولا لطف الله، مع أن عمتها حلفت ألا تزورها.

"علياء" صارت مقطوعة عن العالم، عايشة في عالم ثان.. عالم الكتب والأوراق والأقلام، تركت أداء الواجبات الاجتماعية لا تزور مريضة في مستشفى ولا تسلم على أحد له حق حتى بالتليفون. تمر المناسبات السعيدة والمحزنة ولا تشارك أحداً. جيرانها توفت جدتهم ولم تجد الوقت لتعزيهم. "العيد اللي يقولون عنه "سلام القاطع في العيد" لا يسمع أحد صوتها، تبارك وتهنئ، حتى الهاتف ما ترد عليه من كثرة الشغل والبحث والدراسة ويوم ألحيت عليها تعزم حريم أعمامها وعمتها حتى ترضيهن اعتذرت بكثرة شغلها وأن البحث مأخذ كل وقتها ومدت في يدي خمسة آلاف وقالت "أعزميهم أنت واعتذري عني".

ارتقت سلم العلم والمعرفة ولكنها لم تتعلم طبائع الناس وعاداتهم الطيبة "اللي تبيض الوجه وترفع الرأس" يقولون عنها متكبرة وشايفة نفسها وغرتها شهادتها وأنا أدافع عنها وأوقف معها حتى عجزت.

أختها "أسماء" أخذت الثانوية في خمس سنوات ولا لقت جامعة تقبلها لكنها والله بعد ما تزوجت رفعت رأسي ورجعت لي عزي وأمنياتي اللي كنت أحلم بها مع علياء سأنتظرك يا علياء حتى تنتهين من دراستك وتنالين مناك وأرى إن كنت ستجمعين أحلامي المبعثرة وتعيدين أمنياتي الضائعة وحتى حينه لك مني السلام واسلمي.

"أمك"



الإعاقة وقسوة المعاملة!!

هل تصدقين لو قلت لك إن هذا الشاب المعتوه كان طفلاً وديعاً كسائر الأطفال؟ وهل تصدقين لو قلت لك إنه لم يتعرض لحادث دهس ولا سقوط أدى به إلى هذه الحال؟ ربما أمك لن تصدقي إن قلت إن وضعه هذا نتيجة سوء معاملة أهله له، ولكن إليك الحكاية.

(فؤاد) هذا هو ابن أخي، أذكر يوم ولادته جيداً جاءوا به إلى أبيه محمولاً في خرقة فرح به واستبشر ولكنها فرحه مشوبة بالحذر إذ إن عاهة بسيطة كانت بادية في ذراعه وبالأخص في مفصل كفه الأيمن.

شب فؤاد سريعاً وفاق أقرانه وسامة وجسامة وربما كان سيحوز على حب والديه لولا هذه العاهة في كفه التي تزداد وضوحاً مع الأيام.

كان المفروض أن يتقبل أهله هذا الأمر إيماناً منهم بالقضاء والقدر أولاً ولإعطاء الأمور حجمها الحقيقي ثانياً وحتى لا يأخذ الحال بُعداً آخر ولكن مع فؤاد اختلف الوضع كثيراً.

كانت أسرته مغرقة في حب المظاهر والزينة ولها حساسية شديدة لمثل هذه الأمور، ولأن الناس بطبعهم فضوليون فقد أمطروا أهله بالأسئلة: كيف يأكل؟ كيف يعتني بنفسه؟ هل يحس بألم؟ هل عرضتموه على أحد الأطباء أو المعالجين الشعبيين؟ ترى ما سبب هذه الإعاقة؟ كيف سيدرس؟ ويكتب؟

كانوا يمسكون يده الصغيرة ويقلبون كفه الغضة بين عيونهم كأنما هي قطعة من الحلوى يتفحصونها قبل أكلها، كل هذه الأسئلة والأفعال كانت تضايق عائلته وتولد

لديهم ردود فعل قاسية، ومن هنا فكروا بإبعاده عن عيون الناس "لا تدعوا فؤاد يظهر لأي ضيف" ولأنه صغير فقد كانت إحدى أخواته تجلس معه في معزله حتى يغادر الضيوف.

من الأفضل أن يظل هذا الحال مؤقتاً، ولكن لأنانيتهم المفرطة وحساسيتهم الشديدة ولصلابة رأس والدته وعنادها استمر الحال كثيراً، بل دائماً، فأحياناً يستلزم الأمر خروجهم من البيت جميعاً فيتركونه مع أحد إخوانه الكبار الذي يتضايق منه لأنه حرمه المشاركة في هذه الزيارة فلا يبالي بنفسية هذا الصغير ولا في أي واد ساحق.

كم هم قساة القلوب متبلدو المشاعر، متحجرو الأفئدة، إنهم لا يسمعون نصحاً من أحد، كم خوفتهم بالله!! كم حذرتهم من عاقبة فعلهم؟ ولكن لا حياة لمن تنادي؟

كبر فؤاد ولازمته العزلة، صار منظره مخجلاً لأخواته!!! فهن يتضايقن من ظهوره أمام صديقاتهن أو مرافقته إياهن للسوق ولأنه لم يعد صغيراً فقد صاروا يغلقون عليه الباب ويتركونه وحيداً. وحيداً مع نفسه... مع آلامه وعذابه... مع عاهته وسجنه. تخنقه العزلة، وتقتله الوحشة يفكر في حاله ومآله (ماذا جنيت؟ وما هو ذنبي؟ أين أذهب؟ وإلى أين أغدو؟ ولماذا أنا هنا وحدي؟ والجميع في الخارج يستمتعون ويعيشون؟ لا أحد هنا معي سوى هذه الجدران الباردة، والظلمة الحالكة.

في هذا الظلام الدامس أرى عيوناً شاخصة وأفواهها مفتوحة وأنياباً حادة يقطر منها السم... الألم... أريد الهرب ولكن إلى أين؟ الباب موصد... وحش هو الآخر يهم بافتراسي ويجثم فوق صدري.. يصوب نظراته نحوي نحوي، ، علني.. إنهم يتمنون موتي.. ليت هذه الجدران تطبق علي .. ليت الأرض تبتلعني.. ليل طويل يومي.. ليل القهر والحسرة.. ما أوحش هذه الغرفة تبدو كالقبر .. يارب أين أفر؟

يخبط الأرض برأسه، يرفص الباب برجله ولا مجيب سوى رجع صداه وأنين المكان الموحش.

عـاش ابـن أخـي في بيـت والـده منبوذاً (شكله يوحي بالقرف) هذا ما كانوا يرددونه... إنهـم لا يرغبون في وجـوده، لا يحتملون رؤيـته، إنـه يسبب لـهـم المضـايقات ويحـرجهم مع الآخـرين، الكـل هـنا يطـرده ويحجـبه عـن رؤيـة الـناس حـتى عـندما أود السـلام علـيه لا يمكـنونني من ذلك... المسكين صارع لحظات الأسى وحده حتى تأثرت صحته وانسحب هذا الأثر على ذراعه كلها فصارت مشلولة.. هكذا فهمنا الوضع.

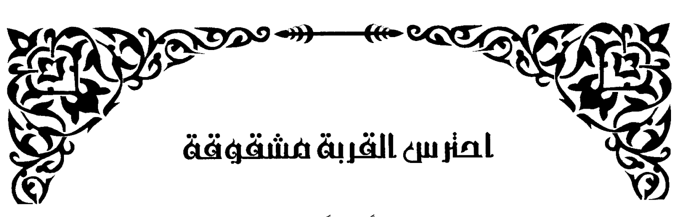
لقـد انكفـأ عـلى نفسـه وانطـوى خجـلاً، أحـس بثقله على من حوله، فهو يحتاج إلى معـين فتأثر نطقـه وبـدأ يتلعثم ثم شرد ذهنه واضطرب تفكيره وصار يأتي بكلام غير مفهوم أحـياناً.. يتعـثر في مشيه كـثيراً كطفل صغير يتعلم المشي.. يبكي بشدة ثم يهدأ ثم يعاود البكاء وأحياناً يضحك بلا سبب أو يضرب نفسه أو من حوله.

في آخـر مـرة رأيـته فيها كان شرسـاً، عنيفـاً، ضـائع النظرات، مجهول التعابير، يبدو أن عقله توقف عن النمو عند حد معين.

بكيـت عـلى حالـه وتحسـرت لما آل إليـه، إنـه ضـحية لـتعامل سيئ قـاس مـن أفراد لا يدركون معنى الرحمة ولا يعرفون للشفقة سبيلاً تتزعمهم أم جاهلة وأب غائب عن ميدانه.

إن فـؤاد الآن مـريض نفسـياً وإن لم يتداركه والده بالعلاج فسوف ينهار أو ينفجر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

"عمتك"



في ضحى يوم السبت أنتظر هاتفاً ثقيلاً من خيرية زوجة ابني مازن تستطلع أخبار آخر الأسبوع وتأخذ الموجز فالتفاصيل وافاها بها زوجها، "من جاء يوم الخميس؟ ومن جاء يوم الجمعة؟ ومن الذي جلس للعشاء؟ لماذا هدى متعبة؟ يقول مازن إنها كانت طول الوقت مستلقية على ظهرها. لماذا ذهبت هند مع السائق؟ هل زوجها مسافر؟"..... أسئلة متتابعة يأخذ بعضها برقاب بعض أعلم يقيناً أنها تملك إجاباتها كلها إلا أنها تود فقط أن تتثبت.

فزوجها هداه الله، لا يترك شاردة ولا واردة إلا أوصلها لها، وهي بطريقتها المفذلكة تستطيع معرفة ما تريد، هي لا تحضر كل أسبوع فاجتماع أهلها أهم، ومع ذلك تعرف ما لا يعرفه الحاضرون.

في يوم الجمعة قبل الماضية، كان أبنائي عندي على الغداء كالعادة كل جمعة، أخبرتهم في ثنايا حديثي عن الخاطب الجديد الذي تقدم لمنال ابنة أختهم، الأمور في بدايتها وتحتمل الرفض أو القبول، سألتهم إن كانوا يعرفونه أو سمعوا به فقال مهدي إن اسم عائلته مطابق لاسم عائلة صديق ربما يكون أخيه أو ابن عمه.

وفي صباح السبت الذي يليها اتصلت خيرية تتحسس الأخبار كيف حال رندة وكيف بناتها؟ صحيح إن منال ستتزوج؟ ومن سعيد الحظ؟ وأين يعمل؟ هل سيقيمون حفلاً كبيراً مثل أختها؟ هل ستسكن مع أهله أو وحدها؟ المهم لا ينسون أن يدعونا في "الشبكة"...!!.

من الصعوبة بمكان أن أقول لمازن لا تخبر زوجتك بكل شئ فهذا معيب في حقه، . فهو صار رجلاً عليه مسؤوليات وله أبناء، ولم يعد في حاجة لنصائحي وتوجيهاتي، ثم إن

هذا طبعه، كالقربة المشقوقة التي لا تحفظ الماء، لا يمكن أن يحفظ سراً أو يكتم خبراً، وزوجته أيضاً لا تستحي فهي تتحمل جزءاً من المسئولية، ثم إن من المستقبح أن أقول لأبنائي دائماً هذا الخبر لا تنقلوه لزوجاتكم، وهذا الخبر انقلوه، فهم رجال ويفترض منهم معرفة هذا بالفطنة، فنقل الكلام وإفشاء الأسرار ليس أبداً من طبع الرجال.

ربما أن أحد أبنائي مثل مازن ولكن زوجاتهم لا يبدين شيئاً، فلا يسألن عن شئ حتى أخبرهن به، ولا يبحثن في أمر حتى يتبين لهن كالشمس في وضح النهار.

أما زوجة مازن فهي تمعن في إيذائي بسلوكها هذا المسلك، هل تريد أن أعرف أنها تدري بكل شئ ولا يمكنني إخفاء شئ عنها؟ أم أنها من النوع الذي لا يرتاح له بال حتى يتقصى خلف الخبر ليعرف مدخله ومخرجه وملابساته؟ هي على كل حال مزيج من هذا كله.

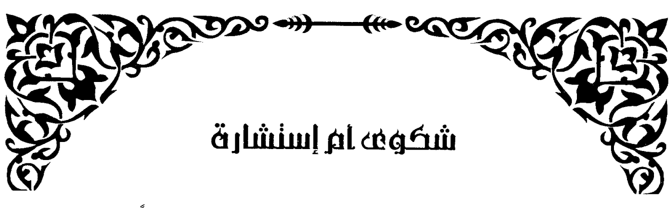
اتصلت ذات يوم ولم تجدني، فاتصلت برندة ثم بعد السلام والسؤال باغتتها بالقول أين ابتسام؟ اتصل بها ولم ترد؟ رندة تعرف أن خيرية تعرف كل شيء ولكنها لم تشأ أن تعطيها الجواب. فقالت: لماذا هي عند أهلها؟ هل لأن مهدي رفض أن يجلب لها خادمة؟ في الحقيقة ليس له حق، جعل المسألة تكبر وكان يستطيع حصرها، لماذا يقول لها إنك أنت الخادمة، لو قال إن تحسنت الظروف المادية جلبت لك خادمة كان أفضل، ثم إن ابتسام تتحمل جزءاً من الخطأ ما كان ينبغي أن نقول له (يا بخيل) من أجل هذا الطلب. قد لا يكون المال هو مقصده" ذهلت رندة أمام معرفة خيرية بهذه التفاصيل الدقيقة التي جرت في بيت مهدي بينه وبين زوجته، لكن دهشتها زالت حين قالت خيرية أن مازن هو من أخبرها.

لقد صارت تعرف كل شيء يجري بشكل مزعج، البنات لم يعدن يتحدثن أمام مازن بشيء وإن زلت ألسنتهن جاءهن الخبر عجولاً على جناح السرعة، قالت لهند "مبروك الترقية لزوجك" ولكنها لم تثبت بعد مازن قال لي ذلك. وقال إنكم ستسافرون لماليزيا هذا الصيف ابتهاجاً بالترقية، بصراحة اختيار موفق ولكن متى النية؟

لا مفر منها ومن تطفلها، إن نفيت علمي بالأمر قالت إن مازن يقول وإن أثبت كلامها بحثت عن التفاصيل، وابني كمحرر الأخبار يمدها بها أولاً بأول أخبار مهمة أو ثانوية، موغلة في الخصوصية أو عامة لا فرق عنده، يصب في مسامعها ما يراه أو يسمعه أو حتى يحسه، ما يفهمه الرجال أو يرقى فوق مستواهم من أمور النساء.

بالطبع لا يمكنني أن أخص إخوانه بحديث دونه ولكنني أرجو أن يفهم هذا أو يقرأ كلامي ليعرف مدى الأذى الذي طالني منه بل طال الجميع.

"أم زوجك"



شكوى ام إستشارة

يلفني شعور بالأسى كلما كلمتني "فيروز" أود أن أقول لها شيئاً، أريدها أن تفهمه ولكنني أصمت في اللحظة الأخيرة، فأنا أخشى أن تسيئ فهمي، وتظن أنني أمل من شكواها.

لقد صارت مذبذبة الفكر، مشتتة الخطو، لا يقر لها قرار، ولا تبين لها طريق، ولا غرابة فهي تتحدث في كل اتجاه وتستقبل من كل الجهات.

حين حدثت لها مشكلة كبيرة مع زوجها ذهلت من الطريق الصحيح، وحارت في دروبه فهي تلف وتدور منطلقة من نقطة وعائدة إليها في حلقة مفرغة، لم تصل إلى نتيجة ولم ترتسم أمامها معالم الحل السليم.

اتصلت بي تستشيرني فأشرت عليها بالذي أراه صواباً- والمستشار مؤتمن- فشعرت في نبرات صوتها بالوثوق والاطمئنان، ثم لم ألبث ساعة إلا واتصلت مرة أخرى فإذا بها غير تلك الأولى، مذبذبة، مقهورة تتحدث بلغة الحسرة والضعف وتندب حظها العاثر، ثم بعد فترة تتصل لأسمع في صوتها صرخات الغضب والانتقام فهي ترعد وتزبد وتزمجر وزوجها هو هو في كل الحالات لم يتغير منه شيء.

قلت لها: "ما بك"؟ فإذا هي في كل مرة تشكو حالها إلى أحد، ففي مرة شكت حالها إلى صديقتها التي رأت أن الاستسلام للحال والانحناء أمام العاصفة لتمر هو الحل لتكون بعيدة عن المشاكل ووجع الرأس، فهي ضعيفة مقهورة أمام جبروت الرجل لا حول لها ولا قوة.

أما الأخرى التي تتسم بالقوة فرأت أن المرأة تملك الكثير لتفعله، وأنه حان الوقت لتقلب لزوجها ظهر المجن وتريه النجوم في الظهيرة، وتعلمه أنها كانت في الماضي هينة لينة فلم ينفعها ذلك لذا سوف تغير سياستها معه وسوف تعمل كبقية النساء.

أنا أدرك أن أختي لا تفعل ذلك أبداً لأنها بكل بساطة "تغرق في شبر ماء" فلا تعود تسير في حديثها مع من؟ وفي أي حدود؟ فهي تخبط خبط عشواء فتجدها تتحدث في مشاكلها ومتاعبها، بل همومها الخاصة جداً مع كل أحد في غرفة المعلمات، وفي غرفة الانتظار في المستشفى وفي السفر تبث معاناتها إلى من بجانبها في المنتزه أو الحديقة، بل في الاجتماعات العائلية لابد أن تجد من تتحدث معه وتنشر غسيلها أمامه.

فهي تتحدث إلى الجميع وتستشيرهن وتأخذ بآرائهن المتضاربة، والمتنافرة والمتضادة دون تمييز أو تمحيص بين الصديقة الصدوقة والصديقة الضارة أو بين الرأي الصائب والرأي الخاطئ.

يوم أن أقرضت زوجها عشرة آلاف ريال، ثم ماطل في ردها، ثم أنكرها سألتني فأشرت عليها أن تحسن إليه وتداريه حتى تحصل على مالها ولمتها لأنها لم تسجل الدين، وبعد فترة قالت لي: إن صديقتها "مرفت" أشارت عليها بأن ترمي الأولاد عليه وتبقى عند أهلها غاضبة حتى يأتي بمالها ويرضيها ويتأدب أيضاً، أما جارتها "أم فيصل" فقالت لها اصبري، الشكوى لله إن أعطاك حقك وإلا فالحساب بينكما يوم القيامة عند الله الذي لا تضيع عنده الحقوق، وفي عيادة النساء كان عندها موعد فحكت على إحدى المراجعات وقالت لها: خذي من ماله دون علمه، وسجلي ما أخذته حتى يتم لك مالك. اتصلت بي فيروز تقول إنها حائرة بأي الحلول تأخذ؟

لماذا تكلمين كل أحد ترينه؟ لماذا تفشين سرك لكل أحد؟ هل لأن إحداهن قد مرت بمشكلة مشابهة لك يعني أن بيدها مفاتيح الحل؟ حقاً قد تتشابه المشكلات ظاهرياً لكن الدوافع والملابسات والظروف تختلف من شخص إلى آخر، الشكوى لغير الله مذلة، فإن لم

تقدري على الصبر فالأقربون أولى، أختك تعرف عن حياتك ما لا تعرفه صديقتك والكيسة ممن حولك قد ترشدك إلى الصواب لذا عليك أن تنتقي جيداً. وإلا فإن الأولى أن تعودي نفسك الصبر وتحمل مشاق الحياة، ثم تستعينين بالله دائماً في كل أمورك، وعليك أن تواجهي المشكلة بصمود وترو، فتقسميها إلى عدد من النقاط، أعني تحللينها وتعرفين منشأها هل هو حادث أم قديم وتتعاملين معها بما ترينه مناسباً لك، فليست كل المشاكل مستعصية ومؤلمة وصعبة، ولا تظنين أن البيوت مبنية على الهناء والسعادة، بل هي مبنية على الستر، فهناك مشكلة يكفي فيها الاعتذار، وأخرى تصلحها الأيام وتحلها وهكذا.

إن كل واحدة من اللاتي تبثين إليهن شكواك تعطيك حلاً يناسب شخصيتها، فالقوية حلولها دائماً متهورة وحاسمة ولا تنظر إلى العواقب، والضعيفة تزيدك انهزاماً ومسكنة، أما التي لا تملك حلاً فتحكي لك حكايات كثيرة تشبه حكايتك ولن تجدي عندها ما ينفعك.

أختي: لا تفسدي حياتك بيدك، ولا تتشبثي بعدة حبال فتتمزقي، بل تمسكي بحبل الله المتين، واستعيني بالله، وأكثري من الدعاء والاستخارة، ثم استشيري أهل الرأي والمشورة فهم إن لم ينفعوك فلن يضروك أبداً كان الله معك وسدد خطاك.

"أختك"



الاجتماعات الأسرية

نحن اثنا عشر شقيقاً، ست بنات وستة أبناء، كلنا متزوجون ولنا منازل خاصة، شعرنا أن الأزواج والذرية قد ألهونا عن بعضنا فقررنا أن نجعل لنا اجتماعاً أسرياً خاصاً يضمنا نحن فقط "الإخوان والأخوات" نتبادل الحديث، ونتشارك الهموم، ونتناول الشؤون الأسرية، فكان لنا ذلك وصار يوم الأربعاء من كل أسبوع هو يوم اجتماعنا الخاص، وكان قبل ذلك يوم الخميس كل أسبوعين هو يوم اجتماعنا بزوجات إخواننا وأبنائهن.

مضينا على ذلك زمناً، كان يوم الأربعاء يوماً حافلاً تحضر كل واحدة منا طبقاً، ونجهز الشاي والقهوة ونتجاذب أطراف الحديث حتى يأتي موعد الانصراف، فتمر الساعات أسرع مما نتوقع وينفض المجلس لا يعكر صفوه شيء.

راقت الحال لأخواتي وبدأن يتململن من اجتماع يوم الخميس ويرين أنه لا فائدة فما دمن يتواصلن مع إخوتي فهذا هو المهم فما الداعي للاجتماع يوم الخميس.

من هنا ولدت المشكلة، فإذا أتى يوم الخميس حضرت بعض أخواتي وربما بقيت إحداهن ساعة أو تزيد قليلاً ثم خرجت بحجة أنها بالأمس كانت هنا أو لأن أهل زوجها يجتمعن أو لأن لديها أعمالاً مهمة فتبقى زوجات إخواني مع بعضهن قليلاً ثم يبدأن بالانسحاب، هذه تتصل بزوجها والأخرى تختلق عذراً والثالثة تبدي تذمرها صراحة.

هذا كان في بداية الأمر، أما الآن فإن الوضع يزداد تعقيداً، فما عادت واحدة من أخواتي تحضر يوم الخميس بالرغم من محاولاتي المستميتة لتجنب ذلك إلا أنهن يرفضن وبدأن يشكلن حزباً قوياً ويتحدن في سبيل آرائهن وأنا أقف في منتصف الساحة بين الفريقين، أحاول ستر الحقيقة عن زوجات إخواني، وأناضل في سبيل أن تتنازل أخواتي

عـن رأيهـن. فأنا الصغرى وليس لي كلمة مسموعة بينهن ولكنني أحاول. مرت شهور كثيرة لم نعـد فيها نرى أبناء إخواني أو زوجاتهم والسبب تمسك أخواتي بآرائهن السقيمة، إذ كلما حاولت أن أسألهن عن المبررات وجدت أعذاراً واهية وحججاً بالية فهذه تقول أنها لا تجد معهن انسجاماً؟ والأخرى تذكر أن زوجة أخي عاصم دائمة الاستعراض بلباسها وحقائبها وحليها. فلا حاجة لنا بها، أما (لبنى) أختي الكبرى فتقول إن (سواليفهن) لا تصلح لي والمهم أن أرى إخواني- جعلهم الله ذخراً- وهكذا.

لقد تحول الأمر إلى شبه قطيعة دون سبب بين مقنع وذات يوم اتصل بي أخي (سليمان) محاولاً معرفة الحقيقة وبدا في كلامه معرضاً بأمور، ثم نقل وجهة نظر زوجته التي ظهر منها التذمر واضحاً أكثر من مرة، فإذا كنا لا نجتمع كالسابق يوم الخميس ولا نتزاور في بيوتنا فمتى سيرى أبناؤنا عماتهم. ولماذا هذا التجافي الذي ليس له سبب. فإن كنا مخطئات أو ظهر منا ما لا يسر فالصراحة كفيلة بإصلاح الأمور وليس هذا حلاً سليماً أبداً. نحن كالأخوات قبل كل شيء هذا ما قالته "إن ما يحدث لا يرضي الله" حقيقة لم أستطع الرد عليه وإن كنت حاولت أن أظهر أخواتي في صورة حسنة "فهن لا يقصدن أبداً وربما أن اجتماعهن يوم الأربعاء يكلفهن الكثير" ولكنني وعدته خيراً. طبعاً سليمان لا يستطيع أن ينقل وجهة النظر هذه إلى البقية فأخواتي هن الكبيرات وربما ساهمن في تربيته وتعليمه وأعني بعضهن.

وفي يوم أربعاء وقبل أن يحضر إخوتي أبلغت أخواتي بهذا الأمر فرأيت في وجوههن امتعاضاً وتفاجأت بجوابهن إذ قالت سلوى إن زوجات إخواني لم يعدن يرغبن في التواصل وحقيقة قد نفرط في اجتماعنا يوم الخميس، ولكن يوم الأربعاء لا يمكن أبداً، رضي من رضي وسخط من سخط!

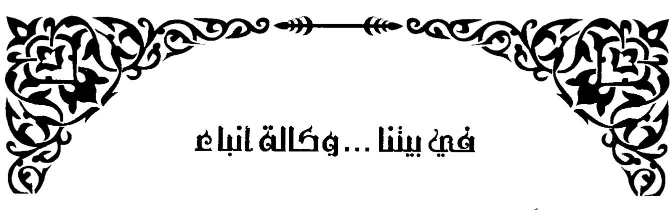
ترى ما الحل معهن؟ لقد دعاهن سليمان لبيته فكان ما لم أتوقعه إذ أبدت أخواتي رغبتهن في شرب القهوة مع إخواني فبقين معهم في المجلس حتى نهاية اليوم شربن القهوة

والشاي وتناولن العشاء أيضاً مما أغاظ زوجة أخي كثيراً إذ تحولت الجلسة إلى اجتماع بارد بل ميت ليس له نكهة، فكل واحدة من زوجات إخواني أخذت تشغل نفسها بأي شيء إما تقلب مجلة أو تقرأ الرسائل في جوالها.

الاستراحة حل فاشل إذ رفض الجميع ذلك، فإخواني - عدا سليمان - لا يأبهون أبداً بهذا الوضع بل ربما لم يفكروا فيه، فالمهم هو أنهم لا ينقطعون عن أخواتهم وعن أحاديثهن الشيقة.

إنني أعلم أن مجرد الحديث في هذا الأمر يؤجج الموقف وترك اجتماع الأربعاء يؤدي إلى عواقب سيئة، ولكني أيضاً يئست منهن ومللت تكرير الاسطوانة كل مرة، فإن كان ما تفعلونه صواباً فأتمنى أن تروا عواقبه الحميدة قريباً، وإن كانت الأخرى فاللهم ربنا لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا واعف عنا واغفر لنا يا رب العالمين.

"اختكم"



في بيتنا ... وكالة أنباء

فرحنا كثيراً بقرب زواج أخي، إنه أول زواج في عائلتنا وأخي سوف يسكن معنا، كنا نسهر الليالي نتحدث عن هذا الزواج وعن خططنا له وعن ترتيباتنا.

تخيلنا زوجة أخي وأبناءه، والبيت يمتلئ بشغبهم.

ومرت الأيام والشهور بسلام وصار الحلم واقعاً وها هو أخي أب لطفلين كالورود تعطر حديقتنا. إن حياتنا تبدو هانئة لا ينقصها شئ سوى أمر واحد هو زوجة أخي، فهي طباخة ماهرة وربة بيت بارعة ولكنها مع الأسف ثرثارة.

فهي تنقل كل ما يحدث في بيتنا من أمورنا الخاصة أو قضايانا المصيرية إلى أهلها، بل حتى ما يتعلق بأقاربنا ومعارفنا لا تميز بين الأمور السرية الدقيقة والأمور العامة العادية.

خمس مكالمات في اليوم تبدأها بموجز بسيط ثم تفصل الأنباء وتسهب في الأخبار والتحليل حتى تتمكن من تغطية الحدث بشكل جيد.

خُطبت لشاب خُدعنا به والحمد لله أننا عرفنا حقيقته قبل أن نوافق له، ومع ذلك سمعت هذا من صديقتي في القسم وبعد التحري والسؤال عرفت أن أخت زوجة أخي في القسم الآخر هي التي نشرت الخبر. لقد أحرجتني بهذا الفعل.

إن تصرفات أخي المراهق وطيشه وخلافاته المتكررة مع والدي وغيرها كلها أمور مشاعة يعلم بها الجميع، والأدهى من ذلك أن خلاف عمتي مع زوجها ومكثها عندنا فترة من الزمن قبل أن يتصالحا كان طي الكتمان وقيد السرية ومع هذا فإن إحدى جاراتنا اتصلت بأمي تستفسر عن صحة الخبر وتطمئن على الحال.

إن هذا الخلق مذموم، والله نهى عن التجسس وتتبع العورات ومع هذا قد نجد لها عذراً ونصبر على هذا الطبع منها ولكن الذي لا يمكننا الصبر عليه هو الإفساد بيننا وتفريق شملنا.

لقد لاحظنا أن أخي بدأ يتغير، لم يعد ذلك الوجه الصبوح والبسمة الباشة، أصبح يقابلنا ببرود، بل بنفور؟!

بحثنا عن السبب، فتشنا في أنفسنا وعرفنا السر؟!! إنها تنقل له الكلام مزوراً وتحوره وفق شهواتنا، بل قد تنقله صحيحاً لكنها لا توضح القصد منه أو مناسبته.

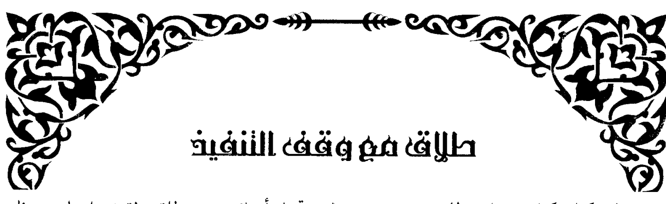
أدرك جيداً لماذا قال لي أخي ذات يوم، كم من واحدة معها الشهادة الجامعية ومع ذلك ليس لها من العلم والفهم نصيب، وكم من واحدة معها الكفاءة وهي كلها كفاءة ودراية وخبرة. لأنه ظن أن حديثنا عن الشهادة بذاتها وأنها سلاح العصر إهانة لزوجته وحط من مكانتها هو لم يحضر تلك المناقشة ولكنها نقلت إليه!!

زوجة أخي الغالية: لقد ذكر لنا من خلقك الشئ الكثير ولكننا لم نر ذلك معنا ولم نشعر به، إنك تجيدين نقل الكلام وتزويق الحقائق فليتك تنقلين لأخينا بعض ما نعانيه أحياناً ونحرج في نقله له حتى يعيش معنا بفكره وثقله.

يا أخية: ما أقبح أن يكون المرء مصدر الأخبار وناشر الأسرار والأقبح أن يكون في هذا فساد بين الناس وتفريق لعرى المحبة بينهم، أليس من العجيب أنك تكونين معنا بهذا الشكل بينما تجيدين كتم أتفه الأمور في حياة أهلك، وتغلفينها بالسرية وتحيطينها بالصمت؟

كم من خبر سار لم نعرفه إلا بعد حدوثه، وهذا زواج أخيك أقرب مثال، بل أنت تحزمين حقائبك للسفر ونحن معك ولا نعرف ذلك.

فأرجوك يا أختي الغالية أن تفكري في كلامي جيداً وأن تحسبي للكلمة التي تخرج من فيك ألف حساب، وأن تعاملي الناس بما تحبين أن يعاملوك به. " **أخت زوجك**"



طلاق مع وقف التنفيذ

لو كان كل رجل مطلق يقوم بمسؤوليته تجاه أبنائه من مطلقته لقضينا على معظم المشاكل الناتجة عن الطلاق، إن هذا الكلام ليس محض فلسفة، بل هو منطلق من الواقع الذي أعايشه فأبنتي الكبرى مطلقة ولها من زوجها ثلاثة أبناء بنتان وولد وهم يعيشون معها، أعني أن والدهم لم يحرمها منهم وإن كان لم يحرمهم من حبه وحنانه وأبوته، فهم معها بحكم انخراطهم في المدارس القريبة من بيتنا، ووجود ملابسهم وأدواتهم عندها ولكنهم عند والدهم نهاية كل أسبوع وفي كل أجازة ومع كل فرحة يشاركونه حياته ويقاسمونه لقمة العيش، لا يمر يومان أو ثلاثة دون أن يراهم أو يحدثهم أو يأخذهم معه، لم يجعل انفصاله عن والدتهم سببًا في تمزيق قلوبهم أو كسر نفوسهم، ولم يكن الطلاق ليبعده عنهم فيرفع يديه عن تربيتهم أو يخلي مسئوليته منهم.

لقد أجرى لهم راتبًا شهريًا يزيد حسب أعمارهم وحاجتهم، وفي المواسم والمناسبات يتفقدهم ويلبي لهم طلباتهم، سجل ابنه "عمار" في المدرسة وحضر معه الأسبوع التمهيدي وصار يحضر مجلس الآباء ويتواصل مع معلميه ويسأل عن مستواه وحين علم بضعفه في مادة الرياضيات أخذه مرة أو مرتين في الأسبوع ليشرح له ما صعب فهمه عليه، ثم لما أثقله الارتباط جعل له مدرسًا يأتيه في بيته ليطمئن عليه. وكان يشجعه بالجوائز والمحفزات.

ربما لا أبالغ لو قلت إنه لم يفرح إلا وشاركه أبناؤه فرحته، ولم يدخل في فمه لقمة إلا قاسموه إياها وعلى الرغم من أنه تزوج وأنجب البنين والبنات إلا أنه ظل على عهده مع أبنائه من ابنتي "عمار" وأختيه "جمانة وسميرة".

إن أراد أخذ أبنائه للبر اتصل بعمار وأخبره ليستعد وهو وأختيه حتى يذهبوا معهم. فلا تفوتهم نزهات الربيع الجميلة في بلادنا وهو لا ينساهم من الزيارات المشابهة إما للحدائق أو المتنزهات أو الشاليهات البرية الجميلة.

لم يقل يومًا إنهم عند والدتهم ينعمون بالدف والحنان ولا يدرون عن إخوانهم شيئًا. فلماذا أتعب نفسي بهم، إنه يأخذهم ليحتفلوا مع إخوانهم بنجاحهم ويأخذهم ليحضروا زفاف ابنة عمتهم ويأخذهم حين تأتي والدته من الريف لزيارته.

وفي العيد يزورون معه أقاربهم وأرحامهم أسوة بأبنائه، فهم ولله الحمد يعرفون أعمامهم وعماتهم واحدًا واحدًا وكذلك يعرفون أبناءهم وبعض أقاربهم، وكأنهم يعيشون معهم، فهم يحضرون المناسبات الكبيرة وحفلات الزفاف التي يُدعى لها والدهم.

لما صام "عمار" أول رمضان أخذه إلى السوق واشترى له ما يشتهيه الصغار عادة في رمضان حين يصومون العصائر والحلويات ثم قرر أن يأخذه معه مرة في الأسبوع ليصلي التراويح وإن تعذر عليه فعل ذلك. اتصل قبل الموعد بفترة ليعلمه عن إلغائه حتى لا يظل نظر الولد معلقًا بالباب وأذنه بالجرس ينتظر والده.

الحمد لله أن أبناءه يحبونه ويحبون والدتهم أيضًا فهو لم يذكرها أمامهم إلا بالخير حتى إنهم حين يسافرون معه في الصيف يذكرهم بجلب الهدايا لها ولوالدتهما - التي هي أنا -.

هل يصدق أحد أنه أحيانًا يمر علينا في ليل أو نهار ومعه كيس صغير فيه بعض حبات الشوكولاته أو كؤوس البوظة يعطيها الأولاد ليتذوقوها لأنه - كما يقول - اشتراها لأبنائه فرأى علامات الفرح بادية عليهم فأحب أن يشاركه أبناؤه هؤلاء ذلك الفرح.

حقيقة إنه رجل يخاف الله ويؤدي الحقوق ولولا أن الحال بينه وبين ابنتي وصل إلى طريق مسدود لما طلبت الطلاق أبدًا، ولكنه معدنه أصيل وظهرت أصالته حين صقل وطرق إذ أبدت الأيام ما كان خافيًا من دماثة خلقه وكريم طبعه.

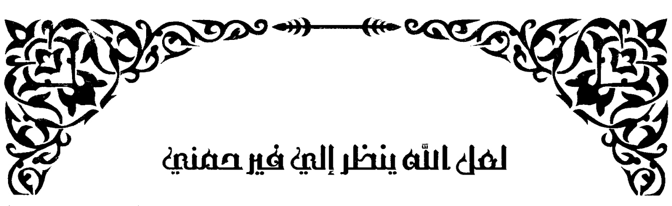
إنه لا يغيب عن أبنائه أبدًا فهو يسأل عن حالهم، ويتفقدهم حال مرضهم ويأخذهم إلى الطبيب إذا لزم الأمر. وإن غاب عنهم لفترة لأي سبب، أخذهم في سيارته وتجول بهم وحدثهم وتسامر معهم، واشترى لهم ما يفرحهم ثم أعادهم إلى البيت ليعوِّضهم عن غيابه.

لقد بات الأولاد ينتظرون مجيئه ويسألون عنه وعن إخوانهم. ويشتاقون لرؤيتهم وللمناسبات التي تجمعهم.

ترى لو كان كل رجل مثل "أبي عمار" مع أبنائه بعد طلاق والدتهم هل سنسمع مثل تلك القصص المؤلمة عن ضياع الأبناء وإنحرافهم؟!

جزاه الله عنّا كل خير ورزقه بر أبنائه.

"جدة أبنائك"



لعل الله ينظر إلي فير حمني

تزوجت أختي من رجل يكبرها بسنوات ليست قليلة، كان رجلاً حازمًا، بل قاسياً ومتسلطًا، كان يمنعها زيارة أهلي كل أسبوع، لم يكن طيباً معها أبداً، يناديها باسمها مسبوقًا بنعت قبيح لايليق بالآدميين. يسب كثيرا ويشتم دائما بسبب وبلا سبب أيضاً، لا يعطيها ما يكفيها ويمن عليها بما أعطاها، سامحه الله كان رجلاً فظاً غليظ القلب، وكانت هي صغيرة وطيبة وأيضاً صابرة، ما كانت لتثير مشكلة عند أدنى خصومة، بل تبتلع غيظها وقهرها وتصمت حتى وقت آخر، قد يأتي وقد لا يأتي، وكانت تتحلى بالحكمة، وتستعين بالصبر والصلاة ليدفع الله عنها بعض شره، نعم لقد كان جبارًا، فقصمه الله فاجتمعت عليه الأمراض واعتورته الأسقام تآكل في المفاصل، شلل في الأطراف، خرف وهرم نظرًا لكبر سنه، ولم تسلم أختي من أمراض العصر، إذ ضلت طريقها بسبب الضغوط النفسية والهموم والأحزان التي كانت تعيشها فيها، جلطة في القلب سلمها الله منها وسكري لازمها منذ وقت مبكر، وضغط وقرحة في المعدة وطبعًا ما تسببه هذه الأمراض من مضاعفات كثيرة، فأصبحت أختي عجوزًا وهي بعد لم تصل إلى الخمسين ولكنها تملك قلبًا فتياً وروحًا عالية؛ فلقد شمرت عن سواعد الوفاء والبذل والإخلاص وأفنت بقية حياتها في خدمته والقيام بشؤونه وتلبية حاجته.

فأغلقت على نفسها الباب ولم تعد تخرج إلا نادرًا رغم مرضه وخرفه وهذيانه إلا أنها تقول إن هذا باقي حق عليها وهي لا تريد أن يغادر الحياة وقد غمطته حقه.

هي التي تطعمه بيدها وتسقيه، تغير له ملابسه وتغسله، تقلم أظفاره وتهذب شعراته، لم يستطيعوا إحضار ممرض للعناية به نظرًا لظروفهم المادية فقامت هي بالمهمة

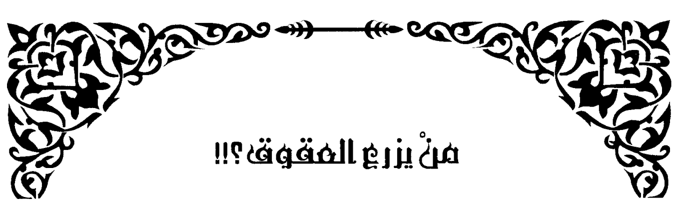
على أكمل وجه، فهي تعطيه الدواء في وقته أحياناً يرفض ويرميه بعيدًا فتعاود الكرة مرات ومرات حتى تفلح، وأحياناً يرفض الأكل، كالطفل الصغير فتحلم عليه وتستدرجه بلطف حتى يأكل، كالطفل الصغير فتحلم عليه وتستدرجه بلطف حتى يأكل، وإذا تضايق من مكانه بكى وسب وشتم فتقوم بمعاونة الخادم بإركابه في كرسيه المتحرك ثم تدفعه للخارج تسير قليلاً ليغير الجو ويرى النور ثم تعيده إلى مكانه لا تتذمر ولا تتأفف.

ما عدنا نراها إلا قليلاً، نخجل من زيارتها في المنزل لأنها دائمًا مشغولة به ولا تفرغ إلا إذا نام فتنام هي أيضاً لتريح جسدها وأعصابها من هذا الهم المزمن فهي أيضا مريضة وتحتاج إلى عناية ولكنها هضمت حق نفسها عليها أمام حقه هو، ونسيت راحتها في سبيل راحته.. وسخرت كل وقتها وجدها لأجله، حين رأيتها رأيت في وجهها علامات الإرهاق الشديد شحوب في الوجه وابيضاض في الشفتين واسوداد حول العينين سألتها بالله ألا أراحت نفسها فقالت: إن الراحة في الجنة، الدنيا كلها كبد وكد، قلت والله لا يستاهل لو كان يدرك الآن لعض يديه ندمًا على معاملته لك.. غضبت مني وقالت مهما يكن فهو أبو أبنائي عشت معه عمرًا طويلاً والعشرة لا تهون إلا على اللئيم، والحمد لله ما رأيت منه شيئًا قبيحًا... هذا ما يحدث بين كل الأزواج. ثم إني أخذته كبيرًا، والكبير يصعب تغييره أو ترويضه، فقبلته بكل ما فيه فلماذا الآن أتخلى عنه لعل الله ينظر على فيرحمني.

هنيئًا لها هذا المنطق، وهنيئًا لها العاقبة الحميدة بإذن الله، فمن يستطيع أن يعمل عملها ويصبر صبرها فلقد داس زهرة شبابها بغلظته وها هي تفني عمرها في خدمته، صدقت لعل الله ينظر إليه في تلك الحال فيرحمها.. اللهم آمين.

"أختك"

قال رسول الله ﷺ: **"لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها"** أو كما قال ﷺ.



مَنْ يزرع العقوق؟!!

تزوجت أختي (ميسون) وكنت أظنها لا تستطيع لما رأيته فيها من عدم تحمل المسئولية، ورزقها الله بنتا جميلة وكنت أظنها ستؤخر الإنجاب إلى وقت لاحق، فهي تود الاستمتاع بحياتها أولا، دون صخب الأولاد، لكنها جلبت خادمة تساعدها في علم البيت وفي تربية ابنتها أيضًا.

إنها تحب ابنتها كثيرًا هذا لا شك فيه أبدًا، ولكنها تحبها نظيفة، هادئة، أما إن بكت فهي لا تحتمل بكاءها ولو لدقيقة واحدة (سوماري .. تعالي خذيها)، وترميها على الخادمة، وكأنها هي أمها الحقيقية. لا تحاول أبدًا معرفة سبب بكائها، هل هي جائعة أم ظمأى؟ هل يضايقها الحّفاظ؟ أم تود النوم؟ هل ترغب في المناغاة واللعب، أم أنها مشتاقة إلى حضن أمها؟ كل هذه الأسئلة لا تلقي لها بالاً، فالخادمة كفيلة بإسكات الطفلة وهذا يكفي!!

كم أود أن تروا معي ابنة أختي كيف تهتم بلباسها، فهذا الفستان الأحمر القاني منقط بالأبيض ترتدي معه قبعة بيضاء بشرائط حمراء لامعة وحذاء أحمر وجوارب بيضاء برباط أحمر، فتبدو الصغيرة كوردة جورية حمراء تود استنشاقها والتمتع بعطرها الفواح، تدخل وهي تحمل حقيبتها والصغيرة مع الخادمة تسلم ثم تأخذ ابنتها من الخادمة وتجلس معنا، وما أن تحملها للسلام عليها حتى تبكي - مثل كل الأطفال - فتبادر مسرعة لنداء الخادمة حتى تأتي لتأخذها!! لمن لبست هذا الفستان الجميل؟! ومن سيراها وهي هناك مع الخادمة في المطبخ بين حرارة الفرن وروائح العرق المنبعث من أجساد الخادمات الأخريات؟!

ماذا تفهمين من معاني الأمومة النبيلة؟ هل ترين أنها للزينة فقط والمباهاة؟ أن أكون أما يعني أن أمتلك مولودًا جميلا أضفي عليه كل يوم لباساً جميلاً وأعتني بشعره وشكله ليبدو مسرًا للناظرين ولأفخر به أمام الآخرين، هل هذا ما تفهمين من الأمومة؟

إن كونك أماً يعني أنك شرفت بحمل رسالة عظيمة هي تربية بذرة صغيرة وتعهدها بالرعاية والعناية حتى تنمو نبتة قوية على ساقها تنفع مجتمعها ودينها.

قولي لي بالله عليك، ماذا ترجين من نبتة وضعت في غير مكانها الصحيح وتعهدها السفيه أو الجاهل أو الغريب السقيا فصار يسقيها (ماء) أو (ماء نار) أو (كيروسين) لا فرق فاللون واحد، هل ستنمو؟! هل ستثمر؟! إن نمت فستصبح هزيلة ضعيفة تعافها حتى البهائم وإلا فإن الموت مصيرها المحتوم!!

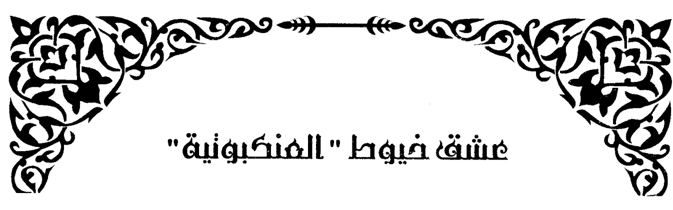
ابنتك دائمًا مع الخادمة تطعمها وتسقيها وتبدل لها ملابسها- التي نالت اهتمامك أكثر من ابنتك- ثم هي تلعبها وتحاكيها- بلهجتها أو بلهجة عربية مكسرة- وتحملها وتطوف بها أرجاء البيت فتنام على ذراعيها أو في حضنها فتفرش لها فراشًا في الأرض وتنام بجانبها.. ترى أيكما الأم؟!

كم أدهش لك حين يسأل أحد عن ابنتك، فإن كانت في هيئة جميلة أحضرتها ليروها قليلا ثم أعدتها للخادمة، وإن لم تكوني مستعدة أو أن الصغيرة وسخت ملابسها أعتذرت بأنها نائمة، ثم تبقين في المجلس تثرثرين وتستمعين للأخبار وتضحكين بكل أريحية، المهم ألا تكون الصغيرة معك تتلف تسريحتك أو تُذهب رونق ماكياجك أو تقطع عليك الحديث الممتع؟ إن حمل الأطفال في المناسبات صار عادة قديمة، بل هو مناف للباقة والوجاهة- في نظرك طبعًا - .

حين وجهت لها نصيحتي قالت: قبل أن تفهم الكلام والصح والخطأ، لن آخذها معي، لقد جهلت أن ابنتها في ذلك الوقت لن تريدها، فهي اعتادت على الخادمة وعلى وجهها الأسمر الصغير، إنها مع الأسف- أمها المستعارة -.

أما أنت فحين تبحثين عن ابنتك وتطالبين بحقوقك فيها فلن تجدي سوى العقوق، ذلك أنك عققتها صغيرة فعقتك كبيرة، وعندها لن تجدي كل هذا الاهتمام بالمظاهر الجوفاء فلن يعنيها أبدًا أنها كانت أكثر البنات تميزًا وأناقة، فإن الزبد يذهب جفاء.. فافهمي هذا وتداركي أمرك.

"أختك"



عشق خيوط "العنكبوتية"

ما هو الإدمان؟ هو أن تدمن عادة ولا تستطيع الفكاك عنها، فتستحوذ على تفكيرك وحواسك وتسيطر عليك فلا ترى غيرها ولا تعلم سواها. وتنسى ما عداها، فتفرط في مسئوليتك وتقصر في عملك دون أن تأبه لذلك أو تحس به، بل لا تجادل في أنها مقدمة على كل شيء وأنها تعني لك كل شيء.

إن هذا هو حال زوجي مع هذا القادم الجديد "الإنترنت" إذن زوجي مدمن؟ ولكن هل يحتاج إدمانه إلى علاج؟ وأين؟

إنني لا أكاد أجده طول اليوم إلا متسمرًا أمام شاشة الجهاز يداه تعبثان بالفأرة يضغط ويضغط، يتصفح المواقع ويخترق الحواجز ويغوص حتى قمة رأسه وكأنه يعيش عالمًا آخر، فهو معنا بجسمه ولكن روحه وعقله ليسا معنا، حديثه عن الإنترنت وتفكيره فيه، يجلس على الغداء ويفتتح حديثه عنه، عن المواقع التي زارها، عن الروابط الكثيرة التي تعرف عليها، عن أشياء جديدة اكتشفها فيه.. وحين أهم بالحديث عن أمر مهم أو حاجة ملحة يقول وهو يومئ بيده "أجليه إلى حين".

في السابق كان يذهب إلى المقاهي ليكتشف الإنترنت، يمكث الساعات تلو الساعات ولا يعود إلا وقد ثقل رأسه من التصفح والمطالعة والمحادثة فيرمي هذا الثقل على الوسادة ليخف ويرتاح فلا يريد إزعاجًا ولا لعبًا ولا همسًا!!

كان الوضع مملاً والحال لا يطاق، يخرج من البيت بعد العصر مباشرة ويغلق الجوال إيذانًا بعدم الإزعاج أو التحري، شؤوننا معطلة حتى إشعار آخر، تواصلنا مع الآخرين منقطع، حديثنا معه وجلوسنا ملغي، فهو أب وزوج مع وقف التنفيذ!!

قلبت النظر في هذا الوضع، وظننت أنه لو كان هذا الجهاز في بيتنا لما خرج زوجي منه، ولاستطعت التحكم في بعض الأمور كالوقت والمدة، ولربما كسبت بعض الأشياء فأشرت عليه براء حاسب آلي في البيت يكون لنا جميعًا نستفيد منه.

فكنا في هم واحد وصرنا في همين!! فهو عندنا في البيت لكنه بعيد كالنجوم لا نستطيع محادثته والجلوس معه فضلاً عن تقصيره في مهامه ومسؤولياته، إذ لم يعد له هم إلا الإنترنت، يعود من العمل ليأخذ قسطًا من الراحة، ثم يخلو مع الإنترنت يجاذبه الحديث ويبثه الهم يضحك لضحكه ويتألم لألمه، فهو يعيش معه بكل أحاسيسه بل إنه يحتسي الشاي معه - أعني عنده - ويفضل تناول عشائه بصحبته، لقد تخلى عن عشائه المعتاد وصار يكتفي بشرائح الخبز المحشو، فهي أسرع في التناول عند الإنترنت، وحتى حين أتعمد صنع عشاء من الأصناف التي يحبها ليجلس معنا ولو لدقائق فإنه يرفض المجيء ويطلب عشاء خفيفًا وإن ألححنا عليه اكتفى بلقيمات قليلة وهو واقف ثم عاد إلى جهازه، لقد صار أمره عنده كبيرًا!!

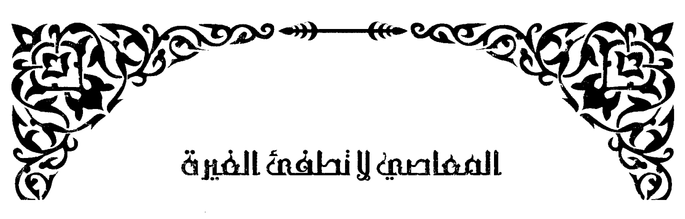
لقد أدمن زوجي الجلوس أمام هذه الشبكة العنكبوتية حتى طوته بين خيوطها وتمكنت من ابتلاعه، ففرط في صلاته، فتارة يؤخرها وأخرى لا يدرك منها إلا الركعة الأخيرة وكثيرًا ما يحتج بأنه لم يسمع الآذان أصلاً! وكيف يسمعه وكله آذان صاغية وعيون مفتوحة في غرف المحادثة والحوار؟!

أي شيء أنت يا هذا الجهاز؟ وأي سحر فيك؟ حتى صار زوجي لا يفارقك وإن فارقك لطارئ ظل يفكر فيك ويتحدث عنك؟ من أنت؟ ما شكلك؟ وما هي هيئتك؟ لو أستطيع الوصول إليك لدمرتك؟ لقد دمرت حياتي وخربت بيتي وسرقت زوجي، أعمالي معطلة، ولا أجد من يقضي لي حاجاتي، وزياراتي كلها مؤجلة إلى أجل غير مسمى؟

أجلس معه في الغرفة أحادثه في أمر ما وكأنه يسمعني ثم لا ألبث أن اكتشف أنه في واد وأنا في واد آخر، فأخرج غاضبة ناقمة وكأنني لم أدخل ولم أخرج فهو فعلا مسحور، مشدوه، لا يدري بما يجري حوله.

ترى هل سيظل الوضع هكذا، متى يدرك زوجي أن لكل شيء قدرًا موزونًا، فالإنترنت وسيلة نقدمها للوصول إلى غاية، ليست هواء نتنفسه، ولا ماء نحيا به، لا يمكن الاستغناء عنه أو تقنين استعمالها، أتمنى أن نتعامل دائمًا مع كل شيء بقدر ووسطية، فديننا دين الوسط، ولكن هيهات لا يسمعني أحد وأولهم زوجي القابع أمام الشاشة المفتون فيها.

"زوجتك"



المعاصي لا تطفئ الغيرة

يوم دخلت "فدوى" علي ذات مساء أدركت أن ابنتي تنحدر نحو هوة سحيقة قد لا يكون لها قرار. كانت نامصة، من لحظات جاءت من عند المصففة نمصت حاجبيها، صبغت شعرها وقصته بشكل مزر لا يليق بها وارتدت عدسات ملونة جعلتها تبدو كالقطة.

غضبت منها وزجرتها إلا أنها لم تعر رد فعلي هذا اهتمامًا يذكر، بل انتزعت من عيني نظرة الانبهار الأولى وفسرتها بأنها نجحت حقًا في تغيير شكلها وتجديده: "هذا ما أريده، حقًا إن أنس سينبهر أيضًا فلقد صرت وجهًا جديدًا" قالت هذا وهي تتأمل شكلها في المرآة "لن أدع ضرتي تسبقني إلى شيء"!! لم أملك إلا أن أقول: **"اللهم يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك"**.

فدوى هذه خير بناتي كلهن- أعني كانت- التحقت بدور التحفيظ وقطعت شوطًا كبيرًا في الحفظ واتقنت التجويد جيدًا حتى تم ترشيحها للتدريس في الدار القريبة من بيتنا، أدخلت إلى بيتنا أشياء لم نكن نعرفها أو نوليها اهتمامنا كالأشرطة المسموعة والمطويات والكتيبات والمجلات الإسلامية، وكانت تتعهدنا بالنصح والمتابعة وتذكرنا بنعيم الله وعذابه، كانت له أثر ملموس في حياتنا، أنزلت الصور من الجدران، قللت من أجهزة التلفاز في البيت حتى غدت جهازًا واحدًا في غرفة واحدة، علمتنا الإكثار من الذكر والتسبيح وانتزعت حجاب التبرج من أخواتها حتى صرن يناديننا بـ "الشيخة" فهي حقا تمارس دور المحتسب في البيت.

تزوجت من رجل فاضل ومكثت معه سنوات على حالها السابق أمر بالمعروف ونهي عن المنكر وحرص على الخير حتى كان ذلك اليوم الذي أخبرها فيه بنيته الزواج بأخرى

فجن جنونها وانقلبت موازينها واختل تفكيرها فظلت أياماً وليالي في بكاء مستمر وعزلة قاتلة لا تذوق طعامًا ولا شرابًا حتى خفت عليها الهلاك فاستحلفتها بالله إلا خرجت من هذا الحال أو يقضي علي ففعلت رحمة بي ثم عادت إلى بيت زوجها امرأة أخرى!!

ظنت أنها الآن في حال حرب وتنافس مع ضرتها على قلب زوجها أيهما تظفر به وتميله إليها وتستحوذ على لبه وتفكيره، ورأت أنها لن تصل إلى ذلك إلا بالمبالغة في الزينة وتزويق المظهر وتجديد (الديكور) الخارجي وأوحى إليها شيطانها أن زوجها ربما انصرف إلى غيرها بسبب مظهرها المتدين في لباسها وعباءتها فشمرت عن سواعدها وبدأت تنحدر نحو الأسفل خطوة خطوة.

صرفت الكثير على أدوات الزينة وصار همها متابعة كل جديد في ذلك فاشترت المجلات النسائية التافهة وبدأت تغير في شكلها وشعرها لتبدو مثل المذيعة الفلانية أو الفنانة العلانية وصار جزًا كبيرًا من مالها ووقتها يذهب في دهاليز المشاغل النسائية والمراكز التجارية.

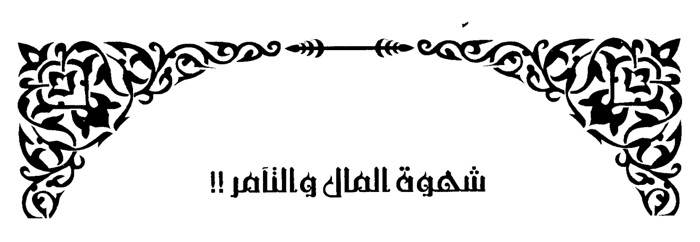
ثم انحدرت خطوة أخرى فغيرت في شكل حجابها قليلاً قليلاً حتى بات يواكب آخر صيحات الموضة فهي بهذا الشكل تبدو أصغر من سنها كثيرًا مما يجعلها تداني ضرتها في العمر والشكل!!

وفي حفل زفاف أخت زوجها ارتدت "فدوى" فستاناً بخمسة آلاف ريال بدا منه جزء كبير من ظهرها وصدرها وعدمت فيه الأكمام وانكشفت الساقان ولما دخلنا إلى صالة العرس بادرت أخواتها بالسؤال: "أيهما أحلى أنا أم هي؟!" "فستاني أكثر أناقة من فستانها".

لقد كان مظهرها يوم دخلت علي مؤلمًا. كان حقها لحاجبيها مصيبة كبيرة جعلتني أدرك أن ابنتي اختلت عندها المفاهيم واختلطت القيم سألتها بمرارة "هل زوجك مقتنع بما تفعلين؟!" أجابت بمرارة أشد "والله لم أحرك فيه شعرة ولكنه شيء في قلبي يشتعل وأود إطفاءه".

وهل تطفئينه بالمعاصي وكثرة الذنوب والابتعاد عن الله أم أنك نسيت برد الإيمان وحلاوة الطاعة ولذة المناجاة "هذا ما علمتنا إياه يا ابنتي الغالية فلا تكوني آخر المنتفعين "هداك الله".

"والدتك"



شهوة المال والتآمر !!

ترى هل تساوي الدنيا كل هذا التناحر لأجلها؟ وهل يساوى المال هذا التعب والنصب، بل الاحتيال أحياناً من أجل الحصول عليه والاستئثار به؟!

أدع لكم الجواب، وأحدثكم عن أبناء زوجي الذين جئتهم وقد تزوجوا جميعاً بنين وبنات، دخلت دار والدهم الكبير في السن، المريض في البدن، لكي أكون مؤانسة وراعية، وحتى أتخلص من تلك الوحدة التي كادت تقتلني بعد وفاة زوجي بعد عشرة دامت أكثر من عشرين عامًا!! إذن لست صغيرة فأشاكسهم ولا مراهقة فاستفزهم، إنما امرأة في عمر والدتهم أو أصغر بقليل.

أقبلت على حياتي الجديدة بكل رضى بالرغم مما سمعته من عبارات السخرية والاستهزاء (بالعروس العجوز) وسخرت كل ما تبقى من طاقتي وجهدي للاهتمام بزوجي ورعايته والاعتناء به. كان مازال نشيطاً يخرج في أعماله ويهتم بأموره إلا أنه كان يحتاج لمن ينظم له دواءه ويجهز له إفطاره الخاص.

فكنت أراعي في عمل غذائه نظام الحمية الصحي الذي كان مقررًا له من قبل طبيبة، وإذا اشتدت به أزمة الربو في ليل أو نهار لازمته كظله، أحمل له الأكسجين واتباع تنفسه، كنت أدرك المطلوب مني جيدًا فأقوم به كما ينبغي.

تدهورت حالة (جاسم) في سنتين وبات طريح الفراش هزيلا ضعيفًا وتراكمت عليه الأمراض، فكثرت أدويته وازدادت حاجته لي، فبذلك كل ما أستطيع للقيام بواجبي، فكان زوجي يدخل المستشفى أسبوعًا ويخرج مثله، ثم يعاود الدخول فيمكث ربما عشرة أيام، لم يخرج وهكذا، حتى رأى أبناؤه أنه في حاجة إلى ممرض يلازمه في البيت والمستشفى

ليطمئنوا عليه فأحضروا له ممرضا يعتني به ويراقب علاجه ويتفاهم مع الطبيب بشأنه. ومن هنا ولدت المشكلة التي باتت تؤرق مضجعي وتطرد النوم من عيني، وهي أنهم بدأوا في تنحيتي جانبًا من حياته وتهميش دروي وإلغائه، فالممرض معه طوال الأربع والعشرين ساعة، فما هي مهمتي وما هو دوري وما المطلوب مني؟

لقد كشروا عن أنيابهم وكشفوا عن وجههم القبيح وبدؤوا يمارسون من الاحتيال والمراوغة مع أبيهم ليشعروه بتقصيري وعدم اهتمامي به في أشد الأوقات حاجة لي، إنهم بصراحة يحاولون الحصول على ورقة طلاقي حتى لا أزاحمهم في الإرث، لقد ظهر هذا جليًا في الكثير من أفعالهم، فما معنى وصيتهم للممرض إلا يفارقه ثانية واحدة وألا يدع لي فرصة الجلوس معه ومحادثته؟

وما معنى عزلة في قسم الرجال في البيت بعد أن كان يتوسط الصالة يسلم عليه من شاء. فإنه خرج بقيت عنده فإن احتاج الممرض نادى عليه، الآن هو في قسم الرجال لا أعرف إن كان عنده ضيف أو كان وحيدًا؟!

صارت الوحدة تلازمني، بت أمل من البقاء في البيت، فلا من يؤنسني ولا من يشغل وقتي. لذا صرت أخرج في زيارات لبيت أخي أو أختي أو ابنتي من زوجي الأول، فكان هذا هو الباب الذي دخلوا منه على والدهم، ففي أوقات تنبهه وصحوته يكلمونه عن تقصيري وعن عدم اهتمامي به، وأنني منذ أن شعرت بمدى ضعفه وسوء حالته وأنا لا أبقى في البيت أبدًا ولا أسأل عنه ولا يهمني أمره، بل أن هذه الأزمة كشفت حقيقتي وأظهرت عواري، وأنني لست أهلا لهذا العز ولا كفؤا لهذا الزواج، وأن الغاية التي من أجلها قبلت به زوجها بدأت تحقيق وتظهر بوادرها في الأفق، لذا فقد نزعت عني رداء المسكنة، وعباءة الطيبة وبان زيفي وتحطمت أقنعتي!!

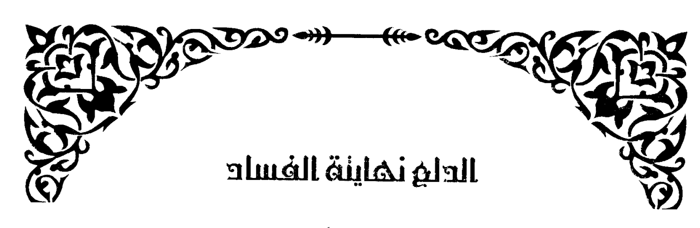
يا إلهي، ألهذا الحد بلغت بهم الحيلة، ليحوروا أفعالي ويبرروا تصرفاتي حسب أهوائهم ورغباتهم، أنسو أنني في أكثر من لقاء أطلب منهم أن يتركوا أمر تمريض والدهم علي؟ أجهلوا مدى عنايتي به في بداية الأمر وحبس نفسي في خدمته؟!

هل ذابت تلك المواقف التي أبديت فيها نزاهتي وتعففي عن المال الحرام الذي ليس له فيه وجه حق- حتى بشهادتهم هم-؟!

لم أدخل على طمع أبدًا، وإنما أريت الحمل في الطريق، مثل المسافر يبحث عمن يصاحبه حتى يحمله ويحمل عنه ليقطع المسافات الطويلة ويزيل الوحشة ويقرب البعيد، وأنتم أكثر من يعرف هذا، ولكن أعمى حب المال أبصاركم وقلوبكم واستكثرتم أن تشارككم امرأة غريبة عنكم لم تلد لكم الأخوة حلالكم ومالكم بعد هذا العمر الطويل الذي أفناه والدكم في تأسيس شركته وتوسيع نشاطاتها.

لا أقول لكم ألا أنني كنت حقا أعاملكم كأبنائي الذين حرمتهم، ولكن يبدو أنكم أعلنتم الحرب وكفأتم الصفحة، فأسأل الله أن يجمع شملنا ويصلح ذات بيننا، والسلام.

"زوجة والدكم"



الدلع نهاية الفساد

توفي أخي قبل سنوات تاركًا وراءه طفلاً وطفلة لم يتجاوز عمر أكبرهما سنتين، وتزوجت أمهما بعده فبقيا عند والدتي وإخوتي يولونهما جل اهتمامهم ويغدقون عليهما من الحب والحنان والرحمة الشيء الكثير، ولكن مع الأسف كان حنانًا زائدًا ورحمة زائفة أفسدتهما علينا فنشأ عكس ما كنا نتمناه.

شعرت بهذا الشيء منذ رأيت بوادره، فحاولت تنبيه والدتي واخوتي إلى التخفيف من هذه الرحمة وشد الحبل قليلاً إلا أنهم غضبوا مني واتهموني بقسوة القلب، فلمن تنفجر ينابيع الحب والرحمة إن لم تنفجر لمثل هؤلاء الأيتام؟!

إنهم يفسدونهما حقاً، ولكنهم لا يشعرون، يرون أن تلبية طلباتهم والاستجابة لرغباتهما هو جزء من التخفيف من معاناتهما وإدخال البهجة إلى قلبيهما!! وتعويضهما عن غياب الأب وبُعد الأم!!

فمنذ كانا صغيرين (باسم سنتان) و(غادة سنة) وهما لم يسمعا كلمة (لا) أبدًا أو (عيب) ولم يسمح لأحد أن يتسبب في بكائهما وكانت خادمتهما تسير معهما كالظل حتى لا يسقط احدهما أو يؤذي نفسه أو يؤذي غيره، وهذا أمر قد يبدو طبيعيًا نوعًا ما ولكن كبر معهما حتى ما عدا يتحملان نسمة الهواء تعبث بخصلات شعرهما أو تهز طرف لباسهما.

الدلال سيقي عليهما حقا وسيدمر مستقبلهما، "باسم" اليوم لا يريد الذهاب إلى المدرسة، ودونما سبب مع أنه في الصف الثالث الابتدائي ومستواه ممتاز وأساتذته يحبونه،

والـذي لا نسـتطيع رد طلبه، ومحاولات أخوتي في ثنية عـن الغياب غير مجدية، لذا تركوه يفعل ما يحلو له، فهم لا يحبون مضايقته أو إغضابه، هكذا تعود ونشأ.

كـان يضـرب الأطفـال الذيـن لا يعجبونه، أو الذيـن لا يعطونـه أشـياءهم أو الذين لا يـودون مشـاركته اللعـب فـتزداد نفـرتهم منه فـيزداد غضبـه منهم فـيقوم أحد اخوتي بإرغام الأطفـال عـلى اللعـب معـه أو إعطائـه مـا يـود حتـى لـو كان خالصًا لهم وقلوبهم معلقة به، وأحيانا يضـربون مـن يضـربه ويـنهرون مـن يشاكسـه ظنًا منهم أن في هـذا رحمـة له وحنانًا عليه، ولقـد تعـدى الأمر الصغار إلى الكبار فهو ربما استهزأ بامرأة في مثل سن والدتي وقلد مشـيها أو حركـتها أو سـحب عبـاءتها وهـي تسير متجهة إلى البـاب فيواجه فعله بالضحك واللامبالاة.. دون إشعاره بخطئه وإفهامه حسن التعامل مع الآخرين خاصة الكبار بحجة أنه صغير وأنه لا ينبغي جرح مشاعره وكسر قلبه أو قهره.

"غـادة" مـا زادها الدلال إلا تميعًا وعنادًا وإصرارًا على رأيها وهي بعد لم تتم الثامنة، فكـثيرًا مـا تسـكب الحليـب عـلى السـفرة حـين تحـاول والدتـي حـثها عـلى شـربة صباحاً قبل الذهـاب إلى المدرسة، ولما وجدت حقيبتها التي اشترتها بثمن غال تشبه حقيبة إحدى البنات في المدرسة رفضت أخذها في اليوم التالي وبكت حتى تم شراء حقيبة أخرى لها.

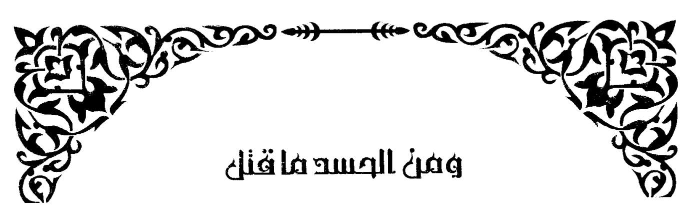
وهكذا كل يوم تبدل أقلامها وأغراضها وأحذيتها لأنها ملت منها وتود الجديد.

إنهمـا باتـا لا يراعـيان لأحد حالاً، ربما أنهما صغيران الآن ولكن البوادر لا تبشر بخير أبـدًا، فـبرغم مـا تـبذلـه أمـي لهمـا مـن العطـف والـرحمة والجهـد والمـال والوقـوف معهمـا ومسـاندتهما إلا أنهـا في نظـرهما ملـزمة بذلـك فـلا يحـترمانهـا ألبـتة ولا يتعاملان معها كجدة لهمـا، بـل إنهـا كمربية يحـق لهمـا ضـربها والاسـتهزاء بهـا وتسـفيه رأيها ومعاندتها عند كل طلـب، وهذا أمر لا يستنكر منهما فهي التي دفعتهما لذلك بدلالها الزائد، فطوال السنوات الـتي مضـت لم تضـربهما مرة واحـدة، بـل لم تـنهرهما ولم تؤدبهمـا وكانت تحث الآخرين عـلى تحمـل خطـئهما وأذيـتها حتى لـو تجـوزا الحد، ولم تكن تمنع عنهما ما يشتهيان حتى لو

كان فيه ضرر عليهما ، ولم تلزمها يوم بأمر فيه مصلحتهما بحجة أنها ترحمهما وتشفق عليهما لا أب ولا أم يملآن فراغ قلبيهما ويفيضان عليهم الحب والحنان والمودة الصادقة.

إن ما نراه اليوم فيهما من سوء خلقهما وكثرة بكائهما وأزدياد طلباتهما وعنادهما وتعدي الأمر الحدود الطبيعية المحتملة لهو نتيجة متوقعة لما أحيط بهما من الدلال الزائد والرحمة القاتلة ، فهل يمكننا تدارك الوضع حتى ينشأ قادرين على مواجهة الحياة والخوض فيها ، أرجو ذلك حقًا.

"أبنتكم"



ومن الحسد ما قتل

أخي مسكين، سيقتل نفسه إن لم يتداركه الله بتوبة من عنه تطهر قلبه وتشفي سقم نفسه، فهو النار يأكل بعضه غيظًا وكمدًا، يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله فلا تراه إلا مقللاً من قيمة من علا شأنه وذاع صيته أو مستكثرًا رزقًا رزقه الله أحدًا من خلقه.

كم يثير في نفسي الشفقة فذهنه دائمًا مشغول بأمور الناس إن سمع خيرًا تغيظ وفار وإن سمع شرًا رأيت علامات الارتياح في وجهه!! ترى كم يحمل في صدره من الهموم؟!

لله در الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله، فهو في غم وهم ما دام الناس في سعادة وحبور..

عدنا من وليمة أعدها ابن عمي بمناسبة ترقيته في العمل فكان طول الطريق يعيبه ويقلل من شأنه ويقول إنه لا يستحق هذه المرتبة فغيره أولى منه، وكأنه كان مشرفًا عليه في عمله ليعرف مدى إخلاصه واجتهاده!! "ألم يكن من الأولى أن تفخر به وتثني عليه خاصة أن زوجتك معنا؟". لكن مثلك لا يتوقع منه غير هذا!

زوجي وأخوه يملكان استراحة يؤجرانها للمناسبات بمبلغ يتراوح بين الألف والألف وخمسمائة بحسب المواسم ولم أرادت أختي أن تحجزها لتقيم فيها حفلة بدأ يقلل من قيمتها ويقبحها في نظرها "مثلها لا يساوي ٤٠٠ ريال، وهما يستغلان الناس، ألا تري إلى مجالسها صغيرة، لا تكفي ضيوفك، وممراتها ليست جيدة ثم لماذا وسّع في مساحة العشب وضيق الممرات..".

لقد تراجعت أختي عن حجزها وكنت قد أشعرت زوجي به، فكان موقفًا محرجًا أن أقامت أختي حفلها في استراحة دلّها عليها أخي لا تضارع استراحتنا وتماثلها في السعر!!

فكانت الزائرات يتساءلن لماذا لم تجعله في استراحتكم فهي أجمل والمساحات الخضراء أكبر؟!

كم تمنيت أو أواجه أخي في ذلك الموقف لأصرخ في وجهه بملء فمي "أنت حاقد" وإلا أين المصلحة لك في هذا كله؟

إنه يعلم أن لي نسبة من قيمة الإيجار إن جاء الزبون من طريقي أنا، ومع ذلك يفسد علي فرحتي..

كم من المواقف المخزية التي فاح فيها حقده ومع ذلك لا يبالي، قال لأختي الصغرى التي تسافر كثيرًا مع زوجها "ما هذا السفر، إنه تضييع للمال، دائمًا تسافران ويترك زوجك والديه". هو يعرف تماما المعرفة أن والدي زوجها مازالا في أتم عافيتهما، وأنهما يسافران متى شاءا وانهما لا يحتاجان أبناءهما من ضعف أو كبر - زادهما الله عافية وشباباً - ولكن يقول ذلك لما غاظه أمر سفرهما الكثير فلماذا يسافران بينما يبقى هو حبيس البلد لأسباب كثيرة ليس منها أبدًا والدي ووالدتي..

لقد ضرب كفه في الأرض صارخًا "والله هذا ظلم" حين علم أن خالي اشترى سيارة جديدة وفاخرة "من أين له كل هذا المال ليشتري سيارة كل عام" "أنت تعلم أنه موظف كبير وعنده بعض الاستثمارات، أبذل الأسباب وزد من دخلك الشهري واشتري لك سيارة جديدة، أو أحمد الله على النعمة وأترك مراقبة الناس وتتبع أخبارهم".

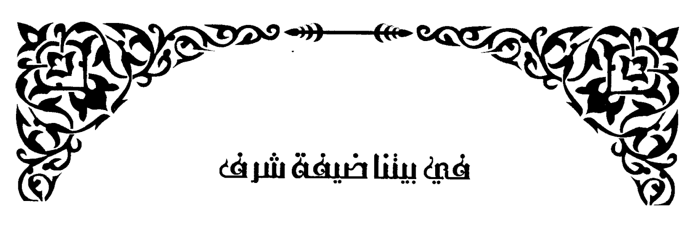
جمعنا مجلس العائلة ودارت الأحاديث ورقى إلى سمعه إلى ما وصل له ابن أختي "يوسف" من حفظ القرآن ودخول المسابقة الكبرى وحصوله على المركز الأول ونال مكافأة مالية وعينية كبيرة كانت محط أنظار الجميع، فلمعت عينا أخي وتلونت إلى اللون البنفسجي ثم الأحمر وراح يعيب على ابن أختي تصرفاته وأنه دائماً اللعب والمشاجرة مع الآخرين ومصاحبته للفساق، وأن ما حصل عليه من المركز الأول في حفظ القرآن نتيجة لمكانة والدة الاجتماعية وليس عن استحقاق الولد المجتهد.

وضاعت الفرحة داخل المجلس على ما نله ابن أختي ولم تستطيع أختي أن ترد على هذه الافتراءات إلا بالدموع التي انسابت من عينها وعندها عادت عيني أخي إلى وضعها الطبيعي بعد أن نفث عما بداخله وأحبط الفرحة من الوجوة.

يالتعاسته، إن هذه المضغة في جسده تكاد تصدأ وتتعطل ويعلوها الران لما يحملها من هموم هي في غنى عنها، لا تنفع بها ولا يوجد لها منها مصلحة فتسف عليها أتربة الحقد السوداء وينفث فيها الشيطان فتصبح فاسدة، خاوية لا تنتفع بذكر ولا بموعظة كل همّه ألا يرى الناس بخير ولو كان يملك لحاز الرزق له ولإبنائه وزوجته ومنع الآخرين، يرى حبة الشعير في بيت غيره ولا يرد تلال القمح في بيته، لا يعرف فضل الله عليه ولا يشكر نعمته فقلبه مجهد وعقله كليل وذهنه مشغول لذا فهو يشيخ قبل الأوان وتعتريه الأمراض والأسقام، وتصطرع بداخله الهموم والأحزان فيأكل بعضه ويحرق نفسه..

هل تحب أن تكون كذلك إن حال مؤسف وواقع مؤلم فراجع نفسك وداو قلبك، شفاك الله وعافاك...

"أختك"



في بيتنا ضيفة شرف

تزوج أخي وبقي مع والدتي في نفس البيت بمحض إرادته. أعطته والدتي حرية الاختيار بين أن يبقى معها ويظل هو وزوجته في عينيها وبين أن ينتقل في بيت خاص ويظل في قلبها، فهي تحبه كثيرًا، إنه ابنها الوحيد ونحن جميعا متزوجات، فاختار طواعية أن يظل معها، بل لم ير اختيارًا آخر.

والدتي جد طيبة، بل حنونة وصبورة، لا تشكو ولا تبكي، وتوزع ابتساماتها على كل من حولها، شهد لها القريب والبعيد بحسن الخلق ولين الجانب ومع ذلك ما وجدت من زوجة أخي تقديرًا لها أو إكراما لُخلقها، بل إنها - هداها الله - استغلت طيبة أمي أسوأ استغلال وكأنما تعاقبها على بقاء ابنها معها.

فهي سلبية في كل شيء، أنانية، تحب نفسها وتسعى لراحتها منذ شعرت أن والدتي تحفظ علاقتها مع أبنها من أن تلوثها الأقاويل أو تفسدها الأفاعيل وهي تعمل ما يحلو لها غير آبهة بما سيحدث لأنه لن يحدث شيء.

فأمي لا يمكن بحال من الأحوال أن تسمح لأحد فضلاً عن نفسها أن يُنقل لأخي شيئاً ولو يسيرًا مما يحدث، ليعكر عليه مزاجه أو يفسد حياته، فهي تصبر وتداري وتبذل وتضحي في سبيل راحته ورضاه وهو لا يقصر عنها ولكنه لا يعلم شيئا، فليس له إلا ظاهر ما يرى، وخصوصا أن في البيت خادمتين إحداهما موكلة بالمطبخ والأخرى بالأعمال المنزلية، فهو بهاتين الخادمتين قد كفل راحة أمي وزوجته وقضى على المشاكل في مهدها!!

إن ثلاث صفات هي التي تكون شخصية زوجة أخي (مهملة، جاهلة، وجامدة)، فهي لا تكاد تحرك ساكناً ولا تمد يد العون لأحد، وتقول والدتي (إنها منذ فترة طويلة لم

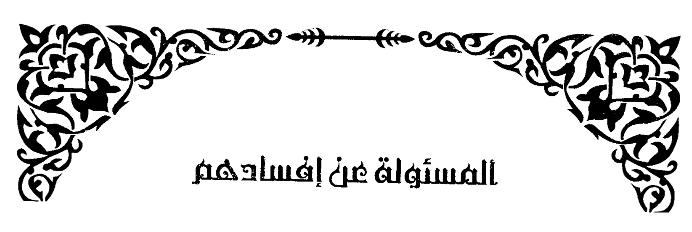
تدخل المطبخ ولم تصنع طبقا واحدًا أو حتى تطلب من الطاهية أن تعمله) هي أصلاً لا تسأل عن الطعام لأنها تقوم ببرنامج تخفيف الوزن، لذا فهي لا تدري عن أبنائها من أكل ومن ظل جائعًا، فمجرد قيامهم من النوم ينزلون مباشرة ويتجهون إلى جدتهم - أمي - ويطلبون منها صنع الإفطار هذا يريد فولاً والآخر يكتفي بخبز محشو والثالث يبكي لأن الحليب ساخن، قد يكون هذا شيئاً ممتعاً ولكن ليس دائمًا، فالسن لها أحكام، إن والدتي هي التي تغير لهم ملابسهم بعد النوم وقبله وهي التي تغير للصغيرة حفاظها وكم من مرة وجدته مبللا لملابسها ومسببا لها طفحاً جلدياً مؤلماً.

إنها لا تكلف نفسها متابعة أبنائها في الدراسة مع أن الكبير مازال في الصف الثاني الابتدائي ولا يستطيع الإمساك بالقلم أو قراءة الحروف بشكل جيد، لقد جلب له والده (مدرسًا) لأن والدته لم تستطع تعليمه، وحين تنجز له عملا مفيدًا، فإنها تكتب له الواجب دون مراعاة لأبسط قواعد التعلم وآدابه، يا لها من مهملة جاهلة. تبقى الساعات الطوال تتابع الأفلام والمسلسلات وتقرأ المجلات المريضة، ولا تكلف نفسها بضع دقائق لتحفظ ابنها سورة من القرآن أو تسمّع له نشيد المحفوظات.

إن الإهمال متأصل فيها، فأبناؤها يلعبون بالماء ويتراشقون في الحمام وهي تسمع وترى ولا تتحرك، وكم هي المرات التي وجدتهم والدتي فيها يعبثون بتراب الحديقة وطينها فيضعونه على رؤوسهم ومسحون به ملابسهم حتى تعجز أقوى المنظفات عن تنظيفه، وكأنها لا تسمع عتاب أمي لهم ومناداتها للخادمة حتى تساعدها على تنظيفهم وتنظيف المكان على الرغم من أن غرفتها تطل على الحديقة.

حين تهم أمي بالخروج لزيارة أحد أو التبضع من السوق، فإنهم يتعلقون بها ويبكون بشدة مما يضطرها كثيرًا للعدول عن نيتها والبقاء في البيت، وإن كانت ملزمة بالخروج لحضور اجتماع عائلي مهم مثلاً، فإنها تضطر لأخذهم مع ما يسببه لها هذا من إزعاج وإحراج لمضيفتها، ثم تبدأ بسرد المبررات الكثيرة لفعلها حتى لا يتهم أحد زوجة ابنها بسوء!! يالك من أم عظيمة، وأم زوج كريمة، ولكن ليتك كنت عند من تقدرك وتعرف فضلك، لقد ابتلاك الله بزوجة الابن لا ترحم ولا تستحي، ومن لا يستحي يصنع ما يشاء.

"ابنتك"



المسئولة عن إفسادهم

صدمتني ابنة عمي كثيرًا حين قالت لي: "لك أكثر من عشرين عاما في الوظيفة ومع هذا لا يظهر أثر هذا عليك".

لقد فهمت مقصدها جيدًا، ذلك أننا كنا في حفلة زواج وكان عقدي إكسسوار ليس له قيمة ولم تكن في يدي ساعة ولا غيرها.

حقًا تخطيت العشرين عاماً في وظيفتي، ووصل راتبي إلى أكثر من عشرة آلاف ريال ومع ذلك لم أستطع الحصول على الكثير مما أتمناه أو حتى أحتاجه والسبب هو أبنائي خاصة الكبار فهم لا يرون في والدتهم إلا جهاز صراف آلي للمال فكلما أرادوا شيئاً فإن ما معي كاف لتحقيقه، والويل لي إن اعتذرت عن عدم القدرة أو أبديت عدم القناعة أو أكثرت عليهم اللوم فإن ما سيواجهونني به لن يقل عن تقطيب الحواجب وعبوس الوجوه ثم تكرير الأسطوانة المعهودة أمي مديرة مدرسة وأنا لا أملك هذا الشيء..".

"نجلاء" في الجامعة و "عمرو" في المرحلة الثانوية حاجاتهما لا تنقضي أبدًا، يريدان دائمًا كل شيء جديد، يحبان التغيير والتطوير ومسايرة الموضة.

مكافأة "نجلاء" تقضي حاجات بنات كثير في مثل سنها في الجامعة، ولكنها لها لا تعني سوى بعض "الساندويتشات" والتسالي، حدثتها مرارًا أن تكتفي بمكافأتها وأن تعوِّد نفسها على حسن التصرف والتدبير وأنذرتها أنني لن أعطيها أكثر من خمسمائة ريال شهريًا زيادة على المكافأة ولكن... كيف يحدث هذا "وأمي مديرة مدرسة كل صديقاتي يغبطنني على ذلك ويقلن لي ليس غريبًا منك مادامت أمك بهذا المركز، يحق لك هذا الاستعراض"!!

اقتنيت هاتفاً نقالاً فأخذته مع عدم حاجتها له وأساءت استخدامه فهي تحدث صديقاتها وترسل لهن رسائل بحاجة وبدون حاجة حتى وصلت فاتورتها لثلاثة آلاف ريال!!

أخذته منها وحرمته منه ولكني عدت أمام إلحاحها وكثرة توسلاتها فصديقاتها يعيرنها بشدة بخل أمها!! فعادت حليمة لعاداتها القديمة.

قمصانها وحقائبها وأحذيتها واكسسواراتها ولوازم الجامعة كلها تكلفني الكثير.. بت أؤمن حاجتي في حاجتها لم أعد أفكر فيما ألبس فالمهم ما تلبس هي وما يرضيها.. تشتري قميصاً رسمياً للكلية بمئات الريالات واشتري أنا بالعشرات. أبحث عن محلات التخفيضات وأماكن البضائع المخفضة لأكمل بعض مستلزماتي من أحذية وحقائب وملابس للبيت وأخرى للعمل بينما لا ترضى هي بهذه الأماكن فهي بنت المديرة!

رصدت مبلغًا لشراء ساعة قيِّمة ألبسها في يدي بدل هذه الساعة القديمة المتهالكة فأصغر معلمة في مدرستي لم يمض عليها سوى سنتين في الخدمة ترتدي ساعة بأكثر من عشرة آلاف ريال - قيمة راتب شهر كامل - وما أن علمت "نجلاء" حتى غضبت فهي منذ مدة تلح علي لشراء ساعة لها وأنا أرفض بحجة عدم القدرة في الوقت الحاضر ثم هأنذا أفكر في شراء ساعة!!

وأمام إلحاحها بحجة أنني مضى علي الزمان وما عادت هذه الأشياء تناسبني أو تلفت إلي الأنظار وأنه يمكنني الاكتفاء بالتقليدية، اشتريت لها الساعة التي تريد وأضفت إلى المبلغ ألفاً أخرى، وأنا أشتريت ساعة تقليد بمئة وخمسين ريالاً!!

لديها خزانة كبيرة مخصصة للحقائب والأحذية فقط وأخرى تغص بالملابس بل إنني اشتري عباءتي بينما تفصل هي عباءتها وطرحتها وخمارها!!

و"عمرو" ليس أحسن حالا منها، فالسيارة شبابية أمريكية مضافة إليها إكسسوارات وزينة كلفتني الكثير، فوالده لم يدفع ريالاً واحدًا لأنه لن يحتاج إلى قيادتها- كما يقول-

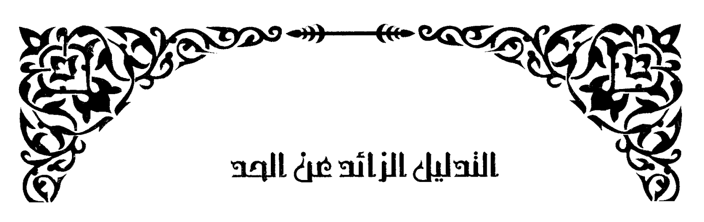
ولا أنسى الهاتف المحمول الذي يجدد كل فترة والنظارات الشمسية بالمئات، والملابس والأحذية والحقائب الرياضية دائما يحب المزيد حتى باتت غرفته مثل محل لبيع أرقى الملابس الرياضية.

وهو "حاتم الطائي" في الكرم، فهو صاحب الولائم الكبيرة والموائد الممدودة لزملائه "وشلته" في المطاعم والاستراحات وعلى الرصيف لذا فهم حوله كثير يتذوقون الهامبرغر والبيتزا كل يوم من مكان ومن المعيب أن تكون أمه بهذا المركز المرموق ويتطفل على زملائه من أجل حبة همبرغر أو قطعة بيتزا أو قضمة شطيرة!!!

إنني أشكو حالي لله فلم يبق لي الأبناء شيئًا، أفلسوني وامتصوا آخر قطرة من راتبي، ترى ما السبب؟! الموظفات كثير وليست هذه معاناة الجميع!

إن المسؤول عن هذا الحال هو أنا وليس أحد سواي، لقد دللتهم كثيرًا وعودتهم ألا أرد لهم طلبا منذ كانوا صغارًا، بل كنت أبحث لهم عن التميز في هيئتهم ولباسهم وتسوقهم حتى في البراية والمسطرة، فالله المستعان.

"أمكم"



التدليل الزائد عن الحد

هل هذا الذي يحدث مع أختي هو إشكالية يقع فيها الأبوان غالبًا؟ هل استنفدا طاقتهما في تربيتنا وتوجيهنا وتعويدنا العادات الحسنة والصفات الحميدة؟ ثم لما جاءت أختي وكانت خاتمة الذرية كانا قد أنهكا أنفسهما فاستسلما طواعية واختيارًا لها ولرأيها ولمزاجها؟ أم أن القلب يذوب حبًا كلما ازدادت نار العاطفة بزيادة الأولاد وزيادة السنين؟

لقد أصبح قلب والدي لينًا أمام دموعها ضعيفًا أمام توسلاتها، وهو الذي كان يثبت على مبدئه مهما حدث وتنفذ كلمته حرفيًا (ولا تنزل إلى الأرض).

قد أعتب على والدي الآن في أمر قد أقع فيه لاحقاً ولكنني أرجو أن أتوسط في أموري كلها.

لقد تعودنا منذ صغرنا الحزم في كل شيء، والأدب مع الكبير، وأن نحترم رغبة والدينا وأن نؤثر اخوتنا، تعلم اخوتي علوم الرجال، وتأدبنا بالحياء والحشمة فكنا - ولله الحمد والمنة - مضرب المثل بين أقراننا.

ولكن لما جاءت "ناهد" غردت خارج السرب بعيدًا ونزعت جلباب والدي وطبعت حياتها بطابع مختلف وشذت عن القاعدة فهي تجلس - أعني تتمدد - أمام التلفاز وفي حضور والدي ووالدتي ولا يقولان لها شيئًا في حين تعودنا ألا نمد أرجلنا في حضور من هم أكبر منا سنًا وقدرًا وبخاصة الوالدان، وإذا انتقدناها أو طلبنا منها تعديل جلستها نهرنا أبي قائلا: دعوها تفعل ما تشاء لا تغضبوها!!

كان هذا وهي صغيرة والآن كبرت وشبت عن الطوق وكبرت معها هذه العادات فما عادت تحترم كبيراً أو تسمع لنصيحة أو حتى تنتظر من أحد أن يبين لها خطأها أو يفند رأيها

فسلاحها الدموع والبكاء والصراخ مما يثير غضب والدي ويقلق راحتهما فيتركانها وشأنها ويعاتبانا ممن كان سبب إغضابها..

جئت في زيارة أهلي ذات مساء ووجدتها تمسك الهاتف وتتحدث بشكل مريب، خشيت أن يكون في الأمر شبهة فحاولت أن أوجهها بلطف طلبت منها أن تغلق السماعة فأنا قد حضرت لزيارتهم، ردت بكل برود: "خير وإذا كنت في زيارتنا يعني لا نحدث صديقاتنا، ما أقبح من يحشر أنفه فيما لا يعنيه أكلم "لمياء" هل تريدين التأكد من ذلك؟".

لقد تساهل معها والدي كثيرًا وشجعته والدتي رحمة بها وحبًا لها، فمتى كنا نذهب لزيارة صديقاتنا أو نحضر حفلاتهن، إن "ناهد" تفعل ذلك بمباركة والدي، بل صارت دائمة الخروج كثيرة الزيارات لصديقاتها فهذه دعتهن لحفلة نجاح، والأخرى لتعرفهن بقريباتها وثالثة دعتهن لأنهن اشتقن لبعضهم كثير، وغيرها من المناسبات التافهة، وهي تخرج دون أدنى مراعاة لأصول الزيارة تذهب متعطرة متبرجة في أبهى حلتها، بل إنها ترفض تماما أن ترافقها والدتي أو إحدى أخواتي وتعد ذلك عيبًا وشيئًا في حقها.

ومن أجل سواد عينيها أدخل والدي القنوات الفضائية ولأجل سعادتها سمحت لها والدتي بارتداء عباءة الموضة وحتى لا تغضب أو تتضايق، أذنا لها بأن تلبس ما تشاء ما لم يكن فاضحا جدًا، فهي تلبس البنطال والقميص بدون أكمام، وتصبغ شعرها بشتى الألوان أسوة بزميلاتها حتى لا تتعقد!!

إن كلمة صغيرة عاتبة أو غاضبة توجه لها من أي واحد منا تعني أننا نتدخل في شؤونها ونريد أن نتحكم في حياتها ونسيطر عليها لأنها الصغيرة وهي محل إيثار والدي فتبدأ بالصراخ ورد الكلمة بعشر والبكاء والاحتماء بوالدتي والاستناد إلى والدي حتى ينقلب النصح إلى فضيحة ويندم من كان قدمه لأنه لم يحصل على رضا والديه ولم يغير من الواقع شيئًا.

كم أتمنى أند تدرك "ناهد" أنها بهذا المسلك تخسر الكثير فلقد اعتدنا احترام والدينا وعدم توجيه الحديث إليهما مباشرة، وهما يظنان أن معاملتهما لها تسعدها، وهي طريق إلى الشقاء ما لم يتداركها الله رحمته، أرجو أن تعي كلامي جيدًا!

"أختك"



صابرة تتألم ولا تشتكي

ما أضيق العيش وما أبأسه لولا الصبر، فبالصبر نرى الحياة في أبهى صورها، وأجمل حللها، وكلما اشتدت الأزمة وضاقت الأرض أنبلجت خيوط النور من كهوف الظلام تبدد الغلس وتنشر الرحمة.

ولكن من منا يملك مفاتيح هذا الصبر؟ ومن منا يقدر على التحلي به والاستمساك بحبله؟ إنهم قلة، بل ندرة في هذا الزمن الصعب الذي عمت فيه البلوى وكثرت الشكوى وأختي "مشيرة" ربما واحدة من هؤلاء، هي أختي الكبرى، أنا في سن أبنائها، فهي لي مثل أمي.

قبل سنوات مرضت ولكنها لم تشتكي، وكثر ترددها على المستشفى والأطباء فحوصات وتحاليل وأشعة ولا تقول شيئًا سوى (الحمد لله إن شاء الله بسيطة).

كنت أراها تذبل بسرعة كوردة تعيش لحظاتها الأخيرة، حاولت مصارحتها بما في نفسي إلا أن قوتها وثبات قلبها وابتسامتها الدائمة منعتني من ذلك.

اتصلت بي ابنتها ذات يوم تخبرني أنهم نقلوها إلى المستشفى في حالة إغماء، هرعت لزيارتها والاطمئنان على حالها فإذا هي شبه فاقدة للوعي، تتنفس بصعوبة شاحبة الوجه ولكنها تتمتم: الحمد لله!!

أخذت عهدًا ألا أخرج من المستشفى حتى أعرف ماذا حل بأختي، فأبناؤها لا يخبرونني بشيء والبنات يبدو أنهن لسن أحسن حالاً مني لذا عزمت على البحث عن الممرضة المسؤولة وسؤالها عما سجل في الملف، ظلت أسأل واستفسر حتى ظهرت الحقيقة وانكشف المخبوء، يا الله. هذا ما كنت أخاف منه، بل ما شككت فيه، يا لها من امرأة

كالحديد تتألم ولا تشتكي، كل هذا الألم وهي صامتة، وكل هذه الشدائد وهي صابرة، إنه المرض الخطير ينتشر في جسمها ببطء، يتلف أجهزتها الداخلية ويدمر أعضاءها.

لقد قرر لها الأطباء العلاج الكيميائي وبدأت الحيلة تبور والسبل تضيق، وانتهت بنا الآمال وتقطعت الحبال إلا أنها تزداد ثباتًا ويقينا ويزداد وجهها تهللاً وإشراقًا، لا تنقطع عن ذكر الله وحمده وتسبيحه.

أزورها تسبقني دموعي وعبراتي فأخرج من عندها وقد تلقيت درسًا قيماً في قوة الإيمان وشدة البلاء، أزورها وأنا أحمل طاقة ورد أو سلة حلوى حرصت أن تكون من النوع الفاخر وأخرج من عندها وقد زهدت في الدنيا وعلمت حقارتها وتفاهتها.

دائمًا تحمد الله ولا تنفك الابتسامة عن وجهها، تحزن حين يسألها أحد عن مرضها فهي ترى الحديث في هذا من الجزع والسخط، انتهى علاجها وخرجت من المستشفى وبدأت تمارس حياتها بشكل طبيعي جدًا، أعلم أنها تقاوم كثيرًا ولكنها شجاعة فهي لا تحب الاستسلام أو الانهزام.

أبدت لي رغبتها في زيارة بيت عمي، قلت لها (ولكنك مازلت مريضة، والحق أن يأتوا هم لزيارتك) سكبت جوابها ألما في مسامعي (اليوم أنا معك وغدًا ربما لا أتمكن من ذلك، دعيني أكسب أجر صلة الرحم في هذا اليوم، من يدري ماذا يحدث غدًا).

تحاملت على نفسها وذهبنا معا لزيارة عمي فكانت تحدثهم وتسامرهم كما عهدوها لم يتغير فيها شيء.

حين يشتد عليها المرض تبقى في بيتها تقرأ القرآن أو تسمع لشيء مفيد أو تنزوي في غرفتها تدعو تكثر من الذكر وإن تمكنت صلت ما شاء الله لها أن تصلي، وإن أنجلت عنها الغمة استقبلت جيرانها أو خرجت في صلة رحم أو زيارة مريض أو تعزية أو تهنئة.

لا تسمح مطلقًا لأحد أن يلقي عليها عبارات الحجر والتضييق (افعلي كذا، اتركي كذا، عليك بكذا..) مما لا يصح أو لا يجوز، بل تبادر بنصح زائريها بتقوية صلتهم بالله

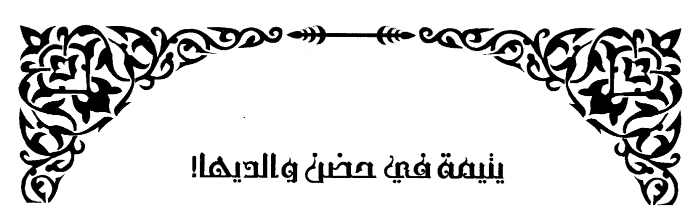
دائما وعلى الأخص في مثل هذه الظروف، والحمد لله وشكره على كل حال، وأن المصيبة الحقيقية في الدين والعقل وما دام الله قد حفظ علينا ديننا وعقلنا وأنعم علينا بهذه النعم الظاهرة والباطنة، فالواجب علينا حمده وشكره والاعتراف بفضله والتقرب إليه بالنوافل والفرائض أولاً .. و ...

فهي تقدم لمن يزورها دروسًا علمية إيمانية مجانية لا تبغي من أحد جزاء ولا شكورًا.
لله درها ما أشد ثباتها- اللهم زدها ثباتًا وارفع منزلتها في عليين، هكذا عرفتها منذ وعيت على الدنيا لم تشك وحما ولم تجزع من حمل ولم تتسخط من الولادة، ما قالت مرة في زوجها ما يغضب الله، ولم تشكُ من بناتها وأبنائها (فالحمد لله والشكر لله والله يديم النعمة ويرزقنا شكرها) ما كانت تردده مرارًا، لقد جاء هذا المرض الخطير ليصقل معدنها ويبلو أخبارها ويمحص إيمانها ويبتلي صبرها فزادها قربا من الله.

لعل الله أن يكفر بهذا المرض ما كان من ذنوبها وتقصيرها وأن يرفع درجتها، فأمر المؤمن كله له خير.

"أختك"

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ١٥٣)



يتيمة في حضن والديها!

يتمية في حضن والديها، هذا هو الوصف الذي ينطبق على حالي فوالدي ووالدتي ما زالا على قيد الحياة ولكنني لا أشعر بهما ولا أرتوي من حنانهما وحبهما، أنا البنت الوحيدة بين سبعة أولاد لست أكبرهم ولا أصغرهم ولكن والدي- مع الأسف- لا يحب البنات!!

فأنا مساوية لمصطلحات كثيرة في قاموسه مثل العار، والذل، والهم، وما زلت أسمع عبارات تتضخم حال مروري أو عبوري تدعو بعدم كثرة بنات جنسي عند الصديق، أو الدعاء علينا بالقبر.

يوم كنت طفلة صغيرة تشع البراءة من عينيها، وتتفجر العذوبة من شفتيها كان الجميع يتندرون بي حين أدخل في ثوبي الجميل أظل للحظة أنقل بصري بين والدي ووالدتي أيهما يفتح ذراعيه ليضمني كان والدي يومئ بيده نحو والدتي قائلا: (هي لك) فأسرع نحوها أرمي جسدي الطاهر في حضنها فتقبلني وهي تضحك كنت حينها في الرابعة من عمري وكان أخي (محمد) في الثانية فكان والدي يفضله علي ويجلسه في حجره ويقبله ويناغيه ويخرج له من جيبه دراهم ويعطيه، بل ربما بقي وقتاً طويلاً على تلك الحال فلا يضجر والدي ولا يمل، ولما كبرنا قليلاً صار والدي يستعديه علي ويحثه على ضربي أو شد شعري أو أخذ حقي مني ويفرح كثيرًا إن تفنن في طرق القمع هذه، بل لقد كافأه مرة حين بصق في وجهي!!

كبرت وكبر معي شعور القهر هذا، عار أنا بين هؤلاء الشرفاء، ذل ومهانة لوالدي، عيب في وجه اخوتي يحاولون مداراته، أنا لا شيء بالنسبة لهم ليس لي ذكر أو اعتبار، والدتي صامتة وأحيانا مؤيدة، فالبنت مهما فعلت فهي بنت!!

وكأن البنت تهمة فظيعة ملتصقة بي، صرت أحاول الفكاك منها والبراءة من فعلها!! أليس الله الذي خلقني وأرادني أن أكون بنتًا؟ أم أن الله خلقكم من نور وخلق البنات من رجس؟ تعالى الله عن ذلك.

إن والدي لا يحبني، بل لا يطيق رؤيتي حين أكون في المكان الذي هو فيه، لا يلتفت إلي ولا يريد على حديثي، وإذا دخل أحد إخوتي هش له وبش ووسع له في المكان وأجلسه بجانبه وبدأ يتجاذب معه أطراف الحديث ويسأله عن أخباره!!

ترى ما هي الجريمة التي ارتكبتها؟ وما الذنب الذي اقترفته يداي حتى أنبذ في عقر دارنا؟ لا أعلم بما يحدث في شؤون البيت فضلاً عن أن استثار، طلباتي دائما مؤجلة ومنسية وطلباتهم أوامر تنفذ على وجه السرعة، أنا المخطئة دائمًا وأستحق ما يحصل لي، الشكوى محرمة علي، وفي الأماني منيتي حقي أن اصمت ثم أصمت حتى يتحجر لساني وتموت لغتي، علي دائمًا أن أقول (نعم، حاضر) حتى لأصغر اخوتي دون أن يرد لي الإحسان أو يُكبر الجميل فهذا الشيء رغما عني لا حبًا وكرامة.

علا صوت (حسين) مجلجلاً في أرجاء البيت ينادي أمي التي كانت في الخارج أسرعت في الإجابة (نعم، نعم) صرخ في وجهي بعنف (من ناداك يالـ ....) ثم هوى بكفه على صفحة وجهي فأنا لم أسرع في إجابة ندائه إلا لأسمع الضيف القابع في المجلس!! هكذا بكل بساطة حلل موقفي!!

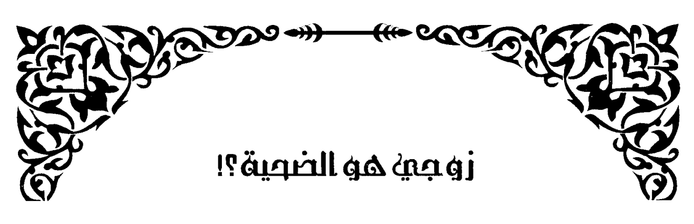
لقد مللت هذه الحياة في ظل الذل والقهر والقمع لست إنسانة لي كرامتي!! ولست خادماً لي إنسانيتي ولست بشرًا في حريتي!!

فمن أكون وسط هذه الشوارب المفتولة والعضلات المشدودة؟!

أنا أي شيء إلا أن أكون آدمية كرمها الله سبحانه!! اللهم أهد والدي فهو سبب هذا الوضع المزري الذي أنا فيه حتى أعتق من هذا الرق الجاهلي فأشد ما أخاف أن أزف يوما إلى شيء يقال له رجل دون أن يكون لي رأي، وهو في حقيقته ظل لذلك الجاهلي الذي يئد البنات ليتخلص من عارهن فهذا وأد وذاك وأد ولكن أحدهما مغلف ومخفي وهو ما أعيش فيه.

"أبنتكم"

قال تعالى يحكي عن حال أهل الجاهلية: ﴿**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ**﴾ (النحل: ٥٨)



زوجي هو الضحية؟!

تزوجت منذ خمس سنوات، ومع ذلك لم يستوعب أهلي الحدث جيدًا، أعني أنهم لم يشعروا بعد بهذا، هم فرحوا بزواجي ولكنهم أيضا مازالوا ينتظرون مني ما ينتظرونه من (نورة) قبل الزواج، فأنا كبرى أخواتي وإخواني، كنت لهم كل شيء، وكانت والدتي تعتمد علي في جميع الأمور وما زالت؛ دون أن يشعروا أن هذا يسبب لي حرجًا مع زوجي، ومع أهله أحيانًا.

أمي مازالت تطلب مني البقاء عند أخوتي الصغار إذا همت بالخروج للسوق أو حضور إحدى الحفلات المسائية الخاصة بها أو إن كان لها موعد أو لأحد أخوتي عند عيادة الأسنان، لا يمكنها الاعتماد على الخادمة ولا تثق في أختي (هند) وهي في الصف الأول الثانوي، لابد من حضوري مهما كان الثمن وإلا فإنها ستغضب مني وتعتبرني مقصرة في حقهم ومتناسية لحاجتهم.

أحاول في مرات غير قليلة أن أبيّن لأمي ولاخوتي مدى الضيق الذي ينتاب زوجي من هذا الوضع ولكنهم ربما لا يستوعبون!!

لا أدري حقيقة ما أقول ولكني أحاول جاهدة أن أوفق بين الاثنين على أن زوجي هو الضحية دائمًا!!

في بداية الإجازة كانوا قد قرروا السفر فعزمت على الذهاب إليهم لتوديعهم ومعاونتهم إن لزم الأمر فوجدتهم لم يجهزوا حقائب السفر ولم يقوموا بتنظيف البيت ولا بتفريغ الثلاجة فاضطررت أمام إلحاح والدتي إلى الاعتذار من زوجي وبت تلك الليلة

عندهم في كر وفر من غرفة لغرفة أجهز حقيبة هذه واكوي ملابس هذا وأساعد أمي في طي المفارش ووضعها في الحقائب.

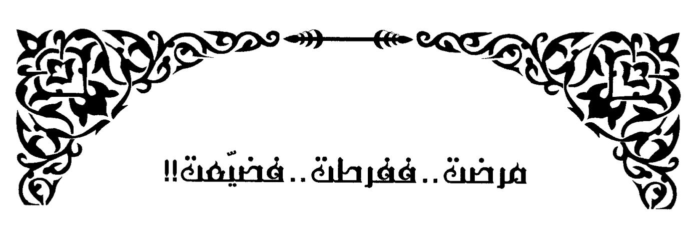
ثم دخلت المطبخ وقمت بمساعدة الخادمة بتنظيفه وتفريغ الثلاجة من محتوياتها التي ربما تتلف وحفظ ما يمكن أن يفسده المناخ، وهكذا مازال أهلي ينتظرون مني أن أفعل مثل ما كنت أفعل في السابق وكأن الوضع لم يتغير بتاتًا.

أتمنى أن تعّود أمي أخواتي الصغيرات على القيام ببعض المهمات البسيطة التي كنت أقوم بها ليتدربن على المهمات الأصعب، أتمنى أن تشعر أن اخوتي قد كبروا بما فيه الكفاية للبقاء وحدهم في البيت لساعة أو لبضع الساعة، أرجو أن يدركوا أن الوقت أحيانًا يمضى دون أن ينتبهوا لذلك لعلهم يبادرون إلى أعمالهم التي يتحتم عليهم القيام بها فينجزونها قبل فوات الوقت أو ضيقه، هل لابد أن أذهب إليهم قبل الحفلة بيوم أو يومين لأجهز معهم أو بالأصح لهم أغراض الحفلة ولزوم المائدة وحلويات الشاي والقهوة؟ ثم يوم الحفلة أداوم منذ ساعات الصباح الباكر، وكذا بعد الحفلة أعود إليهم لأقوم بإعادة الأواني والصواني والأكواب إلى أماكنها؟!! أيعقل أنهم لا يستطيعون عمل ذلك مع الخادمة؟ أم أن المسألة فقط هي اعتياد وإدمان؟!

أنا لم أعد خفيفة الحمل، خروجي من بيتي يكلفني الكثير، طفلان يحتاجان إلى تغيير ملابس وتجهيز حقيبة، وزوج يحتاج إلى من يؤمن له غذاءه وعشاءه وشايه، و(أم زوجي) تفتقد زوجة ابنها غالبًا في معظم الاجتماعات لأنها مرتبطة بشكل دائم بأهلها دونما سبب واضح أو حاجة ملحة.

أرجو ألا يفهم مني العقوق أو التقصير في حق الوالدين، ولكن هذا الوضع أجبرني على التقصير في حق زوجي، وهو كان الأولى فأعينوني على القيام بحقه وفقكم الله لذلك.

"أبنتكم"



مرضة.. ففرطة.. فضيعة!!

أخي (جابر) في الخامسة والأربعين من عمره، ذات يوم أحس بتعب في جسمه، ذهب إلى المستشفى، قام بعمل الفحوصات اللازمة فاتضح أنه مصاب بمرض (السكري)..

أعطاه الطبيب بعض التعليمات وقدم له النصيحة بأن (يريح نفسه) حتى يسلم من مضاعفات المرض. وفعلا فقد أراح أخي نفسه وفكره وعقله، بل أخلى مسئوليته من أبنائه فتغيرت نظرته للأمور من حوله وبات يعيد حساباته وظن أن هذا المرض لم يصبه إلا بسبب إجهاده نفسه في توجيه أبنائه وملاحظة زوجته وحرصه على ما ينفعهم. قال لي: (وماذا استفدت من كثرة التوجيه والتأديب ضغطت أعصابي وأتعبت أبنائي وها أنا أجني ثمرة هذا الشد). وقال: (في الحقيقة كلما رأيت أبنائي وشعرت أنني في يوم من الأيام قد أفارقهم ضاق صدري وتمنيت أن لو أملك لحققت رغباتهم كلها)!!!

مع الأسف تغير أخي كثيرًا ولم ينظر إلى مرضه نظرة صحيحة وبالغ - هداه الله - في تضخيمه وتعظيم أمره. وكان كل ذلك يصب في مصلحة زوجه وأبنائه الذين وجدوا شخصًا مختلفًا بعد المرض، ضعيفًا منكسرًا ورحيمًا! لا يرد لهم طلبًا ويبالغ في دلالهم ورحمتهم ويرمي كل حمله ومسئوليته عليهم مع شدة ضعفهم وحاجتهم إلى من يرعاهم ويوجههم.

لقد سمح لابنه (زاهر) بقيادة السيارة، بل أعطاه مفاتيحها وكان في السابق يرى ذلك إهمالاً، وزاهر في الصف الثالث المتوسط يخرج بالسيارة متى أراد يقضي بعض حاجات أهله أو يأخذهم للسوق أو لزيارة أقاربهم ويستخدم السيارة حين يود المرور على صديق للمذاكرة أو حتى التفرج على المباراة، بل إنه صار من رواد محلات الوجبات السريعة

بشكل يومي بمفرده أو مع أصدقائه.. وأين شدة كره أخي لهذه المحلات؟ كان يسميها محلات الوجبات المسمومة؟!

والأمّر من ذلك أنه اشترى له جوالاً وأصبح يغدق عليه المال كلما أراد فلا تراه إلا وجيبه عامر والأصدقاء حوله من كل ناحية لا تعلم هل هم رفقاء خير أو سوء؟!

لقد ضاع (ابن أخي) بين السيارة والجوال واللعب في الشارع بالكرة مع فريق الحارة؟ وأيضا يقول (جابر) إنه يفكر بشراء سيارة له إن نجح في المرحلة المتوسطة!! أسأل الله أن يحفظه ويحميه.

والبنات كان لهن نصيب من هذا التغيير الشامل فلقد رأى أخي أنه كان يدقق عليهن وعلى أمهن في أمور كثيرة ويحرمهن من أشياء عديدة فأعطاهن الضوء الأخضر الذي لا ينطفيء أبدًا، فتساهلن رويدًا رويدًا في حجابهن واتسعت فتحتا النقاب وصار النزول إلى الأسواق من أبجدياتهن اليومية، كل يوم في سوق يبحثن عن الجديد أو لا يبحثن عن شيء أبدًا، بل يقلبن البضائع ويقلبن أعينهن في الباعة ومرتادي السوق ثم يعدن للبيت شاكرات لوالدهن هذا الصنيع فتنفرج أساريره ويشعر أنه قدم لهن شيئًا وعوضهن بعض ما فات.

وخطوط هواتفهم دائمًا مشغولة، فزاهر جالس أمام الإنترنت يقضي الساعات في غرفته الخاصة يقتحم عالمًا مجهولا ومريبًا، والبنات يتحدثن مع صديقاتهن أيضا ساعات طويلة، لقد صرنا نسمع منهن أشياء لم نألفها ونعلم يقيناً أنها كانت من المحظورات، فهذه (كاميليا) تحدث بناتي عن حفلة صاخبة حضرتها في بيت صديقتها، حيث دعت بعض الصديقات وارتدين الملابس الغريبة ورقصن على أنغام الموسيقى!!! سألتها ابنتي (وهل خالي جابر موافق ويعلم بذلك؟). قالت بدلال: (نعم، بل عندما حدثته بها قال المهم إنك "انبسطت").

نعم هذا ما راح أخي يسمح به ويتغاضى عنه، فهُّمه أن يبقى في البيت هادئًا مرتاح البال وأن يسير على الحمية التي وصفها له الطبيب والتي راحت زوجة أخي تعلمها الخادمة

حتى أتقنتها جيدًا. فليس هناك متسع من الوقت لمثل هذه الأمور فالوقت للزيارات والنزهات والمكالمات وخلافه.

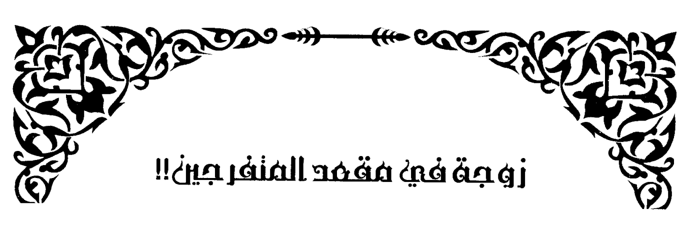
كان الخروج أيام الدراسة ممنوعًا، فيجب الاهتمام بواجبات الصغار ومتابعة دروسهم. الآن الوضع تغير لذا اكتظ الجدول وفي السابق كانت فكرة حضور مناسبات في استراحات خاصة بالنساء فكرة مرفوضة حتى مجرد طرحها، أما الآن فإن مناسبات صديقاتها لا تكاد تفوتها واحدة، والمرأة حين يفتح لها هذا الباب فمن الصعب إغلاقه.

أنا لا ألوم أحدًا بقدر لومي لك يا أخي فليس معنى أنك مريض (بالسكرى) أي أنك ستموت وغيرك سيعيش طويلا؟ وليس معناه أنك صرت ضعيفًا ومهزومًا؟ ولن تحتمل أي مسئولية ولا يعني أبدًا أن تحمل رأسك وتضعه على الطاولة لترتاح، بل يمكنك أن توجه أبناءك كما كنت في السابق وتنصحهم وتحجزهم عما يضرهم دون أن يكون ذلك سببًا في مرضك أو تضاعفه.

فأنت مسئول أمام الله ولن يعفيك هذا عن مسئوليتك وسعادة الأبناء وإسعادهم لا تكون بهذا الشكل أبدًا فأنت تسيء إليهم دون أن تشعر وتقصر في حقهم من حيث أردت عكس ذلك فافهم قصدي وأعد النظر في أمرك.

"أختك"

قال رسول الله ﷺ :**"كلكم مسئول عما استرعاه الله، فالمرأة مسئولة في بيتها ومسئولة عن رعيتها، والرجل راع في بيته ومسئولاً عن رعيته فليعط كل ذي حقاً حقه"**



زوجة في مقعد المتفرجين!!

متى تشعر بعض الزوجات بعظيم حق أزواجهن عليهن؟ هل يعقل أن تكون إحداهن بعيدة عن زوجها وهو في مسيس الحاجة إليها وهما مازالا في ريعان شبابهما؟ ترى ماذا ستفعل له إذا كبر وشاخ وصارت حاجته إلى من يسنده لا تنقطع؟!

لقد تعرض أخي لحادث مروري نجا منه- بفضل الله- ولكن أصابته كسور ورضوض في أنحاء متفرقة من جسده لزم الفراش مدة طويلة قضى بعضها في المستشفى ثم خرج واستمر في العلاج الطبيعي حتى عافاه الله تماما وعاد سليماً كما كان، كانت مدة مرضه محك ابتلاء لزوجته التي لم تطق الوضع طويلاً فعادت في أسرع وقت إلى حياتها الطبيعية، كيف كان ذلك؟!

بعد أن علمنا بالحادث، صدمنا وذهلنا وأسرعنا للمستشفى نطمئن على صحته، مكث عدة أيام في غرفة العناية المركزة، ثم خرج منها وبقي في المستشفى. في ذلك الوقت الذي كان فيه في العناية المركزة كان الضيق والحزن باديين على زوجة أخي، لم تكن لتهنأ بلقمة ولا تلتذ بنوم حتى انفرجت الغمة وزال الخطر- بحمد الله -.

لم يكن إلا أسبوع آخر حتى صار ما حدث كأنه لم يكن، فعلى الرغم من أن أخي مازال في المستشفى وما زالت بعض أعضائه في الجبيرة إلا أنها لم تبد اهتماما. فعادت إلى سالف عهدها نزهات وتمشيات وترفيه!!

تبقى في بيتها طول الأسبوع من أجل الدراسة، ثم تذهب إلى أهلها في الأجازة "يومي الخميس والجمعة" فتذهب بأبنائها إلى المنتزه الترفيهي، ثم تخرج منه إلى أحد المطاعم العائلية، حيث ضربت موعدًا مع صديقتها وهكذا هي في يومي الإجازة. إما في سوق

تبحث عن الجديد أو في منتزه ترفه عن نفسها وعن الصغار أو عند صديقة أو تحضر حفلاً.
نعم، لم يكن أخي قد خرج من المستشفى بعد وهي تحضر حفل زواج أخت صديقتها"!!

نتعجب حقا من جمود أحاسيسها ماذا يعني لها زوجها؟! لماذا لا تأبه لحاله؟ إنه ممدد على السرير، ساقاه في الجبس وعلى يديه وصدره عصائب ونفسه متعبة وحالته غير مستقرة، وهي سادرة في لهوها وسعة صدرها!!

في أحد الأيام دعتهم إحدى الجارات إلى اجتماع الجيران الدوري. فاعتذرت أمي بشدة، لأنها لا ترى أن الوقت مناسب لمثل هذا "فمروان في المستشفى وأنا قلقة عليه" وبما أن أخي وأهلي في حارة واحدة فقد علمت أمي من الجيران أن علياء حضرت الدورية "فما المانع من الحضور ومروان في المستشفى؟! يعني ماذا سنفعل له إن بقينا في البيت؟!".

ياه .. ما أشد قسوة قلبها!! حين تذهب لأهلها آخر الأسبوع فإنها لا تاتي لزيارته إلا مرة واحدة أو أثنتين تقف عشر دقائق ثم تخرج، تدخل خالية اليدين، صفر المشاعر، تعتذر بأنها لا تجد من يأتي معها، مع أنها لا تترك السوق أو المنتزه بهذه الحجة!!

أعلم جيدًا أنها لو أرادت لفعلت ولكنها من نوع من النساء لا تحب أي شيء يكدر عليها عيشتها أو يقطع لذة متعتها، ظنت أن الأمر لن يطول، فلما طال لم تستطع أن تحبس نفسها في هذا الهم، خاصة أن أخي كان طيبًا معها، بل يدللها ويستجيب لطلبها حتى إنه كان يؤثر حاجتها على حاجته ويترك لها الخيار في كثير من الأمور.

خرج أخي (مروان) من المستشفى بعد أن قطع شوطًا كبيرًا في العلاج الطبيعي وكان المتوقع منها أن تطوي عباءتها (وتكسر رجلها) قليلاً وتبقي في البيت ترعاه وتقوم على خدمته وتعوض ما فاته من حبها وحنانها.

ولكن (أبو طبع ما يغير طبعه) يومان ربما أو ثلاثة وعادت حليمة...

اتصلت به والدتي ذات صباح تسأل عن حاله، فإذا زوجته تغط في نوم عميق وهو لم يفطر بعد فأسرعنا في تجهيز إفطاره وعملت له الحليب وجاءته في البيت، ففتحت لها

الخادمة، لم تشأ والدتي أن تعاتبه على هذه الطيبة الزائدة فالوقت ليس وقت خصام ونزاع ثم هي تعرف ولدها جيدًا سرعان ما يندم، أفطرا جميعًا ثم ساعدته والدتي في تغيير ملابسه وخرجت به إلى الفناء ليرى الشمس ويستمتع بالهواء العليل.

استمرت والدتي زمنًا تحضر فطوره وغداءه وعشائه وحرمه المصون تسأل بكل صفاقة: ماذا ستصنعين له على الغداء؟ وما هو فطوره غدًا؟!

وهي تبقى معه قليلاً ثم تخرج بحجة أنها تكره رائحة (الحلبة) التي تصنعها أمي له وفقًا لنصائح المجربين. على الرغم من أن الغرفة تبخر وتطيب كل يوم ويتجدد فيها الهواء، وملابسه يتم تغييرها مرتين. ونحن نأتي لزيارته ووالله ما شعرنا بها، ثم إنها زوجته ويجب أن تحتمل منه أكثر من هذا.

أخي طيب بلا حدود، وهي تعلم هذا جيدًا، لذا فهي تعلم أن طيبته وضعف شخصيته ستشفعان لها فهو أبدًا لن يؤذيها بطلاق أو زواج مع أنه عتب عليها ولكن سرعان ما يرضى ويصفح، وهي كل يوم تستأذن لزيارة ضرورية أو مرافقة أمها في السوق لحاجة ملحة، وفي يوم الخميس من كل اسبوع لم تفرط مرة واحدة في اجتماع أخواتها، وهي في هذا كله تحتج بأنها لن تفعل له مثل أمه مهما حاولت؛ لذا صار وجودها ثانوياً وتحملت أمي العبء برضا حتى شفي أخي تماما.

كم أرثي لحال أخي لما ابتلاه الله به من هذه الزوجة، وارثي لحالها لما فرطت في أكبر حق عليها من أجل متاع زائل، ويلها إن لم يتداركها الله برحمته.

"أخت زوجك"

ضعيفة في سجن الجفاء؟!

عشت أيامًا حلوة حين كان والدي على قيد الحياة. وبعد موتهما تسربت البهجة من بين يدي، واغتال الألم كل بوادر فرحة تهم باحتوائي.

خرجت من بيت إخواني عروسًا في ثوب فرح يضارع الورد في جمال لونه وعبير رائحته، وعدت إليه كسيرة في أسمال الطلاق البالية، فكان المؤمل أن أجد يدًا حانية تمسح آثار الحزن، وقلبًا كبيرًا يحتوي الألم، ولكن هيهات ما أتمنى!!

لقد عدت إلى البيت الذي فيه درجت ومنه خرجت عبئًا ثقيلا، وهماً مقلقًا، عشت كالخادم، تعلمت أن ألبي الطلبات دون سؤال، أجهز الطعام وأعتني بالأولاد، فهذا ثمن بقائي معهم، إنهم لا يبدون اهتمامًا بي ولا يسألون عن حاجتي، وهل لمطلقة يتيمة الأبوين يكفلها إخوانها حاجة في الدنيا؟! اللهم أرحم ضعفي.

مرت امتحانات هذا العام بسلام، وها هي النتائج يحصدونها امتيازات وتفوقًا، وتعم الفرحة قلوبنا جميعًا، ويختار أبناء أخي هدايا النجاح ويشترون كعكة كبيرة ثم يذهبون عند أخوالهم ويحتفلون بنجاحهم، وأنا لا يذكرني أحد، فما قمت به من تدريس ومراجعة وسهر في ليالي الامتحان واجب علي - كما يظنون - ألست أسكن معهم وأحتاجهم؟ إذن علي أن أقدم قرابين الطاعة والخضوع حتى أكسب صمتهم.

أعيش مع "عبد العزيز" في بيت والدي - يرحمه الله - ولقد تنازل إخواني عن حقهم في البيت مادمت باقية فيه، ولكن أخي ينسى نفسه ويتصرف كما لو كان المالك الوحيد للبيت وأنا ضيفة ثقيلة جدًا فصارت المنّة له!!

ورثت بعض المال عن والدي وجعلته في مشروع صغير، إلا أنه لأسباب كثيرة خسر، وبقيت هكذا تحت وصاية إخواني ينفقون علي، إلى أن اتفقوا على التنازل لي عن راتب والدي التقاعدي، وهو مبلغ قليل إلا أن الله بارك فيه لأنه مال من كسب طيب، فصار تنازلهم بداية لنفض أيديهم مني، ومنّ بالمعروف في، فأنا التي أسدد فواتير الهاتف الآن لأنني أكثرهم استعمالاً له، وأسدد فواتير الكهرباء والماء لأن البيت بين والدي وبقاء أخي فيه مرهون بوجودي فيه، إذ لو لم أكن معه لما بقي في هذا البيت القديم دقيقة واحدة!! ولأنه صار لي دخل خاص فعلي أن أتقاسم مصروف البيت مع أخي مناصفة لشراء اللحم والخضر والفاكهة وغيرها!!

إذن ما الذي يبقى لي من هذا التقاعد؟؟ لا يهم فأنا في نظرهم لا أحتاج شيئًا، ألست أكل وأشرب؟ فليس لي صديقات أدعوهن، ولا أخرج كثيرا للزيارات، إلا إذا كانت زوجة أخي ترغب في الذهاب فأنا تبع لها!!

وهم يحسدونني لأنني لست مطالبة بالتزامات اجتماعية كالهدايا وغيرها مثل زوجاتهم!! لقد نسوا أنهم سلموني راتب والدي بيد ثم بدأوا يسحبونه ريالاً ريالاً باليد الأخرى!! والناس يشكرون إخواني على حسن صنيعهم وهم لا يعلمون شيئًا.

في الإجازة أشعر بوخز الألم يزداد، وأحن كثيرًا إلى تلك الأيام الجميلة التي عشتها في ظل والدي ولكني أعلم أنها لن تعود إلا في جنات النعيم برحمة الله وفضله إذا صبرت على هذا الابتلاء وأحسنت إلى أخواني دون انتظار المقابل، في الإجازة انتقل من بيت إلى بيت، ما أن يستقر بي المقام في بيت أحدهم حتى يكونوا قد عزموا على السفر فأذهب إلى الآخر وهكذا حقيبتي معدة للترحال حتى تنتهي الإجازة ولكني لا أسافر معهم، لأني أقيد حريتهم وأضايقهم أيضًا.

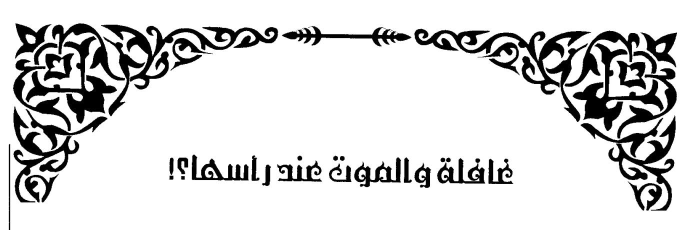
أشعر أن إخواني يذلونني بحاجتي إليهم، أتساءل: أين مكانتي في قلوب إخواني؟ وماذا أعني لهم؟ هل سيفتقدونني إن مت مثلاً؟ وهل هم يفرحون لو تزوجت لفرحي أو يفرحون لفراقي؟ أليس لي مكان صغير في قلوبهم؟!!

لا أتذكر أن أحدًا منهم قدم لي هدية في أي مناسبة مع أنهم لا ينسون زوجاتهم أو أبناءهم في العيد أو يشكرني على عمل قمت به، أو يبين لي مكانتي عنده، أو حتى سألني عما في نفسي من رؤى وأماني!!

من أنا؟ وماذا أعني لهم؟ أنا "كومبارس" صغير أؤدي دورًا هامشيًا في فيلم ضخم وقبض ثمنه ورحل أو توارى عن الانظار ينتظر دور آخر لا يقل مستوى عن سابقة، إنني واحدة من هذه الجموع الغفيرة التي تعمل ولكن لا أحد يلتفت إلى عملها، لا أحد يعيرها اهتماماً، هذا ما قدره الله علي، فالحمد لله على كل حال.

"أختكم"

عن حارثة بن وهب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف، متضعف، لو اقسم على الله لأبره**.." متفق عليه.



غافلة والموت عند رأسها؟!

متى يصحو النائم إن لم يوقظه صوت أجراس الموت تقرع فوق رأسه؟! ومتى ينتبه الغافل إن لم تنبهه حوادث السنين تتتابع عليه؟!

ما بال هذا المسكينة تسدر في غيها وتغوص في لهوها لا توقظها لحظة عجز احتاجت فيها إلى من تشكو إليه ضعفها أو تمد إليه يدها فلم يكن سوى الله سبحانه تعلق به أسباب الرجاء ويمدها بأسباب البقاء.. وهي مع ذلك بعيدة عنه!

ابنة خالتي هذه في ريعان شبابها طرحتها الهموم وقهرها المرض وهي مع ذلك متعلقة بالحياة بكل ما تملك من قوة، غرها طول الأمل فما زالت تخطط وتبني وكأنها تعيش أبدًا، الموت قاب قوسين أو أدنى منها- بأمر الله- وهي تعب من مباهج الحياة وشهواتها دون ان تقف هنيهة لتراجع حساباتها وتسترجع ماضيها وتفكر في حاضرها!!

"ماذا عملت؟ وماذا قدمت بين يدي الموت؟ وماذا أعدت للقاء الله؟".

ترى هل جعلها المرض تعيد ترتيب أولوياتها وتبرمج اهتماماتها؟ تنظر إلى صلاتها مثلا وتحاول تحسينها كما تهتم بتحسين هندامها وتزويقه؟ هل أقبلت على القرآن تتلوه بتدبر وخشوع بعد أن كانت تقبل على المجلات والكتب الرخيصة تطالعها بنهم وتقرؤها بشغف؟

إن مرضها مع شدة وطأته لم يكن قادرًا على إيقاظها من سباتها قالت لي: "يجب أن أقهر المرض، وأن أشعر بلذة الحياة، حتى لا ينال من صمودي وقوتي، أريد أن أتمتع بالحياة حتى آخر لحظة لي فيها "كلام جميل، لكنه مجرد من نظرة شرعية تحيل هذا المرض إلى حقيقته والتي هي ابتلاء من الله وتمحيص للعبد ليعلم الله - وهو العليم - الصابر من

عباده والشاكر الذي يثق بعاجل فرجه فلا تزيده الآلام إلا تعلقًا بالله وصدق لجوء إليه وتضرع وانكسار بين يديه فيبتهل إليه ابتهال الذليل يسأله العفو والعافية في الدنيا والآخرة، فالله يمتحن العباد ليرى مدى صدقهم وثباتهم.

إن لتربية ابنة خالتي ودراستها في الخارج وكذا مجموعة الصديقات اللاتي يحطنها دورًا كبيرًا في موقفها ذلك.

في إحدى زياراتي لها في المستشفى حملت عددًا من الكتب والأشرطة النافعة لعلها في لحظة ضجر تسمعها أو تقلب صفحاتها ومكثت عندها غير قليل مذكرة لها أن المؤمن أمره كله خير، فلما هممت بالانصراف إذا بصديقاتها يحضرن لزيارتها أشكالهن تنبيء عن أفكارهن- والعلم عند الله- تحمل إحداهن في يدها مجموعة من المجلات العقيمة وإحدى الروايات العفنة، سلمت بحرارة وهي تقول: "بحثت في المكتبات حتى وجدت الرواية التي طلبت، اقرئيها فهي ستنسيك الألم" ما علمت- هداها الله- أنها تزيد الألم والإثم أيضًا.

كم أرثي لحال ابن خالتي وأنا أراها على فراش المرض وإن شئت قل "فراش الموت" وهي تقلب بعينين ذابلتين صفحات مجلة أزياء يقولون لها إنها "توسع صدرها"وهي في الحقيقة تزيدها ضيقًا وضنكًا!!

يا حسرتي على تلك الكتب والأشرطة التي أمددتها بها ما زالت في الكيس مقصاة في أسفل الغرفة إنها- كما ترى- تجلب لها الهم والضيق لأنها تذكرها بالموت!! نعم الموت هذا هو الشيء الذي تحاول الهروب منه ونسيانه، إنها لا تريد أن تتصور حدوثه، إنه يسبب لها الرعب ويضاعف من معاناتها ويذكرها بزوال هذه اللذة "الفانية" في ساعة قصيرة!!

عزيزتي: إن الموت حق فكم من صحيح مات من غير علة وكم من مريض عاش دهرًا طويلاً، إن تذكر الموت في كل حين يهون الحياة ويدفعنا إلى احتقارها وكشف خبيئها، فتصبح كأنما هي لقاء مضغناها ثم لفظناها لما شعرنا بمرارتها دون أن نكترث لها، بل وجدنا الراحة في التخلص منها.

حين تذكرين الموت - الآن - فإنك ولا شك ستجدين حماساً للعمل الصالح والإكثار من الذكر الطيب مما سيكون له أعظم الأثر في امتلاء نفسك راحة وطمأنينة وثقة بالله فما الذي يدريك أن الله اختار لك هذا المرض لتزدادي قربًا منه وأنساً به فيزداد منك قربًا ويغفر لك ذنوبك ويطهرك؟ فتلقينه كيوم ولدتك أمك!

أيتها الحبيبة: كلنا محتاج إلى العمل الصالح، فالأجل علمه عند الله وأنا أحوج إلى هذا الكلام منك ولكنني أذكرك به فالذكرى تنفع المؤمنين.

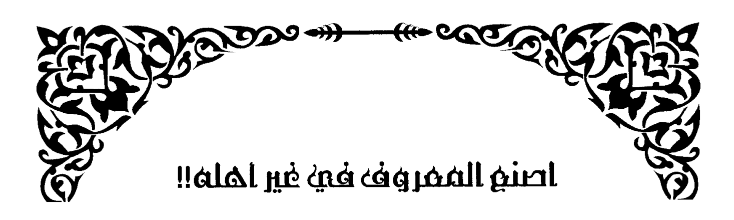
لقد آلمني ذات يوم دخول الأطباء عليك وأنت ممددة على السرير سافرة عن وجهك وذراعيك وحاسرة عن رأسك!! لماذا؟! ألا إنهم أطباء؟ إنهم لم يكونوا في حاجة إلى هذا، كانوا فقط يطلعون على التقرير ويسألونك بعض الأسئلة.

هذا الشريط الذي تدسينه تحت وسادتك تقولين إنه موسيقى هادئة تبث في نفسك الراحة وتستدعي النوم حين يصيبك الأرق!! لقد خُدعت بمعسول كلامهم وتأثرت بسمومهم التي يبثونها في ثنايا كتاباتهم التي عكفت على قراءتها ليلا ونهارًا.

حبيبتي.. بإمكانك أن تجعلي هذه الأيام مليئة بالتفاؤل والعادة، فقراءتك لهذه الكتب وسماعك لهذه الأشرطة النافعة لا ينافي أبدًا حبك للحياة وتمتعك بها، بل إنها تزيدك معرفة بالله وقربًا منه وحبًا للقائه فينعكس هذا كله في ثنايا روحك فتشعرين بالسعادة لأنك ستدركين أن هذا المرض فيه تكفير للذنوب وتطهير للنفس من أدرانها - إن قابلناه بالصبر والشكر - فتتفاءلين لأنه إن كتب الله لك الحياة فستكونين قد عرفت حقيقتها وحقارتها، وإن كانت الأخرى فهنيئا لك نجاح في هذا الإبتلاء وصبرك عليه، رفع الله درجتك في عليين وأنزلك منازل الشهداء.

"ابنة خالتك"

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٥٧)



اصنع المعروف في غير أهله!!

كنت طيبة القلب حسنة الظن بالأخرين، وخاصة أخوات زوجي اللاتي أجدن استغلال هذه الصفة والانتفاع بها في مصلحتهن سنوات ليست قليلة حتى أبدت الأيام حقيقتهن وكشفت عن سوء مقصدهن.

كنت أظن أني محظية عندهن ومحط ثقتهن والرفيقة المفضلة لهن دائمًا، وذلك أنهن لا يذهبن ولا يخرجن إلا وقدمي تسبق أقدامهن، تتصل بي "خديجة" لتسألني عن مناسبة هذا اليوم لزيارة ابنة خالها مثلاً، فإن أبديت الموافقة وإلا بادرت بتأجيل الموعد حسب الوقت الذي أحدده والذي يناسبني، ثم قامت - مشكورة - بالاتصال بأخواتها لإشعارهن بالموعد الجديد وتؤكد عليهن عدم الارتباط بمواعيد أخرى فهذه الفرصة قد لا تتكرر.

إذا اجتمعن يوم الخميس وكنت موجودة لم أذهب إلى أهلي أو إلى أي مكان أبدين فرحهن بذلك، وبأن يعددن مزايا اجتماعنا سوياً ثم اقترحن الاستفادة من هذا الاجتماع بالذهاب إلى الحديقة أو مدينة الألعاب، وطبعًا علي أن أتكفل بإقتناع زوجي ليأخذنا جميعًا في السيارة الكبيرة فهو صعب نوعاً ما ولكني أعرف كيف السبيل إلى انتزاع موافقته.

إنهن يحدثنني عن المعرض الجديد الذي تم افتتاحه في هذا الأسبوع، وعن بضائعه الراقية وتميزها عن غيرها، أو عن التخفيضات الكبيرة في محل آخر أو عن أحد المهرجانات والعروض المغرية التي يقدمها أحد الأسواق، بطريقة تثير الفضول وتسيل اللعاب،

ويوعزن لي أن أطلب من زوجي أن يأخذنا جميعاً إلى واحدة منها مادمنا سنجتمع في آخر الأسبوع، فأقوم بالمهمة على أكمل وجه!!

كم من مرة اعتذرت عن حضور مناسبة لأي ظرف فيبادرن إلى تذليل الصعوبات أمامي مثلا يحضرن لي بطاقة إن كان هذا هو المانع، أو يأخذن أطفالي عند أبنائهن ليطمئن قلبي عليهم، أو يقدمن خدماتهن المختلفة، المهم ألا أتخلف عن الحضور حتى إنني حضرت أحد الأفراح وأنا منقبة نزولا عند رغبتهن.

كنت أغبط نفسي على هذا الاهتمام الذي ألقاه منهن، وأعزو هذه العلاقة إلى طيب نفوسهن وصفاء معدنهن، فأقابل حسن معاملتهن بالمثل، وأوثرهن بالنزهات العائلية، بل إنني أحيانا أجدول بعض "المشاوير" لتناسبهن، وكنا نمر عليهن في بيوتهن لنأخذهن معنا.

كان هذا الشيء يسعدني فترابطنا وتآلفنا مكسب لنا جميعًا.

كنت أظن أن هذا كله لمكانتي عندهن ولكنه الحقيقة كانت مرة، فكل هذا الاحتفاء لم يكن لولا المصلحة التي كانوا يجنونها من ورائي، لقد استغنين عني وعن مرافقتي، كبر ابن "خديجة" واشترى له والده سيارة، فلم يعد لمشاركتي لهن في الزيارات والنزهات أي معنى، فلسن في حاجة إلى سيارة أخيهن!! فلماذا يشققن أنفسهن بي؟!!

الآن صرن يذهبن إلى حيث يردن دون أن يخبرنني أو حتى يهمهن أمري، علمت أو لم أعلم، اعتاد الأقارب أن يرونا دائمًا مع بعضنا في تأدية الواجبات الاجتماعية، نزور قريبة أو نهنئ والدة بولدها، واليوم أجد نفسي محرجة في الرد على استفسارات الآخرين "أنك لم تحضري مع البنات؟" ماذا أقول ؟ وبماذا أجيب؟!

لقد تطور بهن الأمر إلى قيام دورية نصف شهرية بينهن حيث يقوم "علي" ابن "خديجة" بالمرور على خالاته والذهاب بهن إلى صاحبة الدورية، ولم يعدن يحدثنني عن الأسواق والتخفيضات، ولا يحرصن على حضوري الأفراح والمناسبات، إن حضرت فبها ونعمت، وإن لم أحضر لم يسألن عني.

إنني أتساءل: ترى ماذا يقلن للناس الذين يسألون عني؟؟

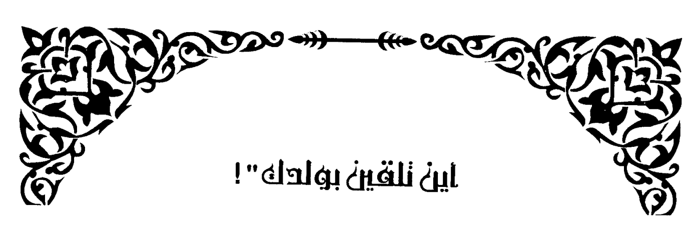
لقد صرنا لا نرى بعضنا إلى لمامًا وفي المناسبات، وبينما كن في السابق يأتين لزيارة أمهن كل أسبوع أصبح "علي" يأتي لأخذها كل أسبوع لتحضر اجتماعهن!!

لماذا كل هذا الجفاء؟ هل كنتن تعتقدن أن هذا الشيء يرضيني؟ أنا التي لا أتذكر أني في يوم من الأيام قد أسأت إلى واحدة منكن، كم من المرات حضرت معكن اجتماعاتكن العائلية مع بنات خالكن إرضاء لكن، مع ما أجد من الحرج فيها فأنا الغريبة بينكن، فكنتن تلطفن المجلس بإشراكي بالحديث، وجعلي محط اهتمامكن، هل كنتن تفعلن ذلك رغمًا عنكن؟ مجاملة أو مدارة مثلا، لأن الحاجة إلى أخيكن تدفعكن لذلك؟ أيعقل أن هناك أناسًا يستطيعون التلون والتشكل بهذه السرعة؟ كم كنت ساذجة كالقطة المغمضة عينيها، وكم بدين شرسات حين حانت لهن الفرصة، لم يقلبن ظهر المجن شيئًا فشيئًا، بل مرة وحدة بلاحياء ولا خجل، يا له من زمن ليس فيه للمعروف مكان محفوظ!!

حين شكوت إلى زوجي هذا الحال قال بكل برود: أنا أعرف منك بأخواتي، إنهن صديقات لمصلحتهن فقط ولا يعرفن غيرها، وكنت دائمًا انتظر هذه اللحظة لتتكشف لك الحقيقة.

طبعًا أنا لا أستطيع أن أغير من طباعي، لكنني تعلمت درسًا مفيدًا !! أني صنعت المعروف في غير أهله.

"زوجة أخيكن"



أين تلقين بولدك"!

كم أعجز عن وصف رد الفعل البارد لأختي حين أبلغتها عن بعض التصرفات السلبية لابنها "عاصم" قالت" "ثقتي في ابني فوق كل تصور، ماذا تريدين مني أن أفعل؟ أن أقف له كشرطي المرور لأسجل له مخالفاته، دعيه يتحرك بحرية، فأنا ووالده فخوران به"!!

هل أعتب على نفسي أن حذرت أختي من عاقبة الأمر؟! أم أعتب على أختي لتميعها في الرد؟! كلا، بل يجب أن أناقش معها أسلوبها في تربية أبنائها، وأبين لها خطأ توجهها في هذا الطريق، التربية الحديثة المفرطة في الثقة، المتمادية في جعل كل الأمور تبدو طبيعية ما دام معظم الشباب في سن أبنائنا يفعلونها دون وزنها بميزان الشرع الحكيم وتطبيقها على قاعدة الأخلاق الإسلامية!!

"عاصم" مازال طالبا في الصف الثاني الثانوي، لم يتم عامه السابع عشر بعد، ولم تظهر عليه علامات الرجولة ومع ذلك يتركونه يسافر مع أصدقائه إلى حيث يدرون أو لا يدرون في الداخل أو الخارج ويعطونه من المال ما يكفيه وزيادة، بحجة أنهم يبنون فيه الثقة والاعتمادية في نفسه!!

وحين أراد الاشتراك في الانترنت سمحوا له بذلك بدون أن يتابعوا معه المواقع التي يدخل إليها أو حتى يجلسون معه ليناقشوه ويوجهوه، ومع أن والديه متعلمان لكنهما لم يحاولا الحديث معه حول هذا الموضوع أو ما هي الفوائد المتحصلة من الإنترنت، بل افترضا وجود رقابة ذاتية عنده، وأوكلا إليها مهمة تحصينه وحمايته، إنهما يعلمان تمامًا بحكم اطلاعهما أن المسألة لم تعد مجرد صور فضائحية، بل تجاوز الأمر حدود التشويش على

العقائد والأفكار وزلزلة القناعات الراسخة في النفس ليصبح المرء مسلمًا ويمسي كافرًا والعياذ بالله.

لقد حاولت مناصحة أختي وذكرتها بالقدرة على معرفة الملفات التي يحتفظ بها ابنها والمواقع التي يزورها حتى تطمئن على ابنها لكنها نفضت يديها في وجهي قائلة: "هل تريدين أن أهدم العلاقة التي بيننا، لقد ربيته على أن أعطيه الثقة وألا أكون رقيبة على تصرفاته، وأنا واثقة أنه يستخدمها في حدود المعقول".

حقا نحن قد نثق في أبنائنا ولكننا لا يمكن أن نثق في الشيطان ولا في رفيق السوء ولا في النفس الإمارة بالسوء وهي تتنازعه في كل حين، خاصة في هذا العصر المعلوماتي الذي أصبحت فيه أبواب الفتن مفتوحة على مصراعيها في ظل العولمة والقرية الكونية "دعيه يسافر ما دام صغيرًا ويتعود على أجواء الحرية نوعًا ما حتى عندما يكبر لا ينفلت" هذه هي القاعدة التي تنطلق منها في تربيته، إن كثرت القيود!! تدعوه إلى التمرد وتحطيمها، لقد جهلت أن هذه القيود هي حدود الشرع المطهر التي جاء بحفظها ومعاقبة من يتجاوزها!!

هل تصدقون أن شابًا في مثل سنه يأتي متأخرًا في ساعات الليل الأخيرة في الإجازة ولا يسأله أهله أين كنت؟ ومع من تسهر؟ وعلى أي شيء يسهر؟ ولماذا؟ لأنهم يحترمون مشاعره وخصوصياته؟! ويخافون عليه أن يتعقد من كثرة السؤال والتحقيق معه عند الدخول والخروج ومن ثم يخسرونه!!

ثم إنهم لم يلاحظوا عليه تغيرًا في شكله أو هيئته أو مشيته مما يدعو إلى الريبة، وهم يعرفون أصدقاءه!! قلت لأختي: "ومن هم أصدقاؤه؟" قالت: "ولد فلان، وولد فلان.."، وماذا تعرفين عنهم أكثر؟!"، "لا شيء، يكفي أنهم أبناء عائلات وأهلهم محافظون"!!

"أبناء عائلات وأهلهم محافظون" الولد يقف أمام المرآة "يتهندم" ويمر صديقه بعد العشاء ويذهبان إلى السوق، هي تعلم ذلك، شاب صغير بكامل "شياكته" يذهب إلى

السوق بعد العشاء لماذا؟ تضحك ملء فيها وتقول إن هذا دليل على النمو الطبيعي للولد؟ كل الشباب هكذا!! فترة وتمر بسلام!!

فلسفتها أنه يجب أن يمنح الحرية ليخطئ ويتعلم من خطئه، وأن فساد الشباب ناتج من أن أهلهم يكتمون حريتهم ويخرسون أصواتهم، ويملون عليهم وتفكيرهم فينفلت زمام الشباب وينجر بسرعة نحو الهاوية!! نعم ولكن ليست هذه هي الحرية التي يجب أن يمنحها، وليست هذه هي الثقة التي يُعطى إياها، إنها كالدواء يؤخذ بوصفه طبية، وبجرعات محددة تناسب سنه وطبيعته ليقع بإذن الله الموقع المحمود وإلا كان وبالاً عليه وسببًا في فساده وانحرافه وهلاكه.

أنا لا أقول ابخلي عليه، بل أعطيه مالاً.. ما دام الله قد وسع عليكما في الرزق ولكن عطاء بحدود وصرف بحدود وفي حدود المألوف، أما أن يكون المال في يده كالرز يبعثره بلا حسيب ولا رقيب فهذه هي الحالقة التي تحلق دينه وأخلاقه إلا أن يعصمه الله سبحانه، مال وشباب وفراغ وسيارة وجواز سفر وثقة عمياء وحرية مهلكة!! ترى إلى أي واد سحيق تلقين بولدك؟!!

شهادة تفوقه - يا أختي - ليست كافية لتجعلك توقنين برجاحة عقله وصلاح قلبه فافهمي ذلك رعاك الله ووفقك للخير.

"أختك"

تسليم القوامة والتنازل عنها!!

كالنخلة الباسقة كنت أنظر إليك، علو في شموخ، وثبات في نماء، لم ترهقني في مراهقتك، ولم تشيبني في شبابك، تزوجت وكانت فرحتي لك لا توصف، وأي أم لا تفرح بزواج أبنها البكر؛ خاصة إن كان في مثل تدينك وخلقك وعقلك، ذلك العقل الراجح الذي لا يوزن بالذهب ولا بالفضة.

كم أفضيت إليك ببعض أسراري، واستشرتك في شيء مما يعرض لي، وكان رأيك حصيفًا، وحلك حكيمًا.

تزوجت باختيارك، أخت صديقك الذي أعجبك خلقه، فأيقنت أنك أحسنت الاختيار وأسلمت أمري إلى الله.

وها هي الشهور والشهور تتعاقب ناسفة في تعاقبها نظرتي إليك وحسن ظني بك وتساءلت مرارًا: ما الذي تغير في "سعيد"؟! هل أضمحلت تلك الحكمة في أفعاله؟ أم صغر عقله عن إدراك أبعاد ما يحدث؟ أم تراه "الحب" أعمى بصيرته؟! يبدو أن هذه مجتمعه تفسر كل ما يحدث الآن.

ولكن ما الذي يحدث الآن؟! إنه أمر مؤسف يدمي الفؤاد ويفتت الكبد، فزوجة ابني "سعيد" لم تكن هي الزوجة التي يتمناها والتي طالما حلمت بها لشخص مثله.

كنت أحلم بزوجة ذات دين، رزينة، تحفظ له ماله وتحفظ عليها دينها وتكون خير عون له، وهو بهذا كان يمني نفسه، ولكنها لم تكن تلك أبدًا.

أين أنت يابني؟! إنني لا أكاد أرى زوجتك في أي مناسبة صغيرة أو كبيرة إلا وقد أظهرت شيئًا من جسدها إما الصدر أو الظهر أو الساقين، أو تتبختر في مشيتها ببنطال ضيق، وهي لا تكاد تغطي كامل ذراعيها إلا في الشتاء!!

هل يعقل أنك لا ترى لباسها قبل أن تخريج من البيت؟ أم أنها تخفيه عنك تحت العباءة؟ ربما أنها ترتديه عند أهلها دون أن تراها؟

عذرتك في كل مرة أراها دون أن تكون معها ولكن حين تجتمعان فلا أجد لك عذرًا.

إنني آسى كثيرًا حين أراها وعباءتها فوق كتفيها والمخجل أنك أنت الذي أوصلتها بالسيارة، لماذا يا بني؟! ما الذي يشغلك عن النظر في شؤون بيتك وإصلاح أهلك وتعليمهم أمور دينهم؟ هل سلمت لها القوامة وتنازلت عن دورك؟ أتعجز أن تقول لها بدلي هذه الثياب العارية؟ أو ارفعي عباءتك فوق هامتك؟ هل تخاف منها أم هي التي غلبتك؟!!

أين عقلك؟ أين حكمتك؟ أين فطنتك؟!

لا أظن عاقلاً يرضى أن يترك نساءه في قصر للأفراح حتى ساعات الصباح الأولى بحجة أن الزواج لم يبدأ إلا متأخرًا أو لأنه زواج شخص قريب، فمن العيب أن يخرجوا قبل الضيوف!!

وأين تختفي الحكمة حين يكون الخروج من البيت هو الأساس؟! قل لي بالله عليك كم يومًا تمكث زوجتك في البيت أربعًا وعشرين ساعة؟!

الصباح في عملها وبعد العصر يبدأ مسلسل الزيارات، الملاهي، الأسواق، بل حتى المطاعم!! ليس لك هم إلا تلبية طلباتها والركض خلف شهواتها تضييع للأوقات دون ذكر الله، وتبديد للأموال، واختلاط من أجل لقمة طعام تباهي بها أمام صديقاتها!!

اينك يا بني؟!! لم أعدَّك أبدًا لمثل هذا.

لا تقل لي إن هذا الأمر في بداية الحياة وغدًا سوف أعلمها أو تتعلم، فالعود كما يقولون "من أول ركزة" وما أرى الأيام تزيدها في غيها إلا تماديًا. هي حقًا طيبة ولا تضمر شرًا لأحد، وتقوم بخدمتك جيدًا ولكن هذا يجب ألا ينسيك حق الله فيها فيجب أن تحافظ عليها وتصونها ولا تفرط في مسئوليتك وتترك لها الحبل على الغارب، فالمرأة ناقصة عقل ودين، فافهم هداك الله، أنا لا أقول ضيق عليها الخناق أو امنعها من الخروج أو صمم لها ملابسها ولكني أسألك فقط أن تناصحها وتوجهها كما كنت توجه أخواتك قبلها حتى استقمن وعرفن الطريق الصحيح.

وحين ترى منها تمردًا واعوجاجاً وأنا أربأ بها عن ذلك فلك أن تقومها بما شرع لك.

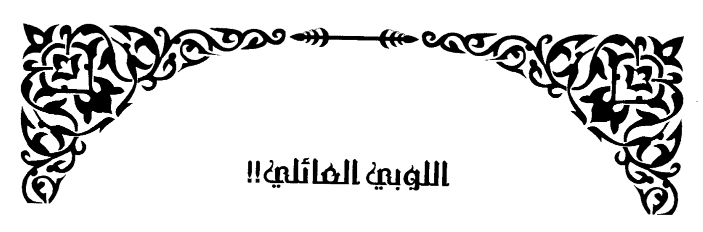
أي بني!! حين تقرأ هذا الكلام فثق أنه لولا الله سبحانه ثم تشجيعك لي بدخول دار التحفيظ بعد وفاة والدك لما استطعت أن أفهم من أمور ديني شيئًا فقد كنت في جهل وعماية فأصبحت في نور وهداية.

فليتك تأخذ بيد زوجتك وتدلها على طريق النور الذي أرشدتني إليه لعلها تتعلم في دار التحفيظ ما عجزت عن إيصاله لها.

وإلا فإنك تهبط درجات السلم درجة درجة دون أن تدري وحين تكون في أسفله - وأعوذ بالله من تغيّر الحال - سترى أن الصعود مرة أخرى سيكون صعبًا لذا ستؤثر الدنيا على الآخرة وستضيع نفسك ومن تعول فارجع البصر وأمعن النظر فيما حولك لعل الله يرزقك أسباب الهداية والثبات.

"والدتك"

قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (البقرة: ٤٥)



اللوبي العائلي!!

أخت زوجي هي زوجة أخي في الوقت ذاته، خطبتها له لما ظهر عليها من إمارات معينة كان يبحث عنها في شريكة عمره، وما كنت أظن أن تشكل هي وأمها وأخواتها "لوبيًا عائليًا" يمارس ضغطه في كل حين ليجعل من حياتي صورة منسوخة من حياتها، أفعل ما تفعل وامتنع عما تمتنع، بل أحب وأكره مثلها فإن كان زوجها الذي هو أخي يفعل معها شيئًا لا تحبه، يجب أن يفعل زوجي معي نفس الشيء.. لماذا؟ إن أخاها يفعل ذلك هكذا تقول أمها!!

وكأنها تعني أن نرد الصاع صاعين، أن نريه قوتنا في أخته!!

لكل إنسان سياسته التي بناها على قناعات ذاتية أو على خلفيات اجتماعية، فلما كان أخي يرفض رفضًا قاطعًا حضور زوجته للحفلات التي تقام في الاستراحات ولما أعيتها الحيل معه بدأت تعيب علينا هذا الأمر، ولما كانت زيارة ابنة عمها في استراحة قالت أم زوجي لابنها في حضوري "بصراحة حفصة المفروض ألا تذهب للزيارة لأن أخاها يوسف رفض أن تذهب أختك، واحدة بواحدة".

إنهم لا يتوانون عن شن حملة ضدي ومقارنة كل صغيرة وكبيرة في حياتنا ببعض، وكأننا بذرة انقسمت قسمين، قالت لي إحدى البنات ذات مرة "أنت تذهبين لأهلك مرتين في الأسبوع وأخوك يشدد على أختي فلا تأتي إلا مرة واحدة".

حتى نزولي إلى الأسواق يحاسبنني عليه، فإذا كان أخي قد أخذ زوجته إلى السوق واشتري لها حاجتها مرت أموري طبيعية، أما إن كان قد رفض فإن هذا فعلا سينسحب

علي وسأسمع عبارات اللوم والتجريح لموقف أخي وعبارات التأليب لزوجي ليقف موقفه "فأبنتهم التي هي أنا ليست أحسن حالا من ابنتنا".

لقد حاولت "جماعة الضغط" بكل جهدها أن تضغط على زوجي ليجعلني أترك الوظيفة فضيقت علي، وقامت أم زوجي بطرد الخادمة، وتخلت عن حضانة أبنائي وبدأت تمارس تعسفها في حقي، أخرج من عملي وأمر أبنائي عند أهلي وأعود على البيت وأجهز الغداء، ويعلم الله كم كانت تلك الفترة عصيبة لكنني تحملت، كل هذا لأن لأخي رفض عمل زوجته وألزمها القرار في البيت.

إنهم بحكم هذا النسب صاروا يطلعون على خبايا أهلي، ويحاسبونني على كل شاردة، إن أشتري أخي لأمي شيئًا طالبوا زوجي بمثله فإن أبى كنت محل همزهم ولمزهم، هم يعلمون تمام العلم أني لا أرد زوجي عن خدمة أهله لكنني لم أعتد أن أفرض عليه شيئًا وهو يفهمهم جيدًا ولا يقصر فيما دعت إليه الحاجة وظهرت أهميته.

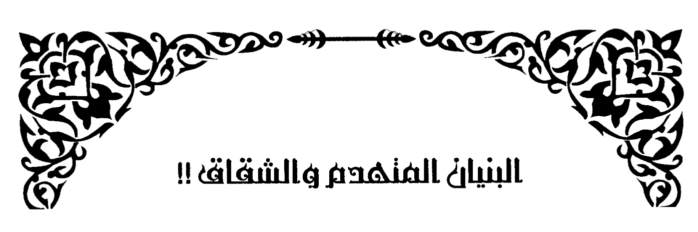
إن حالي مع أهل زوجي تذكرني بحملة الانتخابات في بلاد الغرب، حيث يعمد الخصوم إلى نبش الماضي البعيد للعضو المرشح للبحث عن قشة تقصم ظهره وتسقطه من لائحة المرشحين، فما أن يحدث شيء لأختهم حتى أجدهم يذكرون زوجي بمواقف سابقة مثله أو تختلف عنه عفا عليها الزمن ونسيها الناس ومرت بسلام ليثيروه ضدي أو يحرضوه على علم لا يسرني أو يكدروا خاطره ويفسدوا علي حياتي وكأنهم يتلذذون بألمي ويستمتعون بتعاستي.

لقد صرت أضيق ذرعًا بأخته وأكره مجيئها لأنه يعني لي الكثير من المتاعب، فهي تأتي لتعرض صفحة من حياة أهلي، وصفحة من حياتهم مع أخي ثم تبدأ في صب جام غضبها علينا فإن كان هناك خلاف بينهم فهذا يعني أن تعبس في وجهي وألا تسلم علي وأن تأخذ بذكر ما يضايقني مما لا أحب أن يطلع عليه أحد، وهي تعلم أنني لا أفعل الشيء نفسه مع أهلي.

أنا أعلم أن هناك الكثير من المبالغات في كلامها عن أهلي، ثم إنها تخفي الحسنات، وتضخم السيئات، ولا تكاد تذكر أهلي بخير ومع هذا فأنا لا أعاملها بالمثل، ولم أحاول مرة واحدة عقد المقارنات بين حياتي وبين حياتها، ولم أسع للحصول على كل ما تحصل عليه أو تقليدها في شيء، فأنا أعرف موطن سعادتي وأعرف أن هناك فروقًا بين الناس وانه حتى التوائم لا يمكن أن تتشابه في كل شيء.

إنني فقط حزينة لأجل أنني خطبتها لأخي، إنه يستحق امرأة أكثر تعقلاً، وأكثر صمتًا، واقل تذمرًا، فأخي ليس سيئًا، ولكنه منضبط وذو مبادئ، وأنا أيضا مازلت منضبطة وأتحلى بالصبر والحلم فافهمي هداك الله.

"زوجة أخيك"



البنيان المتهدم والشقاق !!

من أين أبدأ حكايتي؟ ليس هناك نقطة واضحة على خط الحياة أستطيع أن أقول إنها نقطة البداية، ولكنها ليست بهذا الحجم، إنها تراكمات سنين كانت كوميض نار تحت الرماد غفل عنه حتى كاد أن يشتعل ويأكل الأخضر واليابس.

كنا كأخوات شقيقات مثل البنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا، وبفعل عوامل تعرية كثيرة بدأت الشقوق والثقوب تنال من تماسك هذا الجدار حتى حولته إلى بنيان متهدم.

باختصار لقد فرقتنا المظاهر وحب الدنيا واللهث وراء الذات، نحن الشقيقات بتنا متشققات، متنازعات لا نتفق على رأي ولا نجتمع على كلمة، كل واحدة تفرض رأيها بالقوة، "كاميليا" تستأثر بحصة الأسد دائمًا في كل شيء خاصة في الغدوات والروحات فحين لا تتسع سيارة أهلي إلا لشخص واحد فإنه بالتأكيد هي، والويل لمن يحاول أن تحجز مكانها فهي الأولى دائمًا لأنها تحب السيادة والظهور أمام الناس بمظهر الشخص المهم الذي يبحث عنه الآخرون ويتسابقون لدعوته.

و"هالة" أنانية كل ما يهمها مصلحة نفسها ومصلحة أبنائها فأينما تجدها فهي تسعى وراءها لا تفكر في أم ولا أخت فضلاً عن غيرها، كم مرة ألغت اجتماعا لنا في الاستراحة لأنها مرتبطة بموعد آخر، أو عند صديقة أو مدعوة لحفلة وهي لا يمكن أن تفرط في واحدة منها ولا يمكن أن تؤجلها بينما نحن جميعًا يمكننا التأجيل والصبر فلم العجلة!!

أما "رقية" فتعيش في عالم آخر بين صويحباتها وصديقاتها في نزهات وزيارات بينهن ينزلن إلى الأسواق معًا أو يجتمعن في مدينة الألعاب أو يخرجن إلى أحد الشاليهات ونحن أهلها وأخواتها في الوقت الضائع تسأل عنا، ساعة من نهار تمر مرور الكرام ثم تغادر، لا

تعلم ما يجري حولها من أحداث من التي ولدت ومن مرض، وماذا حصل في بيت أهلي ذلك اليوم!! حين أحدثها في أمر أجدها لا تعي ملابساته ولا تداعياته تقول ببرود: "قولي لي القصة من البداية أنا ابس عندي خبر".

وأختي "شيماء" غارقة في عالم الموضة، متشربة تعاليمها، كل همها كيف تزيل هذه الحبة من وجهها، وكيف تبيض هذه البقعة من جسدها وما هي أفضل طرق تخسيس الوزن، ثم إنها دائمة اللوم والتقريع لأخواتي لماذا لا يبدين اهتماماً واضحاً بأناقتهن وهي تقيس الناس من حولها حسب مظاهرهم، وحين تدعونا لحفلة في بيتها فإنها مرارًا وتكرارا تؤكد على البعض الاهتمام بهندامهن وتدقق في السؤال عن كماليات صغيرة كالحذاء والحقيبة وغيرهما.. بأسلوب يؤذي الطرف الآخر، مما يدفعهن أحيانًا لترك حضور حفلتها وفي أقل الأحوال تنشغل أذهانهن بهم الإجابة!!

أما "إيناس" فهي قوية الشخصية، نافذة الكلمة، سليطة اللسان مع الأسف الويل لمن يناكفها، إنها في خصام مستمر مع "هالة" لأن مصالحهما كثيرًا ما تتعارض، ومع "كاميليا" لأنها لا ترى أهليتها للسيادة ومع "شيماء" لأنها دائمة الانتقاد لها في طريقة لبسها وفي ذوقها، ومعي لأن أسلوبي في تهذيب أبنائي لا يعجبها!!

وهكذا نحن، لنا مشارب شتى، ومن هنا كان الاختلاف والفرقة تنشأ بيننا بين آن وآخر، يوم كانت البساطة والأريحية تغلف حياتنا كنا متحدين متحابين، تجمعنا الكلمة الوحدة، والهم الواحد، كنا نبحث عن بعضنا ونحرص على اللقاء الأسبوعي في بيت والدي، أما وقد تعددت الهموم وتفرقت الدروب فما عاد لنا مساحة مشتركة نركض فيها ولا وجود قاسم مشترك يجمعنا مما أحدث هذه التصدعات الكبيرة في جدار علاقاتنا.

إن ما يحكم علاقتنا الآن ليس الحب والاحترام والتضحية، بل هو المصالح والمنافع، فكل واحدة تود أن يسير الجميع في اتجاهها وأن يحملوا نفس أفكارها.. ثم يجب أن تنفذ كلمتها حتى ترضى..

اتفقنا ألا ندع والدتي وحدها دائمًا بل يجب أن نتناوب في زيارتها كل يوم واحدة ساعة من نهار أو تزيد حسب المقدرة، انفض الجمع دون أن نتفق فهذه لا يناسبها اليوم وتلك لن تفرط في نومها، والأخرى تثاقلت المسافة، ولم تبد أي واحدة منهن رغبة في تضحية أو قدرة على المساعدة، تفرقنا وفي أنفسنا الكثير مما لم نستطع قوله علانية.

ولما أردنا أن نقدم لوالدتي هدية بعد خروجها من المستشفى معافاة، كانت هناك مائة مكالمة قد جرت قبل أن نقرر ما هو هذا الشيء، وحين قررنا "أخيرًا" مات المشروع في مهده إذ إن "هالة" لا تريد أن تدفع مثل البقية و"كاميليا" أصرت على لون معين أما "إيناس" فلأنها ستقوم بشرائه فقد فرضت شروطها الصارمة!!

هل نحن حقاً أخوات خرجنا من رحم واحدة، هذه هي الحقيقة في الأوراق الرسمية.. ولكن في الواقع لا نبدو كذلك، فهل يظن أحد أن أختاً حين تدعو أخواتها إلى بيتها تقدم لهن الباقي من طعامها احتقارًا لهن لأنهن لسن بمستوى يليق بها، فهذا الكعك صنعته لأبنائها بالأمس ولم يأكلوه وهذه السلطة من باقي الغداء اليوم.. أما حلى القهوة فهو غريب ولكنه قليل لأنه من النوع الفاخر اشترته حين جاءتها صديقتها قبل يومين! إنها أختي "كاميليا" أما "شيماء" فإنها لا تدعونا أبدًا إلى المناسبات التي تأتي فيها صديقاتها وذلك أن مظهرنا لا يرتقي إلى المستوى المطلوب، ثم إنها تخص صديقاتها بمناسبات الأفراح والأحداث السعيدة وتترك أخواتها.

لما طلبت منها عقدها الأسود رفضت بحجة واهية بينما سمعتها تكلم صديقتها تطلب منها أن ترجعه لها لأنها في حاجة له!!

الحال هنا مقلوب، لا شيء يميز الأخت، لا تضحية من أجلها، إنها مجرد شيء اعتادت عليه النفوس فهو لها لازم، ولأن أساس العلاقة هش وضعيف فإن كل أحد استطاع أن يوجهها الوجهة التي يريد، فهذه تسمع من زوجها وتريد أن يسمعه الجميع، وتلك بحكم بناتها تصرفاتها فتزن الآخرين بها وهكذا، إننا لنبقي أخوات متآخيات يجب أن ننبذ خلافاتنا ونمد أيدينا لنصافح في فضاء الإخوة الرحب..

"أختكم"



الرفق بالبنات

(ماجدة وفردوس وفائزة وعلياء وعتاب) خمس زهرات فواحات يعطرن أرجاء بيتنا، رزقنا الله بهن واحدة إثر أخرى فحمدناه على هذه النعمة، فالبنات كالأولاد نعمة من عند الله وعافيتهن وصحتهن نعمة أخرى.

كنت في كل مرة أزف إلى زوجي نبأ حملي أسأله ماذا يتمنى ولدًا أم بنتًا، فكان جوابه لا يتغير أبدًا (ما جاء من الله حياه الله، المهم أن يكون المولود بصحة جيدة).

جاءتنا البنت الثانية بعد ماجدة ثم الثالثة ثم الرابعة وها هي الخامسة تخطو خطواتها الأولى، ووالله ما رأيت في وجهه أثر تكدر أو ضيق، بل كان يستقبل خبر ولادتهن بكل سرور وكان يسأل عني وعن المولودة بكل لهف ويسارع إلى زيارتي في المستشفى ويحمل الصغيرة ويضمها إلى صدره ويسألني عن اسمها ويبحث لها عن أجمل الأسماء، ثم إنه يدللهن، فهذه أميرة، وتلك زمردة، والأخرى زهرة، وهكذا.

إن ناداه أحدهم بأبي محمد قال: (لا، أنا أبو ماجدة، محمد لم يأت بعد إذا جاء كنوني به).

عندما يدخل إلى البيت تتعلق به الصغيرة وتمسكه الأخرى من يده ثم تجلسه في الصالة وتطلب منه أن يرفعها فوق ظهره ويمشي بها كالحصان، وتتعلق فائزة بكتفيه طالبة منه أن يسير بها في البيت فلا يرد لهن طلبًا حتى وإن كان متعبًا أو عائدًا من مكان بعيد فتارة يحمل هذه وتارة يرفع أختها فلا تسمع إلا صوت ضحكاتهن وشغبهن.. تستعجل كل واحدة دورها.

أما بنات المدارس فإن حاجاتهن لا تنتهي، فهن كل يوم يطلبن شيئًا جديدًا، وهو في كل يوم يحضر لهن حاجاتهن لا يكل ولا يمل، وغن كان متعبًا نوعًا ما أو لا يجد رغبة في الخروج من البيت أجل الطلب لوقت لاحق ولكنه سرعان ما يتراجع حين يرى في عيون البنت شيئًا، إنه لا يحتمل حزنهن، حتى إنه ذات يوم كان عائدًا من مناسبة قد دعي لها في ساعة متأخرة من الليل فوجد ماجدة قد كتبت له ورقة بحاجتها إلى لوح فلين وبعض الألوان لمادة التربية الفنية، فركب سيارته واتجه إلى المكتبة، فلما وجدها مغلقة عاد إلى البيت وسألني أي درس مادة التربية الفنية؟! فقلت له إنه الدرس الخامس فأمرني أن أتصل به الساعة التاسعة لأذكره في العمل بهذا الغرض وحقا اشتراه وذهب به إلى مدرستها في نفس اليوم.

لم أسمعه ذات يوم يتأفف من رزقهن وكسوتهن بل أراه دائمًا يشتري لهن ملابس جميلة وحين أطلب منه إكمالها ببعض الحلي والإكسسوار يبادر فورًا إلى الدفع فهو يرى أن سعادتهن هي مطلبه الحقيقي.

وإذا ذهبن معه إلى السوق قامت كل واحدة باختيار نوع من الجبن مثلا أو الحلوى أو العصير يختلف عن الأخرى فتراه يشترى لكل واحدة منهن ما تختار، لا ينهرهن أو يفرض عليهن شيئًا.

وهو مع هذا الدلال كله لا يحب التفريط أو التقصير، فحرصه على سترهن مقدم على كل شيء فحين يخرجن معه إلى مكان عام فإنهن يخرجن متسربلات إما بحجابهن أو لباس ساتر طويل.

إن النقاش مع الأبناء وأخذ رأيهم في بعض الأمور مما يعزز الثقة بأنفسهم، لذا فإن (أبا ماجدة) يحب أن يحاور بناته ويسألهن رأيهن، بل ويعمل به أحيانًا يعطيهن الحرية في اختيار وجهة السفر مثلاً أو المكان الذي نستجم فيه أو الركن الذي نضع فيه باقة الورد، مما

جعل من ماجدة محاورة ممتازة تحاول دائمًا الدخول مع والدها في نقاشات هادفة وأسئلة بناءة.

إن الرفق مع الأبناء مطلوب ولكنه مع البنات بالذات أمر واجب وضروري، لذا فإنه يعاتبني كثيرًا إن رآني أعنفهن في أمر ما أو أقسو عليهن لمصلحتهن شأن معظم الأمهات مما يجعلني أندم كثيرًا على فعلتي وأتمنى حقاً أن أكون مثله.

إنني أحمد الله كثيرًا إن رزقني بهذا الزوج الصالح المتفهم لسنة الله في خلقه ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ (الشورى: ٤٩). بل إنه حقا يحب البنات ويفرح بهن لأنهن حجاب من النار، ولأنهن أكثر رحمة وعطفاً من الأولاد.

أسأل الله تعالى أن يهب لنا ذرية طيبة وأن يرزقنا الرزق الحسن إنه سميع مجيب الدعاء.

"زوجتك"



ذات الوجهين

وقفت أمام المرآة، أكملت زينتها، تأكدت من أناقتها "البدلة رائعة، ما رأيك فيها؟..

"هذا الذي تفعلينه حرام" قلت لها ذلك وهي تهم بارتداء تنورة واسعة فوق البنطلون حتى لا يفطن زوجها إليها، فهو الآن في الخارج ينتظرها ليأخذها إلى تلك المناسبة.

مسكين الرجل الصالح حي يبتلى بواحدة من أمثال أختي "مشيرة"، هو يأمرها بالمعروف وينهاها عن المنكر ويوجهها لفعل الخير وهي كمن يعطي الخير فيقول لا أجد له إناء، تعرض عنه وتستهزئ به، حين تكون في بيتها، فإنها لا تركب السيارة معه في نفس الوقت، بل تتأخر قليلاً حتى تتمكن من لبس ما تريد مما يمنعها منه، ثم تلبس العباءة فوقه، ثم تخرج وكأنها حمل وديع ليوصلها إلى المكان الذي دعيت إليه بشكل لا يرضيه.

أما إن كانت عند أهلي وستذهب معهم فتعال وانظر لن تقول أبدًا إن هذه زوجة رجل صالح، فعباءتها زينة، وبنطالها ضيق، وفستانها عار أو شفاف، الناس يلومونه وهو غافل عن ذلك، فهي مع الأسف كالحرباء تتلون باللون الذي يناسب المقام، فهي ترضيه حين يراها حتى تكسب وده وجيبه أيضا، وتخالفه حين لا يراها لأنها لا تحب أبدًا أن توصم بالمعقدة أو "المطوعة"!!

يا لها من مطيعة، لقد قالت لنا مرارًا إنه "يحلف عليها" ألا تلبس البنطال أو العاري أو العباءة المتبرجة، وهو يقصد حين لا يكون حاضرًا، ومع ذلك تنفذ حين يراها وتخالف حين يغيب!!

فصديقات السوء من الزميلات والقريبات يحطنها بنصحهن الدامي ويرشدنها إلى طريق الضلال وعصيان الزوج، حذرتها مرارًا من عاقبة ذلك، ذكرتها أن هذا الإثم

عظيم، هددتها بأن يصل الأمر إلى زوجها ولكنها لا تبالي، تعلم تماماً أنني لن أسعى في خراب بيتها، فهي أختي الأكبر مني وزوجها غنيمة.. خسارة فقدها.

إنها تستغفله، لها في بيتها عباءة الصالحات تلبسها على الرأس وليس لها أكمام، وعند أهلي لها عباءة أخرى تساير الموضة وتنبذ الحجاب، وإذا أوصلها لبيت أهلي حتى تذهب معهم غيرت وبدلت وخرجت بشكل ثان "فزوجها معقد لا يمكن أن يفهم متطلبات العصر"!!

اجتمعنا ذات مرة في مدينة الألعاب، تعجبت زوجة أخي منها، هي وبناتها يرتدين بناطيل ضيقة قالت لها: "ألا يراكم زوجك؟" قالت: "هو أصلاً لا يعلم أين نحن، قلت له سنذهب إلى عمي للسلام عليه، ثم سنجتمع عند إحدى أخواتي، لقد حضرنا مع السائق".

هي لا تشعر أبدًا بالامتعاض أو الحرج حين ترى علامات التعجب بادية على من يعرفها ويعرف زوجها، بل تشعر بالفخر والاعتزاز، فهي ترى أنها بهذا الفعل تثبت قوة شخصيتها وجرأتها وتحضرها في وجه تخلف زوجها ورجعيته، إنها ظالمة تعيش في كنف رجل يخاف الله فيها ويؤدي لها حقوقها، ويحسن الظن فيها وهي تهضمه حقه وتغشه وتؤلب رعيته ضده وتخادعه وهذه أسوؤها!

لم يكن زوجها في بداية حياتهما مستقيماً ولكن الله من عليه بالهداية والاستقامة فيما بعد، كرهت هذا في البداية لأنها ظنت أن التزامه سيحرمها الكثير من المتع، وهو جاهد معها كثيرًا ليصلح حالها، فحدثت مصادمات ومشاحنات، كان يدللها، يرخي لها الحبل، يجيب طلباتها، ولكن بالمقابل يريد منها أن تكون امرأة صالحة، تلتزم بحجابها الشرعي، تحافظ على الصلاة، تترك أماكن اللهو والعبث، وهي تريده يدًا سخية وعبدًا مطيعًا دون أن تبذل له شيئا يحبه.

لقد أرشدتها قرينات السوء إلى هذه الطريقة لتكسب رضاه وترضي نفسها، فهي أمامه كما يحب لباسًا وحجابًا ومن خلفه كما تحب هي، تشتري مجلات السوء وتخبئها في

خزاناتها، تستعير من صديقاتها أشرطة الغناء والأفلام العربية والأجنبية وتحفظها بعيدًا عن عينيه وإذا غاب سهرت معها حتى الفجر، تركب معه وعباءتها على رأسها وتركب مع السائق بعباءة على الكتف مزخرفة وطرحة خفيفة.

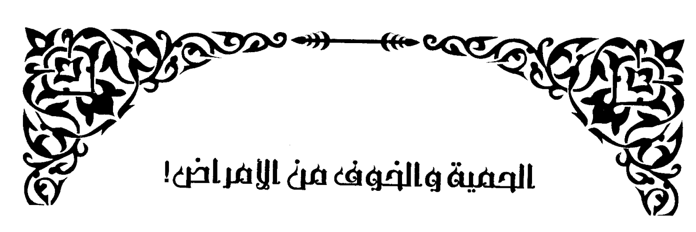
لله در الصالحة مبتلاة برجل فاسد يفسد عليها دينها أين هي لتخبر أختي عن النعمة التي هي فيها لعلها تحافظ عليها وتشعر بأهميتها.

وأين الرجال الصالحون تفقدوا زوجاتكم اللاتي جاهدتموهن كثيرًا وأرهقنكم لربما هدوء العاصفة فجأة يعني شيئا كهذا، أحفظوا سعتكم وأعلو دينكم بفطنتكم ورعايتكم لأهلكم ولا تأخذكم شئون الدعوة ومجالسة الأخوان عن بيوتكم كثيرًا، أما أنت يا أختي فسيأتي اليوم الذي تأكلين أصابعك فيه ندمًا لقد خرجت بفعلك هذا عن دائرة الصالحات، وحرمت نفسك الخير الكثير، ليست السعادة أن أعيش كما أحب ولكن أن أرضي الله وأطيع زوجي في غير معصية هي قمة السعادة.

فأفهمي ذلك وتوبي إلى الله لعل الله يتوب عليك.

أختك

قال تعالى: ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً ﴾ (النساء: من الآية٣٤)



الحمية والخوف من الأمراض!

إن برامج التوعية الصحية والغذائية التي تمتلئ. بها الجرائد والمحطات تشكل لي هاجسًا مقلقًا لأنها تزيد من توتر زوجي، وتزيد من وساوسه.

فكل يوم ينضم صنف من الأطعمة أو نوع من المعلبات إلى قائمة المحرمات عنده، لقد بت أكره الجرائد وأكره هؤلاء الذين يتحدثون فيها، لأنه يأخذ حديثهم بأنه مسلمات لا تقبل النقاش وحقائق لا يمكن رفضها.

أضع الغداء على السفرة وقبل أن تمتد أيدينا له يسأل عن كل صنف "طبق الخضار هذا مقلي وهذا يعني زيادة المادة الدهنية مما يعني احتمال الإصابة بالكولسترول وانسداد الشرايين لزيادة الضغط على القلب.. أبعديه جانبًا، وهذه الذرة في طبق السلطة معلبة يعني أنها تحوي مواد حافظة ومثبتات، وأنت تعلمين خطورة هذه المواد أخرجيها من السلطة بالمعلقة ثم وزعي باقي السلطة إن أردتم كلها أما أنا فلا أرغب في ذلك".

إذا كتبت له ورقة بلوازم البيت فإنه لا يحضر منها إلا ربعها أحيانًا يكتفي فقط بالخضار والفواكه الطازجة وبعض اللحوم، اطلب مثلاً أناناسًا مقطعًا ومحفوظًا فهو سهل الاستعمال ويدخل ضمن أطباق كثيرة فيحضر لي أناناسًا طازجًا، وماذا افعل به، إنه لا يفيدني مثل ذلك المعلب، وإذا ذهبت معه إلى مركز التسوق فإنه يبادر إلى قراءة محتويات كل علبة آخذها ويدقق النظر ثم يعيدها مكانها، فهي لا تصلح أبدًا ونخرج من المكان وقد تخاصمنا، فهو لم يبق لي شيئًا لأشتريه.

أحيانًا أذهب مع أهلي وأعوض هذا النقص فاشتري كل ما منعني عنه "دعني أكل ما أتشهي"، "أما أنت فشأنك أما الأولاد فلا.." فكيف أصنع هل أكل الكريمة وهم ينظرون إلي، أم أتلذذ بهذا البسكويت وهم محرومون منه؟!

جاءتني جارتي "أم شاكر" وأحضرت معها حلوى للأطفال، فلما رآها معهم أخذها ثم قرأ محتوياتها "مواد حافظة، مواد ملونة، دهون.." غضب ثم رمي بها في القمامة ومنعهم من أكلها..

لا يدخل بيتنا بسكويتًا ولا حلوى للأطفال ولا مشروبات أو عصائر ولو مرة واحدة في الشهر، فهي كلها محرمة بيتيًا، ويقول استعيضي عنها بصنع البيت ويحضر الكتب المخصصة لذلك ويوفر المقادير إلا أنها لا تصلح لنا ولا للأولاد، فالسكر قليل والزيت معدوم والنكهات مختفية، هي تصلح له وحده فهو يتلذذ بكل شيء قليل الدسم، قليل الملح، خفيف وصحي حتى لو كان سيئ الطعم.

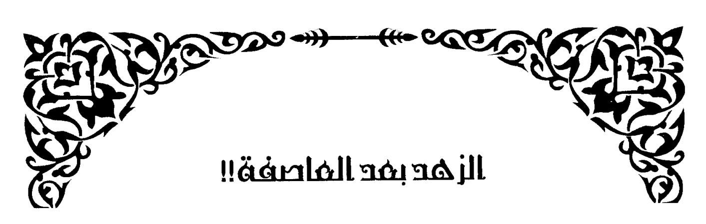
قد كرهت الجلوس على طعام معه، فحين أرفع إلى فمي لقمة من الخضار المقلية أو قطعة من الحلوى المغمسة في السكر يبدأ في سرد محاضرته عن الدسم والسكر والسمنة، وعلاقات ذلك ببعض وارتباطه بأمراض كثيرة "سيأتي يوم تندمين فيه، هل تعرفين أن السكريات والدهون تسبب السمنة وهي بالتالي سبب للكثير من الأمراض مثل السكري، وضغط الدم، وتصلب الشرايين، بل حتى الجلطة والعياذ بالله..".

لقد رميت اللقمة وقمت عن الطعام إلى غير رجعة، وصرت أطهو طعامنا كغذاء أهل الحمية كل شيء مسلوق قليل الدسم عديم الطعم، فالوقاية - كما يقول - خير من العلاج، وكأننا كل يوم في حلويات ومقليات، إننا لا نصنعها إلا مرة في الأسبوع أو كل عشرة أيام، وكم يا ترى ،نأكل منها قطعة أو اثنتين؟! نحن حقًا لا نسرف في هذه الناحية، أما من حيث المعلبات وأخواتها فهذا مما ابتلينا به ولكن نستطيع تخفيف ضررها بغسلها مثلها

أو إماتتها طهيًا، ثم إن الموت يأتي مرة واحدة فلماذا نحرم أنفسنا من هذه الأطعمة خوفًا من المرض، فهو إن أتى حرمنا أنفسنا قهرًا.

إن لي فلسفتي الخاصة وسياسته تلك زادتني تمسكًا بنظريتي، ولكنها أتلفت أعصابي، فمللت الطبخ وكرهت الطعام وأقبلت على كل ممنوع فما عدنا نهنأ بلقمة معه، فالهرمونات والمواد الحافظة والملونة والمثبتات رعبه الدائم، أما السكريات والدهون والزيوت فهي البعبع المخيف، وكأن الموت لا يأتي إلا معها أو كأن المرض سيزول بتركها حقًا ﴿ **وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** ﴾ (البقرة: ١٩٥) ولكن أيضا ﴿ **وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ** ﴾ (الطلاق: ٣)، فالمرض بيد الله كما أن العافية من منه وكرمه فدعنا نأكل ما نشتهي ما دام حلالاً ولا شبهة فيه فنحن نأكل بقدر معقول فلا إفراط ولا تفريط ولا تراقبنا أو تدقق النظر في طعامنا، فالأمر فيه فسحة ومازال، رزقك الله حسن الفهم.

"زوجتك"



الزهد بعد العاصفة!!

نزلت صاعقة فهوت على تلك النخلة الباسقة فقصمتها نصفين واحترق فؤادها وكادت أن تموت لولا أن الله أراد بها خيرًا. مات (زياد) فجأة، جاءها خبره أسرع من البرق، قبل قليل كان بجانبها يحتسي فنجان قهوته، طلب منها المال يخرج مع أصدقائه ماطلت قليلاً لتسمع منه عبارات الرجاء التي كانت تحبها ثم أعطته المال فهي لا ترد له طلبًا إنه ولدها المدلل.

خرج من عندها بماله وكامل زينته وعاد إليها مكفناً في أثوابه لم ترو غليلها بعد من لثمة وتقبيله، لم تشبع من الحديث معه، هناك أشياء كثيرة تود أن تقولها له، كانت تفكر في عروسه وكيف تختارها، كانت تنتظر تخرجه من الجامعة لتفاتحه في الموضوع..

مات (زياد) هكذا فجأة، فانطفأت الشمعة التي كانت تنير حياتها وتبعث فيها الأمل، ولدها الوحيد الذي كانت تعقد عليه الآمال اختطفته يد المنون دون أن تستأذنها- استغفر الله- هكذا كانت تقول.

ما أحقر هذه الدنيا، يالتفاهتها، كلها ببهرجها وزخرفها ودورها وقصورها لم تعد تساوي عندي شيئاً، لم يعد للأشياء طعمها اللذيذ، ساعات الحزن قاسية مرة تحطم القلوب، وتستل الفرح وتقضي على البهجة، ماذا أخذ (زياد) منها ماذا أعطته؟! لا شيء، لقد ذهبت لذة الأشياء وحل الإثم وبدأ الحساب والعقاب"، أيعقل أن هذه الكلمات الوعظية تصدر من (أم زياد)، أختي وأنا أعرفها، لقد تمرغت في أوحال الدنيا منذ زواجه، سافرت إلى الخارج وكشفت وجهها ثم نزعت حجابها لم تكن لتؤدي الصلاة - فيما أعلم

- إلا قليلا تتهاون في أدائها تتكاسل عنها وتؤخرها حتى خروج وقتها، حتى المحاضرات والأشرطة النافعة لم تكن تحب سماعها، أما الحديث عن الموت فكان يكدر عليها عيشها.

تطبعت هي وبناتها بالمظاهر الغربية الخادعة وتشربت تلك الأفكار المسمومة واستمتعت بكل لحظة من حياتها بما يحلو لها وبما يوافق هواها، ولولا أن الله أراد بها خيراً لحادت عن الطريق وزاغ قلبها.

كأن موت ابنها فجأة الصاعقة التي فلقت فؤادها وكادت أن تحرقه وتفنيه - لولا لطف الله - فأعقبها وابل سقى قلبها فأزال عنه الحزن الذي كان يغطيه، وارتوت بذور الإيمان فدبت فيها الحياة واهتزت وربت، سرت في حسدها إشعاعات إيمانية أفنت ما علق بفكرها من شبه وضلالات وعادت (أم زياد) لحظيرة الهداية فكانت أكبر مصيبة تتعرض لها، تحمل أجمل هدية تقدم لها!

في أول عام توفي فيه (زياد) تركت أختي السفر للخارج، أقنعت بناتها بحرمته، بينت لهن مضاره ومساوئه، كانت نفوسهن مهيأة لشيء من ذلك فانقدن طواعية وتوالت خرزات الهداية في الانتظام في العقد حتى أكتمل فبان جماله وبريقه.

التحقت بدار لتحفيظ القرآن لتسلو نفسها، فغمر القرآن قلبها فعلمت معنى قوله تعالى ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ (البقرة: ٢١٦).

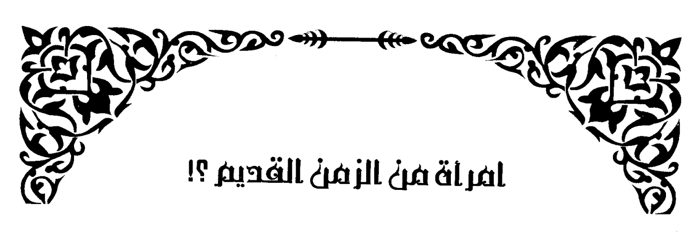
فانكبت على القرآن حفظاً وعرفت الطريق إلى إذاعة القرآن فلازمت سماعها فاستنارت بصيرتها وتعلمت أمور دينها وأثرت على بناتها فهداهن الله للتمسك بالحجاب الشرعي والمحفظة على الصلوات والتزود من الصالحات، فعدن جميعا يسألن عن حلق الذكر ويجلبن الأشرطة النافعة ويطهرن بيتهن من المنكرات، والصور المعلقة في كل ناحية، والمجلات الوضيعة والأشرطة الغنائية، والأفلام الرخيصة، والملابس المخالفة، ثم عادت كل واحدة إلى نفسها فقومت أعوجاجها ورأيتهن كثيراً يحافظن على السنن، ويصمن تطوعاً، ويسألن عن الأعمال التي تنفع بعد الموت.

وبعد أن كنت الضيفة الثقيلة عليهم صرت محببة إلى نفوسهن ، فكثيراً ما يتعلقن بي ويدعونني للعشاء معهن ، أو تدس إحداهن في يدي مالاً صدقة منها عن نفسها وعن أخيها - يرحمه الله - لأجعله في المستحقين.

وكأنما عاصفة هدمت البيت ثم عادوا في بنائه ، تغير جذري قلوب عامرة ، وألسنة ذاكرة ، ومجلس لا يخلو من ذكر الموت هادم اللذات ومفرق الأحباب والجماعات ، ازدراء للدنيا ومعرفة بحقيقتها ، لم تكن أختي أبدا قبل سنتين على حال حسنة ترضي الله ، ولكن لما أراد الله بها خيراً جعل موت أبنها باباً يفتح مغاليق قلبها للهداية.

كنت أخجل من قرابتها قبل ذلك ، أما اليوم فأنا أشد الناس فرحا بها وببناتها وأرفع رأسي افتخارا بأختها- ثبتها الله على القول الثابت-.

"أختك"



امرأة من الزمن القديم ؟!

"أمي منيرة" هي أم زوجي، امرأة كبيرة في السن تجاوزت الثمانين حولا، ولكنها تتمتع بصحة جيدة والحمد لله، هي امرأة من الزمن القديم، لم تتفاعل مع مجريات عصرها ظلت على حالها الأولى في استيقاظها باكرًا وممارسة حياتها المعتادة، تقف دائمًا من وسائل التقنية الحديثة موقف انبهار وتعجب ولا تخفي شعورها هذا بحكم صفاء الفطرة ونقاء السريرة.

إن امرأة مثلها من الواجب أن تعامل باحترام وتقدير شديدين من قبل أبنائها وأحفادها وأن تقرب لها الأمور وتبسط لها المسائل ويراعى بساطة تفكيرها ومحدودية إدراكها، ولكن الحال عكس ذلك تماما فهي - أحسن الله خاتمتها - فاكهة مجالسهم ومحل تندرهم يكثرون من التعليقات عليها، ويضحكون من تصرفاتها ملء أشداقهم.

كانت إلى وقت قريب تسدل خمارها على وجهها إذا ظهر المذيع على شاشة التلفاز فكان هذا أول ما يفتتحون به مجالسهم في اجتماعاتهم (نادوا "أمي منيرة" وافتحوا التلفاز) ثم تتعالى الضحكات في كل مكان.

كم أعجب لهم كيف يفتعلون المواقف ليضحكوا عليها وكأنها في نظرهم مهرج في سيرك ما جاء إلا ليضحك الجماهير.

إن عاتبتهم على السهر حتى الساعة العاشرة مساء "انتصف الليل وأنتم في هرج ومرج" سخروا منها وتبادلوا التعليقات!!

وأحيانًا تغفو قبل وقت الصلاة بقليل فإذا قامت سألت قبل أن تستوعب الوقت "هو أنا صليت؟؟!" فتتعالى صيحاتهم تهكمًا بها ومنها.

إنهم لا يفعلون ذلك عند هذه المواقف، بل في كل لحظة تسنح لهم لا يقدرون كبر سنها ولا حجم معرفتها، وكان الأولى بهم أن يصححوا لها الخطأ بطريقة لبقة وأن يترفقوا في إيصال المعلومة السليمة لها.

ذات يوم رأت أحد أحفادها الصغار يقضم أظافره فنهته مبررة ذلك بأن الأظافر تنمو في المعدة، فما عدت تسمع شيئًا من ضجيج الضحكات العالية وغارت العيون في بحر الدموع من شدة الضحك، ألم يكن تصحيح هذه المعلومة كافيًا لتدرك خطأ بعض المعتقدات المتراكمة في عقلها والتي لم تستند إلى علم أو دراسة؟!! ماذا أجدى الضحك؟!! لقد تغير لونها وضاق صدرها فهي لم تقل إلا ما تعتقده حقًا!! فلا تعلم لماذا هذا الضحك؟!

أما الأسماء والمعارف فحدث ولا حرج "أمي منيرة" تسمي المايونيز "قنيس" والبيتزا "خبزة" والسنترال "لمبة" لأنها لا تراهم يتعاملون معه إلا وتضيء أزراره فتقول مثلا "نادوا محمد باللمبة أو مع اللمبة" وغيرها.. ففي كل يوم تتردد فيه هذه الكلمات على لسانها يضحكون منها وكأنهم يسمعونها لأول مرة.

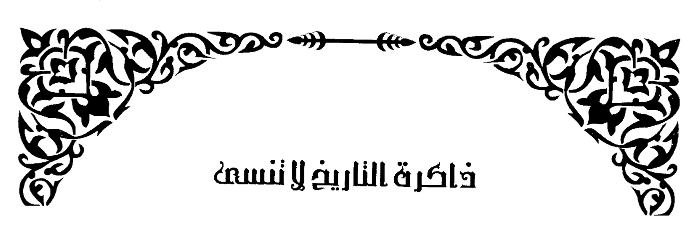
هل نسوا أنهم كثيرًا ما يخطئون في نطق بعض الكلمات الإنجليزية التي يسمعونها لأول مرة إن هذه مثل تلك فلماذا المبالغة في الضحك والاستهزاء؟!

حين لم تستطع فتح جبن الشرائح ضحكوا منها، وحين قالت للصغير "هج الباب" يعني "افتحه" ضحكوا منها، بل صاروا يروون هذه المواقف لكل من يزورهم ويزورونه.

إنني أعتب على البنات كثيرًا فأين احترام الآباء والأمهات؟ أين تقدير الكبير؟ ولكنني أوجه العتب الشديد لأمهاتهن وآبائهن كيف يسكتون عليهم وهم يسمعونهن ويشاهدونهن يتهكمن بجدتهم ويسخرن منها ومن كلامها بل يتبادلون النكات بهذا الشأن.

إننا معرضون لأن نكون في يوم ما في مثل موقفها فهل نرضى أن نقابل من أصغر أحفادنا بهذا السيل الجارف من الضحك والسخرية والاستهزاء؟ إذن فلنكن لها كما نود أن يكون لنا أبناؤنا وأحفادنا، والسلام.

"زوجة أبنك"



أبناء عمتي ونحن عشنا طفولة واحدة، حيث سكنا في حي واحد، بل في نفس الشارع، في بيتين صغيرين متقابلين بنيا من الطين واللبن، لعبنا معاً وضحكنا معاً، كنا نشتري من بقالة واحدة ومخبز واحد وندرس في نفس المدرسة، لم نكن نعرف المصروف، كانت أمهاتنا يعملن لنا خبزًا محشوًا نأخذه معنا للمدرسة إفطارًا، وكانت عمتي تتقن الخياطة أكثر من أمي، فكانت تخيط لنا المرايل وملابس العيد بأجرة، لم تكن تخيط غيرها، كنا وبنات عمتي نجلس عند باب البيت نلعب بالطين، نصنع البيوت وغيرها ونحكي الحكايات، ليس عندنا لعب غير تلك سوى أعود من الخشب، نكسوها بعض الخرق لتصبح كالعرائس.

كنا نعرف للنعمة قدرها فنحافظ عليها، لم نكن أبدًا نرمي في القمامة شيئًا، بل كنا نتلهف عليها لأننا لا نجدها دائمًا، لم نكن نأكل اللحم بشكل يومي ولا نشرب اللبن أيضًا، حقائبنا المدرسية تظل معنا لسنوات حتى تتمزق، والحذاء لا نشتري غيره حتى يبلى، لم نكن كباقي الناس في وقتنا، بل كنا أقل منهم بقليل.

وجاءت سنوات الطفرة وأخذ كل منها بنصيب، ونالنا شيء من ذلك فوسع الله علينا وفتح لنا أبواب رزقه، فتمكنا بحمد الله من بناء بيت كبير وصار لوالدي مكتب عقاري يدر عليه المال، وتحسنت أحوالنا كثيرًا، ولم يبق من الماضي إلى شخوصه.

أما عمتي فقد أثروا ثراء كبيرًا فبنوا قصرًا جميلا في حي راق ودخل زوجها عالم الأسهم فصعد به إلى الأعلى، فاستفاد منه كثيرًا ولكنه لم يعتمد عليه ففتح الله عليه من فضله فظهر أثر نعمته عليهم، فصاروا من أهل الجاه والوجاهة ونسوا ماضيهم وتنكروا له.

صاروا أبناء اليوم الذين ولدوا في هذه اللحظة وفي أفواههم ملاعق ذهبية، ولدوا على فرش وثيرة في مستشفيات كبيرة، لقد نسوا أين ولدوا؟ والذي ينسى ماضية فكأنما يجتث نفسه من التاريخ ويرمي بها خارجاً في ذاكرة النسيان.

كيف كنا في الماضي في أيام الفقر والحرمان كنا نشتري من "أم علي" التي في آخر الشارع "الآيس كريم" وهو عصير مخفف بالماء ومثلج تضعه في أكياس النايلون الصغيرة ونفرح به أشد من فرح الصغار بهذه البوظة الرائعة ذات النكهات المختلفة، ولم تكن أموال أهلنا تسمح لنا بشرائه كل يوم، لذا كنا أحيانًا نتأمل الصغار وهم يروحون ويغدون لبيت أم علي يشترون الآيس كريم ويتلذذون بمصه.

كنا لا نلبس الجديد إلا يوم العيد فستانًا وحذاء ولا نعرف اللحم إلا في عيد الأضحى ورمضان، كنا نزهو بالحناء في أيدينا وبضفائرنا الطويلة.

واليوم تتنكرون لهذا كله، تقولون لقد ورثتموه كابرًا عن كابر؟! أين كان زواجي، وزواج "هند" ابنة عمتي؟! كان في سطح بيتنا، عمتي خاطت لي ملابس وكذا لابنتها، واليوم يقولون كانوا يخيطون ملابسهم عند الخياطة قبل أن توجد محلات الخياطة والمشاغل!

قلت لابنة عمتي إن صديقتنا "شيماء" التي درست معنا في الابتدائية تسلم عليها - رأيتها في مناسبة - وتسأل عن ضفائرها الطويلة، فاحمر وجه ابنة عمتي وتغير، فهي منذ كانت صغيرة تقص شعرها حسب الموضة! هكذا تزعم؟!

عندما يأخذنا الحديث إلى الماضي ألاحظ أنهن يحاولن بكل طريقة تغييره مجراه والسير به إلى حيث يريدن خاصة إن كان معنا في المجلس أحد آخر مثل زوجات أبنائهن أو بنات أبنائهن أو غيرهن.

كان في التلفاز برنامج وثائقي عن تاريخ بلادنا، فكانت الصور تعرض أنماط المعمار القديمة وبيوت الطين العبقة فخفقت إليها قلوبنا وتذكرنا بيتنا الطيني في تلك الحارة الشعبية القديمة قلت: ليتنا نرى بيتنا.

لقد ذكروني به ترى هل هو موجود أم تهدم كما تهدمت بيوت غيره؟ فقالت ابنة عمتي "بيتنا لم يكن مثل هذه البيوت ، أهلها أصلاً لم يسكنوا فيها ، بيتنا كان "مسلحًا" لم يسقط ، هذه البيوت قديمة يمكن من خمسين أو سبعين سنة" من سبعين سنة ؟؟! هل نسيت حين تأتون عندنا ونقوم برش الجدران في السطح ليبرد المكان وتنطلق رائحة الطين المميزة الجميلة فنسمر على ضوء القمر حتى يغلبنا النوم؟!".

أغتاظ كثيرًا حين أسمعهم يتحدثون عن حياتهم وكأن ماضيهم مخملي ناعم الملمس ، فهذا الموديل هو أول من لبسه ، وتلك الألوان هم أول من اشتراها ، ونحن قلدناهم فيها ، وكانوا يأخذون مصروفًا يوميًا للمدرسة ، ولهم في كل فصل دراسي حقيبة ، وفي كل موسم فستان.

ذات مرة رمى ابن بنت عمتي الجبنة على الأرض ثم قام وهرسها بقدمه ، نهرته وأخذتها من تحته ثم قلت له : إننا كنا نتمناها في الماضي ، كنا نراها في البقالة ولكننا لا نستطيع شرائها ، فسأل أمه عن صحة كلامي فقالت : هم يا ولدي وليس نحن!!

إن من التحدث بنعمة الله شكرها والاعتراف بفضل الله علينا وتذكر ماضينا وحمد الله على منّه وكرمه وأن اصطفانا بهذه النعمة على كثير ممن خلق ، إن التشبع بما لم يكن واحتقار الفقراء والنظر إليهم بدونية ، وتقييم الناس حسب إشكالهم وهيئاتهم فهذه متمدنة قربوها وتلك قروية وريفية أبعدوها ، كل هذا مما يجلب غضب الله ويستوجب عقابه ، فكونوا متواضعين واعترفوا بنعمة الله عليكم واشكروه يزدكم.

"ابنة خالكم"

مراهقة في الخمسين!!

"اللهم إنا نسألك حسن الختام، ما أسوأ أن يعود المرء ليعيش مراهقته بعد أن تجاوز الخمسين، ففي الوقت الذي يفترض فيه منه أن يتخفف من أحمال الدنيا ويتجه إلى العبادة تراه وقد انكب عليها وبدأ يعب من مباهجها ويمتلئ من ملذاتها متناسيًا أن الأجل قرب وأنه لم يعد في عمره أكثر مما مضى.

"اللهم إنا نسألك حسن الخاتمة" قلتها لأختي مرارًا وتكرارًا ولكن ما من مجيب، فها هي تعود في تصرفاتها كشابة في مقتبل عمرها تلهيها الدنيا وتفتنها بزخرفها، تناست أنها جدة لتسعة من الأحفاد أكبرهم في السابعة عشرة من عمره، ولا تريد أن أذكرها بأن بناتها صرن في طولها وكل واحدة منهن تجر خلفها ذريتها.

إنني أشفق عليها كثيرًا، لقد سلبت عقلها التفاهات، وأضاعت وقتها الفضائيات، فصارت تبقى عندها وتتلقى منها كأنما هي وحي منزل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، كل يوم لها قصة شعر جديدة، قد لا تناسبها ولكن هذا لا يهمها ما دامت هذه هي الموضة التي شاهدتها في تلك القناة، صارت زبونة دائمة في المشاغل النسائية تقص شعرها وتصبغه، وتشد بشرتها وتنظفها، وتزيل التجاعيد وتغلق المسامات، وحين تنظر إلى صورتها في المرآة وترى تغييرًا ولو بسيطًا تجري إلى المركز النسائي لتصلح ما تلف.

ارتدت ذات يوم تنورة ضيقة فظهر لها بروز في بطنها فتندر بها بعض الحاضرات فسارعت إلى أحد مراكز التجميل لتشفط الدهون وتشد الترهل، ثم عادت بعد فترة ترتدي ذات اللباس لتغيظ الحاضرات!!

لقد اختلفت أختي كثيرًا فما عادت تلبس مثلنا، فملابسها ضيقة وكعبها عال وفي الحفلات لا تتورع أبدًا عن لبس العاري والمشقوق واختيار الألوان الصاخبة والماكياج الشبابي والتسريحات الصبيانية الثائرة.

في المشغل اختارت أختي تسريحة معينة لتحضر بها حفلة خاصة ضحكت المصففة وقالت إنها تسريحة فتيات صغيرات ولا تناسبك ولكن أختي أصرت على رأيها وقالت أود أن أبدوا صغيرة مثلهن!!

إن المرء حين يتبع هواه يضل، والمرأة إن لم تجد راعيًا وناصحًا ورادعًا وقل عندها الخوف من الله فسوف تضل إلا أن يشاء الله ربي غير ذلك، فهذه هي أختي أنزلت عباءتها من عليائها وتفننت في شكل خمارها مدعية أن هذه العباءة استر وأسهل في اللبس!! وكأن أمهاتنا وجداتنا وجدن صعوبة في لبسها أو عانين من عدم سترها - اللهم ثبتنا-.

لقد باتت أختي خبيرة في الملاهي والحدائق والمتنزهات وليتها مثلنا نذهب مع بناتنا وزوجات أبنائنا ونجعل لنا بساطًا على الأرض نجلس ونتبادل الأحاديث (ونغير جو).

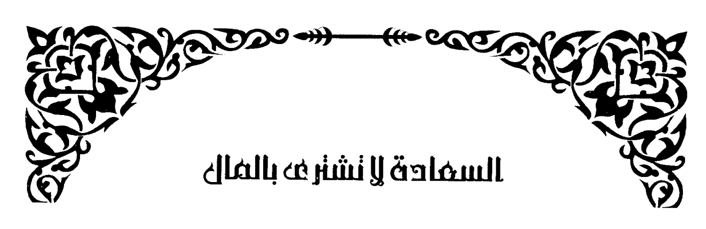
لا : إنها تختلف عنا، ترتدي البدلة وهي عبارة عن قطعتين قميص وبنطلون ثم تجوب المكان حاملة حقيبتها تشارك في بعض الألعاب وكأنها...، إنها ترى أن البنطال شيء من لوازم الاستراحات والحدائق والملاهي فلا بدل لها منه!!

كم أرثي لحالها وأنا أعلم عنها الشيء الكثير، فهي تعاني من القولون، وعندها احتكاك في الركبة، ولديها مشكلة في المفاصل ودائمًا تشكو حموضة في المعدة - عافانا الله وإياها - وهذه كلها أعراض لتقدم العمر بشهادتها هي فلماذا هذه الغفلة؟ وهذا البعد عما ينفعها؟ لماذا لا ينذرها الشيب بدنو الأجل، وقرب الرحيل، إن كل يوم يمضي وكل خطوة تخطوها تدني من القبر، فلماذا لا يكون في تعاقب السنين لك عبرة وعظة؟ أيعقل وأنت على أعتاب الستين توقفت عن الإنجاب وصرت جدة تعودين لسالف عهدك وكأنك تحيين العمر مرتين؟ أين إيمانك؟ أين حياؤك؟ ألا تخجلين من أبنائك وبناتك؟ ألا ترحمين زوجك

أرهقته بهذا الإسراف على الثانويات والتوافه، وكان الأولى أن تكوني قريبة منه في هذا الوقت بالذات، إنه يعرفك جيدًا، والعشرة تزيد المودة، فهذا القشور لن تكون أهميتها عنده كما لو أنك بذلت وقتك له فجهزت قهوته وإفطاره وبقيت معه في البيت، أتركي بناتك يذهبن فأزواجهن مازالوا شبابًا يجدون ما يقضون به ساعات نهارهم، أما زوجك فهو قابع في البيت يريد زوجة تحادثه وتسامره وتملأ وقته لا يريد دمية يتفرج عليها، ثم إن خير الأمور الوسط.

فأنا لا أحرمك متاع الدنيا، ولكن عيشي زمانك الذي خلقك الله فيه، واسألي الله حسن الخاتمة، وقومي عن هذه الفضائيات فإنها تمطر السم والعفن، أرجو أن تفهمي قصدي وتدركيه - هدانا الله وإياك للحق-.

"أختك"



السعادة لا تشترى بالمال

الحياة حب وتفاهم، بذل وتعاون بين عنصرين يتعايشان بعضهما مع بعض، يتنفسان ذات الهواء، ويشتركان في نفس المكان، يبذلان ويضحيان من أجل استمرارية حياتهما ونقاء عيشهما، وهما في كل ذلك يستشرفان مستقبلاً باسمًا مزدانًا بذرية طيبة، وهكذا تسير بهما السفينة هادئة وقوية وصامدة أمام الأعاصير بحول الله وقوته.

أما إن كانت الحياة مليئة بالأنانية وحب الذات والشح والتسلط وفي ظلها يعيش شخصان بعيدان بعضهما عن بعض كلّ يفكر بمفرده ويسعى لمصلحته فإن التصدع والتشقق سينالان من مكانة السفينة وقوة بنائها، ومن ثم يخترقها الماء فتغرق أو ربما تبعثرت أشلاء عند أول هبوب للرياح!!

هذا العيش القفر لا يمنح الدفء أبدًا، والمال (عصب الحياة) لا يضخ الحياة مهما كثر، بل إنه أحيانًا كان سببًا في وحشة الحياة واكتئابها.

أتسلم راتبًا شهريًا يربو على عشرة آلاف، أعيش في بيت واسع فيه حديقة جميلة بها ألعاب للأطفال، آكل ما اشتهي وألبس ما أحب وأتمدد أحيانا على الأريكة لأنني لا أجد ما أعمله سوى الخلود إلى الراحة، مقومات السعادة كلها عندي ومع هذا أعيش في النوع الثاني من الحياة، فزوجي يحبني بأجرة!! هل سمعتم عن هذا الحب؟! وأبنائي يخدمونني بأجرة!! يعني (بر) مدفوع الثمن ولا تثريب عليهم فبوالدهم يقتدون!!

إن زوجي بصريح العبارة (يبتزني)، فهو كالماكينة لا تسير إلا بالزيت، وهذا الزيت هو راتبي، عرق جبيني!!

زوجي يوصلني إلى العمل لذا فهو يأخذ ثمنًا لذلك، لأنه لو لم يوصلني فسأضطر على استئجار سيارة بسائقها بتلك القيمة، ولأنه زوجي وينام في البيت لحين أوقظه في الوقت الذي أريد فيجب أن تكون الأجرة مضاعفة وأنا أدفع راضية فهو أولى من البعيد وآمن من الغريب.

ولأنه يوصلني إلى عملي بسيارته فإن علي أن أتكفل دائمًا بقيمة الإصلاحات التي تحتاجها السيارة، وهو لا يصلحها إلا في الوكالة ولا يشتري لها إلا قطع الغيار الأصلية مهما كلفت من ألوف، وماذا عليه ما دام لن يدفع ريالاً واحدًا فجيبي سداد وكأنها سيارتي الخاصة وكأنه لا يستعملها إلا لحاجتي فقط

لقد دفعت ثمانية آلاف ريال قيمة صدمة تعرضت لها السيارة، وماذا أفعل فإن لم أدفع لن أذهب على العمل، ولن يذهب أبنائي إلى مدارسهم، بل إنني أدفع قيمة السيارة التي يستأجرها حين تكون سيارته في الصيانة وهي بالتأكيد سيارة فارهة آخر موديل .

أبنائي سبعة وأنا وزوجي صرنا تسعة حين نشتهي طعامًا مميزًا أو نرغب في تناول العشاء خارج المنزل فما علينا إلا أن نختار المطعم ونوع العشاء ولك أن تتخيل كل واحد من هؤلاء السبعة وهو يفرض نوعًا معينًا أو طبقًا يختلف عن الآخر، ثم لنا إن أردنا الأكل في المطعم أو الخروج بالعشاء في أحد الشاليهات أو القرى الترفيهية في أطراف البلد. لنا كل ذلك ما دمت سأدفع أنا فإن قبلت تكرم بقبول عرضنا وإن رفضت أو تقاعست في الدفع خرج وتركنا نجتر حسرتنا وجعلني أبدو أمام أبنائي شحيحة ومقصرة في حقهم.

لم يبق لزوجي مجال ينفق فيه علينا، فالعلاج من شؤوني، هو مستعد أن يذهب بي إلى أرقى المستشفيات مادمت سأدفع، والأسواق يأخذني لها إن تأكد أن بطاقة الصرف في حقيبتي وهو يسألني دائمًا عنها ويطمئن عليها في مثل هذه الحاجات.

إنني حين أعلن سياسة التقشف في الإنفاق أواجه منه بالصدود والهجران فتكفهر الدنيا في وجهي ويضيق بي المكان ويعظم عليه الحال فيتجهم غاديًا ورائحًا فلا أجد لي متنفسًا إلا العودة لحالتي الأولى.

أنا الآن تحت ضغط الأبناء وإلحاحهم أجهز لتحديد وجهة السفر ومدته وحساب كل ما يتعلق بذلك بما فيه تذاكر السفر لنا جميعًا لأنه لن يمانع من مرافقتنا له فلن يكلفه السفر قرشًا واحدًا، وأنا لن أقصر في سبيل الترفيه عن أبنائي وتجنيبهم هذا الجو الخانق. إنني في الحقيقة لا أستطيع أن أفعل ذلك.

أنا كل يوم أدفع بدل وظيفة وبدل خروج من البيت، وإذا لمحت إلى ترك الوظيفة والجلوس في البيت قامت قيامته وهدد وتوعد، وحق له فكل شيء في البيت فيه بعض مني الأثاث، الجدران، الغرف، بل حتى الطعام في بطونهم، إن علي أن أدفع لأعيش، وادفع لاتنزه، وأدفع لأكل، إنني أحاول شراء سعادتي بهذا المال فذهب المال ولم أحصل على سعادتي، ولو نضب هذا النبع لساعات الخدمة وقلت الإمكانات وشانت الأنفس فإلى الله المشتكى والسلام.

"زوجتك"

يلمزوننا بألسنتهم

اقترنت برجل طيب، متفهم لطبيعة المرأة، ولمصاعب الحياة، يأخذ الأمور بيسر وسهولة، ينظر إلى الدنيا بتفاؤل وأمل، ويرى في الصعاب امتحانات لنا إما أن نتجاوزها ونتعلم منها وهذا هو المأمول، وإما أن تعرقنا عن هدفنا وهذا ليس شيئًا جيدًا، فحين نتعلم من مشاكلنا نكتسب معرفة جديدة وتفتح أمامنا آفاق رحبة فنرى الحياة بشكل مختلف إذ نزداد بها معرفة وتعمقًا مما يمكننا من سبر أغوارها وكشف حقيقتها؟ فيسهل علينا طرق دروبها وفك رموزها.. لذا فالمشاكل تأتي بخير!!

زوجي طيب الخلق، لين الطباع، سهل المعشر، لا يحب تعقيد المشاكل، ومحدثتكم يقولون عنها إنها طيبة وتحب خدمة من حولها وهي مسالمة ولا تحب الخوض في مشكلات كبيرة، لذا أنا وزوجي متفاهمان والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، حياتنا مبنية على أسس سليمة من التعاون وحب الآخر واحترامه ومراعاة مشاعره، مبادئنا واحدة، لا نختلف كثيرًا في طباعنا وميولنا واهتماماتنا، منهجنا في تربية الأولاد متوافق، نستشير بعضنا في كل ما يعرض لنا، أسعى لرضا زوجي وهو يحب إسعادي لذا عشنا في سعادة ورضا والحمد لله أولاً وآخرًا.

ينطبق علينا المثل القائل: وافق شن طبقه... ولكن هل جلب لنا التوافق السعادة التي نرجوها؟!

لقد جلب لنا السعادة داخل بيتنا أما خارجه فإن الناس لا تترك أحدًا وشأنه فمازال أهلي وأهل زوجي يلمزونني دائمًا بأنني امرأة مسيطرة ومتحكمة في زوجي وأن الكلمة لي، والرأي رأيي، ومقود السيارة في يدي، ومفاتيح القيادة في جيبي!! أي بهتان هذا الذي

يفترونه!! إنهم يتحدثون من خلال ما يرونه من تصرفات هي في نظرهم لا يمكن أن تتم بموافقة من الزوج، بل لابد فيها من قهر وإجبار، مثلاً حين أحضر معظم المناسبات وأترك أبنائي في البيت عند والدهم فهم لا يستوعبون أن هناك أبًا يحتمل البقاء مع أولاده في مثل هذه الحالة رغم أن هذا يحدث برضا تام منه وتفهم، وعلى هذا اتفقنا منذ زمن ولما شعرت بحاجة أمي إلى خزانة ملابس بادرت بشرائها دون أن تطلب مني ذلك، وتكفل زوجي - رعاه الله- بإرشاد العمال إلى البيت ووقف إلى جانبهم وهم يقومون بتركيبها حتى فرغوا من عملهم ثم انصرف دون أن ينتظر من أمي شكرًا أو ثناء، ولما كان آخر الأسبوع اجتمعنا عند أمي فما كان من "عبير" إلا أن لمزتني قائلة: "لا أعرف ماذا تصنعين حتى يكون زوجك رهن إشارتك" ثم توالت التعليقات وسط صمتي وابتسامتي.

إن زوجي عن قناعة تامة ودون ضغط أو إزعاج مني يأخذني في زيارات لصديقاتي ويترك لي حرية ضرب المواعيد معهن وهو لا يسير أبدًا "على مزاجي".

ونحن متفقان كلياً على الوجبات اليومية التي تشكل لبعض قريباتي هاجسًا يوميًا ففي حين يقمن بصنع العديد من الأصناف وتنويع سفرة الطعام كل يوم تقريبًا أكتفي وزوجي وأولادي ببعض الأطباق الخفيفة كالساندويتشات، والسلطات وبعض أقراص البيتزا مع البطاطس المقلي وهذا ليس ديدني دائمًا وإنما هو لا يمانع أبدًا من الجلوس على أي سفرة أصنعها، بل يحمد الله بادئًا وخاتمًا، فهو ليس خاتما في إصبعي كما تقول لي أخواتي، بل هذا طبعه، حب البساطة يغلف كل تصرفاته.

وهن لا ينقمن مني شيئًا غير أني حين ولدت أختي كنت أذهب إلى والدتي باستمرار أحيانًا أربعة أو خمسة أيام متتالية أساعدها في استقبال الضيوف وإعداد الشاي والقهوة والعصير وهن يرين أن ذلك لضعف شخصيته وتمكني من إدارته حسب هواي ولا يقتنعن أن هذا لطيبته وأنه لا يرى في هذا بأسًا أبدًا!!

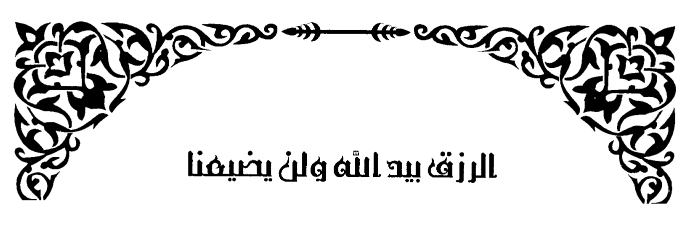
ويقارن بينه وبين العديد من الرجال الذين تجد المرأة صعوبة ومشقة كبيرة في إقناعهم بالذهاب إلى الأهل مرتين في الأسبوع، أو زيارة الصديقات، أو الذهاب معها إلى الأسواق وخلافه ونسوا أن أصابع اليد ليست واحدة أبدًا.

فزوجي طيب مع الجميع، الأقارب، الجيران، جماعة المسجد، الأصدقاء وغيرهم، وهو سمح، سهل في التعامل مع كل من يعرفه، لم أفرض شخصيتي عليهن ولم أحكم سيطرتي عليهن فليس هناك شيء بالقوة يستمر، ماذا كنتم تتصورون: أن أرغمه على فعل أي شيء أريده؟ أن أجبره على قيادة السيارة حيث أريد؟! أو البقاء مع الأولاد وهو لا يرغب؟!

أبدًا لا يحدث شيء من هذا ألبتة، بل تتم الأمور بيننا في كل يسر، وتجري على طبيعتها كما يجري النهر من منبعه إلى مصبه بانسياب تام يدفعنا لحمة المبادئ، واتفاق الآراء، وتوحد الأفكار، والنظرة المشتركة لحل كل مشكلة تعترضنا. هكذا هي حياتنا بكل بساطة ليس فيها تعقيد ولا تبكيت، وليس فيها تحرر وتحلل.

هل استطعتم الآن إدراك بعض الحقيقة التي لم تقدروا على استيعابها لضيق أفقكم ومحدودية تفكيركم؟! إذن كفوا عني جشاءكم فهو يؤلمني حقًا.

"أختكم"



الرزق بيد الله ولن يضيعنا

في أشهر قليلة تبدلت حياتنا من سعة إلى ضيق، ومن عافية إلى مرض، ومن فرح إلى حزن، إثر تعرض زوجي لحادث مروري كاد أن يؤدي بحياته- لولا لطف الله- فخرج من المستشفى بعد مدة وهو مقعد على السير، عاجز عن الحركة، ولزم البيت في وضع نفسي سيئ!!

كانت تلك الأشهر محكًا حقيقيًا لاختبار مدى صلابتنا وقدرتنا على تحمل الحال، وكانت بالنسبة لي أشهر عصيبة، وضعت فيها أمام امتحان صعب وفي مواجهة مع نفسي للبحث عن مخرج يحفظ لنا كرامتنا ويقينا إراقة ماء وجوهنا عند الناس "العمل، لابد من العمل!!" ولكن كيف؟ والوظائف أبعد من القمر، وامتحانات القبول وشروطه أحد من السيف، وشهاداتي قديمة عمرها أكثر من ستة عشر عامًا!!

سيكون لزوجي تقاعد ولكنه لن يفي بحاجتنا فهو لتسديد الفواتير وحسب، والوظيفة بعيدة المنال، ووالدي لا يستطيع إعالة سبعة أفواه، ووالد زوجي متوفي، ثم إنني لن أمد يدي إلى أحد.. ولا أرضى أن أكون محل شفقة أحد، إذن لابد من حيلة تخلصني مما أنا فيه، فأبنائي في المدارس وهم يحتاجون من المصاريف الشيء الكثير، ولا أحب أن يشعروا بتبدل الحال، فدراستهم أهم عندي يجب ألا يشغلهم عنها شاغل، الرزق عند الله ولا يمنعه أحد والله لن يضيعنا سبحانه.

"العمل كرامة ما دام شريفًا ومن حلال" هذا ما قررته مع نفسي حتى قبل أن يخرج زوجي من المستشفى.

ففي يوم خميس استيقظت مبكرة، اتصلت بزوجي في المستشفى لأطمئن على حاله، ثم أوقظت أبني وأخذت سيارة أجرة واتجهت إلى السوق مباشرة، اشتريت بعض البضائع مما تحتاجه النساء من لوازم البيت والمطبخ بمال اقترضته من أبي، وعدت إلى البيت وجهزت غرفة لهذه البضاعة ثم اتصلت بأمي وسألتها من سيأتيهم اليوم؟! قالت لي "أخواتك وربما خالتك وبناتها" فعقدت العزم على أن أخطو الخطوة الثانية بكل قوة!!

لم يكن الموقف سهلا، ترددت مرات كثيرة قبل أن أقدم، وكنت أسبح في عرقي لما دخلت على أهلي محملة بأكياس ثقيلة وأنا أرى في عيون أمي وأخواتي تلك النظرات التي أهرب منها، وبدأت أخذل نفسي وأعنفها على هذا التصرف، ولكنني ما لبثت أن عدت إلى وعيي وتذكرت ما عاهدتها به ألا أمد يدي إلى أحد مهما كانت قرابته.

رتبت بضاعتي على الأرض "مناشف كبيرة وصغيرة، قمصان نسائية وللبنات، بعض الأواني المنزلية والمفروشات وغيرها.." وبدأت أعرض ما معي وأتحدث عن أهمية العمل، وعن الكرامة والعزة، وأن العيب ليس في العمل المشروع، بل العيب أن أظل عالة على أحد أو انتظر العون من أحد، لو أن كل واحد شمر عن ساعديه وقام بأي عمل يستطيعه فحتما سيتقلص عدد الفقراء والمحتاجين... قلت كلاماً كثيرًا لم أكن قد رتبت له، وبعضه لم أدركه، فالحرارة التي غشيت وجهي والبرودة التي سرت في أطرافي أثرتا علي بشكل واضح، هل كان كلامي منطقيًا؟! ربما، فخالتي قامت على وقبلت رأسي وهي تدعو لي "بيض الله وجهك ووسع لك في الرزق" وشجعتني وشدت من عزيمتي، واشترت مني مفرش سرير، وسلمتني قيمته مباشرة فلما آثرت جعلها هدية رفضت وقالت: "لو كنت في السوق دفعت أكثر من هذا قيمة له، المسألة بيع وشراء".

كان هذا مما شجعني وجعلني أستمر في عرض بضاعتي على جاراتي وصديقاتي ومعارفي حتى بعد خروج زوجي من المستشفى ومنعه لي من ذلك، استطعت إقناعه بحكمة وروية مقدرة نفسيته السيئة وحالته المزرية فلم أشعره بأن لي فضلاً عليه، وأن المسألة ليست

أبدًا تبادل أدوار، بل هي حالة طارئة حتى يتحسن الوضع ويقوم إلى عملهّ!! وهكذا اقتنع وترك لي الأمر مع علمه أنه لن يستطيع ذلك.

في ظل ظروف كهذه لابد من تنازلات وإن كانت كبيرة، فقد استغنيت عن الخادمة للتقليل من المصروف رغم حاجتي الماسة لها فزوجي يحتاج عناية خاصة وزواره لا ينقطعون، وهذا يتطلب جهدًا بدنيًا كبيرًا إضافة إلى أعمال البيت الأخرى، وقللت من مرات ذهابي إلى أهلي، واجتماعي بأخواتي فمن العيب أن أترك زوجي وحده في هذه الحالة النفسية السيئة فهو إما كئيب حزين لا يود رؤية أحد، أو عصبي متعكر المزاج لا يطيق سماع أحد، وأنا لا أعتب عليه، فمصيبته عظيمة لقد فقد أطرافه، وفقد عمله، وفقد نشاطه.

أنا لا أدعي أن حياتي صارت نعيمًا وأن ظروفي تحسنت ولكن الرضا بالقضاء والقدر والقناعة بالرزق والتعفف عن الحرام، هي قوام السعادة القلبية الحقيقية، إن الفقر سيئ ولكن الأسوأ أن تظل تقلب عينيك ذات اليمين وذات الشمال منتظرًا لن يلقي أحدهم في فمك لقمة تسد بها جوعك ذلك اليوم، متناسيا أن الأيام أمامك طويلة وتحتاج فيها إلى لقيمات.

جزى الله خيرًا كل من قدم لي سمكة، ولكن الدعاء لا ينقطع لمن علمني الصيد.

أختكم

قال رسول الله ﷺ: «**لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره، خير له من أن يسأل أحدًا فيعطيه أو يمنعه**» متفق عليه.



أخو البنات

تربط الإخوان عادة علاقات متينة، لكن علاقتنا بأخي "سيف" علاقة من نوع خاص، فهو ليس مجرد أخ، بل هو في مكان الوالد والوالدة، لذا دعائم حبه وطيدة في قلوبنا، هو من يهتم بأمرنا، ويتفقد حاجتنا، في الماضي كان يأخذنا إلى السوق قبل العيد ليشتري لنا الملابس والحلي، فوالدي لا يستطيع لكبر سنه، وسيف لا يحب أن نكون أقل من غيرنا، نحن خمسة بنات وهذا عدد غير قليل ومع ذلك لم يكن يتضايق من طلباتنا أو يشتري لنا شيئًا لا نريده، بل يأخذنا لتختار كل واحدة منا ما يصلح لها وبذوقها.

وكبرنا ولم نستغن عن سيف، كنا نعرض عليه ما يواجهنا من عقبات في حياتنا أو دراستنا ونستشيره في كل أمورنا، ولم لا نفعل ذلك وهو منا بهذه المنزلة؟

"سيف" هو الذي يسال عنا في مدارسنا ويتتبع دراستنا ويشجعنا على الاجتهاد، وهو الذي يسأل عن الخطّاب الذين يتقدمون لنا، ويتحرى في سؤاله المواصفات التي تناسب المعنية منا، فإذا كان المتقدم كفؤًا وتمت الموافقة كان هو الذي يرافقنا في السوق لنجهز العروس ثم كان هو المسؤول عن مراسم العرس وحفل الزيارة، يخطط وينظم ويتحمل كل شيء.

إننا نشعر بأهميتنا عنده، لذا كثرت حاجتنا له حتى بعد أن تزوجنا جميعنا، فهو حقًا خير مستشار وأفضل مؤتمن، استشارته "نوران" في أمرها مع زوجها والحالة التي آلت إليها العلاقة بينهما، فكانت حكمته ورشده وصبره الطويل على مشاكلهما خير معين- بعد توفيق الله- على إصلاح ما بينهما فطابت حياتهما وصفا لهما الود، فكانت سعادته في استقرارهما مع ما أصابه من الهم والتفكير والقلق طيلة تلك الفترة العصيبة.

و"غصون" لجأت إليه لما أرادت شراء قطعة أرض للاستثمار بمالها الذي ادخرته من وظيفتها، فهي لا تثق بزوجها الذي ظل لسنوات يبتز مالها ويطالبها بثمن توصيلها لعملها، فهو ربما كذب عليها وجعلنا تدفع أكثر من القيمة الحقيقية، هذا إن لم يستول على مالها أو يفسد مشروعها، لقد قام "سيف" بهذه الخدمة بنفس راضية وبدون مقابل، بحث لها عن أرض مناسبة وبالمبلغ الذي تستطيعه وكان يأخذها لترى الأرض ويعطيها تصورًا لمستقبلها لتكون على البيضاء وتتصرف بوعي تام.

من لي بمثل "سيف" لم يكن ينتظر أن تعلن إحدانا عن حاجتها حتى يساعدها، بل هو الذي يبادر إلى السؤال ويتحسس الحال، لم ولن أنس له وقفته معي ومع زوجي حين تعرض لحادث مروري مروع مكث على أثره في المستشفى أسابيع عدة، كان يزوره كل يوم ويزورنا محملاً بلوازم البيت وبما يخطر على باله مما يحتاج إليه الأبناء، ولما خرج زوجي بالسلامة من المستشفى جاءه ليعوده وقدم له في ختام زيارته ظرفًا مغلقًا بعبارات الأسف على القصير، ثم انصرف ولما فتحنا الظرف وجدنا فيه شيكًا بمبلغ عشرين ألف ريال هي قيمة إصلاح السيارة وزيادة، هو لم يسألني إن كنا استطعنا جمع المبلغ أم لا، لكنه بحسه الأبوي علم أننا لن نستطيع جمع نصفه نظرًا لظروفنا المادية الصعبة!! يا له من أخ!! ترى ماذا كنت سأفعل لو لم يكن لي أخ كسيف؟

بل ماذا كنا سنفعل جميعًا؟ إنه يزورنا باستمرار، ويتفقد أحوالنا وكأننا بناته! يكفي فقط زيارته لنا ومكثه عندنا يحتسي معنا الشاي أو القهوة أو يسعدنا بقبوله العشاء معنا، إن هذا فخر لنا، ورفعة أمام أزواجنا، وتعزيز لمكانتها.

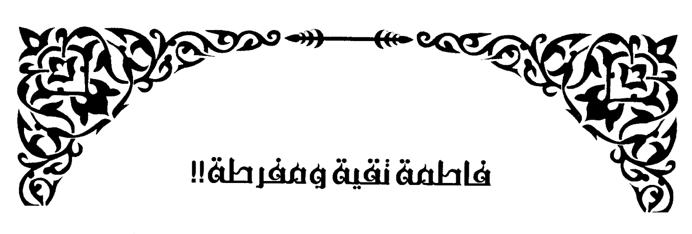
إن الأخ ركن مهم في حياة الأخت، ففقده مصيبة عظيمة وخسارة فادحة، وإهماله لها نقص في حقها وذلك لها، أما اهتمامه بها فهو مبعث فخر لها ترفع به رأسها وتقوي به سلطانها، إن هذا ما نعشر به حقًا، ليس أعذب من مكالمة هاتفية تأتيك من أخيك يسلم عليك ويسألك عن حالك أو يدعوك عنده أو يجمعك بأخواتك.

إن كلمة «أخ» من حرفين لكنها تحمل من المعاني النبيلة والسامية ما لا تكفي معه الكلمات، حقًا إنه أخ واحد لكنه مبارك يشملنا بعطفه وحبه، الحب والوفاء والألفة والمودة متجسدة فيه.

إننا نحب سيف لذا قررنا أن نجعل له من حر مالنا صدقة جارية يبقى أجرها إلى يوم القيامة، فهذا ما نستطيع مجازاته به، وما زلنا ندعو له في ظهر الغيب، وأجره على الله.

أخواتك

«عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، قال: «تقوى الله وحسن الخلق».



فاطمة نقية ومفرطة!!

تعجبني فاطمة امرأة طيبة، وأم صالحة، معروفة بحب الخير، فهي أختي الكبرى لذا أعرفها جيداً، تحرص كثيراً على حضور المحاضرات فهي مستمعة جيدة، تنصت وتعي ما يقال جيداً ثم تبثه في مجالسها ليعم نفعه. مؤشر المذياع لا يتجاوز إذاعة القرآن في بيتها تستفيد من البرامج التي تقدمها، وتستمع إلى القرآن لتراجع حفظها وتتقن التجويد.

في العصر تتجه إلى دار الذكر لتنهل من معين القرآن الذي لا ينضب تروي به عطشها لكلام الله، فإن كان هناك محاضرة في مكان ما أو درس علمي لأحد المشايخ أو طلبة العلم اتجهت فور خروجها من الدار إليها وجلست لتستمع في انتباه.

سخرت سائقها لخدمتها في أمور الخير فهي تجتمع مع صاحبات لها يراجعن الحفظ أو يستمعن إلى درس، ترسل لهن السائق ليحضرهن، وهي تجمع ما زاد عن حاجتهن في بيوتهن وتجهزه ثم ترسله مع السائق للجمعية الخيرية.

إنها لا تحب الحديث في أعراض الناس فإذا اجتمعنا في أي مكان حدثتنا عن إحدى المحاضرات التي حضرتها وسمعتها وعن الفائدة التي حصلت عليها.

إنها تحرص كثيراً على السنن وتؤدي الصلاة في وقتها، فمنذ أن تسمع الأذان وهي تتهيأ للصلاة، لا تشغلها أحاديثنا ولا فكاهاتنا ثم تجلس في مصلاها تذكر الله وتستغفره وتكثر من الدعاء.

تعجبني "فاطمة" في هذا الجانب المشرق حيث لا يمل جليسها حلو حديثها وعذب منطقها، ولكنها - مع الأسف - لا تعجبني في الوقت ذاته، إذ أن هذا الصلاح وتلك

الاستقامة لا يرى أثرها على بناتها، فهن ما زلن على العهد بهن، لم يتغير فيهن شئ منذ التحقت أمهن بدار تحفيظ القرآن وتوجهت نحو أمور دينها.

ربما يظن البعيدين أنها عجزت عن هداية بناتها أو أن بناتها لا يستمعن لها ولا يعبأن بحديثها ولكن الحقيقة التي يراها القريبون شئ آخر فهي أصلاً لم تكلمهن مرة واحدة عن هذه المخالفات، ولا ترى لذلك داعياً ألبتة فصلاحهما في نفسها، وحجتها أن كل جيل يجب أن يعيش متمشياً مع زمانه الذي وجد فيه، فكيف تمنع بناتها من شئ وكل البنات في مثل أعمارهن يعملنه، إنها تترك لهن الحرية شفقة عليهن ورحمة بهن أن تكدر خواطرهن بكثرة أوامرها أو كثرة قيودها.

مع الأسف لا يعجبني فيها أنها ترى بناتها على الخطأ ولا يتمعر وجهها إنكاراً على الأقل إن كنت عاجزة عن تغييرهن فاستخدمي عضلات وجهك ليرين أثر أفعالهن عليك وأنها أبداً لا ترضيك.

أيعقل يا أختي وأنت الملتحقة بدار التحفيظ منذ زمن أن يضايقك نصح أحد لك بهذا الشان، لماذا أرى آثار الضيق في وجهك حين أحدثك عنهن وعن تفريطهن بحجابهن ولا أرى أثره عليك وأنت ترينهن يخرجن به إلى الأسواق وإلى كل مكان؟! ليس حجة أبداً قولك أن كثيراً من البنات كن كذا ثم هداهن الله.

أعلم أنك تتمنين هدايتهن ولكنك لا تفعلين أسبابها وهذا ناتج عن عجز منك وضعف، وإلا فإن من مقتضيات المسؤولية وقاية من هم تحت يدك من الرعية من النار والخوف عليهن من العذاب.

فأين هذا كله من لباس بناتك غير المحتشم بنطلونات، وفساتين بلا أكمام وفتحات من كل جانب، وإن قلت إن هذه خطوة متأخرة تسبقها خطوات فأنا لم أر هذه الخطوات فما زالت أفكارهن هي هي لم يتحولن عنها، حديثهن عن الفيلم والمسرحية والنجم والفنانة. وتعالي استمعي إلى صرخات الإعجاب وآهات الولع.

حقاً (إنك لا تهدي من أحببت) ولكني لا أحدثك عن هذا، إن ما أحدثك عنه هو هذه السلبية تجاههن؛ حضرتن الحفل ليلة البارحة، دخلت الصالة وعن يمينك اثنتان وعن يسارك واحدة ألم تنظري إلى لباسهن؟ لماذا لا تمنعينهن من الحضور؟ لماذا لم ترغميهن على الاحتشام؟ أين قوامتك عليهن؟ ألست أمهن؟ ألسن بناتك وهن "طيبات ولا يخرجن عن طاعتك" كما تقولين دائماً، لماذا لم تستغلي هذه الصفة وتضغطين عليهن إنك تملكين الورقة الرابحة دائماً "رضاك عليهن مقرون بكذا" أم أن هذا الرضا لا يظهر إلا في بعض المواقف التي لا تتنافى مع هواهن والتي تظهر فيها شخصيتك القوية.

إن كنت عجزت عن تقويمهن فلا تدافعي عن أخطائهن وتجاوزاتهن الشرعية، ولا تغضبي إن رأيت الاستنكار في عيون الأخريات فأنت التي تدفعينهن إلى هذا بهذه السلبية والشفق المقيتة!! هدانا الله وإياك إلى الحق.

"أختك"

قال رسول الله ﷺ: «**ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصحه لم يجد رائحة الجنة**».

التفاعل والاندماج لا الذوبان والتلاشي.

يقولون إن الزوج هو شريك الحياة والزوجة هي شريكة الحياة، يعني أن الزواج هو شركة بين طرفين، وهذه المشاركة تقتضي التفاعل والاندماج لا الذوبان والتلاشي لطرف على حساب طرف آخر فهي كحلقات السلسلة متداخلة في بعضها لكنها قوية ومتماسكة وثابتة وهذا هو المفروض في سفينة الحياة لتسير في بحر الزمن بكل أمان.

أما إذا استأثر أحد الطرفين بالقيادة وألغى دور صاحبه وهضم حقه في التعبير فإن التخبط والتمزق هما مصير هذه السفينة.

إن الزوج وإن كل رب الأسرة وقائدها والقيمّ عليها يجب ألا ينسى دور شريكة حياته، فهو لا يقل عن دوره إن لم يضارعه ويفوقه، ولا يعني أن تكون لها شخصية خاصة وتفكير مستقل، لا يعني أبداً أنها تسعى إلى الانفراد بالقيادة، بل إنها تثبت وجودها وقدرتها على فهم الواقع والتعامل معه بما يقتضيه الحال.

كلام جميل!! أليس كذلك؟! إن هذا ما أتمنى أن يفهمه زوجي الذي يسعى إلى طمس شخصيتي وإلغاء تفكيري وابتلاع رأيي لتبقى له الساحة خالية يأمر فأنفذ، ويملي فأوافق ويفرض فأعمل دون سؤال ولا جواب ولا اعتراض.

على مدى سنوات حاولت أن أكون كما يريد، عجينة من صلصال يشكلها كيف يشاء يكورها أو يبسطها أو يبعثرها، لكنني عجزت أن أخالف فطرتي، استمرأت هذه التبعية البغيضة التي لم ترد في كتاب ولا سنة. طاعة عمياء، بل صماء وبكماء أيضاً في كل شيء لأحظى برضا "السيد" طاعة وخنوع أدت بي إلى الضجر والملل.

إن بعض الخلافات والاختلافات بيننا هي التي تفكه الحياة وتضفي عليها الحيوية، وتجدد الدماء في عروقها وتمنحها دفئاً خاصاً.

"نعم، كما تريد" على طول الخط جعلت أيامي مملة، باهتة وشاحبة. أين "ندى"؟ لقد توارت خجلاً في ظل أحمد.

ننزل إلى السوق لنشرتي ملابس، نعود وقد اشتريت الفستان الذي يريد. ليس بالضرورة أن يكون فستاناً أرتديه في البيت، بل هو فستان سهرة أو "تايوراً" للعمل قد لا يكون جميلاً كما أحب أن ألبس، أو لا يناسبني لونه ولكنني اشتريته لإرضائه فقط!! لأنني لو لم أفعل فسيغضب مني.

صديقتي "ميساء" ولدت بنتاً واشترى لها هو الهدية، بذوقه واختياره، قدمتها على استحياء لأنها لا تناسب مستوى علاقتي بها، قدمتها فقط لأرضيه!!.

صرت كجهاز يملكه يديره، "بالريموت" يتحكم فيه عن بعد، يملي علي ما أقول للآخرين، ويحفظني حرفاً حرفاً حتى لا أنسى!! إذا سألتك "نورة" لماذا لم تحضري حفلتها فقولي لها إن زوجي كان على موعد مهم مع أصدقائه، لا تقولي إنني لم أرغب في ذهابك فهمت؟ هاه ماذا تقولين؟ أعيدي علي.

كالببغاء أردد ما يقوله دون وعي بل بوعي وإدراك ولكنني مقهورة، أشعر أن من حولي يكذبونني في بعض الكلام فهو يتناقض مع الواقع الذي يعلمونه ولكني أفعل ذلك بناءً على رغبته وطلباً لرضاه.

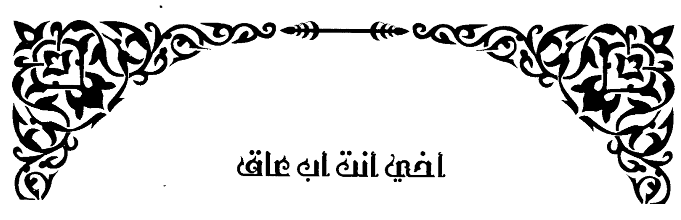
حالي معه، كحال القردة مع بائع الطرابيش، رأته يرتديه ففعلت مثله، ثم لما خلع خلعته، ولما رماه رمته دون أن تدري لماذا فعل ذلك إنها تقلد فقط بفطرتها وأنا أقلد رغماً عني وحتى يقال لي- كما يزعم- إنني زوجة مطيعة لزوجها، وتسعى إلى رضاه.

لقد كبرت قليلاً، وضاق هذا الثوب علي، وكثرت المصادمات بيني وبين نفسي، فما عدت أحتمل أكثر، نداء من أعماقي بدأ يعلو، وحمم داخلي تنفجر، فكل الأمور لا بد

أن تعود إلى طبيعتها مهما تراكم عليها من غبار السنين، هي جذوة خبت لكنها لم تنطفئ، إن لي دوراً مهماً يجب أن أقوم به لم تفرضه علي أمي ولا العادات أو التقاليد بل شرفني به خالقي وهو سائلني عنه، وأنت اليوم تبني أساسه على شفا جرف هار وهذا سيكلفني الكثير، لذا فكرت أن أعود لحقيقتي، وأؤسس كياني لنمد أيدينا ونتصافح لا لنتصارع فنحن لسنا في حلبة ولا في غابة فالحياة بيننا مشاركة وتفاعل، فهيا هات يدك، فهذا ما سيحدث.

"زوجتك"

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١)



رغم فرحتنا بنجاح "رقية" وتخرجها من الجامعة إلا إننا لم ننس شيئاً واحداً ظل يدق مجلجلاً معلناً وجوده بيننا وفي أفئدتنا وعقولنا، إنها ابنة أخي الثالثة التي تتخرج من الجامعة وتبقى في البيت دون وظيفة ولا زواج، إنها ما زالت صغيرة ومطلوبة ولكن هناك شئ مؤلم ينخر عقلها وأخواتها ويقض مضاجعهن.

رقية وأخواتها، بنات أخي "عبد الله" حباهن الله من طيب المعشر وحسن الخلق وطلاقة الوجه وحلو الحديث، ما فقن به أترابهن، وإذ أرد الفضل لأهله فإني أذكر زوجة أخي بكل خير، فهي امرأة عاقلة رزينة ومن أسرة محافظة كريمة، كانت خير زوجة لـ أسوأ رجل نعم ومع الأسف إن أخي لم يكن يستحقها عن جدارة، لقد صبرت عليه كثيراً وحاولت تقويمه وإصلاحه ولكنها عجزت وأسلمت أمرها لله الذي بيده مقاليد الأمور يقلب الليل والنهار - سبحانه - واتجهت بكليتها لتربية أبنائها وحمايتهم من شر قد يدفعهم إليه أبوهم، فصارت توجه وتعلم، تغرس وتسقي، تحمي وتدافع عن هذه النبتات الضعيفة بكل قوتها مستمدة العون من الله. ملتجئة إليه في كل حين، تدعوه وتتضرع إليه أن يحفظ لها ذريتها وأن يجنبهم الذلل ويصلحهم لتراهم أشجاراً قوية ممتدة في وجه رياح الفتن والذنوب، وأخالها الله ما تتمنى ولم يخب رجاءها، وغدت البنات في أبهى حلة، نجيمات ساطعات براقات في سماء حياتها تتطلع إليهن فيزداد يقينها بقرب الله منها إذ لم يردها خائبة، فها هي غراس يديها تشب كأحسن ما يكون، طلعة بهية وخلق كريم، ولسان عذب ولكن هذا الطعام الشهي تحته بلل وفيه دخن، إنه والدهن الذي جلب لهم السمعة السيئة وتركهن يجترن آلامهن ويبتلعن غصصهن وراح يعربد-ولا حول ولا قوة إلا بالله -

حتى عُرف بين جيرانه بهذا، ولم يعد الأمر يخفى على أحد كما كان في السابق لقد كبرت البنات وبدأن يلفتن الأنظار ويسلبن الألباب مما عجل بكشف الحقيقة، بكل قبحها ومرارتها.

كلما تقدم خاطب، وأخذت الأمور مجراها الطبيعي وبدأت الفرحة تعمر القلوب فجأة يتحطم الأمل ويقضي على بذور السعادة التي كادت أن تتفتق وينشر الظلام والحزن.

نحن لا نلوم الخاطبين فربما لو كنا مكانهم لما تغير موقفنا عن موقفهم، ولكنا نتساءل بحرقة، ما ذنب هؤلاء البنات؟ ولماذا يؤاخذن بجريرة أبيهن؟ إن حسن سمعتهن وكريم أدبهن هو الطابع الذي يختم علاقاتهن مع الآخرين، وهو أول انطباع يتركن في نفوس من يتعامل معهن، فوالدتهم احتضنتهن صغاراً وأحاطتهن برعايتها، وبحكمتها أنشأتهن في معزل عن هذا الجو الموبوء.

كم يؤلمني حالهن وأنا أرى في عيونهن ألف تساؤل تعقبه ألف حسرة، وكأنهن يصرخن من أعماقهن: ما ذنبنا؟ نحن لسن راضيات عن فعل والدنا ولكن قدرنا الذي كتبه الله لنا؟ علينا الدعاء له والإحسان إليه ولا نملك سوى ذلك.

إن الحقيقة كالشمس التي وإن غابت يوماً أو حجبتها السحب فلابد أن تظهر ساطعة قوية تؤذي بنور شعاعها أعين الجبناء الذين يحاولون إخفاؤها أو الهرب من وهجها لأنها تكشفهم وتعري زيفهم.

إننا لم نعد نستطيع أن نخفي شيئاً، وبتنا عاجزين عن إخراس هذه الألسنة الحادة التي تتكلم بالسوء، الذي هو الحقيقة المرة، لقد أصبح مألوفاً أن يعود أخي إلى بيته قبل الفجر وهو لا يعي ما يقول قد أذهب الخمر عقله، وطمس تفكيره، إن محاولات الإصلاح الكثيرة لم تنتج شيئاً، لعل الله لم يرد هدايته بعد.

إنني أخاف على البنات من الفتنة وأدعو الله لهن في كل صلاة، إن البنات يكبرن كالزهرات المتفتحة سرعان ما تبذل ويزول بريقها، وكالشمعة المتقدة سرعان ما تنطفئ

ويذهب وهجها فيصبحن كالثمار الخاوية الضعيفة لا يستفيد منها أحد ولا يلتفت إليها أحد.

أما أنت يا أخي أيها الأب العاق اسمح لي أن أقول لك إنك لا تستحق أن تكون أباً فكيف بك أب لهؤلاء البنات اليانعات، إنك تقف حجر عثرة في طريق سعادتهن، وجداراً يحجز عنهن الخير.

إن الأب الذي لا ينفك عن شرب الخمر ولا يعرف طريق المسجد، ولا يقوم بمسئوليته لن يطرق بابه أحد، وسيأتي اليوم الذي تخسر فيه كل شئ وربما تفيق من سكرتك فلا تجد أحداً تستند إليه فارجع إلى رشدك وفكر في حال بناتك الضعيفات من لهن سواك، بعد الله.

وأنتن يا بنات أخي عليكن بالدعاء.. عليكن بالدعاء.. فقد يأتي الفرج من حيث لم تفكرن، وقد يسوق الله إليكن رجالاً صالحين يدركون أنه لا تزر وازرة وزر أخرى وأن الله يخرج الحي من الميت، حماكن الله من كل سوء.

ارفع وصيتك عن ابنتي!!

في محاولة لإضفاء جو من الود وإشعارهم بأهميتهم ألححت على ابنتي أن تخبر أهل زوجها السابق - يرحمه الله - بأمر زواجها، حتى يكونوا على علم بوضع أبنائهم وأنهم في أمان - بإذن الله - ما داموا معها، فكانت الطامة التي زلزلت كل شيء، وأفسدت عليها فرحتها بالاستقرار.

لقد رفضوا رفضاً قاطعاً، وانبرى أخوه الأكبر للحديث: "لن يعيش أبناء أخي في كنف رجل غريب، لقد حان الوقت لأخذهم ليشبوا مع أبنائنا في جو من التكافؤ الاجتماعي، فهم أبناء عائلة واحدة، وعاداتهم واحدة".

الآن؟! أين كنتم في الماضي؟ لم تفكروا في أخذهم حتى للزيارة فقط؟ لم تتفقدوا حاجتهم كما ينبغي، لم تشعروهم قط أنكم أهلهم، وملاذهم - بعد الله سبحانه وتعالى - هل نسيتم تلك الأيام المحلة الثقيلة وتلك الإجراءات الطويلة التي كانت تتطلب ورقة أو بطاقة أو توقيعاً منكم لتنهي حاجة المحكمة، وينتهي معها مسلسل الإرث الطويل هل نسيتم كيف تماطلون وتتأخرون وتتعذرون حتى حفيت الأقدام وشابت الرؤوس؟ إن كنتم نسيتم فإنها لم تنس لقد عاشت المعاناة بوجهيها.

ماذا كنت تنتظر من حديثك هذا؟ أن تسلمك أبناءها أم تسلمك شيئاً آخراً؟ هل كنت تظن أنها ستفرط في أصبع من أصابعهم؟ لقد مكثت سنين عدداً ترقب نموهم خمس سنوات حتى أتم أصغرهم عامه السادس وهي تحافظ عليهم -بحول الله وقوته - من نسمة

الهواء الباردة، أو لفحة الشمس الحارقة، خمس سنوات لم يغيبوا عن ناظريها طرفة عين، عرقت ليتدفئوا، وتعبت ليصحوا، واختنقت ليتنفسوا.

الآن أصبح لهم أعمام؟ ثم أين هذا العم الذي يتحدث الآن طوال تلك السنوات؟ لم لم يسأل عنهم؟ لِمَ لم يفكر بحضانتهم؟ يريدهم الآن ليكونوا خدماً لزوجته وأولاده؟ وحتى لو لم يكن ذلك، فلن نتخلى عنهم ما دام فينا عرقاً ينبض؟

لقد ذهب العريس إلى غير رجعة، رعونة هذا العم أفقدت ابنتي حياة جديدة لقد خافت أن ينفذ معها تهديده، ويأخذ الأبناء في ليلة مقمرة وهي تنظر.

عافت الأزواج، ومرت فترة ليست بالقصيرة، كل فيها الوسطاء لثنيه عن عزمه وتهديده، ولإفهامه حقيقة واحدة أنه ليس وصياً عليها. وأن حياتها ملك خاص بها، وأنها قبل أن توافق على الزواج- حاولت الحصول على جميع الضمانات التي تكلف لأبنائها حياة كريمة- وكفى بالله وكيلاً، ثم إن هذا ليس الخاطب رقم واحد بل هو الرجل المناسب.

لا أدري لماذا ثارت ثائرتهم؟! هل يريدون أن تدفن نفسها حية في عز شبابها؟ إن ابنها البكر لم يتجاوز العاشرة، وهي لن تتركهم عندنا ولا عند خادمة، لقد جعلتهم شرطها الأول في القبول بأي خاطب، فخطواتهم في بيتها الجديد يجب أن تسبق خطواتها.

هدأت الأمور نوعاً ما، وبدأت "زينة" تصرف النظر عن فكرة الزواج بعد أن جهدت في إقناعها، ليس رخصاً بها ولا مللاً منها. ولو كانت البنات يتزوجن للملل منهن لما تزوجت "زينة" أبداً فهي عطر البيت وعبيره، الحبيبة اللبيبة، الأثيرة عندي وعند والدها، ولكني كنت أتأمل حالها بكثير من الأسى، شابة لم تبلغ الثلاثين من عمرها، وهبها الله من فضله الجمال والنضارة وكتب عليها أن تترمل وهي صغيرة لتحنو على ثلاثة أيتام صغار كأفراخ العصافير حتى احدودب ظهرها ومال كما تميل الشجرة إلى ناحية واحدة بظلها.

لما رأيتها بهذا الحال أشفقت عليها ورأيت أنه قد حان الوقت لتلتفت إلى نفسها وتنظر في حياتها، فالصغير قد كبر، ولا بد لها من سند - بعد الله سبحانه - يعينها ويقف إلى

جانبها ويشعر الأولاد أنه مثل أبوهم، فهي ما زالت صغيرة ومرغوبة، ولم أصدق نفسي حين علمت بموافقتها واقتناعها خاصة أن الخطاب ما زالوا كثر، وبإمكانها التفكير بتمعن وترو وكدت أطير من الفرح وافقت على هذا الأخير ولكنها فرحة لم تكتمل، بترها هذا العم بتهديده ووعيده.

إنني على يقين أنهم جميعاً لا يخافون عليها، بل يخافون على إرث أخيهم أن يتبدد أو يأكله "ولد الناس" يريدونها أن تبقى حارسة لهذا المال مغلقين عليه في صندوقه لا تتمتع به ولا أولادها، بحجة أنهم ما زالوا قصراً لا يحسنون التصرف في مالهم.

أو أنهم يغارون على حرمة أخيهم - رحمه الله - من أن يكشفها غريب هذا وإن صح، فأين هم لما ترملت وتحسرت لم يحتووا ألمها وحزنها، ولم يكفلوا أبناء أخيهم ويحفظوا حرمته.

أرجوكم كفوا عن الوقوف حجر عثرة في طريق سعادتها، دعوها تحيا حياتها الجديدة، وتنفض عنها غبار السنين الصدئة، إنكم مهما فعلتم فلن تمنعوها عن شيء من خاصة حقوقها، فلنبق حبل الود والوصل فهو الذي دفعنا لإخباركم فلا تقطعوه وتقطعوا معه رحمكم - حفظكم الله - .

"والدتها"

حب الظهور وتلميع الصورة!!

لا أظن أحداً يتفوق على خالتي "رحاب" في حب الظهور وتلميع الصورة وتضخيم الذات، حين أسمعها وهي تتحدث عن نفسها أو عن حياتها أو أولادها أظن أنني أمام أعظم امرأة في العالم، فهي نسيج وحدها وفريدة عصرها.

تسعى دائماً لمدح نفسها والثناء عليها، وعلى كل ما يتعلق بها وتدعي زوراً أشياء ليست عندها ولا تستطيع فعلها لتبهر من حولها بحلو حديثها وجمال صورتها، ولكنها تناست أن هذا الإبهار كان في الماضي فقط، أما الآن قد انكشفت حقيقتها عندنا ولم يعد لكلامها ذلك التألق وتلك الجاذبية، بل صار مملاً ممجاً ويدعو إلى السآمة والضجر، إنها أحياناً تثير شفقتي وكما قيل "من كثر من شيء سمج".

خالتي العزيزة: هل نسيت أن للناس أعيناً وآذاناً، وأنهم ليسوا بهائم لا يميزون وأنه لم يعد يخفى من أمرك شئ عن المحيطين بك.

بالأمس تقولين إنك لا تحبين أبداً التعامل مع أبنائك بطريقة قاسية وفجة. وإن الكلام البذيء محرم في قواميسك!! وإنك ترثين!! لحال أولئك الأولاد الذين ابتلوا بأمهات بذيئات الألسنة!!

واليوم أسمعك مرات عدة تنادين أحد أبنائك بما يترفع القلم عن تحبيره وتنعيتهم بأخس الحيوانات، سمعتك تقولين ذلك في الهاتف مرات ولم يكن الأمر يستدعي فورة غضب أو قذف شتائم!

عجبي لك حين تدّعين أن بناتك من خيرة البنات خلقاً وأدباً وتقولين إنهن في الولائم التي يقيمها والدهن يجهزن مائدة عامرة بأطيب الطعام تضاهي أرقى المطاعم، وأن الضيوف

دائماً ما يتساءلون عن اسم المطعم الذي أحضرتم منه العشاء، وإنهم يتعجبون ويذكرون الله!! حين يعلمون أن هذا البوفية الراقي من صنع بناتك!! سبحان الله إن هذا إلا إفك مبين! إننا لم نتذوق مرة واحدة طبقاً من صنعهن بل إنهن بشهادة الجميع لا يفرقن بين المقلي والمشوي، وذات مرة همت إحداهن بتقطيع الملوخية في السلطة ظناً منها أنها بقدونس.

أما الخلق والأدب فلا داعي لذكر المواقف التي تثبت سلاطة ألسنتهن وقلة أدبهن وخاصة مع من هن أكبر سناً أو مع من يوجه لهن نصيحة!! فلماذا كل هذا التلميع الزائف؟ هل كنت تظنينا صماً عمياً؟

لقد أمسكت رأسي بين كفي حتى لا يطير غيظاً، حين اعتذرت من زوجة عمي التي دعتك لزيارة أختها مدعية أنك لا يمكنك بحال من الأحوال أن تتركي أبناءك الصغار مع الخادمة، وأنك لم تعتادي ذلك!! وأن قلبك يظل معصوراً وأعصابك مشدودة!! ولا تهنأين برؤية أحد ولا حتى بلقمة حتى تعودين إلى البيت في أسرع وقت وتدعين أنك كثيراً ما تعودين إلى البيت بعد ذهابك بنصف ساعة لأنك لا تأمنين بقاء الصغار مع الخادمة!!

كيف تقولين ذلك في حضورنا وأنت تعلمين جيداً أننا نعرف أن هذا كذب ومحض افتراء، أنت تريدين أن تظهري أمام زوجة عمي تلك المرأة الفاضلة والمربية القديرة بمظهر الأم الرؤوم التي لا تكل أبناءها إلى الخادمة.

أين إذن تتركين أبناءك حين تدورين مع جاراتك في دورية لا تبدأ إلا بعد المغرب، وفي كثير من المناسبات والحفلات الليلية التي تحضرينها مع بناتك أين يكون أبناءك الصغار؟ وأثناء الساعات الطويلة التي تقضينها في السوق أو في زيارة صديقاتك لا يكون الأبناء معك، هل نسيت؟ إذن سأذكرك:

في مرة رافقتك إلى السوق وكان هاتفك لا يكل من الرنين يرجونك العودة إلى البيت لأن الصغير يبكي من الحرارة والألم، هل فكرت بالعودة بسرعة؟

لقد طلبت منهن إعطاءه دواء مسكناً للحرارة وأن يخففوا ملابسه وأن تحمله الخادمة وتهدهده حتى يسكن، ثم قضيت ما يقارب الساعتين في السوق، وتحت إلحاح مني قررت الرجوع إلى البيت، فكثرت اتصالاتهم سدت نفسي عن التسويق وأنت تدخلين كل محل وتقلبين كل بضاعة وكأن أمر الصغير لا يعنيك؟

إنني على يقين أنك لم تعتذري لزوجة عمي عن الحضور إلا لسبب قاهر في عرفك، إما أنك لا تملكين فستاناً جديداً، أو أنك مرتبطة في حفل آخر، أو أن مستوى حفلهم لا يناسبك!.

عجبي لك يزداد وعجبي منك كيف تكذبين وتتشبعين بما ليس عندك وأنت في سن يفترض فيها الرشد والعقل والنضج؟!

إن الكذب ذنب عظيم قد يختم لك به وتكتبين عند الله من الكذابات فلماذا تزيدين عليه هذا التشبع الفارغ والإدعاء البغيض؟!! لماذا لا تتركين أفعالك تتحدث عنك، وتجعلين الآخرين هم الذين يكتشفونك، ويكونون مرآة ترين فيها صورتك الحقيقية دون تزييف ولا تلميع ولا تضخيم.

نحن لم نسألك يوماً عن بناتك ولا عن الأسواق التي ترتادينها ولا عن السفرة التي تجهزينها كل يوم والتي يثني عليها زوجك، فلماذا تحبين الحديث في هذا كثيراً، لقد مللنا الكذب ومللنا تزكية النفس، وظهرت الصورة الحقيقية عارية من كل البهارج، فاحفظي لسانك وتأملي عيوبك رعاك الله.

"ابنة أختك"

قال رسول الله ﷺ: «**وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً**» متفق عليه.

العيش في ظل التوبة

قال تعالى : ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾

هذه الآيات عظيمة فهي تتحدث عن التوبة ولأن التوبة أمرها عظيم فإني سأخصص هذا الدرس للحديث عنها وعن شروطها وعن أهليتها ... فباب التوبة مفتوح حتى تطلع الشمس من مغربها.

بهذه الكلمات القليلة بدأت معلمتي الحديث، لا أعلم ما الذي دفعني للإنصات إليها بعمق، فهي ليست عادتي إذ لا تستهويني هذه المواضيع البتة، بل تجلب لي النعاس فأجدها فرصة لأغط في نوم عميق لا يوقظني منه إلا صوت الجرس أو صديقتي التي تعلمني بانتهاء الدرس أو المحاضرة التي تقام في مدرستنا بين الحين والآخر.

أنصت بكل جوارحي وأخذتني عذوبة صوتها وصدق عاطفتها وهذا الصدر العظيم من ا لشفقة في ثنايا حديثها، الأجر، الصبر، الحسنات، السيئات، الجنة، النار كلمات سمعتها كثيراً لكنها لم تجبرني على الوقوف عندها مثل هذه المرة، فأصابتني رعدة سرت في جسدي كله وانتفضت على أثرها فزدت انتباهاً، أدك أن رحمة الله ولطفه بي وراء ذلك كله فهذه ليست المرة الأولى التي أجبر على سماع مثل هذا الحديث خاصة في المدرسة، ولكن الله سبحانه أراد لي الخير فساقه على لسان هذه المعلمة فله الحمد.

دق الجرس إيذاناً بانتهاء الحصة الأخيرة وخرجت المعلمة وتبعتها ببصري وشرد ذهني، ليت الزمن توقف عند تلك اللحظة التي ختمت فيها حديثها بتلك النصيحة الثمينة بتقوى الله وطاعته في كل حين، ليتها ظلت تتحدث دون انقطاع لقد صادف غيث حديثها

أرضاً عطشى شربت الماء وارتوت جذور إيمانها الميتة في أعماقها فعادت إليها الحياة واهتزت وربت.

رميت حقيبتي على كتفي وسرت بتثاقل، جذبتني صديقتي وغمزتني أخرى وبدأن يطلقن التعليقات وأنا في انصراف عنهن أسبح في عالم آخر وأحلق في فضائه أقلب النظر في أمري وأبدأ في تقييم نفسي: ماذا لو جعلت لي درجة من عشرة في كل عباداتي وسلوكي؟ ترى كم سأكسب؟ الصلاة صفر من عشرة، الصدق صفر من عشرة والأمانة صفر من عشرة، وبر الوالدين صفران من عشرة. يا إلهي ما أفظع حالي!! إنني في الحضيض أرقد في قذارة الدنيا ونتنها!! متعتي مع ثلة من الصديقات التافهات أمثالي ننتشي طرباً لفوز فريقنا المفضل ونتبادل أشرطة الغناء المصورة بفرح، ونتابع المسلسلات ونحتفظ بصور الفنانين والفنانات. ونستمتع بهمز المعلمات والانتفاض من قدرهن والسخرية بالزميلات ورميهن بالألقاب السيئة ولا يكتمل أنسنا إلا بالوقوف في آخر الفصل أو سماع عبارات اللوم والتقريع من المعلمة على إهمالنا الواجب أو رسوبنا في الاختبارات!!.

وصلت إلى البيت في جو من الذهول عما حولي، اغتسلت مباشرة وبحثت عن سجادتي التي كثيراً ما أهجرها، وصليت صلاة ناجيت فيها الله واستغفرته كثيراً ثم بكيت ونمت كأن ذلك اليوم بداية التحول في حياتي من فتاة جامدة كالثلج، قاسية كالصخر إلى فتاة مفعمة بالحيوية والنشاط، متدفقة بالحب والعاطفة، مقبلة على الله بكل جوارحها.

استيقظت واتجهت فوراً إلى والدتي وقبلت رأسها وسألتها أن تدعوا لي كثيراً، فهي لم تر مني خيراً قط، أجادلها في كل شيء ولا أعيرها اهتماماً، لا اجلس معها ولا أحادثها ولا أساعدها في عمل البيت أتذمر حين تطلب مني شيئاً بينما أريدها أن تجيب لي كل طلباتي، ووالدي الذي هو في نظري خزانة نقود أفتحها لآخذ منها حاجتي ثم أغلقها ولا أعود إليها إلا حين الحاجة بدأت أتودد إليه وأجلس معه وأسأله عن حاجته أعد له الشاي

وأكوي له ثيابه، وأنا أحاول أن أتقن ذلك حتى أرضيه، فحق الوالدين عظيم وهو مقدم على الجهاد في سبيل الله.

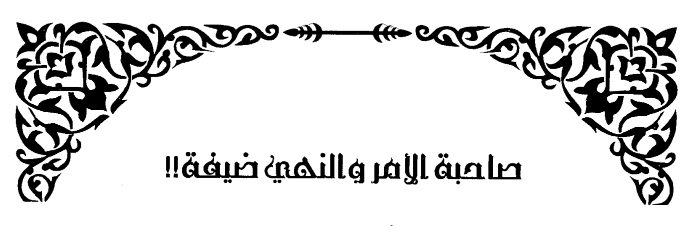
لقد وجدت صعوبة في بادئ الأمر ولكني قسرت نفسي على هذا وعودتها عليه وألزمتها به حتى اعتادته وألفته وهان عليها عمله.

لقد تفقدت أعمالي الأخرى، الصلاة عمود الدين صرت أسعى لها باكراً، وأتجهز قبل الأذان وأجلس في مصلاتي أدعو الله أو أقرأ القرآن حتى يؤذن، كما كانت صلاتي تشكو حالها معي التقصير والهجران أو التأخير والنسيان وفي أحسن الأحوال كنت أنقرها كنقر الغراب كأنما أمنّ بها على الله؟

وحاجبي كان له نصيب من التغيير فقد عاد إلى مكانه الطبيعي وتربع فوق رأسي ثانية كالتاج ألف به عفافي، ولقد سخرت مني زميلاتي لكن تراجعن ولذن بالصمت المر حيال ثباتي وصمودي.

أشياء كثيرة كانت تحتاج إلى تغيير، وذنوب أكثر أسرفت فيها على نفسي، عالجتها بالتوبة وصدق اللجوء إلى الله وكثرة الدعاء والإلحاح في المسألة حتى وجدت لذلك أثراً فاستطعت بحمد الله أن أهذب أخلاقي فنبذت الكلام البذيء وتركت السخرية بالآخرين وأرغمت نفسي على احترام من هم فوقي وعاهدت نفسي على الصدق وبدأت في إشاعة جو من الود معطر بالحب والاحترام في بيتنا لأرى والدي ما كان يحلمان به في ابنتهما الكبرى فكان من نتائج ذلك أن استجابا لي وأخرجا هذا الطبق الخبيث المتربع في سطح بيتنا فالحمد لله أولاً وأخيراً.

ما ألذ التوبة، وما أحلى الرجوع إلى الله، فرق بين حياة تعيش فيها لشهوتك وحياة تعيش فيها لربك وخالقك حياة عابثة لاهية ليس فيها هدف ولا غاية، وحياة تضبط فيها حركاتك، وسكناتك، وفق هدف محدد وغاية عظيمة ألا وهي رضا الله سبحانه. لقد ظفرت براحة القلب، ورضا الوالدين، واحترام الآخرين فما أجمل العيش في ظل التوبة.



صاحبة الأمر والنهي ضيفة!!

كنت أسمع والدتي تقول دائماً، "اللهم لا تكلنا إلى أحد من خلقك"، وتردد على مسامعنا أن الحاجة إلى الناس مذلة، ففهمت أن الإنسان يصبح ذليلاً حين يحتاج إلى الآخرين، لأنه لا بد أن يتصنع لهم ويداريهم ليظفر بحاجته، وتعلمت من والدي أن أحسن إلى الناس حتى استعبد قلوبهم، وآمن شرورهم، ونشأت على هذا الخلق الجميل أنا وإخوتي، فعاشت بيننا عمتي عزيزة كريمة، كانت أثيرة والدي، وربتنا أمي على احترامها، فهما قد عاشتا تحت سقف واحد سنوات عديدة.

حين يحدث بينهما خصام كانت والدتي تحرص ألا نرى وجهها، فإما أن تبقى في غرفتها حتى يزول ما في نفسها، أو تذهب إلى بيت جدي، وهي ترينا دائماً ألا شيء يستحق الذكر، لذا كبرنا ونفوسنا صافية تجاه عمتي، لم يعكر ماء حبنا لها شيء.

عمتي ذاقت اليتم صغيرة، فصار والدي كالأب لها بالرغم من أن الفارق العمري بينهما لم يكن كبيراً، فعاشت في كنفه كالبنت تحت جناح والدها، وعاملتها والدتي خير معاملة مثل أختها تماماً، ولكن هل تستحق عمتي كل هذا الاحترام؟ عفواً، فالحقيقة لا يمكن إخفاؤها، والشمس لا يحجب ضوءها الغربال.

لقد صارت عمتي هي الآمرة الناهية في البيت، وكلمتها هي النافذة، ولا يمكن لأحد أن يعترض على حديثها، أو يراجعها في قرار اتخذته.

قررنا السفر في الإجازة ورسمنا الخطة واقترعنا على الوجهة التي نريد، فلما جاء جور عمتي رفضت الفكرة أصلاً، وأفسدت علينا الاستمتاع بالإجارة، هي تعلم أننا لن

نسافر بدونها، ونحن نعلم ألا أحد من زوجات أعمامي ترغب في بقائها عندها، وهي لا تحب الجلوس عندهم، الأجل زواج أخت صديقتها نبقى في هذا الجو نتكوي بناره؟

عمتي لم تتزوج، لم يكتب الله لها نصيباً، وفاتها القطار، وكان هذا إيذاناً بالإقامة الدائمة، وهو يعني المزيد من الرعاية والاهتمام منا لها.

هي تدرك مدى حاجتها لوالدي، والحاجة تذل ومع ذلك لم نر منها تذللاً لوالدتي أو زيادة احترام لها، ولا عرفاناً لفضلها.

ذات يوم رن هاتفها المحمول، ربما أنها نسيت موعداً مهماً مع صديقتها التي اتصلت لتذكرها به، سألت عن السائق فأخبرتها أنه يوصل والدتي في زيارة لإحدى قريباتها، غضبت ثم اتصلت بوالدتي على هاتفها وأمرتها أن ترسل السائق حالاً لأنها على موعد مهم لا يمكن تأجيله، فما كان من والدتي إلا أن قطعت زيارتها وعادت إلى البيت لأنها تعلم حين يذهب السائق بعمتي متى يعود؟

هي تنتظر منا التضحية والبذل بينما لا تفعل هي الشيء ذاته، في العام الماضي وقبل الاختبارات بقليل وضعت أمي مولوداً جميلاً اختلفنا في تسميته؟، فجعل والدي أمر التسمية لعمتي، فأسمته وسط جو من الفرح والسرور، فهل قدرت هذا لأمر وأظهرت روح التعاون والمحبة؟ هل قامت بخدمة والدتي في هذه الفترة العصيبة؟ حسناً لن أقول خدمتها، فهناك خادمتان، ولكن هل كانت موجودة في البيت وقت تواجد الضيوف؟ إنها تخرج في زيارات لبعض صديقاتها، أو تنزل إلى السوق، أو تتحجج بزيارة لخالتها المريضة، أو لديها موعد عند طبيب الأسنان، ومرة أو اثنتان فقط التي بقيت فيهما في البيت لتقابل الضيوف.

وهذا ليس انطواء أو عزلة ولكنها لا تحب أن يفرض عليها شيء، أو تشعر أن هناك أوامر تصدر من فوق، هكذا هي تفسر الأمور.

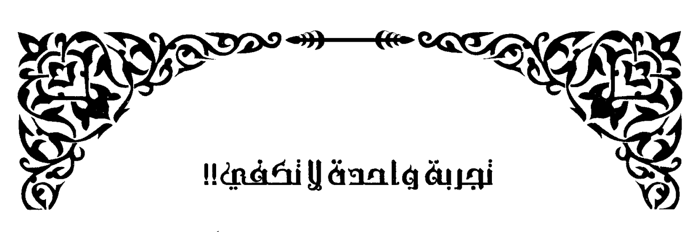
لماذا تتصرف عمتي بهذا الشكل؟ أعلم أن هذا هو طبعها، السيطرة والاستبداد، ولكن أيعقل ألا تنكسر حدة طباعها. ولا تذل نفسها؟ وهي تعيش ذل الحاجة؟

عمتي تجاوزت الأربعين، وهي وحيدة لا أم ولا أخ ولا أخت؟ وهي أيم لا زوج ولا ولد، وتعيش عند أخيها وزوجته، فهي كما يقول الناس "عالة عليهم" وأنا وإن كنت لا أقر بهذا الكلام إلا أنه واقع يجب القبول به.

أعوذ بالله أن أشمت بعمتي أو بأحد من الناس، فكل واحد معرض لأن يعيش في ظروف أسوأ ولكني أردتها أن تعرف حقيقة غابت عنها في خضم هذا الدلال كله، وهي أن عليها أن تقبل اليد التي مدت إليها المعروف، وأن تقابل الإحسان بالإحسان وأن تعرف الفضل لأهل الفضل، فبالشكر تدوم النعم، أبقاك الله مرفوعة الهامة، ناصعة الجبين يا عمتي الغالية.

"ابنة أخيك"

قال رسول الله ﷺ: « **من لا يشكر الناس لا يشكر الله**».



تجربة واحدة لا تكفي!!

لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، تتمسك أختي - جهلاً - بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تؤكد رفضها تكرار تجربة الزواج مرة ثانية فهذا الحديث هو حكمتها المأثورة.

سبع سنوات مضت على طلاقها من زوجها الأول وهي ما زالت متمسكة برأيها مقتنعة بما آل إليه تفكيرها راضية بحالها.

لم تجد معها كل محاولاتنا المستميتة لثنيها عن هذا القرار وكأنما انطبعت في ذهنها صورة قاتمة ومؤلمة لتلك الحياة.

أنا لا أنكر أن تجربتها الأولى كانت مرة بمعنى الكلمة، ولكن هذا لا يعني أن تنسحب تلك الصورة على جميع الحالات، لقد باتت أختي تترصد لكل خطأ من كل رجل لتجعل منه حكماً عاماً يشمل جميع الرجال بالغلظة والفظاظة، وكل موقف جميل لا يعدو كونه حالة استثنائية.

كان زوجها قاسي القلب، غليظاً في تعامله معها لم تهنأ بتلك اللحظات الجميلة الحالمة حتى في أسابيع عرسها الأولى، كانت عروساً مكتئبة، شاحبة الوجه، شاردة الذهن، قليلة الحبور، لم تستطعم "طفرة" العرس.

في البدء كان يخرج ليسهر مع أصدقائه ويتركها في الشقة وحيدة، خائفة، لم يكن في شقتها هاتف تقطع به الوقت، ولا تعرف واحدة من الجيران لتسمر معها، ولما كانت تعاتبه كان يرد عليها بصفعة تدير رأسها!!

ثم صار يخرج في الصباح والمساء الساعات الطويلة دون أن يعلمها لوجهته فتجلس تنتظره قيد يأتي وقد لا يأتي إلا وقد أتم سهرته. كان بخيلاً بشكل لا يطاق، لم تحتمل حساباته الدقيقة، ولا عيش التصحر الذي كان يمن به عليها، كانت لا ترى ابتسامته أو أسنانه بارزة إلا آخر الشهر، فهو قسراً يأخذ راتبها!!.

كم من المرات تلقت عتاباً من مديرتها - التي تتفهم وضعها- لتأخرها في الحضور صباحاً أو تغيبها عن المدرسة بغير عذر بسببه هو، كانت مثال المعلمة المخلصة الجادة في عملها الناصحة لتلميذاتها قبل الزواج، فصارت محل تندر زميلاتها وتهكمهن، تلك كانت صدمة قوية جعلتها ترفع رأسها لتنظر حولها جيداً وتقرر أين تضع قدمها في الخطوة التالية، وذلك بعد أن تميزت معالم حياتها معه وسدت كل الطرق المفضية إلى الاستقرار، فكان أن وضعت قدمها في بيت والدي وثبتت خطواتها، وأغلقت كل نافذة للحوار حول الزواج، وسمته ماض لا يعود، وحدث لن يتكرر!!

وبدأت تبني حياتها وتؤسس لمستقبل آخر تعيش فيه وحدها دون شريك ينغص! أو رقيب يدقق! كما تقول.

تلك التجربة الأليمة بقيت نقطة سوداء ترمي بظلالها على جوانب عدة من حياتها لكنها لم تضعفها أو توهنها، بل زادتها صلابة وعناداً.

لم ترضخ لتوسلات أبي وأمي، ولم تستمع لنصحي ولم تأخذ بتجارب صديقاتها ومشورتهن صارت لا تسمع إلا النقد، ولا ترى إلا العيب، ولا تفقه إلا الذم ولا تتحدث إلا عن أخطاء الرجال وتجاوزاتهم ولو سمعت قصة واحدة أو موقفاً سخيفاً عممته على الجميع دون استثناء تقول "كل الرجال هكذا".

حين تزوجت لم تكن صغيرة حتى يقال إن هذا رد فعل بسبب طيشها وصغر سنها!! ولم تكن أولنا زواجاً، وإنما أقبلت على الزواج بذهن مفتوح على حصيلة لا بأس بها من النماذج الحية من حولها!

لا أعرف حقيقة ماذا أقول عنها، ولكنني أرثي لحالها وأشفق عليها، وأحياناً أغضب منها وأخاصمها إنها لا تريد أن تفكر، ولا حتى أن تسمع أي شيء عن أي خاطب "كلهم سواء" أنتم تعرفون رأيي مسبقاً" وكفى!! ونعود خائبين.

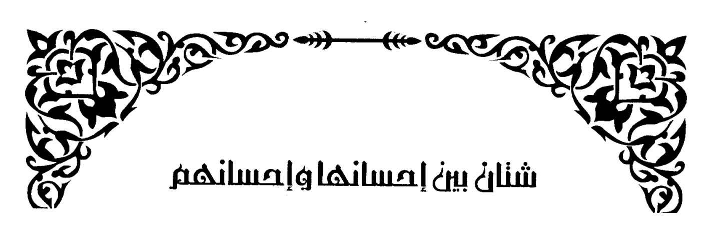
أختي.. وصديقتي.. وتوأم روحي: اسمعي مني هذه المرة نحن جميعاً نقدر تلك المعاناة التي عشتها، وندرك أنك ابتليت بمن لا يعرف لك قدراً ولا يستحقك!! ولكن انظري جيداً هل أصابع يدك واحدة، إخوانك هل هم سواء؟ نعمان طيب القلب تذيبه دمعة، وناصر صارم في غير باطل، ورزقه الله زوجة تكسر حدته، انظري إلى والدي كيف تقاسم الحياة مع والدتي لم تقف الطبائع المختلفة حائلاً دون توافقهما.

حقاً لا بد في الحياة من مصاعب ومتاعب، والبيوت مبنية على الستر والصبر، وتجربة واحدة ليست كافية لنبنى عليها قواعد ونؤسس أسساً ومن يدري لعلها كان الصبر الذي يجب أن تعلقيه لتبلغي المجد، أو لعلها كانت تجربة قاسية لتقبلي على ما بعدها بنفس خبيرة ثابتة الجنان ﴿ **فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً** ﴾ (النساء: ١٩).

إنني أهمس في أذنيك أنك ستبقين ناقصة تحتاجين إلى نصفك الآخر ولو كابرت أو عارضت الآن فإن مصيرك إلى أن تعيشي شقاً ضعيفاً يبحث عن الأمان، اسألي أولئك النساء اللاتي فاتهن قطار الزواج مع من يعشن؟ وكيف يشعرن؟ وعلى أي شيء يندمن؟ ثم توجهي إلى الله بالدعاء لينير دربك ويزيل الغشاوة عن قلبك ويريك الحق ويرزقك اتباعه.

" أختك"

قال تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ (الروم: ٢١)



شتان بين إحسانها وإحسانهم

نحتاج بين الحين والآخر أن نتحدث عن البر، ما هو مفهومه؟ وماذا يعني عند الأبناء؟

بعض الأبناء حين يغدق على والديه الهدايا ويمنحهما العطايا ويحسن إليهما بلطيف العبارة وكريم المعاملة يرى أنه امتطى صهوة البر وارتقى قمته، إنه لا يرى إلا ما يعطي ولا ينظر إلى ما يأخذ.

أختي "أم عاصم" طيبة وحنونة وشفوقة على أبنائها، ربتهم وعلمتهم وسهرت الليالي حقاً على راحتهم حتى كبروا وتخرجوا وتسلموا زمام الوظائف "بنيناً وبناتاً" فقرت عينها وطابت لها الراحة ولذيذ المنام، ولكن هذا لم يكن.

لقد أجزل لها أبناءها العطاء، جلبوا لها خادمة تساعدها، وفروا لها من الأجهزة التي تسهل مهامها المنزلية الكثير، تحملوا عنها كسوتها صيفاً وشتاءً وفي العيد أيضاً، وجعلوا سائقاً تحت تصرفها وبين فينة وأخرى تهديها إحدى بناتها عقداً أو خاتماً أو ساعة حتى غصت خزانتها بها، يجتمعون عندها ولا ينقطعون عنها، ويوفرون لها ما يلزمها ويلزم البيت.

ولكن هل هم بها بررة؟ هل بقي من البر بها شيء؟ إنها دائماً تشكو لي حالها مع بناتها حين يجتمعن عندها ويفكرن في زيارة حديقة أو سوق يتركن الجمل بما حمل، الرضيع، الصغير والمشاكس، ولا يعدن إلا متأخرات، ثم يجلسن يقلبن البضائع أو يتحدثن عما شاهدن وسمعن، تنادي إحداهن الخادمة "هاتي الشاي" ويكملن السهرة!!!.

وهن بما يشترين لأمهن من هدايا كأنما يشترين سكوتها فهي بما يتفضلن به عليها باتت لا تستطيع الحديث معهن بأي شأن يضايقها حتى لا يقلن أنها تنكر الجميل.

وإلا فلقد تمادين جداً في تصرفاتهن وعبثهن - كما تحدثني هي عنهن - فهذه "زبيدة" آخر بناتها زواجاً كلما مر بابنتها عارض صحي جاءت بها إلى أمها فهي لا تعرف ماذا تفعل بها؟ وليتها تجلس مع أمها لتتعلم منها لكنها تتركها وتمضي فلديها الكثير من الدروس والبحوث أليست زبيدة هذه تعطي أمها مبلغاً معيناً كل شهر؟!!

أما دولت تلك الرقيقة الذائبة فهي لا تحتمل أطفالها وصراخهم في بيتها فكيف ستتحملهم في السفر، لذا كلما حزمت حقائبها مع زوجها تركت أبناءها عند والدتها!! ولم لا؟ فهي التي أهدت أمها خادماً؟!!.

أطفالهن يأكلون الحلوى ويوسخون المكان ويبعثرون البسكويت على الأثاث والسجاد وهي لا تفتح فمها بكلمة، ففمها مملوء!! فالأثاث هم الذين وضعوه والخادمة هم الذين أحضروها.

وأمنية أكبرهن لا تزال تترك أبناءها عند أمها حين تريد الذهاب لأي مناسبة، فالناس باتت تتأذى من الصغار. والحقيقة أن أمنية هي التي تدفع راتب الخادمة مناصفة مع أختها علياء.

هذه تترك ابنتها قبل الدراسة عند أمها لتقوم الخادمة بتعويدها النوم مبكراً والاستيقاظ مبكراً وكأن هذه المهمة صعبة.

والأخرى تطلب من زوجها أن يذهب بالأولاد إلى أمها حين يخرجون من المدرسة لأنها تخاف عليهم الوحشة.

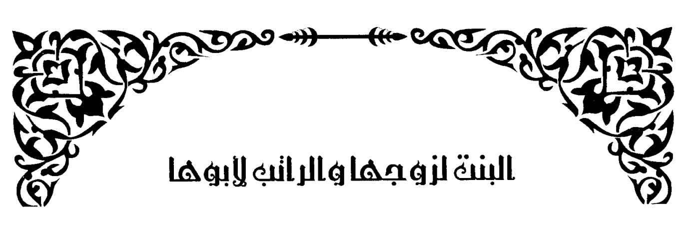
والسائق لا يكف عن التنقل بينهن لتوصيل غرض أو قضاء حاجة ملحة!!. ولم لا فهن جميعاً اشتركن في شراء سيارة لهذا السائق!!.

أختي تتضايق من هذا كله ولكنها صامتة لا تستطيع الكلام، معروفهن عليها كبير!!. هن لا يقصرن معها لا ينتظرن حتى تسألهن حاجتها لذا فهي تفضل السكوت حتى ولو كان الأمر يزعجها وصراخ الأطفال وشغبهم يقلقها والسائق الغادي الرائح يثير أعصابها.

مهلاً بنات أختي فهذا ليس من البر، أمكن سهرت أضعاف وبذلت كل ما في وسعها في سبيل راحتكن وهي باسمة، فرحة، تتمنى أن ترى زهراتها تتفتح ولو على حساب ذبولها وشحوبها ولكنكن تبذلن بمقابل، أنتن تحسن إليها وتأخذن الثمن بينما هي أحسنت وربت ولم تكن تبحث عن الثمن سوى حياتكن وسعادتكن فشتان بين إحسانها وإحسانكن.

"خالتكن"

(حج رجل في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأمه على ظهره ثم سال عمر: أتراني أديت حقها؟! قال لا: ولا بطلقة من طلقاتها).أهـ



البنت لزوجها والراتب لأبوها

لم يكن شرط والدي الذي اشترطه على زوجي يعني لنا شيئاً، قال له: "البنت لك وراتبها لي" وافق زوجي دون تردد، فهو كان يظن أن هذا أمر شكلي "لزوم" التحرز وأخذ الحيطة أو أنه لجس نبضه وهل هو طامع أم راغب؟ وأنه فور وضوح الصورة وبيان معالمها سوف يترك لنا والدي راتبي، كنت أرى أن متطلبات الحياة المتسارعة سوف تدفع والدي للتنازل عن شرطه طواعية دون تذكير من أحد حتى يضمن لي حياة كريمة تليق بي.

مرت سنة واثنتان وثلاث، والحال على ما هي عليه، استلم راتبي وأسلمه لوالدي دون أن أفكر في أخذ ريال منه، لم أكن أرى أن لي حقًا فيه بعد شرط والدي وموافقة زوجي، فنحن ما زلنا خفيفي الحمل لم تثقلنا الديون، ولم تكر علينا متطلبات الأبناء.

حقيقة كنت في البدء متوجسة خيفة من زوجي، وكنت أسلم الراتب لوالدي بكل فخر فهو ما فعل ذلك إلى ليختبر زوجي ووفاءه، وبالمقابل كنت أطلب كل ما اشتهي دون تردد من زوجي لأتأكد من نجاحه في الامتحان!!

ولكن مع مرور الأيام وثبات دعائم الحب عرفته جيدًا، وأدركت حقيقة نفسه وعزتها، وترفعه عما في أيدي الآخرين، فهو على مدى تلك السنوات لم يفتح معي موضوع الشرط أبدًا وإن كنت أحس أنه أحياناً مستاء لهذا السبب، لكن الحياة مرة وصعبة وتزداد قسوة مع مرور الأيام، فالسنوات تمر، زاد عدد الأبناء، وكثرت التكاليف وأصبح راتب زوجي لا يغطي حاجتنا ونحن في أمس الحاجة إلى منزل نملكه بدل هذا المستأجر وإلى سيارة كبيرة تسعنا جميعًا، ووظيفتي تحتم علي وضعًا اجتماعيًا معينًا، احتاج إلى أن أكون أكثر التفاتا لهندامي، مرت فترة طويلة لم أشتري فيها قميصاً أو قماشاً، تكاثرت علي

المسؤوليات فلا أدري بأيها أبدأ، غلت يدي عن تقديم الهدايا وصممت أذني عن سماع حاجات أبنائي، إيجار المنزل ثلاثون ألفا، والفواتير دائماً بثلاثة أصفار، غسالة الملابس أصبحت بالية، وأنا في حاجة إلى هاتف محمول، وبناتي لم أعد أستطيع إتمام متطلباتهن.، و.. ووالدي - زاده الله من فضله - يستلم تقاعدًا محترمًا، وإخواني لا يقصرون في حاجته ويقتطعون له مبلغًا جيدًا من رواتبهم كل شهر، وهو في نزل ملك، وله دكاكين يؤجرها، وإخواني كلهم متزوجون ومتزوجات، فهو في غنى عن راتبي، والعلة التي لأجلها اشترط ذلك الشرط انتقت بدوام الألفة وطول العشرة، ولكن مازال متمسكًا بشرطه، وكلما حاولت أن أوضح له عما في نفسي أشاح بوجهه عني وغضب مني، معللا ذلك بأنه في مصلحتي!! وأنه انفق علي سنين طويلة حتى حصلت على الشهادة وتوظفت ثم يأتي "ابن الناس" ليأخذني "باردة مبردة" تشيحين براتبك على والدك وتبذلينه لابن الناس"!!

كم من مرة أفهمت فيها والدي أن مسألة أخذه منه وإعطاءه لزوجي بات أمرًا منسيًا. فأنا التي أحتاج إليه، لأوسع على نفسي في أمور كثيرة، لم يعد الأمر ترفاً، بل ضرورة، أخرج من الصباح الباكر أكد وأتعب وأترك صغاري عند الخادم ثم أعود بعد الظهر منهكة أتحسس موضع رأسي في الفراش وأنام، ثم استيقظ لاتم بقية يومي بين مطرقة الإرهاق وسندان المسئولية، ثم لا أعود من ذلك بشيء!! ترى ما هو الدافع الذي يحمل زوجي على الصبر على ذلك كله، إن لم يكن مكانتي في قلبه واحترامه للعهود والمواثيق؟! إنه الخاسر الوحيد في هذه الصفقة التي لم يدرسها جيدًا، فهو خسر زوجته التي امتص العمل طاقتها ونضارتها ولم يعطها شيئا ألبتة، وخسر أبناءه الذين ضاعوا بين أمهم والخادمة، أمهم التي بدل أن تفيض حباً وحناناً فاضت تعباً وكمدًا!! إنه حقاً صامت ولا يشكو شيئاً ولكن عينيه تحكيان الكثير.

فكرت أن أتقاعد لأحفظ بيتي ولكن والدي ظن أنها حركة للضغط عليه ليتراجع فغضب، ثم لو تقاعدت فإنني سأقف عند المنعطف الذي يبدأ منه الآخرون في تصحيح

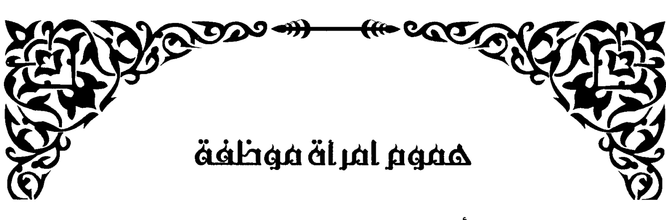
أوضاعهم وإنعاش حياتهم، فزميلاتي ممن لهن نفس خدمتي، سددن الديون المتراكمة، وملكن البيوت الواسعة، وبدأن يتنفسن برئتين.

يا والدي: لو تعلم مدى الضيق الذي أعيشه، لأدركت أنني ما سألتك بالله أن تتنازل عن شرطك إلا لأتنفس هواء الحرية النقي وانطلق في فضاءات الحياة الرحبة أخطط وأبني مستقبلي لأخرج من هذا النفق البغيض إلى بيت الأحلام الواسع - بإذن الله -.

لا يا والدي لا أسألك أن تترك لي راتبي لأعطيه زوجي فلقد تجاوزت هذا الكلام بمراحل فأشفق علي وارفق بي يرفق الله بك.

"أبنتك"

قال رسول الله ﷺ: **«اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فأشقق عليه»**.
رواه مسلم



هموم امرأة موظفة

نهاري قلق ونومي أرق وحياتي في تقلب بينهما ومع هذا يحسدني الناس، فهل عرفتموني؟! إنني معلمة، أقضي فترة العطاء والنشاط والقوة التي تمتد من العشرين حتى الأربعين بين أسوار المدرسة. تستنزف الوظيفة طاقتي وجهدي، وتسرق صحتي ونضارتي، وتحرمني من أبنائي.

حياتي على الضفة الأخرى التي لا ترونها مرهقة، أخرج منذ ساعات الصباح الأولى متجهة إلى المدرسة، أترك قلبي في البيت مع أطفالي الصغار، أدعهم مع الخادمة، امرأة أجنبية لا تمت لهم بصلة، جاءت تبحث عن لقمة العيش فقط، ليس لديها ثقافة دينية أو توعية، أدخل الفصل، أشرح للطالبات وأنا أفكر في أبنائي.. هل استيقظوا الآن: هل أفطروا: ماذا أعدت لهم؟ هل غسلت أيديهم قبل الأكل وبعده؟ هل هم يلعبون أم يتضاربون؟ هل الخادمة "تسمي عليهم" وتنتبه لهم أم هي لاهية في أعمالها المنزلية؟ أم تراها تحادث خادمة الجيران أو ربما عامل البلدية؟ لكنني أغلقت الباب بالمفتاح؟ هل حقًا أقفلت الباب أم أني نسيت كالعادة؟ يا إلهي ماذا لو حدث لأبنائي مكروه في المنزل كيف يمكنهم الخروج؟ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم اللهم احفظهم يارب.

أنا الآن أشرح الدرس وأجيب على الأسئلة ولكن ذهني مشتت، وقلبي مضطرب وفكري مبعثر. حيرة بين البيت والمدرسة.. ترى متى يحين موعد الراحة والاستقرار؟

مسافرة أنا أحمل زادي فوق كاهلي.. يثقل جسمي ويرهق أعصابي.. حتى متى أظل هكذا؟ أحدودب الظهر تقليباً وتصحيحاً في الدفاتر.. وضعف النظر تدقيقاً وتمحيصًا في

الأوراق... وامتلأ الصدر من الطباشير غبارًا وسمومًا، هواء ملوثاً وأنفاسًا مختلطة وأمراضًا.. متى سترحمني الوزارة وتدركني قبل أن احترق هماً ومرضاً وضغطًا؟

متى أتقاعد؟ وماذا ستبقى المدرسة لي آنذاك؟ إنها أخذت الصحة والنضارة وأبقيت الهم والمرض والجسم العليل، أتقاعد بعد سن الأربعين؟ وماذا سأقدم لأبنائي حينذاك؟ وأين سيكون زوجي.

أبنائي الذين يدرسون الآن لهم هم آخر... أفكر فيهم، هل جاءوا من المدرسة؟ إذن هم عند الجيران كالعادة، لابد أنهم مكثوا في الشمس مدة طويلة، ولكن والدهم اليوم سيأتي مبكرًا؟ إذن هم في البيت يبحثون عن شيء يضعونه في بطونهم الخاوية؟ مساكين يصبحهم وجه الخادمة ويمسيهم.

أما أنا أعود من المدرسة وقد بلغ مني الجهد كل مبلغ.. رأسي ثقيل والصداع يكاد يمزقني لا أكاد أرى طريقي.. أتحسس الفراش.. وألقي على الخادمة بعض العبارات المكررة ثم ارتمي كجثة وأغط في نوم عميق.

الأولاد يلعبون... يصرخون.. يخبطون الأبواب بشدة.. يكثرون من التشكي.

استيقظ من النوم وقد ازداد الصداع حدة ثم أبدأ في خوض معارك على عدة جبهات التدريس تحضير الدروس، مراجعة الأولاد، تجهيز الوسائل... مر الوقت كالبرق.. يا إلهي لم أتمم التحضير.. لم أراجع لسمية العلوم... ولم أعط لياسر تدريبات رياضية.. أوه حتى أمي لم أتمكن من محادثتها اليوم.. غدًا إن شاء الله سيكون في الوقت متسع.

كترس في آلة كبيرة يدور ويدور حتى يتلف هكذا أنا... في كل صباح تسبح الطيور بحمد ربها ويردد الكون تسبيحها تراها في كمد ونصب (أمي أين شرباتي)، (أذهبي اسألي الشغالة)، (أين قلمي الأسود أمس كان هنا)، (أسأل الشغالة أنا ما أعرف عنكم)، (ملابس المدرسة لم تكوى)، (قولي للشغالة تكويه.. الآن تذكرين) وهكذا صراخ.. زعيق كل يوم كأنما هو وردٌ نردده.

متى أضع حملي عن راحلتي.. متى أتوقف عن السفر... هل سأنتظر حتى أتم الفترة التي يسمح لي بعدها بالتقاعد؟ لقد بقي ضعف ما مضى.. وأبنائي الآن يقفون على مشارف المراهقة.. إنهم في أشد الحاجة لي.. كم أنا بعيدة عنهم.. تكاثرت علي الهموم فما أدري بأيها أفكر وأيها أحل؟

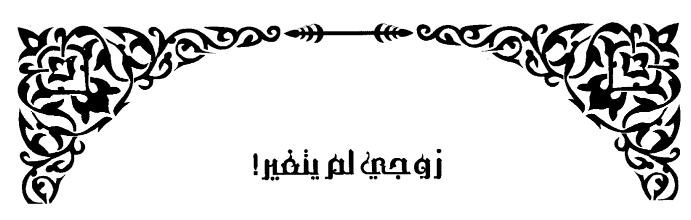
أين الحاسدات والغابطات ليرين على ماذا يحسدنني؟ على صداع لا يتوقف؟ أم على قلق ملازم لي في كل وقت؟ أم على هذا الضغط الذي ألاقيه من المدرسة والبيت، تحضير وتصحيح ورصد درجات، ومراجعة أوراق واختبارات شفهية وتحريرية وغيرها وأبناء يدرسون يحتاجون إلى متابعة ومراجعة وصغار يحتاجون إلى أم تجلس إلى جانبهم تطعمهم بيدها.. وتمسح على شعورهم، تقرأ عليهم الورد وتعوذهم بالله ولكن أين هي؟ إنها مدفونة تحت ركام الدفاتر والأوراق.. إنها دائمًا مشغولة دائمًا مشتتة.

يارب: البيت أم المدرسة. الأبناء أم الوظيفة؟ القرار في البيت أم الخروج للعمل. مازلت حائرة، متعبة فلكليهما وجهٌ حسن.

الحل هو أن ترغمني الوزارة على الجلوس في بيتي حين أقدم لها خمس عشرة سنة من عمري خدمة وتدريسًا وشرحًا، ليبقى لأبنائي جزء من العطاء أهبهم إياه قبل أن تنتهي مدة صلاحيتي، وأُرمى في مزبلة الحرمان والعجز.

مع التحية لمن بيده القرار.

"أختكم المعلمة"



زوجي لم يتغير!

منذ طلاقي من زوجي وأنا أحمل هم هذين الصغيرين "أبني وابنتي" ذلك أن والدهما نفض يديه منهما، وأخلى مسئوليته، فكأنه لم يتزوج وكأنه لم ينجب إنه يريد أن يستمتع بحياته مع امرأة أخرى دون أن يعكرها وجود أيتام.

قلبت نظري في الأمر مرارًا، ثم قررت ألا أخوض تجربة زواج أخرى لأتفرغ لتربيتهما وأبعد عنهما ما يكدر صفو حياتهما من المنغصات إلا إذا ... وضعت شرطًا لازمًا لهذا وهو أن يعيش أبنائي تحت مظلتي وفي بيتي.

خاطب تلو آخر.. وأنا أرفضهم أو يرفضون شرطي، حتى جاء أحدهم وسد أمامي كل المنافذ ونسف كل الأعذار.

- أبنائي؟!!

- أبناؤك مثل أبنائي، وإن ضايقتهم بشيء فلك حق البقاء أو العودة إلى بيت أهلك.

- لكني لا أملك مالاً أنفقه عليهما ووالدهما تبرأ منهما منذ خرجت من بيته.

- المال الذي يسع أبنائي سيسعهم.

- ابني "عبد الله" كثير الحركة.. مؤذ... كثير الـ...؟!

- كل هذه أمور طبيعية.. أنا لي أيضا أبناء.. والذي يعتب على الصغار فلا عقل له.

ترددت كثيرًا.. هل يمكن أن يكون صادقًا؟ أم أنه كلام سرعان ما تذهب به الرياح؟ أقبل أم أرفض؟! ثم ما الذي يدعوه للكذب مثلا أو المراوغة، أنا امرأة كسائر النساء ليس لدي مال أو إرث أو شيء يطمعه في..

استخرت الله كثيرًا ثم استعنت به وتوكلت عليه وسألته التوفيق والرحمة لهذين الصغيرين فمن يدري ربما كان هذا الرجل أباً مستعارًا لهما.

أقبلت ودافعت وتم الزواج في جو عائلي بسيط..

أتذكر هذا، بعد أن مضى على زواجي أكثر من خمس سنوات، وجدت فيه الزوج العادل والأب الحاني.

قد لا أستطيع أن أصف كل ما يفعله مع أبنائي لكنه حتماً يعتبرهما كأبنائه يعطيني المال لأشتري لهما الملابس والمستلزمات الأخرى، يشتري لنا مثل ما يشتري لبيته الأخر لا ينسى الشوكلاتات، والعصيرات، والألعاب يوفرها دون أن أسأله ذلك، لم يتضايق منهما يومًا، ولم يطلب مني أن أتركهما في بيت والدي عدة أيام كما يفعل البعض.

ومع أنني أنجبت له اثنين إلا أنه لم يغير في تعامله مع أبنائي شيئًا.

"فيحاء" ابنتي تسميه "بابا" حين يأتي من العمل يخفي خلف ظهره حلواها المفضلة ثم يسألها عما في يده حتى "تحزر" ما هو فيعطيها إياه وقد علت وجهها تباشير الفرح.

"وخالد" صبر عليه حتى كبر وتحمل أذيته وبكاءه المتواصل.. كان طفلا عنيدًا مشاكسًا حين يغضب يرمي من حوله بأي شيء تقع يده عليه.

لم يكن ليكدر لي سعادتي سوى لعبه الخشن ورعونته ومع هذا كان ينظر إليه على أنه طفل غدًا يكبر وينعدل سلوكه.

وفعلا كبر "خالد" ودخل المدرسة فصار يسأل عنه ويحضر مجلس الآباء ويلبي له طلباته ويشرح له أحيانًا ما استغلق عليه، ويوجهه وينصحه في اختيار رفاقه وجلسائه.

وحين يسمعني ألوم أبني "فيحاء وخالد" على كثرة طلباتهما، وأطلب منهما التخفيف عنه يتضايق ويغضب مني ويقول "إن مالي يسعهم جميعًا" "أنت تريدين أن تحرميني الأجر؟!".

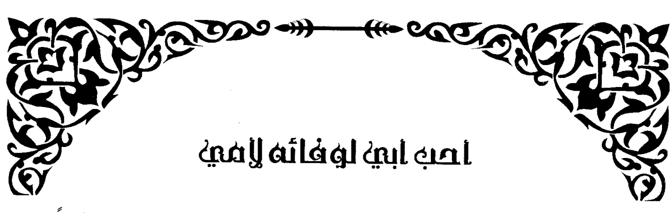
الأجر.. الأجر.. هذا هو الذي كان دافعًا حقيقيًا له للزواج من امرأة مطلقة لها أبناء، وليس لها وظيفة أو دخل مادي، تنفق منه على أبنائها، ولم يكن لي أهل أيضًا.. كان والدي تزوج من أخرى غير أمي.. ولم نكد نراه إلا لمامًا...ووالدتي متوفاة من مدة طويلة رحمها الله.. وأخوتي كلٌ يسعى في مناكب الأرض يطلب الرزق.

الأجر.. هو الذي جعله طوال هذه السنوات لم يرفع يده أو العصا على خالد بالرغم من أنه يثير الأعصاب ويدفعنا للغضب.. إنني أضربه في حين يكتفي زوجي بتوبيخه وأحيانًا يسمح على رأسه قائلا "الله يهديك" .

إن أبنائي جميعهم يجدون منه الرعاية العناية ذاتها.. يلبسون ويأكلون ويتمتعون من خيره دون تمييز بينهم.. كيف له هذا كله؟ إنه يساوي بينهم في النظرات والابتسامات والاهتمام بل إن "فيحاء" وهي البنت الوحيدة بين ثلاثة ذكور لها وضع خاص فهي تجلس بجانبه على سفرة الطعام يقطع لها اللحم ويسمع منها الحكايات الطفولية التي لا تنتهي والخناقات الكلامية بينها وبين صديقاتها.

إن لزوجي قلبًا كبيرًا يفيض حبًا ورحمة لهؤلاء الأيتام، إن قلبه قبل ماله وسعنا جميعًا فجزاه الله خيرًا وأثابه الأجر الذي يريد وأسعده في الدنيا والآخرة.

«زوجتك»



أحب أبي لوفائه لأمي

يقولون "كل فتاة بأبيها معجبة" وأنا من أشد الفتيات إعجابًا بأبي لأنني أولاً فطرت على حبه والتعلق به وثانيًا، لأن والدي يملك صفة عزت في رجال هذا الزمن الموحش.. تفوح رائحتها الزكية من ثيابه وحديثه..

قبل أقل من ثلاثين عامًا أصيبت والدتي بمرض غامض كانت تلزم على إثره الفراش أيامًا عدة، كانت لا تكلم أحدًا ولا ترغب في رؤية أحد حتى إنها لا تستطيع الاعتناء بنا وكنا صغارًا ذلك الوقت.

لم تكن جدتي لأمي على قيد الحياة، ولم يكن لها أخوات وكان أخوها الوحيد يسكن في مزرعته في مكان بعيد عنا كثيرًا، وكنا صغارًا نحتاج للرعاية والاهتمام، فكان والدي يتولى شئوننا ويرعى أحوالنا.

تكرر المرض بعدها على والدتي وصار ملازمًا لها.. كانت نوباته تأتي شديدة أحيانًا فيصاحبها بكاء وألم وإعراض تام عنا جميعًا، كانت ترفض أن ترانا أو نراها.

وأحيانا يكون المرض عابرًا وفي مرات ليست بالقليلة تصبح امرأة ثانية معافاة تماماً وطبيعية.

حين كبرت كنت أرى في عيني أمي شيئًا يشبه الأسى، نائمة في فراشها، صامتة، تنظر إلى المجهول وأحيانًا تتألم، قالوا إنه عين حاسد- أعاذنا الله وإياكم منها- وقالوا مرض نفسي وقالوا مرض في الأعصاب وغيرها ولكن والدتي لا تتحسن مع العلاج كثيرًا.

أين والدي إذن؟

كان والدي يأخذ إجازة من عمله حين تدخل في إحدى نوباتها المرضية، كان يهتم به ويلبي لها طلباتها الصعبة، كان يجهز لنا الطعام ويغسل ملابسنا، ويعلمنا كيف نرتب البيت ولم يكن هناك خدم، وكانت بعض الجارات الطيبات يمددننا بالطعام حين يعلمن عن حالنا.

لم يشكو والدي طوال تلك السنين حاله لأحد، لم يكن يتحدث عن مرضها أمام أحد ولم يتبرم منها يومًا، علمنا أن الحياة يجب أن تسير كما هي، ويجب ألا يؤثر مرض والدتي على سيرنا في الدراسة أو في تعاملنا مع الآخرين أو في التفكير في حياتنا المستقبلية، علمنا أن نتعامل مع الوضع برضا تام.

وكان هو لا يفارق فراشها في أوقات مرضها يقرأ عليها القرآن وينفث على صدرها ويدعو لها بالشفاء.

أخذها ذات يوم إلى المستشفى، مكثا وقتًا طويلاً ثم عادا وهي تحمل معها كيسًا به أدوية، علمت فيها بعد أنهما زارا الطبيب النفسي، لم يتحدث والدي بهذا كثيرًا، ولم يفصل أو يشرح لأحد طبيعة مرضها كان يحمد الله تعالى ويقول: "اللهم نسألك اللطف في القضاء".

وإذا شفيت والدتي أو بالأصح زالت عنها النوبة لم يكن ليحدثها عن مرضها وعن ماذا عملت فيه، بل إنه يحاول الخوض في أحاديث شتى عن الدراسة عن البيت الجديد وأحياناً يأخذنا في زيارة لمزرعة خالي نشم الهواء العليل ونجدد الروح المريضة.

هل وجدتم أوفى من أبي؟ أرأيتم لماذا أنا معجبة به؟

كان بإمكانه أن يتزوج بأخرى أو يطلق أمي.، لكنه لم يفعل، وكان بإمكانه أن يظل سلبيًا معها يتركها هملاً، أو يتركها عند أخيها، ولكنه أيضا لم يفعل، بل وقف إلى جانبها وساندها ودعا لها وتحملنا ونحن صغار بكل جلد.، ودخلنا المدرسة فكان يصنع لنا الإفطار وشرائح الخبز للمدرسة وتمشيط شعري، وحين نعود من المدرسة نجده قد أعد لنا طعاما

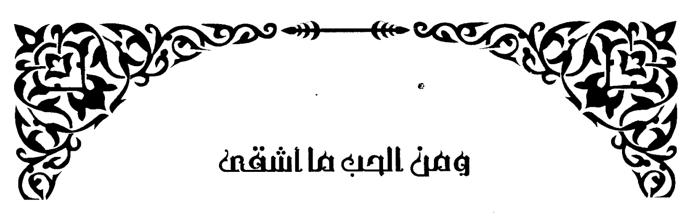
شهيًا لم يقل إن والدتكم مريضة لا تشتهي الطعام بل قال إنها لم تقدر أن تصبر فسبقتنا إلى الأكل.

لقد علمنا أبي معنى الوفاء لمن نحب... ومعنى الصبر على المصيبة.. وفن التعامل مع المرض، علمنا كيف نجعل قلوبنا سليمة... كان الناس يتهمون فلانة وفلانة وكان لا يتهم أحدًا، تعلمنا منه كيف نأخذ بالأسباب ونتوكل على المسبب سبحانه.

أخذ أمي إلى القراء الموثوقين.. وإلى العيادة النفسية.. وطرق باب من لا يخيب طالبه، وكان دائمًا يرجو خيرًا ومازال يحسن الظن بربه.

اللهم أمد في عمر والدي وأشف والدتي واختم لهما بالرضا.

"أبنتك"



ومن الحب ما أشقى

"فريدة" هي ابنتي البكر... أحببتها ودللتها كثيرًا وفرت لها ما تحتاجه وما تتمناه وربما ما لا تحتاجه... نشأت لا تستغني عني ولا أستغنى عنها، زوجتها وفرحت بها كأي أم ودعوت الله أن يسعدها ولم أقف عند حد الدعاء، بل تجاوزته إلى التفكير في كيفية تهيئة أسباب السعادة والراحة لها، لقد وقفت بنفسي على كل صغيرة وكبيرة في حياتها حتى أتمكن - بزعمي - من تذليل كل صعب وتسهيل كل شاق.

ومن هنا بدأت الخطوة الأولى التي تلتها خطوات كثيرة جعلتني أقف في منتصف الطريق وأتأمل ماذا قدمت لابنتي؟ بل ماذا جنيت عليها؟ وأين السعادة التي سعيت لتوفيرها؟

منذ أول يوم من زواجها كنت أتصل بها، لم انتظر يومًا واحدًا أن تتصل بي، أسالها عن حالها عن كل ما يجد في حياتها.. كنت من فرط حبي لها ورحمتي أبادر بإرسال طعام الغداء لها حين تشكو من أي تعب مثلاً قد تكون سهرت الليل وتأخرت في الاستيقاظ نهارًا ولا أكتفي بذلك، بل أرسل الخادمة لها في الأسبوع مرة أو أثنين تغسل لها الملابس وترتب البيت وتنظفه.

لقد كانت عندي في دلال وحبور ومع ذلك فقد كانت تتعب من الدراسة فكيف بها اليوم وقد أزدادت المسئولية عليها؟

لقد حشرت أنفي في تفاصيل حياتها.. أتعبتها من حيث أردت راحتها، كان زوجها يريدها أن تعتمد على نفسها.. أن تحس بمسئولياتها وكنت أريد أن تظل ابنتي المدللة..

رفضت - مثلاً - أن تعود مع الحافلة من الكلية وإذا كان زوجها لا يستطيع أرجاعها فعندنا السائق يتكفل بذلك.. تعود من الكلية إلى بيتي تأخذ قسطًا من الراحة ثم حين يأتي موعد عودة زوجها إلى البيت تأخذ معها غداءها إلى بيتها، أشعرتني أكثر من مرة أن زوجها يتضايق لاستمرار هذا الوضع لكنني هونت علها الأمر بأنه لصالحها فكل ما أفعله هو بسبب حبي لها ورأفتي لحالها.

كنت أوجهها في كل شيء.. وأفرض عليها تفكيري ونمط الحياة التي عايشتها من قبل.. الهدايا لا أرضى أبدًا أن تكون بمستواها الذي تستطيعه.. بل أفرض عليها هدايا فوق طاقتها ومستوى زوجها، هدايا تناسبني أنا أعطيها إليها لتقدمها باسمها في أي مناسبة.. لقد اعتادت هذا الأمر ولم تعد تفكر في أي هدية ستقدمها فعندها من يفكر لها ويشتري ويدفع أيضًا.

لا أسمح لزوجها أن "يحرمها" حضور الحفلات صغيرة كانت أم كبيرة، فلقد كانت في السابق نجمة كل حفلة بلباسها، بتميزها فحين يرفض أن يوصلها أرسل لها السائق وأتكفل بإرجاعها أيضاً حتى لا يبقى له عذر.. لم أكن أفكر أن بقاءه في البيت ومكوثها خارجه أمر غير جيد في حقه كنت غبية وسطحية التفكير..

إنه حتى الملابس أسالها عنها "ماذا ستشترين للعيد"؟!

ومن أي محل؟! لا.. إن هذا يابنتي لا يناسبك.. لم يكن هذا في السابق من لباسك، سوف أشتري لك فستانًا من ذلك المحل لقد رأيته وأعجبني.

إن بإمكان زوجها أن يشتري لها فستانًا بثلاثمائة مثلاً لكنها كانت تلبس ملابس باهظة الثمن سابقًا لذا يجب أن تستمر على حالها ولا تشعر بتغير حتى لا تنكسر نفسها.

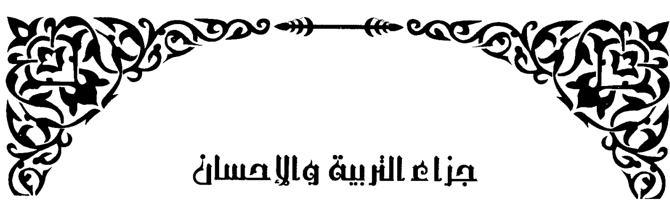
لقد وقفت بشدة في وجه زوجها حين طلب منها أن تترك الدراسة ".. الشهادة سلاح .. لا يهمك ما يقوله زوجك عن الراحة النفسية، وعن الاستقرار الأسرى.. سوف أسهل كل الأمور.. الغداء سأصنعه لك.. والخادمة تكون عندك ثلاث مرات في الأسبوع.. والعشاء

مرة من البيت وأخرى من المطعم.. ووقت الاختبارات تعالي عندي.. لا تتركي الدراسة مهما حدث ويجب أن يقتنع زوجك بهذا".

إن حبي لابنتي ودلالي لها جعلني عمياء عن مصلحتها، صماء عما ينفعها.. لقد اعتادت علي في كل شيء، واعتمدت علي في أدق الأمور، ست سنوات عمر زواجها، أنا التي أشتري لها الملابس، واشتري أيضا لأبنائها.. لم يعد زوجها يهتم بتوصيلها كثيرًا فالسائق كفاه هذه المهمة صارت ابنتي مشتتة، ضعيفة الشخصية، عديمة الثقة في نفسها، لم تشعر يومًا باستقلالها، ولم تشارك في صنع كيانها، حطمتها حيث أردت إسعادها، لم أستوعب ذات يوم أن ابنتي التي هي جزء مني لابد أن ينفصل عني ويستقل بذاته.

لم أدرك أن سعادتها في إرضائها زوجها، وأن سعادتها أن تعيش حياتها كما تناسبها.. حياتها التي تبنيها مع زوجها لبنة لبنة.. يختلط فيها طعم الكفاح مع حلاوة الصمود.. حياة تخطو مرة وتتعثر مرة.. وفي كل مرة تتعلم فيها درسًا .. هذه الحياة التي يعيشها معظم الناس فقدتها ابنتي وفقدت معها لحن الحياة الجميل.. كم آسف لأجلك.

"أمك"



جزاء التربية والإحسان

لقد جبلت النفوس على حب من أحسن إليها، وليس لأحد فضل علينا مثل والدينا، فهما الأحق بكل الحب والاحترام، سواء في حضورهما أو غيابهما، ومن حب الوالدين واحترامهما ذكر محاسنهما وإبراز معروفهما وكتم السيئ من طباعهما حتى لو كان صغيرًا فهما بشر ولابد أن يخطئا.

ولكن يبدو أن الوضع عند البعض مختلف، فهم يكتمون الحسن ويظهرون السيئ، ولوالدي معاناة كبيرة مع بعض إخوتي، فهذا "شاهين" دائمًا يجعل من والدي مصدر طرفه ونكاته عند أبنائه وزوجته فهو يقلّده في مشيته وسعاله، ويعاتب ابنه "مصطفى" حين يرى ثيابه متسخة يقول له "صارت ثيابك مثل ثياب أبوك سعيد لا يغيرها إلا كل أسبوع".

و"نوال" هداها الله بعد أن تزوجت نسيت أن أمي مكثت السنين تربي وتعلم وتنظف وتتعب وتشقى لنعيش ونكبر ونسعد فهي دائمًا تقول على مسامع والدتي وفي حضورنا "إن أم زوجي طاهية ماهرة طعامها أحسن من طعامك، وطريقة عملها للفطائر تختلف عن طريقتك.. صراحة فطائرها ألذ" وتقول أيضا "ما شاء الله على أم زوجي تهتم ببناتها ليست مثل أمي دائمًا مهملتنا".. وهكذا هي دائمًا تمتدح أم زوجها وعمته وخالته وتفضلهم على أمي في حين لا تسمع أمي منها إلا التحقير والازدراء وكأن أمي بلا إحساس.. إنها تصمت فعلاً وتبتلع الكلام على مضض.

إن نصيب والدتي من الشكر والتقدير وذكر الجميل شبه معدوم.

"فسليمان" أكبرنا دائمًا يذكر لنا من حياتهم في الماضي ما يجعل صورتهم تبدو غير جيدة، وينسى أنهما عاشا زمنًا غير زماننا قل فيه الوعي والفهم، وكانت لهما أنماطاً معينة

تفرضها عليهما طريقة حياتهما كما أنهما لم يعرفا بع أبجديات التعامل مع الحضارة والتقنية ربما أفهم هذا كله ولكن هؤلاء الصغار "أبنائي، أبناؤك، أبناء إخواني الآخرين" لا يعرفون ذلك جيدًا فيجعلون من هذه المواقف التي تحدث في ذلك الوقت كل يوم مجالا للسخرية والتهكم بوالدتي والتندر بها، بل إنني أكثر من مرة وفي مناسبات عدة أسمع هؤلاء الصغار يقصون هذه القصص للتسلية على أقاربهم وأبناء جيرانهم وهم يتضاحكون.

أنتم تعلمون أن مستوى النظافة في ذلك الزمن لم يكن كما هو الآن فما الداعي أن تتبادلوا حكايات حولها كانت تحدث أحياناً من والدي ومن كثير من عاش زمنه، ثم ما الذي ينشده "سليمان" حين يقول لأبنائه إن والدي كان طيباً يعني "مغفلا" وأنه كان يستطيع اللعب عليه وأخذ بعض القروش منه لشراء مشروب بارد.. موقف عادي ولكن سليمان حين يقصه يجعل من نفسه بطلاً ومن خصمه غبيًا مغفلاً.

ما الصورة التي في ذهن أبنائنا عن والدي ووالدتي؟! إنه بفضل هذه القصص والحكايات والمقارنات التي تعقدونها في كل جلسة لنا صارت والدتي امرأة - مع الأسف - متخلفة لا تفهم في النظافة والطبخ شيئًا همها النوم تهمل أبناءها الذين هم نحن.. وأنها أيضا تسيطر على والدي وأن كلمتها نافذة!!

ووالدي الذي هو جدهم .. طيب، مغفل "لا يفهم ما حوله جيدًا" ويمكن اللعب عليه وخداعه بسهولة.!!!

لا تقولوا لقد بالغت... إن هذا هو ما استشفه من حديث هؤلاء الصغار وتعليقاتهم المتكررة.. إن هذه هي الصورة التي ينقلونها لأقرانهم حين يفاخرون بأجدادهم.

إن هذا ليس من البر في شيء.. إنه حتى وإن كسوت والديك وأهديتهما وقبّلت رأسيهما وأنت بهذه الحالة من ذكر مساوئهما وتشويه صورتهما فلست على خير أبدًا.

إنه لا يحق لي بعد اليوم أن أتساءل: لماذا أجد نوعًا من الاحتقار والازدراء لأمي، من بعض زوجات أخواني خاصة "شاهين وسليمان" فالسبب بات واضحًا.

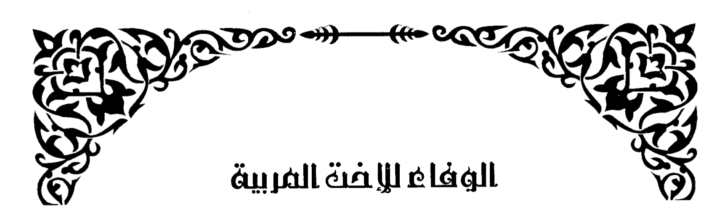
و"نوال" هي أكثرنا شبها بوالدتي شكلاً وطباعًا ومع ذلك هي أكثر سخرية منها.

هم طبعًا لا يرونه كما أراه وإنما يقولون نمزح ونتكت مع أمي ومع أبي ولكن ما هكذا يكون المزاح وليجعل كل واحد منكم نفسه مكان والدي ثم ليحكم ويقرر بعدها إن هذا الفعل أعظم من قول "أف" لهما.

فهل هذا جزاء إحسانهم وشقائهما ومكابدتهما الصعاب من أجلنا، هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟!! هذا ما أتمناه.

أختكم

قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ (الإسراء: ٢٣)



الوفاء للأخت العربية

بعد وفاة والدتي - رحمها الله - لم يعد لي معيل بعد الله سبحانه سوى أختي "لطيفة" كنت صغيرًا فربتني واعتنت بي وجعلتني وأحدًا من أبنائها أجلس معهم على سفرة الطعام وأنام مع الأولاد في غرفتهم وجدت منها ومن زوجها كريم المعاملة وطيب العشرة جعله الله في ميزان حسناتهما.

سارت الحياة على طبيعتها لم ينقصني شيء، تخرجت من الجامعة والتحقت بإحدى الوظائف الجيدة وبعد أن جمعت مبلغًا لا بأس به قررت الزواج، فبحثت لي عن الزوجة التي أريد، سألتني عن كل صغيرة وكبيرة بشأنها، عاشت معي كل لحظة بجميع جوارحها، سهرت حتى أعياها السهر وطافت الأسواق تكمل ما نقص وأشرفت على تأثيث البيت وترتيبه بنفسها، خاصة المطبخ ومجلس النساء.

أتعبتها كثيرًا وحملتها ما لا تطيق وهي مع هذا كله صابرة، باسمه تدعو الله لي بالتوفيق والذرية الصالحة "أنت سندي بعد الله، أنت ساعدي الأيمن" هكذا تردد دائمًا.

فرحتها بي كفرحة أم بولدها، وحبي لها كحب ولد لأمه، هكذا أشعر نحوها، لها علي فضل كبير كفضل أمي غير أنها لم تلدني، كان الله في عوني لأرد لها الجميل فهي الآن كبرت وفي حاجة إلى المساعدة والوقوف بجانبها بعد وفاة زوجها غفر الله له.

إن أختًا كهذه جديرة بالاحترام والحب مني ومن زوجتي أيضًا التي ما إن شرفت بيتي ورأت معاملتي أختي حتى شبت نار الغيرة في جوفها وأكلت قلبها.

تردني بين يوم وليلة أن أنسى ما فعلته هذه المرأة العظيمة معي طوال ربع قرن تقريبًا، تريدني أن أمحو الماضي الذي جمعني بها؛ إنها أولاً أختي ولها علي حق الإخوة، وثانيًا هي أكبر مني سنًا وديننا حثنا على احترام الكبير، وثالثاً إن جميلها على يأسرني. يأبى أن يغادر قلبي وعقلي.. وكيف ذاك؟

هل تودين يا زوجتي أن أكون لئيمًا؟ ناكرًا للجميل؟ جاحدًا لفضل الآخرين علي؟ إن كانت أختي هي الرقم واحد في هذا السجل الأسود فستكونين حتما الرقم اثنين أو ثلاثة، لكنني ولله الحمد لا أملك سجلات للجحود والنكران وسأظل وفيًا لأختي مادامت بي الحياة.. سأكون لها الابن البار بأمه حية وميتة..

حضنها كان مأواي الدافئ حين فقدت الحضن الحقيقي، عيناها كانتا تشع نورًا في ظلام تلك الأيام الحالكة، صوتها أشعرني بالأمن، في زمن غاب فيه الأمن من حياتي إلى الأبد، إنك يا زوجتي الكريمة لم تذوقي طعم اليتم!!

لو كنت تسيرين في صحراء شاسعة، رمالها تتوهج من حرارة الشمس المحرقة ليس فيها أثر للحياة، ولا مكان آمن يؤويك.. الرمال من كل جانب تمتد إلى ما لا نهاية، أمواجها تتحرك تجاهك كأنما تود ابتلاعك.. رعب وخوف وإحساس بالضياع والغربة.. وهي لحظة كدت أن تصافحي الموت جاءك من مد إليك حبل النجاة وطوق الأمان وانتشلك من موت قريب وسقاك شربة الحياة ونقلك إلى عالم مزهر يفيض بالحياة.. أتراك تنسين فضله وتجحدين معروفه؟!!

ذاك هو اليتم بعينه لم أكن صغيرًا حين ماتت أمي كنت في الخامسة تقريبًا أدرك جيدًا ما حدث ذلك اليوم، ولن أنساه ما حييت.

فدعي عنك هذه الوساوس وأحاديث الشيطان ولا تسمي هذه المساحة الرحبة التي منحتها لأختي تدخلا في حياتنا فأنا الذي أعطيتها مطلق الحرية في هذا كله، فهي التي ستسمي مولودنا الأول إن كان ذكرًا وهي "لطيفة" إن كانت أنثى.

هل تصدقين لو قلت لك إنني طلبت منها ألا يكون اسم زوجتي "لطيفة" فأنا أحب أن اسمي ولو وقتيا "أبو لطيفة".

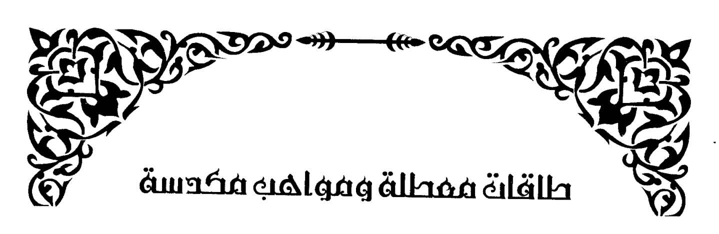
إنني حين أطلب منها طبقي المفضل فليس لأنك لا تجيدينه، ولكن لأنه من يديها ذو نكهة خاصة ممزوجة بالتضحية والوفاء.

وإذا استشرتها في شيء فلا يعني أنتقاصك أو الحط من رأيك، بل لأنني أريدها أن تعرف أنني مازلت "عبد العزيز" لم ولن أتغير.

ولا يهمني كثيرًا إن كان أبناؤها لا يتعاملون معها بمثل هذا البر والصلة كما تقولين، فلكل وجهة هو موليها.

وأنا مع هذا كله أشعر بتقصيري تجاهها، فلا تغضبي حين تطلب مني أمرًا أسارع بتنفيذه بينما لا أفعل معك الشيء نفسه، ذلك أنها بمعروفها علي وحسن خلقها وصبرها وعدم منتها تمكنت من قلبي وملكته، فالأولى لك أن تتعلمي منها لا أن تعلميها كما تقولين وأن تكسبيها لا أن تعاديها حتى تكسبي زوجك وحبه، ولا تساوميني أبدًا "يا أنا يا أختك"!! طبعًا أختي لاشك فهي درة لا تعوض.. هل أدركت ووعيت الآن؟ أرجو ذلك وأتمناه من قلبي.

"زوجك"



طاقات معطلة ومواهب مكدسة

في زمن مضى وعلى مدى أربع سنوات متتابعة ولدت ثلاثة أولاد ذكور فرحت بهم كثيرًا، وكنت فخورة بنفسي خاصة أنهم جاءوا بعد بنات، ومن فرط حبي لهم وخوفي عليهم كنت أخفيهم عن عيون الناس ولا أخرج بهم جميعًا، شعرت أني ذات حظوة عند زوجي، وعشت أتحسس مستقبلهم وأرسم لوحات رائعة لحياتي معهم "سيكبرون ويعملون ويتزوجون ويلدون الأولاد والبنات، سيزورونني ويغدقون علي الهدايا، سيعتنون بي ويسألوني عن حاجتي، سأجلس عند هذا شهرًا وعند الآخر شهرًا، سيسافرون بي، وسيكونون لي ظلا يقيني حرارة الأقدار ويدأ تحنو علي عند الفاقة، سيكونون شيئًا عظيمًا أفتخر به، يا لها من لحظة جميلة انتظرها بكل شغف.." ولكن !!

ليتني لم ابن هذا الحلم الوردي الجميل، ليت أحدًا أيقظني منه قبل أن أصحو فزعة على حالهم المؤلم.

مات والدهم، وتزوجت البنات، وعشت مع الأولاد أتقلب في نعيم هذا الأمل المشرق.. هذا الأمل الحلم الذي جعلني أقف صامدة وفي وجه الصعاب، هذا الأمل الحلم الذي جعل وفاة والدهم أهون علي وقعًا مما لو كنت أعيش خارجه..

كنت كمن صحا من سكرة، أو فاق من إغماءه ما هذا؟ أين أنا؟ أين كنت؟ وماذا وجدت؟

ثلاثة شبان في فورة الشباب وقمة الحيوية يتسكعون في الطرقات نهارًا ويرتمون أمام الفضائيات ليلا لماذا؟! لأنهم بلا دراسة، بلا عمل، بلا حضانة، تخرج عماد من الثانوية

بتقدير جيد.. حمل ملفه وقطع المسافات طولاً وعرضاً دون فائدة لم يجد أحدًا يقبله... انتظر عاماً كاملاً، ثم تخرج خالد وطاف الاثنان معًا وأيضاً دونما نتيجة، وحين تخرج كمال من الثانوية كانت نسبته تقل عن أخويه فاختصر المشوار ومكث في البيت.

ثلاثة شبان يبعثون الأسى في نفسي حالهم مع التخصصات والوظائف كحال القائل: "قلبي على الوظيفة انفطر وقلب الوظيفة على حجر".

في البدء كنت معهم أشد أزرهم وأحثهم على المضي فيما خططوا له، يجب أن تكون وظائف أبنائي بمثل ما حلمت به لا يمكن أن أقبل تنازلاً عن هذا، ولكن حين وجدت الأيام تمضي بسرعة والفرص تكاد تتلاشى أخذت زمام المبادرة وصرت أحفزهم للبحث عن وظيفة... أية وظيفة طالما أن حلم الدراسة تبخر!!

كنت أجلس معهم لتقليب صفحات الجرائد للبحث عن عروض وظيفية.. وأجعل الهاتف بجانبي أضرب الأرقام أتصل وأسأل وأسهل لهم المهام ولكن لا جواب.. وظائف بمميزات مغرية لكنها ليست على مقاسهم، وأخرى تناسب مؤهلاتهم ولكنها حجزت لغيرهم!! وثلاثة بمواصفات تعجيزية تجعلهم يتأففون قهرًا وغيظًا.

لقد بدأ أبنائي يستعذبون الرقاد والكسل، كلما مر يوم ثلم من جدار الأمل ثلمة، صار حديثي لا يعني لهم شيئًا ولا يدل على شيء، أصبحوا لا يأبهون بالجرائد بل لم يعودوا يشترونها، أحيانا تحضرها لي ابنتي فاقلبها على نار الرجاء، وحين أرى وجوها كادحة لشباب في مثل أعمارهم حاربوا اليأس وكسروا الحاجز وانخرطوا في وظائف مهنية مختلفة احترق حسرة على حال أبنائي وأبكي ألما لأجلهم لماذا لا يكونوا مثلهم؟ فمجالات الرزق واسعة والعمل في كل مكان ولكن أولادي يريدون وظائف معينة وعلى "مقاسهم".

كلما دخلت الملحق وجدتهم يتكئون على المساند يلعبون الورق أو يتابعون البرامج أو يغطون في نوم عميق!!

أخشى إن أكثرت ملامهم أن "يملوا" من البيت ويهجروه إلى حيث لا يحمدوا العاقبة وأخاف إن تركتهم على ما هم عليه أن يعتادوا الخمول ويلتذوا للراحة صرت أحرمهم من المصروف بل إني أعجز عن مصروفهم أحياناً كثيرة، فزوجي لم يدع شيئًا يذكر، وأختهم المعلمة تمد يد العون ولكنها لا تفي بكل شيء، وهم معاندون لا يرضون بأي وظيفة وليست أي وظيفة ترضى بهم.

صاروا متوترين بدأت أحس برائحة الدخان أحياناً في ثيابهم، وأخاف من أمور أعظم!! تسوؤهم جيوبهم الخالية، والسيارة التي اشتريتها لهم لا تليق لمقامهم، أشعر بمرارة في كبدي، وضيق في شراييني وصداع مقيم في رأسي كلها نتيجة هذه الطاقات المعطلة والمواهب المكدسة.

حين استرق النظر إليهم في الملحق من وراء النافذة وهم غارقون في لعب الورق مع رفاقهم تنحدر من عيني دمعتان ساختنان تحرقان قلبي الموجوع دمعة أسى على حالهم، ودمعة ندم على نفسي التي فرحت بمقدمهم!!

كان الله في عوني وجبر مصيبتي..

"أمكم"

أمي الثانية لا أنساها

كنت أظن أن تعامل أم زوجي معي في بداية حياتي الزوجية نابع من المجاملة، فلم يمض على زواجي سوى بضعة أشهر مازلنا نتعاطى الأمور فيما بيننا بشكل رسمي.

وذات يوم كنت أتجهز لحضور حفل زفاف ابنة خالي، كانت أول حفلة أحضرها بعد زواجي لذا قد تأهبت لها بشكل جيد، ولما حضر زوجي من العمل أخبرته وذكرته بالموعد ولكنه بدون مقدمات فاجأني برفض الذهاب للعرس.. لماذا؟! بادرته بالسؤال.. فأجاب (ليس من الداعي اليوم تخرجين) وبدأت الشد والجذب في الحديث وجن جنوني فصرت أسب وأشتم دون إدراك مني لما يحدث، فخرج من البيت غاضبًا وجلست أبكي بحرقة.

ولم أشعر إلا بأم زوجي تطرق علي الباب بلطف.. أدخلتها وأخبرتها بما حدث فوجدتها كالبلسم الشافي، قالت لي: إن رضا زوجك مقدم على كل شيء، وأنه بإمكانك أن تتفاهمي معه دون اللجوء إلى الصراخ والسب، قالت لي عن الرجال لا يرضخون بالقوة، بل بالحب والتفاهم والكلمة الطيبة، وقالت أيضا إن "حمزة" ربما كان متعكر المزاج لأنه لحظتها كان عائدًا من العمل، فالواجب علي أن أؤجل الحديث لوقت أنسب وقالت.. كلاماً كثيرًا جميلاً كان له أكبر الأثر في تهدئتي، واستطاعت بحكمتها أن تستل وسوسة الشيطان من صدري، ثم إنها دون أن أعلم كلمت "حمزة" وطلبت منه أن يأخذني لهذا الحفل وبالتأكيد أنها أقنعته بأسلوبها الجميل.

كان هذا هو الموقف الأول لي مع أم زوجي ولقد تبعته مواقف وأحداث جعلتني كلها أقف احترامًا وتقديرًا لهذه المرأة الرائعة... إنني على مدى ثمانية عشر عاما هي عمر زواجي أسير بمشورتها واعتد برأيها، ولم لا؟ وهي التي تقول إنني خامس بناتها.

لقد صرت أستشيرها في كل ما يعرض لي فلا أجد عندها إلا رأيا سديدًا ومنطقًا حكيمًا، لقد حمت زواجنا من الانهيار بنصائحها القيمة، علمتني كيف أخفف من حدة مزاج زوجي وكيف أمتص غضبه، وكيف أكسب قلبه، وبالمقابل علمتني كيف أكون قوية أمام المشكلات وكيف أساند زوجي واقف إلى جواره في الأزمات.

كانت تثني علي كثيرًا أمامه، تمتدح ذوقي وخلقي وطهيي، دخلت بيتها صغيرة جاهلة، إذ كان مرض أمي النفسي عائقًا لها عن تعليمنا - شفاها الله - فعدتني واحدة من بناتها، كنا ندخل المطبخ سويا فتعلمنا وتقف معنا وتشجعنا حتى صرنا طاهيات ماهرات.

كم كانت تقدر ظرف والدتي، فكانت تنصحني دائمًا أن أجعل حياتي الزوجية ملكًا لي وحدي وسرًا خاصٌ بي قالت لي: "إذا احتجت أي شيء قولي لي أنا مثل أمك وأنت مثل بنتي، أمك الله يعافيها يكفيها اللي فيها".

حين أكون متعبة تأتي لي بالطعام والدواء وتجلس بجانبي وتخفف عني، لايثنيها عن ذلك ألم مفاصلها.. وحتى حين أرقد في المستشفى لا يرافقني سواها تهتم بالمولود وترعاني بحبها وحنانها وحين أخرج إلى البيت لا تنفك عن زيارتي وإرسال الطعام لي.

عشت معها سنوات من أجمل سنوات عمري وحين خرجت من عندها آثرت السكن بقربها إذ البنت لا تستغني عن أمها.. وعن نصائحها.

مازالت أم زوجي هي تلك المرأة الطيبة الحنون التي أعطتني حبها، وحفظت لي قيمتي إنها لا تبالي بالرسميات، فهي التي تتصل بي لتسأل عني وعن الأولاد وتخبرني بما أستجد وبماذا تفكر. أحيانًا أسبقها إلى الهاتف وفي الغالب هي التي تسبقني إليه.

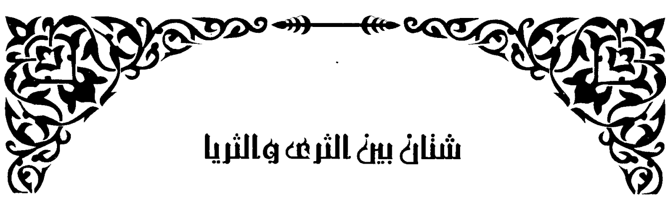
أسألها فيما يشكل علي في تربية أبنائي.. أحادثها عن مستوياتهم في المدرسة... عن الصعوبات التي تواجهني مع بعضهم.. وحتى عن الخلافات التي تدب بيننا أنا وزوجي أستنير برأيها وأعتز بمشورتها.

إنها تتصل أحيانًا لتسألني إن كان يوم الأحد مناسبًا لي لزيارة الوالدة وحين يفكرون في الاجتماع تتصل لترى إن كان الموعد يناسبني أم لا؟

تشاورني في الزيارات وتعلمني بنيتها في ذلك، تحترم أهلي كثيرًا وتقدم خدماتها لأمي خاصة في أيام تعبها.. تزور معي أخواتي وتستجيب لدعواتهن، وترسل لهن الهدايا إن لم تستطع الحضور.. وهي تتصل بأهلي لتبارك بنجاح أو زواج أو تشاركهم الفرحة.

هي هكذا دائمًا معي، وحتى مع زوجات أبنائها الآخرين تحب لهم ما تحب لبناتها وتحث أبناءها على احترامهن وتقديرهن، وتراعي مشاعرهن، لذا فهي محط اهتمامنا جميعًا وموضع رعايتنا.. ولم لا إنها أمي الأخرى بلا شك.

"زوجة أبنك"



شتان بين الثرى والثريا

حين أبدى "معتصم" رغبته في الزواج كنت سأبدأ رحلة مضنية في البحث عن عروس مناسبة لولا أن أشارت علي إحدى بناتي "لمياء"، أخت "فردوس" زوجة ولدي "عبد الكريم" (إن البيت الذي تخرجت منه "فردوس" لن يعجز حتمًا عن تخريج مثيلاته وها هم أخواته مع "حمايلهم" لا يذكر عنهم إلا كل خير). قلت: نعم الرأي ووافق "معتصم" مباشرة. إن فردوس قد شملت الجميع بكرم خلقها وحسن أدبها. عشر سنوات وزيادة لم نر منها إلا الوجه البشوش والسن الضحوك والعمل الدؤوب واللسان الصموت. تعجبت كيف عميت عيوني عن لمياء؟!!

تقدمنا لهم ووافقوا مباشرة وتم كل شيء بسرعة، فالمعرفة القوية بيننا والصورة الحسنة لكل منا أمام الآخر ألغت كل العوائق.

جاءت لمياء وسكنت في الجناح الخاص الذي كانت أختها تشغله قبل أن تستقل في منزل خاص قريب منا، كانت فرحتنا بها كبيرة فأريج أختها مازال يعطر البيت.. ولكن.. ما أبأس لكن الآن.. كان الفرق بينهما كبيرًا كالفرق بين الثرى والثريا.

"فردوس" كانت تسبقني إلى المطبخ كل صباح لتجهز الإفطار لا تنتظر في غرفتها حتى أضغط عليها زر السنترال لأناديها مرارًا قبل أن يبرد الطعام كما تفعل لمياء.. كانت ترفض أن أحضر لها الطعام في غرفتها يوم كانت عروسًا ولمياء لم تمانع لمدة شهرين من تناول طعامها في غرفتها مع أنه ليس في البيت نساء سواي وعبير أصغر بناتي.

عشر سنوات مع "فردوس" لم تنس أن تسألني كل يوم عن رغبتي في الغداء.. وحين تجتمع العائلة "تبرد قلبي بشغلها" وحتى في الفترات التي كنا ننتظر فيها قدوم الخادمة الجديدة

كانت تقوم بكل أعمال البيت.. الطبخ والغسيل والكي والكنس وخلافه حتى دورة المياه التابعة لغرفتي وكذا غرفتي هي التي تقوم بتنظيفها وترتيبها.

(سبحان الله خلق وفرق) لمياء تنام حتى بعد الظهر، ثم تصحو لتعانق الهاتف، ثم تنزل وقد جهز الغداء- الشكوى لله صرت أرضى بطبخ الخادمة منذ أن خرجت فردوس من عندنا فما عاد باليد حيلة- تفتح القدور ثم تعود إلى غرفتها.. انتظرها على المائدة نصف ساعة حتى تتكرم علي بالنزول فلا تفعل.. أمل وهي لا تمل من تكرار الموقف، أضغط عليها الزر فتبلغني أن ليس لها رغبة في الطعام، وأحياناً والله انتظرها ثم أفاجأ بالخادمة تخبرني أنها خرجت بعد صلاة الظهر لأهلها، لا علم ولا خبر ولا حتى تقدير لمن هم معها.

"فردوس" حتى بعدما خرجت لم نفقدها كثيرًا زيارتها لا تنقطع وكذا هاتفها وأطباقها اللذيذة التي نحبها وهذه مرت سنتان وزيادة ولم أرها تدخل المطبخ مرة واحدة.

"لمياء" مع الأسف تنظر لأختها "فردوس" على أنها طيبة زيادة على اللزوم وأنها يسهل اللعب عليها واستغفالها، تحس أن أختها ذليلة مهانة وتريد أن ترينا أنها من نوع آخر يصعب ترويضه أو تذليله، ما علمت أن أختها تفعل ما تفعله برضا وقناعة لا تواجه ضغطًا من أحد، فعبد الكريم كان أكثر أبنائي تمردًا علي وأكثرهم عنادًا لي ولوالده، كنا نقول من يصبر على عبد الكريم و"شقاوته".

كان بإمكان فردوس أن تفعل مثلها وأكثر لو كان لها عقل كعقلها، لكنها كانت من معدن نفيس ودر ثمين.

لمياء تخرج كل يوم تتمشى مع زوجها أو صديقاتها في الحدائق والملاهي وحين نجتمع في استراحة أو في البر تتعذر بألف حجة وحين تعجزها الحيلة تقول "أمي قاعدة في البيت ما عندها أحد سأجلس عندها" ونتفاجأ بفردوس وقد علت وجهها الدهشة والضيق في ذات الوقت حين تعلم بخبر لمياء.

ليس هناك حق للصغير ولا الكبير، تخرج متى شاءت وتعود متى شاءت، زوجها ملك لها تديره بالريموت.. في رمضان الماضي كنت جمعت البنات والأولاد على الفطور.. أعلمتها قبل يومين ولم تبد رأيًا، كنا في العشر الأواسط، نزلت قبل أذان العصر عجنت اللقيمات وقالت للشغالة لقميها. وبعد صلاة العصر نزلت وقد اتشحت بعباءتها ترافق معتصم، لأن عندها غرضًا مهما في السوق. خرجت ولم تعد إلا قبيل أذان المغرب بدقائق.. لو كان العيد غدًا لعذرتها ولكن..

أين أيامك يا فردوس.. فطول رمضان تنزلين من بعد صلاة الظهر ولا تطلعين من المطبخ إلا مع أذان المغرب.. محشيات ومعجنات وحلويات وعصائر وشوربة ما نشبع منها.

قلت للبنات يمكنها تتضايق من اجتماعكم دائمًا عندي.. عملنا دورية شهرية، الكل يحضر والكل يساهم وهي كالغريبة تأتي أحيانًا بعد صلاة المغرب ساعة بالكثير كأنها على جمر ثم تخرج إلى أهلها أو صديقاتها أو إلى...

إني آسى لحالها كيف ستربي أبناءها وماذا ستعلمهم وهي تحمل عقلاً صغيرًا بهذا الحجم تنظر إلى الإحسان بأنه هدر للكرامة، وللطيبة بأنها غباء وبلادة.

ماذا أقول عنها غير إننا "توهقنا كثير" أصابع اليد ليست واحدة، هديتها استحي أن أقدمها للشغالة وفردوس كانت تأخذني للسوق لأنتقي كسوة العيد.

إن السعة في الرزق وصلاح الأبناء باد على فردوس وعيالها، فماذا يا ترى سيبدو على لمياء وعيالها، اللهم أهد ضال أبنائي ووفقهم لرضاك ودلهم على صلاحهم وفلاحهم.

"خالتك"

شهامة زوج بمعنى الكلمة

المواقف الصعبة تكشف لنا معادن الرجال، وعمر أحد هؤلاء، زوجناه ابنتنا قرة أعيننا عروب فكان واحدًا منا في السراء والضراء.

عمر لا يحب الظهور ولا يعجبه المديح، يفعل الخير ابتغاء الأجر من الله، يعاملنا أنا وزوجي كوالديه، في كل مرة يغمرنا بمعروفه حتى أثقلنا الدّين ولكن له منا الدعاء في كل وقت وحين.

ليس في أنسابنا مثله لا الذين قبله ولا الذين بعده، ومع هذا تلومني بالبنات على حبي له وتفضيله على غيره وإن له مكانًا لا يرقاه سواه.

لم يكد يمضي على زواجه من "عروب" ستة أشهر حتى دخل والدها المستشفى إثر أزمة قلبية مفاجئة، فرافقه ابني "بلال" وكان ابني البكر في بداية ابتعاثه للخارج للدراسة، فخلا البيت من الرجال، وكان عمر كابني يمر علي كل صباح ومعه الخبز يتفقد حاجتي ويحضر معه بعض الأغراض التي يتوقع أن أكون في حاجة إليها، يزور أبو عبد الله في المستشفى ويسأل الأطباء عنه ويطمئنني في الهاتف على حالته ويأخذني لزيارته أنا والبنات، كل هذا لم يكن بإيعاز من ابنتي أو تذكير منها، بل ربما كان خيرًا منها في هذا الجانب، إنه يأخذ دور المرافق عن "بلال" حتى يتمكن من الخروج للراحة أو الاستحمام أو قضاء حاجة لا يقضيها سواه.

يقسم علي ألا أحتاج إلى شيء وهو موجود، يسألني عن حاجة البنات للمكتبة أو أغراض مدرسية (ناقصكم شيء؟!) دائمًا يسألني.

وحين يحضر معه شيئًا يرفض أخذ قيمته، لقد عودني على رفع الكلفة معه وصار كابني أو ربما أكثر والله، أحدثه عن حاجتي ورغباتي وأمنياتي، كما أتحدث معه عن حاله وعن أخبار أهله سيان.

يوم زواج ابنتي كان يومه، لقد وقف معنا منذ البداية، سأل عن الخاطب واستقصى عن حاله، أبو عبد الله أنهكه المرض وبلال لم يكن كفوءًا للسؤال، كان شابًا ونظرته تختلف عنا كثيرًا وعبد الله أخذته الدكتوراه، وقف عمر معي في تجهيز البنات، يأخذنا للسوق أو المشغل وهل هذه المشاوير تنتهي؟ إنهن - أصلحهن الله - لا يخجلن من إملاء طلباتهن، يذهبن للمشغل ثلاث أو أربع مرات من أجل فستان واحد، لذا فقد مل "بلال" من كثرة التردد وفي كل مرة نطلب منه ذلك يحدث شجار ينتهي بخروجه من البيت (خذوا لكم تاكسي) هذا الحل في نظره؟!

فيضطر والده المريض أمام زعل البنات لمرافقتنا في سيارة أجرة إلى السوق أو المشغل.

وعندما يعلم عمر يغضب ويقول: (كان عليكم أن تتصلوا علي أنا موجود في البيت، إذا ما نفعتكم الحين متى أنفعكم، وبعدين أنتم في حسبة أهلي، وأنا ما أرضى أهلي يركبون مع تاكسي وأنا موجود!!) الله يسلمك ويخليك لعيالك ولوالدتك.

مثل ما قلت إن زواج ابنتي الصغيرة كان يومه، استيقظ في الصباح الباكر (شايل هم جعله يسلم) مر على المنزل وأكد على الطباخ الشغل، في خاطره أن إخوانها مشغولون معها وما عندهم وقت، هو طيب ويحب الخير وإلا الخطاب واضح من عنوانه. أتصل علي يسلم ويسمعني الكلام الطيب وقال لعروب (أسأليهم إن كانوا يريدون المشغل اليوم) جزاه الله خيرًا والله لو كان زواج أخته لكنه دائمًا يقول إنهم مثل أخواتي. وقفته معنا ما تنسى.

"عمر" ليس ضعيف الشخصية أو إنه تبع زوجته، لا والله بالعكس هو الذي علم "عروب" اللباقة وحسن التعامل مع الآخرين، يجعلها تزورنا مرتين في الأسبوع وفي كل مرة

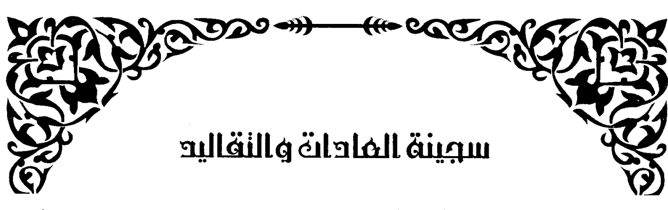
تجيء ينزل معها يسلم علينا ويقبل على رأس خاله ويسألنا عن حاجتنا دائمًا يحب أن نزوره ويجيء يأخذنا لبيته ويقعد معنا ويصب لنا القهوة بنفسه.

وفي كل مرة تجيه أمه يناديني وفي الغالب إنه يجيء يأخذني وأحيانا يطلع بأمه للبر ويمرون علي يحب يوسع صدري ويبر بالكبار والعجائز يقول أنتم ريح الجنة، أنتم طريق الجنة.

كم مرة أحتجت تصلح شيء في البيت أجده جنبي، يوم تقدمنا بطلب شغالة ما كان في البيت غرفة مجهزة لها، أحضر معه عامل وبني غرفة في السطح، كل يوم من الصباح يجيء هو والعامل ويجلس عنده حتى ينتهي من عمله، وكأنه ليس عنده أشغال ثانية.

كم من مرة ومرة، ومرات لا تحصى، العيال يتعذرون بأشغالهم كأن الناس غيرهم ما عندهم أشغال ألقى "عمر" في وجهي وتحت يدي يقدم لي المعروف بدون منًّ، يعمل بدون كلل، يبذل دون طلب للشكر.. أمه تقول هذا طبعه، من كان "صغير" يسمونه تحت الطلب وكسبه الطاعة احتساب الأجر فصار خيرًا على خير اشترى لي مسجلاً صغيرًا وبدأ يمدني بالأشرطة النافعة فكان هذا أعظم شيء قدمه لي.. نور الله بصيرته وجعله بارًا بوالدته وأقر عينيه ببر أبنائه وصلاحهم إنه على كل شيء قدير وجزيت خيرًا.

" أم زوجتك"



سجينة العادات والتقاليد

متى أصبحت الحياة سجنًا مؤبدًا فإنه يصعب العيش فيها، بل ربما صار باطن الأرض خيرًا من ظاهرها ألف مرة.

حكمة بليغة لم تصدر عن امرأة مسنة مارست الحياة وخبرت دروبها، بل عن فتاة لم تبلغ الثلاثين بعد.

فتاة سجنتها التقاليد البالية وأسرتها العادات الجاهلية، فتاة ولدت ليرتبط مصيرها بشيخ آخر لسبب واحد فقط وهو أنه ابن عمها، ليس كفؤًا، غير متعلم، لا تريده، لا تحبه، لا تتمناه زوجاً أو حتى تشعر أنه كأخيها كل هذا مردود عليها ليس لها زوج غيره "فلانة لفلان" هكذا منذ الطفولة.

نشأت في بيئة لا تعرف حقا لأحد في اختيار شريك حياته، زوجات إخواني هم بنات عمي، وإحدى أخواتي زوجة لابن عمي الآخر كما أن أمي هي الأخرى ابنة عم لأبي.

كنت أشب وأترعرع تحت نظر والدي وعمي، والدي ينتظر اليوم الذي يزفني فيه إلى ابن عمي، و عمي يترقب الفرح بابنه، درست وتعلمت وأنا أناضل في سبيل الدفاع عن حقي الشرعي في اختيار من أريد زوجًا لي.

قلت "انتظروا حتى أنهي الثانوية.." ثم "لا زواج قبل الشهادة الجامعية" أرجو بهذا التأخير أن يمل ابن عمي الانتظار ويشعر بالنفرة تجاهي ويبحث له عن أخرى ولكن لا مفر.

وحين وجدت هذه المماطلة لم تؤثر ثمارها أعلنتها صريحة مدوية "لا أريد الزواج من ابن عمي" فكأنما ألقيت قنبلة حارقة؛ والدي تبلبل فكره وتشتت ذهنه واسود وجهه أمام عمي، .. وعمي أرعد وأزبد وهدد وتوعد، فلقد أتيت منكرًا من القول وزورًا.

أما ابن عمي ذلك الجاهل الجلف فقد حبسني في مداره وقيد حريتي ومنعني من الزواج إذ إن بقاءه دون زواج يعني أنه لم يصرف النظر عني ومازال معلقا بي وبعبارة أوضح فأنا محجوزة له، فهو ينتظر اليوم الذي "يلين فيه رأسي وأعرف فيه مصلحتي".

لم يكن موقف والدي هينًا فلقد غضب مني وهم بمعاقبتي وفرض الزواج علي لأنني - في نظره - جاهلة!! علمتني المدرسة قلة الحياء!! لقد ندم كثيرا أن سمع كلامي وجعلني أواصل تعليمي!! وكان الأولى به - كما يقول - أن يتركني في البيت أسوة ببنات عمي وأخواتي الأكبر مني اللاتي تزوجن من أبناء عمومتهن دون رفض ولا استنكار.

لقد واجهت موقف والدي بموقف أكثر تشددًا لقد هددت بقتل نفسي ليلة العرس أو الهرب إلى حيث لا أدري، ذلك أنني أعلم أن هذه العقول المتحجرة لا تلين لكنها قد تتصدع وتضعف مع شدة الطرق.

هدأت العاصفة نوعا ما لكنني بقيت داخلها أصارعها وأواجهها بكل حزم.

إن ابن عمي هذا مثل أخي، تربينا معا في بيت واحد، لعبنا مع بعض، لم أشعر يومًا واحدًا أنه قد يصبح شيئًا بالنسبة لي، ومع كل هذا لو كان كفؤًا وأنا لا أرغب في الزواج منه لما ترددت في الرفض فكيف بي وهو يحمل عقلاً صغيرًا ويمشي بلا هدى يتخبط في تقاليد القبيلة ويحني رأسه لها.

والدي الحبيب.. كيف ترضى أن تقدم ثمرة فؤادك وختام ذريتك قرباناً لأخيك تطلب به رضاه ثم كيف أجبر على الزواج برجل لا أحبه ولا أقبله لمجرد أن هذه هي العادات والتقاليد.

أسمح لي يا والدي.. إن هذه العادات التي تفرضها القبيلة ليست شرعًا يجب الانقياد له ويحرم الخروج عنه، إن هذا ما تعلمته في المدرسة ولم أتعلم قلة الحياء!!

أبي.. إن السنوات تمضي بعمري، تستل نضارتي، وتسرق بهائي وتكسبني لونًا شاحبًا وأعوامًا عجافًا، وابن عمي يصول في الميدان يستعرض قوته وعنتريته قيدني في زاوية حياته، حرمني الحرية، حرمني الحب، وحرمني الأمومة أيضا، إلى متى أبقى أسيرة صلفه وجهله؟ متى يفك أسري ويمنحني الحرية؟ متى يرفع عني قيود الحجز والحجر؟ متى أشعر بالحياة يا أبي؟ أخشى ألا أشعر بالحياة ألا حين أفارق الحياة!! وعند الله تجتمع الخصوم!

القطار لا ينتظر أحد!!

الليلة زواج نجوى، فرحتها فرحتان: فرحة التخرج، وفرحة الزفاف. كلنا متأهبون على قدم وساق نستعد لهذه الليلة ونتضرع إلى الله أن يحفظ نجوى ويبارك لها ويسعدها.

حركة غير عادية في بيت الأفراح البنات اجتمعن وأحضرن المصففة، كل واحدة تستشير الأخرى في فستانها وتسريحتها وماكياجها.. ضحك ومرح وتعليقات ساخرة لابد أن تحدث في مثل هذه الأوقات.

وفي وسط هذا كله كنت أرى شيئًا ما في وجه نادية.. في عينيها... هي ابنتي أعرفها جيدًا. بدور ابنة خالها وهي كأختها الصغرى كانت تذاكر لها دروسها وتساعدها في حل الواجبات. نجوى كبرت وصارت عروسًا.

ونادية؟!! ابنتي أتمت في هذا اليوم عامها الخامس والثلاثين ولم تزل عازبة غادة.. هيفاء لها طلة كالبدر وشعر منسدل خلف ظهرها كالحرير، مؤهل علمي ووظيفة محترمة. والدها- رحمه الله- كان غنيًا ترك لنا ثروة كبيرة كفلت لنا بعد عناية الله عيشًا هنيئًا رضيًا.

تخرجت البنت المدللة من الجامعة فكانت فرحتي لا توصف؛ من له بنت مثل بنتي؟! جمال ودلال ومال وبهاء. والله لن أزوجها إلا من يليق بها ويحفظها، وبدأ الخطاب طرق الباب.. هذا ليس من ثوبها، وذلك لا يناسبنا مستواه، والآخر تعليمه متأخر وعشرات وظائفهم غير جيدة.

أنا وهي نريد شيئًا واحدًا (الشباب - المال - الشهرة - الوجاهة) ومع كثرة الخطاب بدأنا ندقق أكثر، موقع السكن صار مهما ونوعيته، المستوى الوظيفي ومستقبل المهنة، بل

حتى الأسماء كان لها نصيب من شروطنا فلقد ردت نادية شابًا كفؤًا يحمل الدكتوراه أو في طريقه إلى ذلك لأن اسمه كان قديمًا جدًا، لم أضغط عليها كنت أنظر لها بشكل آخر.

الخطّاب سحابة صيف أنزلت مطرها ثم ولت، والعمر لا يقف عند محطة معينة وكل شيء يزول لا محالة.

من يوقف زحف السنين؟ من يعيدها إلى زمن ولى حين كان السوق مزدهرًا والبضاعة كثيرة.

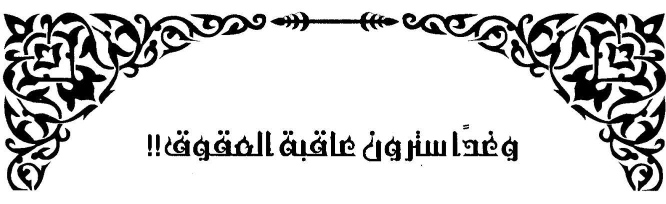
ها هي ابنتي تفقد نضارتها يومًا بعد يوم.. العمر كالزهرة سرعان ما تذبل ثم تموت.. وهي الآن بين يدي هذه المصفقة تغطي وجهها بطبقات من المساحيق لا أظنها أبدًا كافية لتخفي هذا الألم في عينيها على الأقل عني أنا والدتها.. أسى وحسرة على نفسها ممزوجة بفرح لنجوى.. أعلم أنها فرحة لزواج ابنة خالها وهي تدعو الله لها من قلبها أن يوفقها ويسعدها.

نجوى ابنة أخي خير مني وأعقل.. تعرف مصلحة نفسها، لم يغرها الجمال ولا المال ولا العلم (الشهادة) عندما جاءها الرجل الطيب الكفء لم ترده.. هي فرصة قد لا تتكرر وإن كان مستواه أقل ووظيفته متواضعة فلا يعني هذا أنه ليس كفؤًا. الآن لم يعد لفارس الأحلام في رأس نادية صورة واضحة ولا حتى في رأسي صرنا نراه (ربما) شيخًا على عصاه، أو زوجًا لثلاث نساء، أو حتى عقيما أو أبا لأيتام أو أميًا لا يعرف القراءة ولا الكتابة أو شاباً طامعا في مال.. صار للعريس صورة داكنة رمادية الملامح.. نعم فلقد ضيعنا الفرص في الشباب.. وإذا وقع الجمل كثرت سكاكينه.. الخطّاب كثر ولكن أين الكفؤ؟!!

اليوم صار الخيار مرًا، وتقدم خطوة في هذا الطريق يجب أن يحسب لها ألف حساب، واتخاذ القرار لم يعد سهلاً، نادية تفقد شيئًا من مقوماتها مع مرور الأيام.

دارت بي الأفكار ثم عاد بي صوت المدعوات يباركن ويهنئن: (عقبال نادية إن شاء الله)، .. (إن شاء الله) قلتها بمرارة.

في داخلي بركان يكاد ينفجر، ودموع تريد أن تنهمر.. هل أبكي شباب ابنتي الذي ذبل؟ أم أبكي غروري الذي أضعت بسببه الفرص؟ لم أكن أبدًا أما مثالية أبحث عن الكفء فقط، كنت أقف مع نادية حين ترد الخطاب الواحد تلو الآخر.. حبي لها ودلالي أعماني عن هذا كله. ظننت الحياة تسير بلا رجل يحميها.. ما علمت أن السفينة تضيع بلا ربان ولكن اليوم سأفرح بنجوى وغدًا إن شاء الله سأفرح بنادية حين أجعل في قلبي وعقلي مساحة للتفكير بجدية هذه المرة في العريس. حين أقنع ابنتي بالتنازل عن بعض الشروط والنظر إلى الواقع بعين مختلفة عن السابق فالأيام تمضي.. وتبقى الحسرة.



وغدًا سترون عاقبة العقوق!!

بالأمس كان لي أبناء صغار، كنت أتمنى أن يكبروا، وحين كبروا تمنيت أن يتزوجوا ويرزقوا الذرية الصالحة، وحين حدث هذا وأشغلتهم أنفسهم وأموالهم وأولادهم عني تمنيت أن يعودوا صغارًا ليملئوا البيت مرحًا وحبورًا.

أوحشتني الوحدة.. أقلقني الصمت، رجع الصدى يذيب فؤادي.. تردد صوتي يعذبني.. وحدة.. وحدة.. ليس فيها أليف ولا أنيس سوى هذه الخادمة الآسيوية التي تزيد من قلقي حين أتخيلها تهم بقتلي والاستيلاء على مالي ومصاغي.. أنها لو فعلت فلن يعلم بها أحد، لأنه لن يفقدني أحد بهذه السرعة؛ ولكنها على كل حال خير من حالي بدونها.

إنها تغسل ملابسي، ترتب بيتي، تطبخ طعامي، تكرم ضيوفي، ضيوفي الذين هم أبنائي وبناتي حين يريدون الاجتماع فليس لهم ملجأ إلا بيتي، يجتمعون ليس من أجلي ولكن حتى يرى بعضهم بعضًا، يجلسون، يثرثرون، يتكلمون في مواضيع كثيرة لا أفهمها أو لا تهمني، الخادمة تجهز لهم الطعام، تضع بين أيديهم أباريق الشاي والقهوة، كم أتمنى أن تقوم واحدة منهن بعمل شيء مثلا تسألني ماذا أحب أن يكون العشاء؟ تطل من المطبخ تنظر ماذا فعلت الخادمة؟

حين يريدون المجيء إلى يتصلون يسألون (كل واحدة منهن تسأل: من سيأتي؟ فإن كان هناك أحد سيأتي وإلا أجلت زيارتها لمرة أخرى) هم حقاً يجتمعون يوسعون صدورهم لا صدري.

الأم عندهم فقط للحاجة. إذا أرادت واحدة منهن (البنات وزوجات الأبناء أن تذهب إلى وليمة عرس أو حفلة عشاء أو حتى رغبت في السفر ولم ترغب في أخذ الخادمة

تركتها عندي ومعها الأبناء الصغار، يسهرون، يسمرون وأنا أجلس قلقة انتظر قدومهم إذ كيف لي أن أنام وأترك بيتي في يدي هؤلاء الخادمات وأحيانًا دون سابق إنذار يتركونهم ليناموا عندي!!! فلكم أن تتصوروا حالي مع السهر والهواجس.

بناتي- هداهن الله- لا يفكرن بحالي، لا يجلسن معي ويتحدثن إلي حتى لو كن معي لفترة طويلة، (مفيدة) آخر بناتي زواجًا مازالت تدرس في الكلية، وعند الاختبار تحضر عندي فترة الامتحانات لأرعى لها ولدها واهتم به لأنه ليس لديها خادمة.

تأتي من الكلية قبل صلاة الظهر، تتناول فطورها وتأخذ حماما باردًا ثم تصلي وتنام حتى العصر، تستيقظ لتسأل الخادمة عن الغداء ثم تتجه إلى غرفتها.

تذاكر وتذاكر وحين تحتاج إلى شيئًا تطلبه من الخادمة وفي وقت راحتها تعانق الهاتف تحادث صديقتها أو زوجها، لا تعلم عن حال ولدها شيء ولا عن حال أمها وفي آخر يوم لامتحاناتها تأتي قبل الظهر كالعادة تجهز حقيبتها تتناول فطورها تصلي ولكنها لا تنام لأن زوجها يكون بانتظارها فتذهب وتتركني وحيدة لأن مهمتي انتهت.

أجلس دائمًا لوحدي سبعة أيام أو ربما أربعة عشر يومًا لا صوت ولا نظرة، أتمنى كل يوم أن تأتي واحدة تتفقدني حتى لو بعد العصر أو بعد المغرب ساعة أو تزيد تؤنسني وتزيل وحشتي، حين أقول لهم ذلك يتعللن بالأشغال الكثيرة ومشاوير رجالهن الأكثر والدراسة والعيال وخلافه، لكنهن في الواقع لا يتركن الذهاب إلى السوق من أجل الأعذار ومشغل الخياطة لا يمللن من التردد عليه للخياطة والمقاس والتصليح حتى لو كان في الأسبوع أكثر من مرة!!!

حين يتغيب زوج أحدهن وتضطر للنوم عندي أطلب منها بإلحاح أن تشاركني النوم في (السطح) أحب جوه ونور القمر والسماء المرصعة بالنجوم، لكنني لا أنام فيه وحدي، فترفض خوفًا من البعوض أو الحر أو (يتنكد منام عيالها) هل هي حقا صادقة؟!! أنني

اسمعهن أحياناً يتحدثن عن نومهن في سطوح بيوتهن وفرحهن بهذا لأن أزواجهن اقترحوا عليهن أو أمام إصرار بعض أبنائهن، فهل هنت عليهن لهذه الدرجة؟!!

أنا أمهن يشكين لي همومهن ومشاكلهن مع أزواجهن، يرن جرس الهاتف في بيتي حين تحدث في بيوتهن مشاكل يعجزن عن حلها أو حين يردن التنفيس عن مواقف مؤسفة حدثت لهن أو حين تكون هناك مشاكسات بينهن وبين حمواتهن!!!

ولأنني عضوة دائمة في نوادي السكر والضغط والروماتيزم فيضيق صدري لحالهن وأتحسر عليهن فيؤثر هذا على نسبة السكر والضغط عندي فأمكث أياما طريحة الفراش عاجزة حتى عن القيام لأداء فروضي.

وعندما يأخذهن أزواجهن في نزهات أو يقدمون لهن الهدايا أو يبرونهن بأي شيء أو تنقشع السحب الرمادية من سماء حياتهن، وتصفو لهن الأيام فلا يقولون لي شيئًا، (الأم فقط للمشاكل ووجع الرأس).

رحمك الله (يا أم جابر) تلك العجوز الثمانينية كانت دائمًا تردد هذه العبارة عاشت خريف عمرها في وحدة وعزلة مع أنها أنجبت الكثير من الأبناء والبنات. لكنها لم تكن تراهم إلا حين يكفهر وجه الدنيا في وجوههم وحين يريدون المال.

البر يا أبنائي سلف ودين، وأنتم لكم بنات وأبناء وغدًا سترون عاقبة العقوق.

"أمكم"



الحب لا يشترى بالمال

تسألني كيف أعيش سعيدة، وقد تغير إتجاه حياتي مئة وثمانين درجة، أقول لك إن المال لم يكن بالنسبة لي هو كل شيء، كان المال يخدمني فقط ولكنه لم يكن يجلب لي السعادة. لقد أدركت ذلك فيما بعد.

أنا (سهام) ابنة رجل ثري، نشأت في وسط ثري، أعمال حرة وتجارية، مستشفيات خاصة للعلاج، ومدارس أهلية للدراسة، فنادق وصالات فخمة للاحتفالات، مراكز رياضية (للتخسيس) والحفاظ على اللياقة، أسواق راقية تلك التي نرتادها، وبلاد أوروبية نسيح فيها، هذه ضروريات حياتنا يطغى عليها البذخ والإسراف وحب المباهاة.

اجتماعنا عرض أزياء، وتقرير عن عالم الموضة، ودعاية لنوع جديد من الترفيه، مطعم عائلي، متنزه، سوق جديد وهكذا.

لم أكن أرى والدي كثيرًا، في الصباح في عمله، وبعد الظهر ينام، وبعد العصر يذهب إلى مركز رياضي، وحين يعود يكون جدوله مزدحمًا بالمواعيد والسهرات (وعشاء عمل) إذا رأيته ألقيت عليه التحية وسألته عن حاله وكفى. فلا وقت لديه لأكثر من ذلك.

(وأمي) كذلك ترافق صديقتها إلى السوق أو أحد مراكز التجميل أو إحدى الجمعيات النسائية تحضر الاحتفالات والافتتاحات الخاصة بالنساء، فحياتها مليئة بالأنشطة المختلفة.وبين هذين الوصفين نشأت مفتقدة لحنان الأم ورحمة الأب، علاقتي بهما شبه رسمية وفرا لي المال معتقدين أنه يجلب لي الراحة والسعادة، وأنا أيضا كنت أعتقد ذلك إلى أن تزوجت وتغيرت مفاهيم الأشياء حولي.

تزوجت (عدنان) شاب مستقيم من أسرة متواضعة، أخته صديقتي، أثنت عليه كثيرًا، كانت تحدثني عن خلقه وطيبته، عن حنانه المتدفق منذ أن كنا على مقاعد الجامعة، وهي تمهد لهذه اللحظة، كنت أشعر بذلك وأتظاهر بالغباء.

والدي لم يعارض رغبتي وهذا ما تعودته منه، وزفني إلى زوجي في عرس بهيج ظهر فيه الفرق بين أهلي وأهل زوجي.

دخلت بيته، شقة متواضعة، أثاث بسيط لكنه ينم عن ذوق جيد، لم يكن فيه ستائر مخملية ولا سجاد إيراني، كان فيه ما أفتقدته طول حياتي، الحب والحنان.

مع (عدنان) شعرت بأني أحيا من جديد، صار للحياة طعم مميز، صرت أفترش الحب وألتحف الود والوئام وأتنفس الحنان والعطف.

هو حقًا في عرف أهلي (على قد حاله) لكن قلبه غني بالأحاسيس مفعم بالعواطف، تعلمت منه معنى البذل والتضحية من أجل الآخرين، وعشت معه على التعاون فيما بيننا. لم تكن ثروة أهلي تعني له شيئًا. حين أطلب منه حاجة لي أو غرضًا للبيت يقول (انتظري حتى آخر الشهر) كلمة أسمعها لأول مرة، إذ لم يكن أول الشهر ولا آخره مانعًا لي من تحقيق رغبة أو شهوة في نفسي، هذا كان في السابق، أما الآن فالوقع جد متغير.

(وعدنان) نفسه غنية وكرامته فوق كل اعتبار، فهو يرفض أن أطلب المساعدة من أهلي أو أخذ منهم شيئًا، أو حتى أبدي لهم مدى حاجتنا.

ثماني سنوات عمر زواجنا الآن عشتها في سعادة وراحة حتى وإن ظهرت بعض المشكلات على السطح إلا أنها كالفقاقيع سرعان ما تتلاشى، حين التقي بقريباتي أتلقى منهن سيلا من الأسئلة الجافة الحارقة، كيف تعيشين وأين تعالجين؟ ومن أين اشتريت هذا الفستان؟ وبكم؟ و... غيرها. يسخرن مني لأنني تركت العلاج في المستشفيات الخاصة وصرت لا ألجأ إليها إلا عند الضرورة القصوى، فمستشفيات الحكومة فيها الخير والبركة،

وحين يسبب الله الشفاء لا ندري أين يضعه سبحانه، ثم إنني في حاجة إلى هذا المال الذي (تمصه) المستشفيات الخاصة.

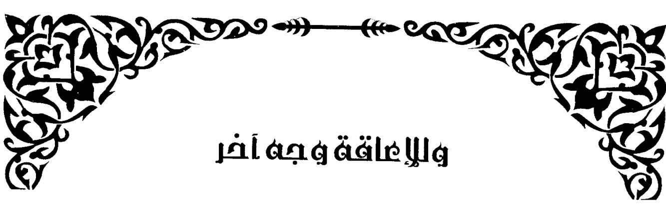
وهن عندما يسألنني، عما ألبس من أين اشتريته وبكم؟ فلأنهن يعتقدن أن الذوق الرفيع والأناقة الراقية فقط في تلك الأماكن المحدودة ذات الواجهات الزجاجية والسلالم الكهربائية والتكييف المركزي، يقفن مبهورات أمام أناقتي وحفاظي على ما أعتدنه مني من اهتمام بمظهري وذوقي، ويغتظن حين يعلمن كم دفعت ثمنًا لذلك، إنه مبلغ بسيط، إنني أحب زوجي كثيرًا ولا يمكن أن أرهقه وأسبب له حرجًا من أجل فستان أو حذاء.

لقد قامت قيامتهن يوم أن علمن بدخول ابني (عبد الرحمن) المدرسة الحكومية القريبة من بيتي، لماذا لم أسجله في مدرسة خاصة أسوة بأبنائهن، هذا شيء لا يصدق، سيتعلم (العفرتة والكلمات النابية) أبناء المدارس الخاصة أكثر انضباطًا وأدبًا وأرقى خُلقًا هكذا هن يفكرن، وهكذا يتخيلون خطأً أما أنا فلقد بذلك مع زوجي عظيم الجهد لنعلم أبناءنا كريم الخلق ورفيع السجايا، نحن نفعل ما يرضي الله مع أبنائنا والله سبحانه يتولى الصالحين.

وكم من يتيم فاق أقرانه ذكاء وأدبًا وخلقًا فمن علمه وأدبه؟!

إنكن مهما تحدثتن وهمزتن وأبديتن الامتعاض فلن يغير ذلك من قناعتي شيئًا، كلامكن هذا نابع من الغيرة فمع هذه الأموال الكثيرة والعطور الفاخرة لا تشعرن بالسعادة، أزواجكن في كل بلد يهيمون، تتمنى الواحدة منكن لو ركبت مع زوجها سيارته ولو مرة واحدة في الشهر، أما أنا فزوجي قريب مني، يحبني ويراعي خاطري (يدللني) نخرج سويا للنزهة، وللتبضع، يجلس في البيت يراجع لعبد الرحمن دروسه، يلعب مع صغاره، يساعدني في عمل البيت. إنه رفض كل المساعدات التي قدمها أهلي لنا، إن حياة نبنيها لبنة لبنة خير من أن نسأل الناس حتى لو كانوا أهلاً لنا فطعم الكفاح لذيذ.

"أختكم"



وللإعاقة وجه آخر

كان يومًا جميلا من أيام الربيع، اتفقنا على قضائه في ربوع الصحراء الواسعة بين تلك الرمال الحمراء، نصبنا الخيام وطبخنا الغداء ولعبنا وتحدثنا واستمتعنا بكل دقيقة ولم نكن نعلم ما يخبئ لنا القدر.

انتهت الرحلة وعدنا إلى الرياض ركبت مع أحمد في السيارة ذات المقصورة الواحدة المحملة بالعفش، لم أكن لأدع أبني ذي الستة عشر عاما يقود السيارة بمفرده في هذا الوقت من الليل، تأكدنا أن الجميع استقلوا سياراتهم وكنا آخر المغادرين، ركبنا الخط السريع، ولم تكن سوى دقائق حتى أظلمت الدنيا في عيني وفقدت الوعي.

صحوت واتجهت عيناي بخط مستقيم ووقعنا على السقف، بياض في بياض، هل أنا من أهل الدنيا أم من أهل الآخرة أغلقت عيني جيدًا ثم فتحتهما على مهل وبتركيز شديد لأتبين حقيقة وضعي، التفت يمنة ويسرة، لا أحد سوى أجهزة ومعدات وأنابيب و.. إنني ممدة فوق سرير أبيض، أنا لا أستطيع الحركة.. جسد ضعيف.

مر على تلك الحادثة تسع سنوات تزيد قليلاً خرجت من المستشفى بشلل نصفي وضعف في الأطراف العليا. صرت رهينة الكرسي والعجلات. الحمد لله أنني أنا المصابة وليس ابني أحمد فهو الآن سليم ويمارس حياته بشكل طبيعي بعد أن شفي من تلك الكسور والرضوض.

تسع سنوات على هذه الحال جعلت الدنيا في عيني حقيرة، كانت السنوات التي عشتها قبل الحادث كحلم جميل انقطع فجأة، هل كنت حقا أسير على قدمي؟ أذهب إلى السوق أو إلى الخياط؟ وفي رمضان أذهب للمسجد لأؤدي صلاة التراويح؟ هل كنت أمشي

في بيتي واصعد إلى سطحه لأنام في الليل الباردة؟ نعم وكنت أصعد إلى الدور الثاني أوقظ الأولاد للمدارس، لأعمالهم ولصلاة الفجر. كم مضى علي من زمن لم أصعد فيه إلى الطابق العلوي؟ صارت حياتي هنا في الحضيض، في أسفل البيت أقبع كقطعة أثاث مهملة، لم يعد يأبه بي أحد، لا زوج ولا أولاد، أو أحمد كباقي الرجال لم يصبر على الوضع كثيراً ولم ينتظر لتثمر بذرة الأمل التي في نفسي فتزوج بأخرى وانشغل بحياته الجديدة، والأولاد صار اهتمامهم بي يذبل ويذبل حتى تلاشى.

ربما أنهم يتمنون موتي في كل لحظة فأنا عبء ثقيل عليهم، أحرمهم من الخروج للتنزه للاستمتاع برؤية الأحباب في المناسبات وغيرها، طبعا أنا لن أخرج، لا يمكن بحال من الأحوال أن أجعل نفسي محط شفقة الناس ورحمتهم ونظراتهم القاتلة لكل أمل.

لقد قتل الحادث في الجرأة والشجاعة في مواجهة الناس والأحداث، ثلاثة أشهر قضيتها في المستشفى كنت أرى في عيون الزوار سكاكين تنحر الأمل على عتبات قلبي المجهد لا أسمع منهم - إلا القلة - سوى عبارات العزاء وفي وجوههم علامات الأسى والحسرة، معظم الناس في مجتمعي تقتل المريض قبل أن يدنو أجله.

في بداية الأمر أي بعد خروجي من المستشفى لم يكونوا ليخرجوا من البيت ويتركوني وحدي. زوجي وأبنائي كانوا يتعاقبون المكث عندي يواسونني أو يسلونني أو يتوجعون معي أما الآن فالخادمة تقوم بالدور وزيادة فكأني قطعة نفيسة من الأثاث يجب أن تراقبها الخادمة حتى لا يعبث به عابث.

لم يتحملني الجميع باتوا يتململون من حديثي وشكواي، أرى التذمر يعلو وجوههم بينما كانوا لا يفارقونني لحظة واحدة في البداية، صاروا الآن لا يجتمعون عندي لحظة واحدة الكل منشغل بدنياه وعمله ومدرسته حتى الصغار تعلموا من الكبار الهجران. فماذا يجدون عند عجوز مقعدة؟!

الأيام عندي سواسية اليوم كأمس وكالغد لا فرق بين أيام العمل وأيام الإجازة لا ليلي ليل ولا نهاري نهار أنام حين أشعر بالتعب والملل وأصحو حين أمل من النوم رتابة قاتلة وموت بطيء.

لم يعد أحد يسأل عن حالي نسيني الناس والأقارب بت شيئًا مألوفا، فحالي لم تتغير وأبنائي لم يحاولوا أبداً بث الأمل في نفسي، لم يشعلوا شموع الفرح في حياتي (سيأتي يوم تتركين فيه هذا الكرسي، ستسيرين على الأرض بشكل طبيعي ستلامس قدماك الأرض وتحلق روحك في فضاءات الأمل الواسعة، لا تيأسي يا أمي سوف يهجرك هذا الكرسي إن شاء الله إنه ليس أمرًا بعيدًا على الله، كنت أتمنى أن يقوم أبنائي هذا الكلام لكنه لم يقولوه. بل إن جذوة الأمل الصغيرة التي بقيت مشتعلة في قلبي أطفئوها ببرود أحاسيسهم وجمود عواطفهم.

وبعد: هل الحياة قاسية لهذه الدرجة؟ هل الأيام كلها قاتمة ومظلمة؟ هل للإعاقة طعم مر ووجه قبيح؟ أليس هناك أمل أبدًا؟

بالتأكيد: هناك أمل في الله قوي، إن جارتي (أم خالد) وابنتها (شيماء) لا تفتآن تمدانني بالأشرطة النافعة التي لا أنقطع عن سماعها خاصة أشرطة القرآن، فهي تحيي الروح الميتة وتبهج النفس التعيسة وتجعل الكون مشرقًا مزهراً، إنني منذ بدأت في العيش معها صار لأيامي معنى آخر ولإعاقتي وجه مضيء.

إن كل ما يصيبني يحمل الخير من حيث لا أدري، إن إيماني بالله وثقتي بعاجل فرجه وعظيم أجره زادًا لي لكسر شوكة نفسي المتمردة وإلجامها بلجام الصبر.

لقد أسرجت في حياتي قناديل الرضا منذ أن تركت الناس وعشت مع هذه الأشرطة، فلا تكلني يارب إلى أحد من خلقك إن رضي عني.فرحت وإن هجرني يئست حتى وإن كانوا أبنائي.

«عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له» حديث شريف.

"أمكم"

أختي أنتظر عودتك؟!

نعم فكم أفتقدك.. أفتقد قربك وحبك ونصحك.. أين أنت؟ حين نجتمع في الدورية لماذا لا تحضرين؟ لا تقولي زوجي وأولادي فكلها أعذار غير مقبولة لأننا نعرف ذلك جيدًا. لا أراك إلا في بيت والدي مرة كل شهر، دائمًا صامتة لا تتحدثين إلا قليلاً، عابسة متجهمة كأن الفرح قد أغتيل تحت قدميك.

أين أنت؟ حين يسافر زوجي أتمنى أن تذكريني فتأتي إلي فلا تفعلين وسماعة الهاتف لا تكلفين نفسك رفعها والسؤال عن حالي وعن أبنائي، لماذا لا تتحدثين لي عن حياتك، بيتك، شئونك العائلية ألست أختي وشقيقتي الوحيدة بين تسعة أخوان، لماذا أنا دائمًا المبادرة، أنا التي أسعى إلى التفاعل معك والاندماج فيك وأنت جامدة لا تتغيرين ولا تتشكلين؟!

لم كل هذا الحزن والوجوم؟ أنت تعيشين في دار الابتلاء فأين الصبر والتحمل، ثم إن مشاكلك ومتاعبك ليست بدعًا فكل الناس مشحونون بمثلها وأمر منها ومع هذا فهم يتكيفون مع بيئاتهم ويتفاعلون معها.

افتحي قلبك لي، أعطيني تجاربك وسأطلعت على تجاربي، اطلبي مني المشورة أرمي بحملك الثقيل فمن لي سواك ومن لك سواي بعد الله سبحانه.

نحن حقًا أختان شقيقتان لكننا مع الأسف كالماء والزيت لا يجتمعان، لا ينصهران مع بعضهما ولا يتفاعلان كيمائيًا، كل واحدة بعيدة عن الأخرى، أحاول الاقتراب منك فتبتعدين، أرجوك مدي يديك إلي فها أنذا أمد يدي.

تذكري تلك السنين الماضية يوم كنا صغارًا مترابطين كجزئي المادة، لنا غرفة واحدة، ودولاب واحد ومكتب واحد نتحدث كثيرًا عن كل شيء، عن المدرسة، الزميلات، الطموحات وعن النكات أيضاً نتخاصم ونتنافر لكننا نعود بسرعة لنتحد من جديد.

كنت أحب الكيمياء وأنت تحبين البيت وحين أريد إغاظتك أشبه كل شيء حولي بمواد وأنابيب المعمل، هل تذكرين يوم كنا نرتدي ملابس جدتي ونقوم بأداء دورها ثم نضحك ملء أشداقنا حين تبحث عن ملابسها فلا تجدها.

زمان مضى وأيام انقضت لم يبق في الذهن منها سوى الذكريات نروح عن أنفسنا وسط ساعات العمل اليومي الجاد.

لماذا يا أختي لا تشاركيني القيام ببعض الواجبات الاجتماعية، نسلم على الأعمام أو الخالات، نزور مريضة أو قريبة، لقد قاطعت الناس جميعًا، الأقارب والجيران والأصدقاء وحتى إخوانك، هل أنت تعاقبين الناس جميعًا على ذنب لم يرتكبوه، ليس لأحد مصلحة في كل ما حدث لك، إن الجميع متفاعل معك بعضهم يرحمك ويشفق عليك وآخرون يشنفون الآذان ليسمعوا أخبارك وقلة لا تبالي بما يحدث لك.

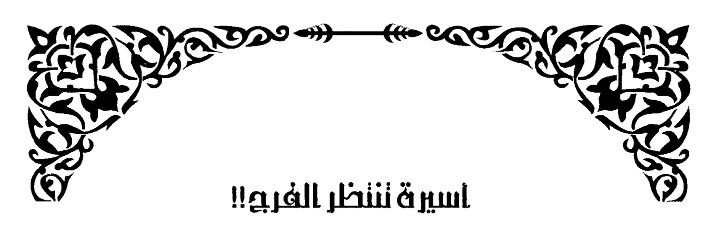
كان الله في عونك، خالة قاسية متسلطة وزوج قاس ظلوم، أنا أعلم أنك عانيت كثيرًا في بداية حياتك الزوجية ولكن ينبغي ألا يكون ذلك عائقًا أمام سعادتك.. اجعلي ذلك دافعًا لك للمزيد من الحب والعطاء لمن حولك لا تعذبي أحبابك بهجرانهم، لا تكوني ضعيفة أمام الناس، أخرجي وتمتعي بحياتك، لا تغلقي بابك، زوجك لن يتغير فهو كالجسم الجامد، هو حقا لا يحبنا، لكنه لا يمنعك من زيارتنا والخروج معنا في رحلات، احمدي الله فأنت أحسن حالاً من غيرك، أنت حقًا لا تذهبين إلى السوق ولا على الخياط لكنك حين توصين من يشتري لك حاجتك فإنه - زوجك - لا يرفض أن يعطيك حاجتك من المال، إن إخواني على أتم الاستعداد لإيصالك والمجيء بك، السيارات كثيرة وليس هناك ضيق أو حرج أو مشقة فهيا، غادري قوقعتك وأشعريني بقربك مني، وأعلمي أن

تعاملك مع من حولك هو تفاعل كيمائي إن تم بمقادير محددة وحسب طريقة محددة وفي ظروف معينة فستحصلي على نتائج صحيحة ومذهلة أما إن اختلت بعض الشروط فربما حدث ما لا تحمد عقباه وخرجت من مختبر الحياة محروقة وجروح وخيبة.

هذه ليست فلسفة، بل واقع ملموس صغته لأني أرى رابطًا قويًا بين التفاعلات الكيميائية وبين التفاعلات الحياتية بتشابكها وتعقيداتها.

زوجات أخواني يسألون عنك؟ سعادتنا لا تكتمل بدونك؟ في كل اجتماع أشعر بنقص ما؟ العيب فيك والعيب عليك، لقد حرمت أبناءك متعة الاجتماع بأقرانهم واللهو واللعب معهم؟ إلى متى ستظلين على هذا الحال؟ ألا تفتحين قلبك لندائي، ألا تستجيبين لصوتي... أختي أين أنت ؟!!

"أختك"



أسيرة تنتظر الفرج!!

(ناجي) ابن عمي، فرضت علي العادات أن يكون زوجًا لي ليس في ذلك رأي أو صوت مسموع، توفي والدي منذ سنوات قليلة وكانت والدتي قد سبقته، وصار أخي وليي في الزواج، زفني إلى (ناجي) دون أن يعرف مدى كفاءته أو هو لا يريد أن يعرف (هناء لناجي) وكفى.

رمى بهذا الحمل الوديع في أحضان ذئب جائع حطم عظامي وشق الأخاديد في لحمي وزرع الرعب في قلبي.

(ناجي) كأسوأ ما يكون الرجال فظ غليظ القلب مدمن مخدرات، سكير عربيد لا تقع العصا من يده، ولا تكل كفه من الضرب والصفع، يضربني عند أتفه الأسباب وأحيانًا بلا مبرر، إن حذرته من سوء عاقبته ضربني، وإن أيقظته للصلاة بصق في وجهي، وإن حدثت بيننا مشادة بسبب هذه السموم - وما أكثرها - شدني بشعري وضرب رأسي في الحائط، امتلأ جسمي رضوضًا وكسورًا، يخرج من البيت ولا أعلم إلى أين يمضي، ثلاث أو أربع ليال خارجه يغلق الباب علي بالمفتاح يسجنني ويتركني أتعذب بالوحدة، بالقهر، بالاستبداد، وأحيانا بالجوع، ليس في البيت ما يسد الرمق، بيت شبه مهجور ليس فيه رجل يعول أسرة، بل جلاد يعذب ضحيته بشتى أنواع العذاب ولا غرو في ذلك، أنه مدمن مخدرات تارك للصلاة وليس بعد الكفر ذنب.

سنوات قضيتها في الأسر مضطهدة، مهدرة الكرامة لم يلتفت لي أخ ولم يسمع شكواي شقيق، اخوتي طردوني، في كل مرة ألجأ إليهم أسمع منهم كلاماً جارحاً يدمي

فؤادي ويزيده كمدًا وغمًا (ما عندنا بنات تعيب رجالها.. ولد عمك ما يعاب .. بيتك وإلا قبرك) زوجاتهم تضايقن مني، أبنائي صاروا خدمًا في بيوتهن. ذل هنا وبؤس هناك، أعيش بين نارين بل في نارين، اللهم إني أشكو إليك ضعفي وقلة حيلتي وهواني على الناس، اللهم ارحم هؤلاء الصغار المستضعفين الذين لا حول لهم ولا قوة إلا بك (اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين واصلح في شأني كله لا إله إلا أنت).

لملمت حقائبي واحتضنت أفراخي وخرجت، ركبت أول سيارة أجرة واتجهت إلى زنزانتي، عفوًا أعني بيتي وألجأت أمري إلى الله.

ذات يوم كان جلادي خارج السجن يتم عربدته، كأني أسمع طرقًا على الباب بل إن الجرس يرن، هذا فرج أم أحد أصدقاء زوجي كالعادة، أوجست في نفسي خيفة من هذا الطارق بليل؟ رفعت سماعة الباب وهمست بقلق من؟!

الصوت: افتحي يا هناء

من ؟ هناك من يعرفني، من يناديني باسمي، الصوت ليس غريبًا، بحة صوت أمي - رحمها الله - هل يعقل أن يكون هو..؟ من أخبره؟ من أرسله؟!!

وتزاحمت الأسئلة في ذهني وعاد صوته أقوى من السابق (فاتحي أنا خالك عبد الله)، وفتحت غير مصدقة، صافحته، وقبلت رأسه وكتفه ويده؟ هل كنت أعرف أن الله ساقه إلى ليفرج به كربي؟ لم أكن أعلم لماذا قابلته بتلك الحرارة.

لم يدع لي فسحة للتفكير قال معاتبًا ومستحثًا: (أنت في كل هذا العذاب ولك خال اسمه عبد الله ولا تستنجدين به.. لو كانت أمك حية ما فعلت فعلتك.. يله اجمعي أغراضك وهاتي عيالك وتعالي عندي في البيت.. إذا ما شالتك الأرض تشيلك عيونا.. وإذا ضاق بك المكان توسعك صدورنا).

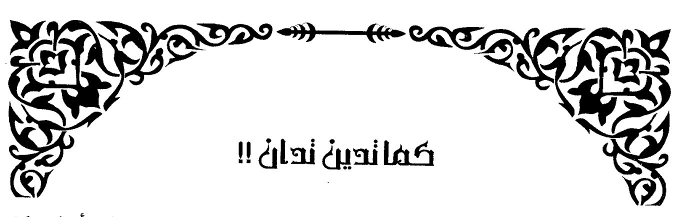
خرجت من سجني من قبري إلى حياة جديدة وسعى خالي مع سعاة الخير الذين أبلغوه بحالي إلى فك وثاقي من ذلك الظالم وأعطوه ما يرضيه ووقف خالي مدافعًا عن

حقي في تقرير حياتي ضد أخواني، واستطاع استخراج حكم من المحكمة بحق حضانتي لأبنائي فوالدهم غير مؤهل وغير سوي وغير صالح، إنهم في الواقع لا يعرفون لهم أبًا.

مكثت عند خالي حتى تمت تسوية الأمور بشكل نهائي ثم استأجر لي شقة قريبة بل ملاصقة لبيته، أثثها وأتم لوازمها، وها هو بين الحين والآخر يتفقدنا بحنانه وحبه، أجرى لي راتبًا شهريًا لا ينقطع حتى بعد وفاته - حفظه الله - هيأ لي أسباب الراحة ورعاية الصغار، التحق أبنائي بالمدارس القريبة، فأرسل خالي لوازم المدرسة ما يكفيهم لعام كامل وزيادة، إنه يرسل لي بعض الخضار والفاكهة واللحم، يسألني أن أردت الذهاب إلى السوق ألا أخجل من الطلب مع أنه لا ينسى الأبناء من الثياب والأحذية والألعاب أيضًا.

أسير كان ينتظر الموت في كل لحظة، طائر في قفص سلبت منه أسباب الحياة لا هواء، ولا ماء ولا طعام، أين كنت وكيف أصبحت، أنام الآن قريرة العين بين أبنائي على فرش وثيرة وكنت في الماضي أنام بينهم في غرفة أغلق بابها بإحكام، أخاف من ناجي أو أحد أصدقائه، كنت حقًا لا أنام ولا يغمض لي جفن حتى الصباح حيث تشرق الأرض بالنور الذي يعمي عيون الفاسقين ويلجئ الخفافيش إلى الاختباء، الآن أزور خالي ويزورونني، أخرج معهم للبر أحيانًا، أشعر أن لي أهلاً وعشيرة أعيش وفي رقبتي دين كبير لخالي لا يمكنني سداده، هل يكفيك أنني أدعو لك في السجود وفي جوف الليل الذي حملت سهامه بوادر الفرج لما كنت فيه. هذا كل ما أملكه، أسعدك الله وقر عينيك ببر أبنائك بك وحماك من كل مكروه..

"ابنة أخيك"



كما تدين تدان !!

في هذه الغرفة الواسعة والعيشة الرضية والوجوه السمحة والقلوب الطيبة أتعذب كل يوم.. لماذا؟!

قبل أربعين عامًا كنت صغيرة دون العاشرة وكان زوجي شيخًا في الستين، كان له زوجة سابقة وأبناء ماتوا جميعًا لم يبق منهم على قيد الحياة سوى ولد واحد هو "فيصل" كان هادئًا وديعًا وكان والده يطلب منه أن يسميني "أمي" فكان يناديني كذلك.

لم أحب هذا الولد ولم يكن في قلبي رحمة له، كنت أشعر أنه حمل ثقيل كنت أتمنى موته صرت أفتعل المشكلات بسببه وأتذمر منه وأدعو عليه كان صغيرًا لا يحتمل الضرب فكان والده يقرص أذنه أو يشد شعره، أما أنا فكنت أضربه وأحبسه في غرفته وأحرمه من وجبة غذائه، عاملته بكل قسوة وحين رزقني الله ولدًا قسوت عليه أكثر، صرت دائمًا عابسة في وجهه أكدر عليه حياته لا أعيره أي اهتمام أما ابني فله المكانة الرفيعة والوجه المتهلل.

كبر فيصل وكبر ابني أيضاً لم يكن الفارق العمري بينهما كبيرًا لكن الفارق الاجتماعي كان واضحًا سليمان ملابسه رثة ومتسخة وحقيبته مقطعة أما ابني "عمرو" فكان دائمًا نظيفًا مرتبًا أحرص على فطوره وغدائه.

مرض زوجي وازدادت قسوتي على "ابنه" كنت أحضر الغداء لي ولابني من أطايب الطعام وأجوده وكنت أترك لفيصل الفضلة، تمنيت موته وسعيت إلى ذلك مرارًا بتركي للغداء بعد أن نفرغ منه دون غطاء في المطبخ لعل الهوام أن تأكل منه أو تمشي عليه فيتسمم ويموت فيصل لكن لم يضره ذلك بشيء.

ضيقت عليه الخناق، آذيته باللسان وباليد، اتهمته بالسرقة، ولم تفد كل المحاولات، كان ملازمًا لفراش والده يرعاه ويعتني به حتى مات.

كان يومًا باردًا لم يشفع صقيعه ولا الحزن الذي غمرنا بوفاة زوجي فيصل فطردته من البيت (لم يعد لك مكان هنا، وليس عندنا شيء لتطالبنا به) خرج والحزن يكسو وجهه والأسى في عينيه وقلبه مكلوم كسير، شاب في الخامسة عشرة من عمره، أين يذهب؟؟! وإلى من يلجأ؟ كل هذا لا يهمني، (المهم أنني استرحت منه).

خرج وخرجت معه أثاره ولم نعد نعرف عنه شيئًا، عشت مع ابني في سعادة وراحة حتى كبر واستثمر المال وتاجر وأغناه الله وأقام مصنعًا كبيرًا للبلاستيك، تزوج وبنى قصرًا كبيرًا فيه غرف كثيرة وملاحق كبيرة، لكن هذا القصر لا يسعني زوجته ضاقت بي، كانت تسومني سوء العذاب منعتني من دخول المطبخ أو الجلوس مع الأولاد في غرفهم قبل النوم، حتى النخيل التي أحبها رفضت أن اعتني بها أو أسقيها لأن البستاني يفعل ذلك. جعلتني في أقصى البيت في غرفة وحين بدأ لها أن تستفيد منها!! أخرجتني إلى الملاحق فلم أعد أرى أحدًا، أبني مشغول بعمله وبها وبمشاويرها التي لا تكاد تنتهي وحين تبقى في البيت تصب غضبها علي تقول إنني أفسد عليها أبناءها وأنني أحرجها أمام ضيوفها وأنني وإنني.. صارت حياة ابني شكوى وتذمر حتى صار يذهب إلى المصنع وهو مهموم مشغول البال مما يجعله يفقد صفقة كبيرة ذهبت إلى غيره وكانت في طريقها إليها. فجن جنونه فكانت فرصتها لتضرب ضربتها.

عرض علي ابني الذهاب إلى أحد الأقارب "أبناء عمومتي" حتى تهدأ العاصفة ووعدني بأنه سيأتي ليأخذني، حملت حقيبتي وأرسلني مع السائق.

كان ابن عمي كريمًا معي بالرغم من ضيق ذات اليد، أعطاني الملحق غرفة واحدة ودورة مياه وفراش صغير في أحد جوانب الغرفة وضعت رأسي على الوسادة واستسلمت لتفكير عميق.

مضت الليالي، وشهر وثان وثالث ولأحد يسأل، أو يدس في جيبي مبلغًا من المال.

لم يأت وأظنه لا يأتي!!

فيصل أين أنت!! الآن أذكرك لقد أذقتك المر صباحًا ومساء، أين أنت لتروي غليلك بحالي ولتشمت بي وبما وصلت إليه؟!! إن الله سبحانه يمهل ولا يهمل!!

في ظهيرة أحد الأيام اعتدلت في جلستي وأسدلت خماري على وجهي وتوشحت غطاء على جسدي أثر صوت ابن عمي يطرق الباب ويتنحنح "جاك ضيوف يا أم عمرو".

ضيوفي يأتون دون احتفال يدخلون بثرثرون قليلاً ثم يخرجون، من هذا الضيف المميز الذي يستحق كل هذا الاحتفاء؟ ابني؟ لا أظن مرت سنتان ونصف وهو لم يسأل عني.

فتح الباب فإذا أنا قبالة شاب في الأربعين من عمره تقريبًا ينضح شبابًا وبهاء ويكسو وجهه نور الطاعة وتحفة لحية كثة، دخل وسلم:

- من أنت يا ولدي؟ ما عرفتك؟

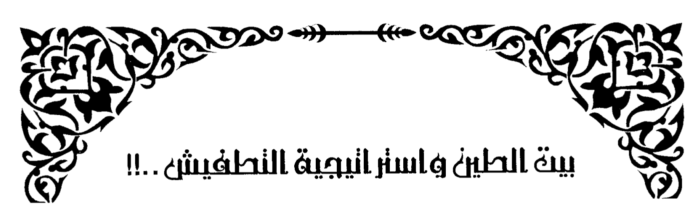
كلمة واحدة قالها زلزلت كياني وهزت وجداني "أنا ولدك فيصل".

أخذ بيدي وحمل حقيبتي وبدأ يحدثني عن أبنائه وزوجته "إنهم في شوق لرؤيتك، لقد أحبوك وهم في البيت ينتظرونك".

بعد ذلك بأيام لامني فيصل كثيرًا أنني بقيت عند أقاربي ولم أبحث عنه، أخبرني أن يتقصى أخبارنا دائمًا وأنه يعرف عنا تقريبًا كل شيء قال لي "إنه لا ينسى العشرة إلا لئيم".

لذا فأنا في عيشة رضية وبين قلوب طيبة ومع هذا أتعذب كل يوم سأفعله في فيصل أيام كنت صاحبة البيت ولم أستوعب قول النبي ﷺ: «**أفعل المعروف في أهله وفي غير أهله فإن صادف فهو أهله وإن لم يصادف أهله فأنت أهله**».

"زوجة أبيك"



بيت الطين واستراتيجية التطفيش ..!!

كالغصن اليابس الذي انقطعت عنه أسباب الحياة، أجلس وحيدة في هذا البيت الطيني، في هذه الزاوية أتجرع الألم وأمضغ الحزن، أشاطر دموعي الجلسة وقلبي مستمر في النزف... أعيد شريط حياتي حتى الصغر.. طفولة بريئة يعقبها شباب ونضارة فزواج ومسؤولية، سعادة ونشوة.. لكنها أبدًا لا تدوم .. موت ويتم وفقر ومعاناة.

ولدي .. لقد أحببتك .. ضحيت لأجلك بكل شيء.. شبابي وصحتي.. عفت الرجال لعينيك كرهت أن يشغلني عنك أحد.. وهبتك روحي.. دمي.. نبضات قلبي.. دفق مشاعري.. بريق عينيك يبعث الدفء في ضلوعي حين يقرصني زمهرير الحياة.. بسمتك تروي ظمئي وتسقي عروقي حين تلفحها حرارة الفقر كنت بلسم جراحي، ودواء آلامي عشت لأجلك أكثر من عشرين عامًا. عانيت وقاسيت وواجهت الوحدة والألم أذب عنك وأحاول أن أحميك.. بذلت لأوفر لك اللقمة الطيبة والملبس الحسن والمسكن الهنيء.

حكت الملابس، بعت واشتريت، مددت يدي للآخرين أطلب سلفة، دفقت ماء وجهي لأجلك تكبر وتكبر معك (هاني) تأخذ وتأخذ بلا مقابل، دائمًا تريد وتحتاج، المدرسة، الأصدقاء، الحياة كلهم لهم متطلبات، ترهقني وتقطع قلبي حسرة عندما يتفوه فمك بكلمات كسيرة (لماذا ليس عندي مثلهم) أقرانك عذبوني.

المدرسـة زادت العـبء.. والشـباب جعلـه ثقـيلاً، والـدك- رحمـه الله- تـوفي مديونًـا بمبالغ كـبيرة، بيع البيت والأثاث والسيارة والمكتب ولم تكف لسداد ديونه ولولا رحمة الله سبحانه ثـم إحسـان بعض المحسنين لعشت بقية عمري معك في الشارع، هو حقًا بيت طيني صغير لكنه خير من الملجأ أو القبر.

حرمـت عـلى نفسـي كـثيرًا مـن المتع والضـروريات لأوفـر لك السعادة، بعت فرحتي وراحتي لأشترى رضاك وبسمتك.

خياط الملابس لم تعد تربح، الناس يذهبون إلى هذا الخياط الآسيوي فمحلاته باتت في كل مكان فضعف بصري واحدودب ظهري على لا شيء فبحثت عن مصدر رزق آخر، وعملـت مستخدمة في إحـدى المدارس أغسـل الحمامـات وأكنس الفصـول وأحمل نفايات الطالـبات، كلـه لا تمكـن مـن إسـعادك أريـدك أن تعـيش كمـا تحـب، لا أود أن يـنقص مـن حاجتك شيء.

تظلـم الدنـيا في عـيني حـين تطلـب مـا أعجـز عـنه، وأضـع رأسـي عـلى وسـادتي وقـد سبقتني الدموع إليها أدعو الله أن يغنينا من الفقر ويرزقنا الحلال.

انكببـت عـلى دروسـك، وانكببـت عـلى نفسـي أعللـها وأصـبرها حـتى يفرجها الله، فلـولا الصـبر مـا طـاب لـي عـيش أبـدًا. تمـر السـنون والأعوام تعركنا وتطحننا طحن الرحى.. تغربلـنا، تضـربنا بسـياطها اللاسـعة ونحـن نهـرول بـل نجـرى في طـرقاتها وأزقـتها نبحث عن الـرزق ونسعى إليه، وتمر سنون أسأل الله أن يكون ما لاقيت فيها في ميزان حسناتي وتكفيرًا عـن سـيئاتي، وتـولى سـاحبة معهـا بسـاط الفقـر والهـم وتشـرق البسـمة في حـياتي، وتعـرف الفـرحة طريقها إلـي مـرتين مـرة حـين نجاحك بتفوق وتعيينك في المكان الذي تريد والأخرى حين زواجك.

نخـرج نـودع بيت الطين الذي أوانا طوال تلك السنين، نحبه ونحتفظ به فالذكريات فيه لها طعم خاص كرائحة الطين حين يبلل بالماء.

(لقد آن أوان الراحة.. ولى زمن الشقاء.. أقبلت الدنيا علينا بوجهها السمح الوضاء... ابشري يا أمي كل لحظة قضيتها في نصب وعناء ستعيشين بدلا عنها ساعة في فرح وبشر وهناء، لقد آن ليديك المعرورقتين وظهرك المنحني وعينيك المكدودتين آن لها أن تعرف الراحة) كلام جميل، غسل بعض غبار السنين العجاف، أزال بعض الصدأ الذي غشى السعادة، لكنه سرعان ما طارت به الريح، ذهب إلى حيث لا رجعة، أنسته العادة الهيفاء وجه أمه المتغضن وشعرها المنكوش. ويدا زوجته البضتان أنستاه يدي أمه الكادحتين وماكينة الخياطة وبيت الطين، ودولاب ملابسه المليء بأفخر أنواع الثياب محا من ذاكرته ثوب العيد تلك المأساة السنوية التي كانت أشق ما تواجهني.

نسي (ابني البار جدًا) في حياته الجديدة شقاء حياته القديمة بل أنكرها .. صار وجودي في بيته يذكره بكل لحظة من لحظات الماضي الكئيب الذي صار يكرهه، يمقته، لا يود ذكراه.

أنا جزء من ذلك الماضي وقطعة من ذلك التراث إذن يجب أن أغيب عن الأنظار وأن تمحى آثاري، والاستراتيجية العسكرية التي صنعتها زوجته كانت كفيلة بأن (تطفش). أشد الناس عناداً وصبرًا فما بالكم بامرأة ضعيفة أناخ عليها الزمان بحمله وثقله فما عاد في نفسها مكان للصراع ولا مساحة للنزال.

انسحبت وخرجت من بيته الفخم الواسع إلى ذلك البيت الطيني المنزوي في أحد الشوارع القديمة حتى اقتربت منه شعرت بيديه تحملني وجدرانه تضمني، إنه أشد وفاء من البشر وأحن من أصحاب القلوب الحية.

لبناته، ذرات التراب فيه.. جدران المهترئة.. أبوابه الخشبية وطقطقة أرضه تذكرني بصوت (عبد العزيز) وأنفاس (عبد العزيز) وضحكاته، إنها مع الأسف تزيد البيت وحشة والقلب حسرة أني غاضبة عليك إلى يوم القيامة، وعند الله تجتمع الخصوم!



الفرصة الأخيرة

أحمل السلاح وحدى وأقاتل، أناضل عنك، أشهر مدفعي في وجه أعز الناس، أخوض معركة فاشلة وأتقمص دور المحامي وأدافع عنك، لقد نضب سلاحي وجف وقود مدفعي في كل مرة يقتادونك فيها إلى السجن متلبسًا بالجرم يقسم والدي ألا أعود إليك فأتعلق بأهداب ثوبه أرجوه ألا يفعل أعده بأنك سوف تتوب وستعود مازن ذلك الرجل الشهم الذي رغبوا في تزويجي له كنت أقبل رأس أبي ويديه وأنتحب فيرحم والدي دموعي ويتركني أفكر(هكذا يقول دائمًا) فتمر علي الأيام والليالي سوداء حالكة لا فيها بصيص نور ولا باريقة أمل فأستعين بالله وأتوكل عليه وأدعوه أن يهديك ويردك إلى رشدك.

أنت الذي جعلتنا في هذا الوضع المهين، أبناؤك يكبرون يخجلون حين يسألون عن والدهم شبابهم ضائع وطفولتهم حزينة والدهم حي أم ميت ووالدتهم ممزقة، أما آن لك أن ترحمنا؟ أن تشعر بهذا الخزي الذي جلبته لنا؟ متى ترجع إلى الله؟ متى تتوب توبة صادقة؟ لقد تحملت أنا والأبناء الشيء الكثير وحّملت والدي ما لا طاقة له به.

تسعة عشر عاما ونحن في ذل المعصية، تسافر قريبًا وبعيدًا تبحث عن ما لا يرضي الله.. وكانت بداية الصعود إلى الهاوية ثم تطور الأمر ووقعت في شرك المخدرات، منذ عرفتها ونحن في شقاق وخناق نتخاصم وتعلو أصواتنا تضربني بأقرب شيء تصله يدك تخرج وتتركني بين دموعي وبكاء الأطفال ونظرات الأسى في عيون خالد.

لقد هجرت الحب، الحب الذي وهبته حين تزوجتك صار شيئًا من الذكريات، ذهب بريقه علته الأتربة التي تسفها عليه من الشقاء والتعاسة التي جلبتها لنا، لم نعد نعرف الاستقرار ولا الطمأنينة ولا الإلفة صار لنا معجم خاص من الضياع والأسى الـ ....

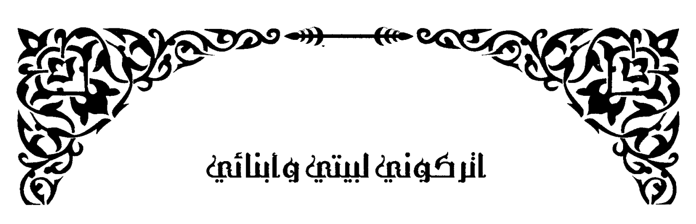
الآن هذه اللحظة أنت بين جدران سجنك، تفكر وحدك، تعيش وحدك حياة لا يرضاها العقلاء، الألم ربما يعصر فؤادك وسحائب الندم والتوبة ربما أيضاً تظللك وأخشى أن يكون هذا أمرًا وقتيًا مرتبطًا بهذا الظرف المكاني الذي تعيشه، وحين تنتهي مدة سجنك تعود إلى سالف عهدك. لقد فعلتها مراراً والمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين؟ فمتى تصدق العزيمة وتقوى الهمة ؟ متى تشعر أن الوقت قد حان فعلاً لأن تغسل يديك من هذا الوباء الخطير سبعًا إحداهن بالتراب، أما آن لك أن تحرق دفاترك العتيقة وأن تغير أصدقاءك وتعيد ترتيب حساباتك؟ أقولها بصراحة لقد ضيعت مستقبل أبنائك، شتت أذهانهم عن الدراسة فصارت السنة باثنتين وثلاث، كرهوا الاندماج بالمجتمع ثم من سيزوج (ابنك) ووالده مدمن، (وابنتك) من سيخطبها وهي ابنة خريج سجون؟!!

(تخنقني هذه الجدران، تكتم حريتي) كلمات ترددها كلما جئت لزيارتك فماذا أقول أنا أيضا أعيش بين عيون جارحة وألسنة حادة وأسئلة حارقة هذه هي الزنزانة الحقيقية ولكن (الحرية هنا في القلب حين تتحرر من أوراق المعاصي وأسر الشبهات والشهوات

حين يسلم قيادته لله رب العالمين، حين يسير على الدرب الذي سار عليه الصالحون، زوجي الحبيب عد إلى ربك وثق أنك لست وحدك في الميدان أنا والأولاد نخوض معركة ضروسًا تقتلني الوحدة وتحطمني عذاباتهم وتذروني رياح استفساراتهم أين أبي؟ متى يعود؟ لماذا يفعل ذلك؟ هو مظلوم أم...؟!

مازن.. لقد نضجت اليوم، علمتني الحياة أشياء كثيرة فهناك فرق بين أن أضحي بسعادة أبنائي في سبيل إدمانك ومخدراتك وبين أن أضحي بك في سبيل سعادة أبنائي إنه حقًا خيار مر ولكن ربما أضطر إليه دفعًا للذي أمر منه. حقا لقد لمست في زيارتي الأخيرة لك شيئًا غريبًا في عينيك، وهج يضيء، وأمل مشرق وتفاؤل ليس له حدود، دفء عباراتك أشعرني بشيء ما.. و لكن سأنتظر سأمنحك الفرصة الأخيرة لاختبر توبتك فإن صدقت فقد فزت بزوجتك وأبنائك بعد رضا الله وإن كانت الأخرى فذلك هو الخسران المبين، بيت والدي مفتوح لي ولكن أرجو أن تخيب ظن الشامتين.. هداك الله إلى التوبة الصادقة.

"زوجتك"



اتركوني لبيتي وأبنائي

حين تشعر بالغربة تبحث عن الصديق، تتشبث به، ترتبط به ارتباطًا وثيقًا يكون بموجبه هو أهلك وأقاربك في بلد الغربة.

نحن لسنا في غربة حقيقية، ولكن هنا في المدينة ليس لي أهل ولا أقارب ولا أرحام وكذا زوجي، أهلنا كلهم في القرية وعمل زوجي هنا لذا نحن هنا.

ارتبطنا بمجموعة من الأصدقاء نذهب معهم في دورية أسبوعية نتسامر ونتجاذب أطراف الحديث، نجتمع في إحدى هذه الاستراحات المترامية على أطراف المدينة، الرجال مع الرجال، والنساء والأطفال مع بعضهم، الخروج كل أسبوع ليس إلزاميًا، إنه حسب التفرغ، والتفرغ عندهم هو عدم الارتباط بالأهل في وليمة أو اجتماع، وحيث أنني بلا أهل هنا، فأنا دائمًا- على الأساس- متفرغة.

لذا فكل واحد يكون الدور عليها وترتبط بموعد ولو كان غير مهمًا، ترمي الحمل كله علي (الله يعافيك يا زينب اليوم عند بعض الأقارب عزومة، معليش تأخذين دوري) ولم لا وليس لي خيار في ذلك.

فزوجي رجل طيب، يحب أصدقاءه كثيرًا وهم طيبون ولكن النساء (زوجاتهم) لسن كذلك، أو لسن إلى هذه الدرجة وربما أن هذه طبيعة النساء إلا من رحم الله، فحديثنا طوال الوقت غثاء ولغو ليس فيه فائدة تذكر (الأزياء، الأسواق، الناس، تتبع العورات، وتسقط العثرات) ثم نقوم على أنتن من جيفة حمار، نقوم دون أن نذكر الله، وهذا أمر يخفني، صارحت زوجي لعله يسمح لي بعدم الخروج معهم فقلبي يهمني كثيرًا، فقال: (اعملي لهم درسًا) فحاولت وطرحت الفكرة (درس لا يتجاوز ربع الساعة وحفظ القرآن

وبعض الأحاديث) فهتفن (درس!!) وتوالت الأعذار (الأطفال يشغلونا عن متابعة الدرس.. طول الأسبوع اشرح وأبح صوتي للبنات حتى يفهمون الدرس، آخر الأسبوع نريد نرتاح.. إننا خرجنا آخر الأسبوع نبحث عن راحة البال ونتجاذب أطراف الأحاديث ولا نأخذ دروس؟!!).

وهكذا لاهن تغيرن ولا أنا سلمت من الخروج معهن، الارتباط بهم دائمًا أمر متعب، أنا امرأة أحب البيت وأجد سلوتي في الجلوس مع أبنائي وتعليمهم وتحفيظهم القرآن، ليس لدي خادمة ولا أريد، سعادتي وراحتي تكمن في عمل البيت والاهتمام بالزوج والأولاد، منظمة ولا أحب الفوضى هكذا يقول عني من يعرفني ولكن الاجتماع بهم دائمًا يفسد علي كثيرًا من متعتي.

زوجي لا يكلفه الأمر إذا اتصلوا به ينسقون الاجتماع يأبى إلا أن يلبس ونخرج أما أنا فيجب أن أحمم أبنائي واستحم أنا أيضاً اهتم بلباسهم وبمستوى نظافتهم وكذا مظهري ويجب أن أخذ معي طبقًا أو اثنين للمساهمة في العشاء هكذا تعودت.

ثم إن وسط الأسبوع غير مناسب لي أبدًا أما هم فالخادمة موجودة، وحين ينام الأطفال يخرجون، ومع هذا كله فزوجي يرفض أن أتركهم (ليس ضروريا أن تحممي الأطفال، بسرعة قبل أن يفوتنا الاجتماع...).

ولا يرضى زوجي أن أجلس في البيت إلا في حالة واحدة حين تكون زوجة أحد أصدقائه متعبة أو غير راغبة في الخروج أصلاً فأجلس في بيتي حتى تأتي عندي لتؤانسني وهي ستأتي حتى لو لم أكن مستعدة لها فمن غير المعقول أن تجلس في بيتها وحيدة.

ولا يمانع أيضاً في أن أذهب إلى زوجة أحد أصدقائه حتى لو كان في منتصف الليل لأنه يريد أن يسهر خارج البيت أو أنه في شغل وزوجته المصون لا تحب الجلوس وحدها.

مللت هذه الحياة، يمر أسبوع كامل أحيانًا دون أن أجلس في بيتي اليوم عند فلانة وغدًا عند الأخرى والثالث نخرج مع أحدهم نتريض على رمال الصحراء الذهبية، متعبة أو

مرهقة أو لا أجد الرغبة كلها أعذار غير مقبولة، مشغولة بدروس العيال ومذاكراتهم (خذي كتبهم معهم ودرسيهم) شغل البيت الذي لا ينتهي، (عندك الصباح لقضاء هذه الأعمال) الأولاد بدؤوا يتغيرون، يلتقطون كلمات لا أحبها، تفتحت أعينهم على ما لا أرغب ومع هذا كله لا يهمه، أصدقاؤه فوق كل اعتبار.

فأيها الأصدقاء عذرًا إ، قلت لكم انتم السبب في هذه المشاكل التي بدأت تنهمر على بيتي دعوني وشأني، زوجاتكم يعلمن أنني مرغمة (مغصوبة) على فعل هذا كله فمن حق الأخوة عليكم أن تتركوني لبيتي لأبنائي لحياتي وابحثوا عن بديل يناسبكم. فلست أنا هذا البديل؟

وشكرًا لكم

"زوجة صديقكم"

رفقاء السوء .. افسدوا زوجي

لم يكن ذلك التغير وليد اللحظة، كنت ألحظه منذ مدة كثير التفكير، قليل الكلام، عابسًا متجهماً يقابل كل طلب بالضيق والتذمر، طبعًا أنا لا أستطيع أن أحدد يومًا معينًا حدث فيه هذا الانقلاب لكنني اعتقد جازمة أن شرائي للأرض كان بداية لهذه الحالة الجديدة.

كنت أعيش مع زوجي وأبنائي في أهنأ حال والحمد لله، نسكن بيتًا جميلا ونملك سيارة فاخرة ليس في رقابنا دين لأحد ولا في رقاب أحد دين لنا وهذا هو سبب راحة البال.

ومع أنني موظفة أعمل منذ ما يزيد على الخمسة عشر عامًا ودخلي المادي ممتاز إلا أن زوجي لا يقصر عنا بشيء، يوفر لنا كل ما نحتاجه ونطلبه، ويأخذنا في نزهات إلى أماكن جميلة ،.. مكلفة أيضاً، يده دائمًا مبسوطة لا يسألني من مالي شيئًا، كنت بالمقابل لا أقصر، أنفق على نفسي وأتحمل تكاليف تغيير الأثاث ومصاريف الخادمة والهدايا التي أقدمها للغير، ولكن.. دوام الحال من المحال.

لقد تغير زوجي وساءت معاملته لنا، باتت عينه مفتوحة على كل قرش أصرفه، وشحت يده عن النفقة، بل إنها تكاد تنقطع، كشف الطلبات التي نطلبها منه يتأفف منها، يتركها في مكانها فترة ثم يأخذها ويضعها في جيبه أسبوعًا أسبوعين وأحيانًا أكثر ثم يحضر لنا منها ما يروق لجيبه!!

رفوف الخزانة فارغة، ليس هناك معلبات ولا مواد غذائية أو تموينية، والقليل الموجود من أردأ الأنواع وأرخصها.

وإذا أردت حاجة معينة أو احتجت إلى السوبر ماركت فعلي الذهاب مع أحد أبنائي في التاكسي حتى أشتري كل ما أريد وأحاسب بنفسي، لقد كان هذا التصرف في السابق مما يضايق زوجي لأنه يرى فيه هدرًا لكرامته ومحوًا لقوامته!!

فما الذي غيّر زوجي؟!

لقد أصبح يرفض أن يذهب بي إلى المناسبات أو الأفراح أو الأسواق، وزياراتي الأسبوعية لأهلي ينغصها علي، يتركني عندهم ويقول (ابحثي عمن يحضرك)، كل هذا الضغط والحبس والمنع لكي أضطر لاستقدام سائق وشراء سيارة له ودفع مرتب شهري، يعني فقط حتى أصرف هذا المال ولا أدخر منه شيئًا.

سيارته التي تتمنع علي حين أريد ركوبها يجب أن أساهم في تكاليف إصلاحها وصيانتها مبالغ طائلة لا أعلم هل هي فعلاً تحتاج إلى هذا أم أنه مجرد طريق جديد للاستنزاف؟

فعلاً إنه يبحث دائمًا عن طريق جديد لاستنزاف هذا المرتب الشهري، إصلاحات يحتاجها البيت أو لا يحتاجها، تجديد في الديكور، شح في النفقة، تضييق في العيش مما يضطرني أن أدفع مرغمة ثلاثة أرباع التكاليف والاحتياجات.

الحال لم يعد يطاق، طفح الكيل وظهرت روائح نتنة، إنه الحقد أنتن الطباع و أقبحها.

زوجي كثرت أسفاره، سهره، تغيبه عن البيت، تملصه من المسئولية، يضغط بكل قواه حتى يوجد لهذا المال منافذ، يجب ألا يبقى في البنك منه شيء لماذا؟ إنه حب المال، عبادة المال، لقد تضخم هذا الحب حتى ضيق علينا أنفسنا وأعمى أبصارنا، ولكن ألم يكن زوجي في السابق أحسن حالا؟ بلى ولكنهم أصدقاء السوء، المفسدون في الأرض، الذين يسعون في خراب البيوت الآمنة. الذين لا يحلو لهم العيش إلا على أنقاض الأسرة المتفككة، الذين يمتصون دماء السعادة حين يرونها يسري في عروق المحبين (زوجتك راتبها

كم؟!) (ليس عندها مسئولية ولا تصرف من راتبها شيء) (الآن هي اشترت أرض وغداً تجمع وتعمرها، ويصبح عندها عمارة تأجرها يمكن سبعين ثمانين ألف دخلها السنوي، تترك الوظيفة وترتاح في البيت وتأتي فلوسها تحت قدمها بدون تعب)، (وأنت تتعب ليل نهار وراتبك أقل منها بكثير، وكل هذه السنين ما طلعت من وظيفتك بشيء. مسكين!!). (أجعلها تجلس في البيت)، (اجعلها تساهم معك بنصف المصروف أو ثلاثة أرباعه)، (أجمع فلوسك مثلها وأطلع لك بمشروع وخل فلوسها تنفعها).. حقد وحسد وتطفل سام أثيم.

أيها الأصدقاء المبجلون: دعوا لي زوجي، نحن متفاهمان ومتفقان، ساهمت في بناء البيت وفي تأثيثه، دفعت مبلغًا لا بأس به في شراء السيارة، قترت على نفسي كثيرًا حتى استطعنا سداد الديون، قل لهم أيها الزوج العظيم كيف كنت أسلمك راتبي كاملاً وأكتفي ببضع مئات (أمشي بها أموري) حين كنا نبني البيت.

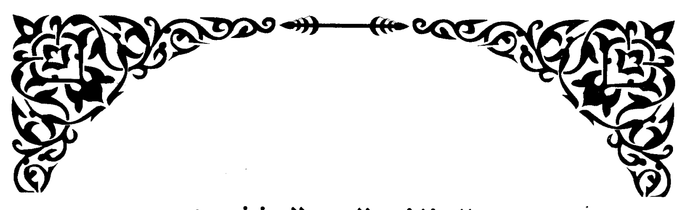
قل لهم إنني مكثت مدة ثلاث سنوات لم أشتر ثوبًا ولا عطرًا ولا حقيبة لم ألتفت لنفسي، كنا نأكل بالقطارة، هل نسيت أنك كنت أحيانًا تقوم بدور سائق التاكسي حتى توفر لنا بضعة ريالات نشتري بها ما يسد الرمق.

هذا البيت لم تنشق عنه الأرض ولم ينزل من السماء بنيناه بعد عون الله بعرق الجبين وشق الأنفس، أفلا يحق لي بعد هذا كله أن أبحث عن راحتي، عن مورد رزق دائم، أن أؤمن مستقبلي والمستقبل بيد الله.

إن أول المستفيدين من هذا هو أنت وأول المتضررين هو أنت فخذ بيدي حتى أتم ما بدأت به لنصل إلى بر آمن وحياة رغده ودع عنك رفقاء السوء الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون.

وفقك الله وردك إلى رشدك.

"زوجتك"



الحنان والحب لا يشترى!

أدركت منذ اللحظة الأولى لزواج ابني (إسماعيل) أنه لم يكن سعيدًا، لكنني كنت أدفعه للتعايش السلمي مع الحياة الجديدة قلت: الحب يأتي مع الأيام، لم أكن أعلم أن هذه الأيام تحمل في رحمها نبأ طلاقه بعد ثلاثة عشر عاماً من الشد والجذب أثمرت أربع زهرات، داست عليها الأم وتركتها تجف وولت هاربة.

وتزوج إسماعيل وكنت هذه المرة خائفة، خفت على الأولاد من بطش زوجة أبيهم، وخفت على إسماعيل من عدم الوفاق، ولم يدر في خلدي أبدًا أن هناك أماً بديلة.

(فاطمة) امرأة عاقلة، في البداية (ما دخلت مزاجي) رأيتها تجامل كثيرًا فخفت على الأولاد منها، لكن العشرة والعيش معها أثبتت أنها نموذج فريد ليس في النساء مثله إلا ما ندر.

لقد فتحت قلبها وبيتها للأبناء وصارت لهم أمًا وأختًا وصديقة، يبثونها أسرارهم، يستشيرونها في حياتهم، يشركونها في مشاكلهم، أحبوها كوالدتهم، بل كوالدة لهم لأن والدتهم تركتهم وهم متعلقون بثيابها يرجونها البقاء ويسحبون حقيبتها يمنعونها من المغادرة فكانت تدفعهم بيديها بشدة وتدعو عليهم إمعانًا في إذلال والدهم وتعذيبه بهم- كما تزعم- فتكونت في قلوبهم الصغيرة صورة قاتمة لأمهم التي لم تسأل عنهم بعد ذلك اليوم.

(فاطمة) هي الوجه الناصع والصورة المثالية لزوجة الأب. حنونة، طيبة عاملتهم كأبناء لها. تأخذهم في زياراتها لأهلها، جعلت الجميع يحبونهم حتى أن الأطفال الصغار الذين لم يدركوا زواج فاطمة يعتقدون أن هؤلاء أبناءها.

تسهر معهم أيام الامتحانات تعد لهم الشاي وشرائح الخبز المحشوة، تراجع لهم ما استذكروه، وتشرح لهم ما استصعبوه، وترفع يديها إلى السماء تدعو الله لهم بالتوفيق والهداية.

ولا يغمض لها جفن حتى تطمئن إلى مغادرتهم لمدارسهم وفي حقائبهم كل مستلزمات المدرسة وإفطارهم اليومي.

لقد فعلت ما لم يفعله أحد قبلها، أعادت علاقة الأبناء بوالدتهم، كانت دائمًا تحدثهم عن الأم عن حبها الذي لا يوازيه حب، عن حنانها المتدفق، وعاطفتها الجياشة، في البداية كانت تدفعهم لزيارة أمهم وتشجعهم وتغريهم بالهدايا والنزهات حتى يذهبوا إليها، ومع الأيام صاروا يذهبون لزيارتها طواعية ويأخذون معهم الهدايا أيضًا.

لقد تعلق الأولاد بفاطمة وأحبوها حتى إنهم لا يستطيعون فراقها، حين كانوا صغارًا كانت تأخذهم جميعًا، والآن وقد كبروا وتجاوزوا سن البلوغ صار يصعب عليها أخذهم كما يصعب أيضا تركهم، ولما رأت شوقهم لها حين تسافر إلى أهلها في الصيف أثرت البقاء معهم وقضاء الإجازة بقربهم واكتفت بيومين تسلم فيهما على والدتها ثم تعود.

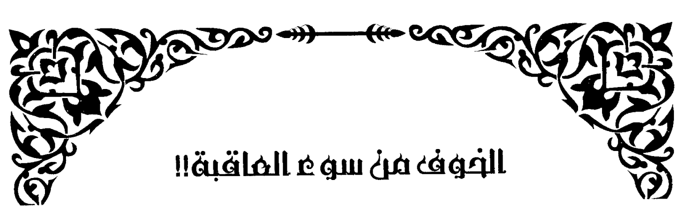
لقد بكت حين دخل سيف الابن الكبير المستشفى لاستئصال الزائدة كما لم تبك أم قبل حتى إن الطبيب سألها إن كان لها أبناء آخرون أم لا؟! وحين خرج لازمت فراشه واعتنت به حتى عادت إليه عافيته واسترد صحته. هي تستقبل الأبناء وصديقات البنات خير استقبال، تعد لهم المعجنات والحلويات والعصائر الطبيعية، وتتضايق كثيرًا حين يأتي سيف ببعض الأطعمة الجاهزة من المطاعم أو المخابز من باب المساعدة (من قال إني أريدكم تساعدوني، سعادتي في خدمتكم وخدمة ضيوفكم).

إنني وأنا أراها الآن تجهز (رحاب) وتهيئها لزوجها تكابد الأمرين فهي كل يوم في سوق أو مشغل تبحث عن الأجود والأفضل، ترسم معها الموديلات وتختار الأقمشة وتنتقي الحقائب والأحذية، قلقة، مضطربة وفي نفس الوقت فرحة ومبتهجة. أراها هكذا وأتساءل في نفسي، ماذا لو كان هؤلاء هم أبناؤها، ماذا عساها فاعلة؟

سبحان الله له في خلقه شؤون حرمها من الإنجاب ومن عليها بهؤلاء الأبناء الذين حرمهم من عطف الأم وحنانها وأبدلهم أماً أخرى أفاضت عليهم من حبها وعطفها.

اليوم أغمض جفني لأرتاح لأن ابني إسماعيل وجد زوجة وأما فاضلة.

"أم زوجك"



الخوف من سوء العاقبة!!

تزوجت عن رضا وقناعة، زوجي رجل كريم طيب الخلق، كنت حينها كأي فتاة أحلم أحلاماً وردية مخملية، الحياة في نظري فرحة وفسحة، ليس هناك في مخي الصغير شيء خلف هذه الصورة، تحت جناح زوجي درست الجامعة وتأثرت بصويحبات لي صالحات خلوقات متدينات- أحسبهن كذلك ولا أذكي على الله أحدًا- بدأت استشعر معنى الحياة وحقيقتها وأدركت أن هناك هدفًا أسمى نحيا لأجله، بدأت صعود سلم الحقيقة وارتويت من معين لا ينضب وقرأت سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وبكيت بشدة لجهلي التام بها وتقصيري في ديني.

أخذت حياتي منحى آخر، وبدأت فعلاً أحس بمسئوليتي.. بيتي هو أول شيء يحتاج إلى الإصلاح .. أثاثه راق وأرضيته رخامية لكنه قائم على قواعد هشة.. بدأت في ترتيب أوراقي وتنظيم أولوياتي... فكانت أول مواجهة لي مع زوجي.. أول اختبار لإيماني وعلمي... أول حجر في طريقي.. زوجي طيب معي لم يعنفني يومًا ولم يمنعني من زيارة صديقاتي واستقبالهن في بيتي... ترك لي الخيار في إسدال خماري على النحو الشرعي، نزل عند رغبتي في التقليل من النزول إلى الأسواق وترك السفريات للخارج، حيث كان هذا ديدننا دائمًا في كل أجازة، لا تقولوا كل الرجال يرغبون في ذلك، لا، لقد كان زوجي مختلفًا عنهم إنه يحب السمر والسهر والسفر، الرجال يسهرون مع أصدقائهم ويسافرون مع زملائهم أما زوجي فهو يسهر معنا في البيت أو خارجه ولا يسافر إلا ويصحبنا معه.

أنا أحب زوجي ولا أرغب في إغضابه، ولكنني أحب الله أكثر وأسعى إلى أرضائه لقد كانت المواجهة الأولى لأجل الصلاة... زوجي يصلي لكن يصلي في البيت غالبًا، الفجر

والعصر لا يصليهما في وقتهما أبدًا، الأولى حين يستيقظ للعمل يصليها والثانية حين يصحو قبيل المغرب بقليل يصلي ثم يتناول غداءه، حاولت أن أبيّن له أهمية الصلاة وفضلها وعظم أمرها عند الله وإنني أحبه وأخاف عليه من النار والعذاب إنني لا احتمل مجرد التفكير في هذا الأمر، فنهرني "اللي يسمع كلامك يقول قاعدة مع كافر لا يصلي، أنا إذا نمت لا أدري عن أحد و"النائم مرفوع عنه القلم"، "لكن أنا أوقظك أترك المنبه عند رأسك، أنت تسمعني لكن تستثقل إنك تقوم"

كلمة مني وأخرى منه ثم يصرخ في وجهي "خلاص لا أريد كلام زيادة".

أبكي حتى تؤلمني الدموع كيف لي أن أقيه عذاب النار وأنقذه من الهلاك إن المسئولية تتضاعف علي، لم أتركه؛ كنت بين الحين والآخر أحدثه عن الصلاة وأذكره بقصص الماضين وحرصهم على الصلاة وأنها أول ما يحاسب عنه، لم أعرف شيئًا عن الصلاة إلا قلته، ولم أر تحسنًا ولم ألحظ تغيرًا.

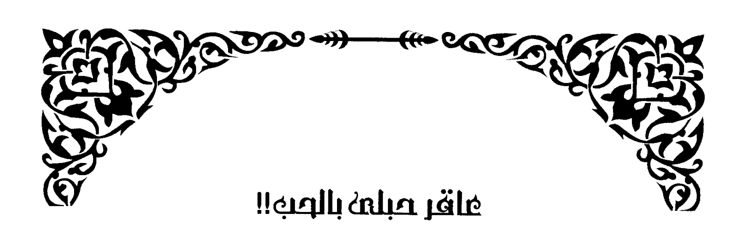
تخاصمنا وتجادلنا كثيرًا حول الصور المعلقة على الجدران صور زواجنا وصور أبنائنا وأنهى المعركة بحل جزئي "ارفعي كل الصور ما عدا اللي في غرفة النوم والمجالس" ففزت بصالة وغرفة معيشة خالية من الصور، تخاصمنا حول الدخان، حول أفلام الفيديو الماجنة، حول الكثير من المنكرات فكنت دائمًا لا أخسر خسارة تامة ولكنني أيضاً لا أحقق الفوز الساحق.

بت أخشى على نفسي من هذه المنكرات خاصة القنوات الفضائية التي لم اترك وسيلة أعرفها إلا سلكتها لا تخلص منه فعجزت، صار يتنازعني داعيان.. داعي الله وداعي الشيطان. أعيش صراعًا مريرًا يعصف بذاتي ويكاد يزلزل إيماني أيهما أغلب؟ وأيهما أتبع؟ زوجي الرابض بهدوء أمام الشاشة يقلب نظره في الفضائيات ويدعوني بعبارات لطيفة لمشاركته الجلوس والشاي؟ أم الله سبحانه الذي أمرني بغض البصر ونهاني عن سماع الخنا والغناء و عنف على الشيطان الأخرس؟

أجلس معه لأدعوه إلى طريق الحق...طريق النور ولكني أجد ضعفًا في نفسي فأختلس النظر أحيانًا وأنسجم تمامًا أحيانًا أخرى، بل إنني- عفا الله عني- ألجأ إليه في فترات غياب زوجي عن البيت أفتحه واقلب نظري فيه ثم ما ألبث أن أخرج من الغرفة باكية عتبة على نفسي الأمارة .. ترى ما هو الحل؟ هل أطلب الطلاق؟ هل هذا حل جذري؟ إن زوجي يصلي ولكنه مقصر في الطاعة بطيء وأحيانًا عديم الاستجابة للخير.. عدت إلى أوراقي ألملمها وأرتبها من جديد.. أبنائي أمل المستقبل المشرق بإذن الله فلأوجه لهم جهدي.. أعلمهم القرآن وسيرة نبيهم عليه السلام.. أزرع في تربيتهم البكر معاني الإسلام وقيمه وآدابه لعل الله أن يحمدني العاقبة فيهم ويكونون سببًا لصلاح والدهم - بعد الله سبحانه -.

لقد أدركت بعد خروجي من معارك شتى شبه خاسرة أن هناك لحظة ضعف تسيطر على أحيانًا وتمتلكني، أحس أني أسيرة في قيدها، يائسة من رحمة الله خلالها، أنحدر إلى هوة المعاصي، وأميل إلى الجانب المعتم، أقصر في الطاعة وأهمل السنن وقراءة القرآن لكن سرعان ما أفر هاربة إذا أن بذرة الإيمان في قلبي التي نمت واشتد عودها تدحرها بنورها، وتبددها بذكر الله وتلاوة آياته، إن لحظة الضعف تلك تصبح لاشيء في ظل الدعاء والاستعانة واللجوء إلى الله.. إنني كدت اهزمهما حين رأيت "أم عبد الرحمن" لأول مرة امرأة صالحة قصيرة الباع في العلم، تحت رجل قاس تخرج من تحت يديها ثلاث شبان حفظة لكتاب الله أحدهم إمام مسجد وابنتان من خيرة ما رأيت، لهم نشاط دعوي في محيط أسرتهم، إنها امرأة ولا شك تغلبت على لحظة الضعف واليأس وارتفعت بهمتها ولم تلق بالاً للمخذلين الذين يتزعمهم زوجها.. اللهم كما حمدتها العاقبة فحمدني وكن معي وأصلح زوجي وذريتي.

"أختكم"



عاقر حبلى بالحب!!

كانت تلك السنوات السبع عشرة كافية لإقناعها بعدم وجود فائدة من الانتظار هي تريد أطفالاً وتحب زوجها، وهو لا يريد أن (يكدر خاطرها) لذا يرجئ الأمر ويؤجله. وافقته بنفس راضية إلى أن يخوض التجربة مرة ثانية عسى الله أن يكتب له الذرية فيكون لها منهم نصيب، وتزوج (إبراهيم) ثانية، كان الأمر صعبًا عليها فلم تعتد فراقه قلبت نظرها في الحياة الجديدة (إن استطعت كسب زوجته الجديدة فربما يرزقها الله الأبناء فيكونون أبناء لي أيضاً، وإن فتحت بيتي لها فزت بزوجي وأبنائه)، وفعلاً تم لها ما أرادت وبقي إبراهيم وزوجته معها.

كان (مريم) مثالا للزوجة الصابرة الطيبة التي تبحث عن رضا زوجها عاملت ضرتها كأخت لها، لم تسع أبدًا على إثارة المشاكل، كان حبها للأطفال يطغى على كل مشاعرها، ولقد كانت ضرتها أيضا امرأة طيبة قدرت هذا التعامل قدره وحفظت لمريم مكانتها.

جاء الأطفال بعد فترة قصيرة، وصار أخي (إبراهيم) أبًا بعد طول انتظار وأشرق البيت بهم وملأوه حبورًا وسعادة، كانت فرحة (مريم) لا توصف كانت تهتم بالأطفال وتعتني بهم حين كبروا قليلا كانت تجلسهم معها وتقص عليهم الحكايات (قصص الأولين) تحادثهم وتسمع منهم.

وأصبحت هي وضرتها (سمية) تتقاسمان عمل البيت والعناية بالأطفال، ولما دخل الصغار المدارس كانت تتولى القسم الأكبر من عمل البيت حتى تتمكن (سمية) من تدريس الأولاد ومراجعة دروسهم.

لم تجعل من توافه الأمور و(كلام الحريم) عاتقًا أمام سعادتها، عاشت مع ضرتها ولا تزال ثلاثين عامًا بحلوها ومرها تفرحان معًا، وتحزنان معا ولم يفرقهما الموت، مات أخي (إبراهيم) منذ عدة أعوام - رحمه الله - ولم تفترقا، عاشوا جميعًا في منزل واحد، يكابدون العيش ويواجهون مشاكل الأبناء سويا لم يقتسموا الإرث. مع أن (سمية) وهي أم الأولاد تستأثر بنصيب كبير من النفقة إلا أن ذلك لم يكن يعني أي شيء عند (مريم) فهي ترى أن هؤلاء أيضا أبناؤها.

لقد أخذت السنين من جهد (مريم) وصحتها وبدأت أعراض الشيخوخة تزحف نحوها، روماتيزم وسكري وضغط... فما لاقت من (سمية أم خالد) إلا كل خير وقبل ذلك الأبناء الذين راحوا يكثرون من الاهتمام بها ويولونها عناية خاصة، فهم يحرصون على مواعيدها في العيادة بشكل منتظم ويراقبون نظام الحمية الذي وصف لها ويراعون مشاعرها ألا يكفي أنهم يسمونها (أمي مريم) كانت هذه التسمية مبعث سعادتها وانتشائها.

لم تجن (مريم) هذا من غير جهد، كانت طيبة، تحب خدمة الناس، كم من مرة احتاجتها (سمية) فوجدتها بجانبها تعينها وتقف معها، رافقت إحدى البنات حين دخلت المستشفى لاستئصال الزائدة، في حين كانت (أم خالد) تهتم بالأبناء في البيت.

وفي الأيام الثلاثة التي كانت فيها أم خالد عند أهلها تستقبل المعزين في وفاة والدها، كان الأطفال الصغار عند أمهم مريم في البيت.

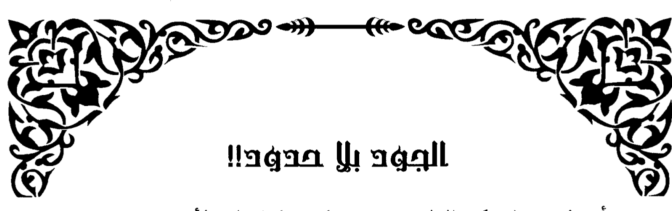
لقد خدمتها في فترات نفاسها كما لو كانت تخدم أختها، وجلست في بيت خالد ترعى ابنه وتجهز الغداء له ولزوجته التي تم تعيينها معلمة في إحدى القرى البعيدة، فكانت لا تأتي إلى البيت إلا بعد صلاة العصر، ستة أشهر وهي على هذه الحال حتى حصل لها

نقل إلى المدينة ، ستة أشهر تركت فيها بيتها الذي ألفته لترعى حفيد زوجها بنفس راضية وقلب رحيم.

من مثلك (يا مريم) ضربت مثلا رائعًا للنساء من حولك ، رضيت بما كتب الله لك ، وسعيت إلى إرضاء زوجك ، وكسبت ود ضرتك.

ثلاثون عامًا لم نشعر فيها أنكما ضرتان (جارتان) كنتما كأختين ، ندعوكما سوياً إلى ولائمنا واجتماعاتنا ، لم تسببا لنا إحراجًا قط ، ولم تتضايقا من وجودكما معًا ، هذا كله بفضل الله تعالى ، ثم بفضل قلب مريم الكبير ، فهي البادئة بالإحسان أسدت المعروف لم ترد جزاء ولا شكورًا ، زرعت الحب وحصدت الحب نشرت النور فبدأ الطريق أمامها واضحًا ، وفقك الله وسدد على الخير خطاك وأبقاك أما للجميع وأخلفك خيراً.

"أختك"



الجود بلا حدود!!

نشأت في زمن لم يكن للعلم فيه نصيب كبير، كنا نفلح الأرض ونسقيها ونعيش من ذلك، تزوجت وصار لي أبناء وبنات وأدركت أهمية العلم وأن الزمن القادم هو زمن الشهادة، فألحقت بناتي بالمدارس، بعد أن فاتني القطار، وحرصت على متابعتهن قدر استطاعتي.

مرت السنوات سراعًا ورأيت غرسي يثمر، أتمت بناتي التعليم وصرن مدرات تزوجن وأنشأن عوالم خاصة، أما أنا فكبرت ولم يعد لي قدرة على العمل، ولم أكن قد التحقت بالعمل الحكومي فصرت قعيد البيت أعيش من راتبي كمؤذن في المسجد المجاور ولي بقية من أبناء مازالوا في مراحل المدرسة المختلفة، وزوجتي (أم علي) كبرت أيضًا والروماتيزم أخمد نشاطها، فلم تعد قادرة على العمل في البيت إلا شيئًا بسيطًا.

وفي وسط هذه الظروف صرنا نحتاج خادمة تقوم بأعمال البيت الكثيرة حين يغيب الأبناء في المدرسة.. هذه الخادمة تحتاج (مصاريف) كثيرة أيضًا، تكاليف استقدام ورواتب شهرية وإقامة و... والأبناء - أصلحهم الله - كبروا وكثرت معهم نفقتهم، المدرسة لها حاجتها الضرورية وكذا المناسبات، الشتاء يختلف عن الصيف في الكسوة والمأكل وخلافه، وهناك ضرورات اجتماعية أدخل الناس عليها من القوانين والقواعد ما جعلها مكلفة وصعبة. في الجملة صارت الحياة قاسية ومعقدة.

في ظل هذه الظروف المرة، برزت (صفية) تنفض عنا غبار الفقر وتزيل شبح الحاجة - بعد الله - لم تكن خير أخواتها حالاً ولا أيسرهن عيشًا لكنها كانت ذات قلب كبير ونفس غنية . زوجها رجل طيب كريم النفس، لم يكن يسألها عن راتبها ماذا فعلت به،

بيتها كبير وعندها أولاد وبحكم عملها كمعلمة كان لديها خادمة فهي تصرف من مالها في بيتها وتعين زوجها.

ومع هذا فقد أحضرت لأمها خادمة تصرف لها راتبًا شهريًا حتى تعين والدتها على البيت، وهي تشتري لها مثل ما تشتري لخادمتها لا تنتظر منا أن نفعل ذلك. ولم تكتف بهذا أبدًا، بل إنها في كل شهر تقريبًا تدس في جيبي مبلغًا محترمًا ونصفه أو زد عليه قليلاً لوالدتها لا تريد منا جزاء ولا شكورًا، بل إنها تغضب كثيرًا حين نُطري فعلها أمام أخواتها معللة ذلك بأن لكل أناس ظروفهم ثم إن عملها لا يوازي شيئا أمام ما عملناه لها خلال دراستها (صرفتوا علي حتى تخرجت ويوم توظفت أنساكم؟).

وأفضال ابنتي علي كثيرة لا تُنسى أسأل الله سبحانه أن يوفقها وأن يرزقها بر أبنائها، فهي لا تنسى إخوانها في المناسبات، في الأعياد تحضر لهم الأقمشة والأحذية وعند دخول الشتاء تجود عليهم بين فترة وأخرى بالملابس الشتوية الفاخرة، تفرح حين ترى الفرح يشع من عيونهم كأنها أمهم وهم بنوها الأيتام.

والبنات لا تنتهي مطالبهن فهذه (هند) طلبت مني ذات يوم مبلغًا من المال لتشتري به قميصًا حريريًا ترتدية في الكلية فلما علمت (صفية) بذلك غضبت لماذا لم تطلب منها أختها ذلك!!

وصفية - أسعدها الله - أعانتنا كثيرًا في شراء سيارة لمحمود حين تخرج من الثانوية، بل هي التي اشترتها بأقساط شهرية أخذت تسددها رافضة منا أي مساعدة.

إنها حين ترى شيئًا من الأثاث بلي أو جزءًا في البيت يحتاج إلى إصلاح تبادر بعمل اللازم دون أن نطلب منها ذلك، وهي دائمًا تكمل لوازم البيت وتتفقد حاجاته كواحدة تعيش دومًا فيه حتى الضروريات كان لها فيها مساهمة.

صفية ليست ككل البنات. متواضعة في لباسها غير متكلفة لا تحب البهرجة ولا المظاهر لها ولا لبناتها وأبنائها، يكفيها اليسير ولم يغيرها المال لذا فقد بارك الله في راتبها

كـثيرًا عكـس بعـض أخواتهـا كـأنهن ولـدن في الأسـواق مضـيعات لبـيوتهن، مـبذرات لأموالهـن، صـفية تـنفق وتـنفق وفي آخـر الشـهر تجد ما توفره وتدخره للأيام وغيرها يصرف ويصـرف حتى إذا جـاء آخـر الشـهر لم يـبق في جيبه قرشًـا واحـدًا ثـم يتسـاءل (أيـن ذهـب المال؟!) .

هـي بسيطة لنفسـها فقـط أمـا حـين تجود فهي لا تعرف إلا الغالي والنفيس، بارك الله لـك يـا ابـنتي في مـالك وفي زوجـك وفي أبـنائك وجعـل عملـك رفعًـا لدرجـاتك في الدنـيا والآخـرة.

"أبيك"

قال رسول الله ﷺ: « مـا مـن يـوم تطلع فيه الشمس إلا ملكان ينزلان يقول أحدهما اللهم أعط منفقاً خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكاً تلفا».



أنين مطلقة

الليل الآن يزحف على الكون.. يجر الظلام ليطبق على الدنيا، وأنا بدوري أسدلت ستائر غرفتي الداكنة لحجب الضوء المتسلل من الخارج حتى لا يخترق أحاسيسي ويفسد علي خلوتي. أقفلت الباب وأغلقت الأنوار وأسندت ظهري إلى السرير، ولذت بالصمت وتركت الحديث للدموع، أطلقتها بعد أن كانت حبيسة في مآقيها، الآن حانت لك أن تنفجري كالبركان قوية مدمرة لتزيلي في طريقك كل هموم القلب وحسراته ولتخرجي كل زفرة منعتها العيون المتطفلة من الانطلاق، أحرقي كل من يقف في وجهك، دمري كل من يحاربك ثم تفجري عيونًا وينابيع لتغسلي كل ما علق بساحة المعركة القلبية من بقايا الدماء والأشلاء.

ضعيفة أنت أيتها الدموع، لا تقوين على كل هذا لكنه الحلم الذي يحلق بخيالي بعيداً. أنت أيتها الدموع ملاذي - بعد الله سبحانه - أفرح فتنطلقين كالماء الزلال يسقي ظمأ العطشى، وأبكي فتنزلين كحبات المطر تغسل وجه الأرض لتكسب العشب الأخضر نضارة كالمرآة.

وماذا بعد؟ لا شيء سوى الظلمة والوحدة والصمت والدموع أسلي بها نفسي!! عجبًا وهل نتسلى بهذه العذابات؟! حين نجد أن الظلمة تغشانا لتحجبنا عن العيون النهمة والنظرات السامة، والوحدة تبعدنا عن مواجهة من يحاربوننا والصمت يريحنا من الوقوف للإجابة على التساؤلات المكررة المقيتة التي لا نحصد منها سوى المزيد من علامات الاستفهام، هنا فقط تكون العذابات تسلية والدموع سلوى المعذبين ومنافذ التنفيس للمكروبين.

الليل فقط هو الذي أحبه، انتظره بتلهف، الليل المظلم يلفني بظلمته، فلا يراني أحد، فتظهر نفسي على حقيقتها، ضعيفة مجروحة، مكدودة، أبكي بحرقة وألم ولكن بصمت حتى لا تشعر الجدران بضعفي، أبكي حالاً وضعت بها وليس لي ذنب آلبته، أمر قد كتب علي، ولو كان السبب فيه رجلاً لقتلته، لا تلوموني، فتشت في نواحي حياتي، قلبت أموري، راجعت حساباتي، لم أجد شيئًا أتعلق به، إنه فقط قدر مكتوب لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه. الطلاق وقع يوم استحال الوفاق، ثلاث تجارب زواج فشلت، تعلمت منها الكثير، أزواج يرفلون في نعمة وعافية وبنين!! وأنا أتعذب كل يوم تحت مطارق الألسنة الحادة، أحترق تحت النظرات القاسية وأتضائل أمام نجاح الأخريات.

لذا أكره النهار والنور والضوء لأنني يجب أن أتقمص تحت ألف دور ودور، يجب ألا أتزحزح عن قراري، ألا أظهر الندم، ألا أبحث عن المبررات، في النور يجب أن ألبس لبوس السعادة والراحة، ليس لي الحق في البوح بمشاعري، يجب أن أحبس دموعي ويجب أن أظل قوية راسية، وأن أجيب عن كل سؤال يطرح وإلا فالعيب في وحدي والتقصير لابد مني (كان يجب علي أن أصبر، أن أعيش في الجحيم، أن أتذوق العلقم والصبر، أن أرزح تحت نيران الذل والقهر، كان يجب أن أعيش بلا عاطفة، ألا أعبأ بما يختلج في قلبي، كان يجب أن أعيش ولا أعيش في ذات الوقت، إذ ليس المهم أن أشعر بلذة العيش ولا بطعم الحياة. المهم أن أعيش وكفى كالميت بين يدي الغاسل) ومع هذا كله لم أنل ما أريد وفزت بورقة الطلاق.

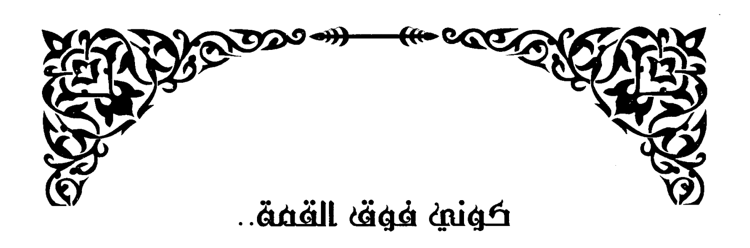
آه أيها الآخرون كم أنتم قساة، تحكمون علي فقط وتودعونني سجن الحياة، تجعلوني خلف قضبان التعاسة وتحملوني كامل المسئولية، والرجل النصف الآخر ربما كان المجرم الحقيقي يتنسم هوا الحرية ويعيش طليقًا بين الأفنان يستمتع بحياته ويتلذذ بعيشه ليس عليه حرج ولا إثم.

الأزواج كدوائر قطعت نصفين وبعثرت. كل نصف لا يلتحم إلا بالنصف الذي انشق عنه. وبهذا تكتمل الدائرة، فهل تستطيع أن تجمع نصفين لم يكن في الأصل دائرة واحدة بالتأكيد لا، وكذا طرفا المغناطيس اللذان يتنافران هل تقدر على جذبهما لبعضهما بالقوة أو باللين؟ أيضا لا. هل تظن الخطأ في أحد الطرفين أم توقن أنها من صنع الله؟ وكذا الأزواج. فما زلت نصفًا مهملا يبحث عن نصفه الضائع فلماذا لا تساعدونني في البحث أو تتركوني وشأني لا تذيبوا قلبي بحرارة أسئلتكم ولا تشنقوا بصيص الأمل لحكاياتكم العقيمة وعروضكم المزرية، رجل رجله في القبر، وآخر هارب من لظى الزوجات والأبناء، وثالث طامع في المال يظنني الموظف وهو البنك، وآخر عقيم و...

دعوني أفكر ألف مرة قبل أن أكشف عن ساقي وأخوض في بحر لجي آخر، هل الزواج رحلة صيد أو سباحة، إنه المستقبل والحياة الجديدة، إنني أبذل من وقتي وعقلي وروحي وعواطفي ومن كل خلية في جسدي إزاء ما حدث في الماضي فلم يعد هناك المزيد من القدرة على البذل. ارحموني وكل واحدة تجعل نفسها مكاني - لا أراها الله ما رأيت - ثم تحكم بها ترى.

مللت تشريحي تحت المجهر وجعلي عينة للزراعة، إنني قبل كل شيء امرأة خلقت من ضلع أعوج، وكسري طلاقي فلا تزيدوا الضغط علي واتركوني حتى يجبر كسري وتلتئم جروحي ولا تحملوني ما لا طاقة لي به.

"أختكم"



كوني فوق القمة..

ابنتي الحبيبة :

أريد أن أحدثك حديثًا لا تنقصه الصراحة فافتحي قلبك وعقلك لي، وأدركي أنني إنما أهيئك للمستقبل، لحياة وجدتها غدارة خداعة لا تعرفين بأي الوجوه تقابلك، أنت تنشئين في بيت وتغادرين إلى بيت آخر مختلف عنه، أنت الآن في رغد العيش ورفاهية الحياة مترفة مدللة كأنك تلك الفتاة المرفهة النائمة التي تنتظر من يوقظها ويتزوجها فلا تتمادي في أحلامك فلن تخطفك مرفّه أو غني، بل ستتزوجين إن شاء الله رجلاً من مستواك ومن مجتمعنا يعرف قيمة الحياة ومعنى المسئولية وينتظر منك أنت ذلك!!

فلماذا يا ابنتي الغالية ترهقينني بطلباتك نحن الآن في فصل الشتاء وأنت تريدين المزيد من القمصان والبلوزات الشتوية للمدرسة، وخزانتك مليئة بالكثير والجديد فلماذا لا تكتفين بما عندك أم أنه لا يصح أن ترتدي هذا العام ملابس العام الماضي؟ حقائبك ملأت الرفوف يعلوها الغبار بعضها استخدم مرتين وبعضها صار قديمًا متى تعرفين للمال قيمته وأنه ليس كل ما تشتهين تشترينه؟ أعلم أنك تحبين الجمال وترغبين في أن تكوني مميزة بين صديقاتك وأن يظهر عليك أثر النعمة والترف، ولكن هذا كله له حدود، والله سبحانه فوقنا يحاسبنا، الإكسسوارات تكلفك الكثير من المال وكذا الأحذية والأحزمة ولوازم المدرسة وملابسك وتوابعها فلماذا لا ترضين إلا بالغالي والنفيس مع أن في الأقل سعرًا جودة لا تقل عنه.

ابنتي.. حبة قلبي ومهجة فؤادي، نحن حقًا لدينا خادمة وهذه نعمة عظيمة تستحق الشكر، ولكن الخادمة لها دور كبير لا يخفى عليك ويجب ألا يلغي دورها دورك أنت، أشعريني أنني ربيت فأحسنت، أنا لا أطلب منك أن تغسلي الصحون أو تكنسي الأحواش ولكن فقط رتبي غرفتك، اهتمي بوضع كل شيء فيها مكانه، غرفتك مملكتك الصغيرة نظامها يعكس شخصيتك، المفروض منك أن ترفضي دخول الخادمة إليها، لا أن تناديها وهي غارقة في عملها لتطلبي منها أن تبحث لك عن تنورتك أو تكنس غرفتك، ربما هذه هي المهمة الوحيدة المنوطة بك في هذا البيت فلماذا لا تجعلين منها درسًا لك في تنظيم مملكتك الكبيرة في المستقبل.

مع الأسف أدواتك مبعثرة، ملابسك تئن تحت قدميك، الجديد غارق مع القديم في سلة الغسيل، والخادمة تغسل ما يقع تحت يديها دون تمييز فيتلف الجديد ويبهت ولا يصلح حال القديم ثم تطلبين ملابس جديدة أخرى إذ صارت تلك مستهلكة كلياً.

حبيبتي: إن المجوهرات والأشياء الأخرى الثمينة خفيفة الحمل ثقيلة الثمن مغرية للخدم فلماذا لا تعبئين بها، نعود من زيارة أو حفل زواج فتخلعين أقراطك وخواتمك وباقي حليك في أي مكان تجلسين فيه إذ الوقت الآن وقت تبادل الحكايات ماذا رأيت وماذا أعجبك.. وتبقي مشترياتك في مكانها أو ربما تفقدينها ثم تقيمين الدنيا ولا تقعدينها على رأس الخادمة (أكيد هي اللي سرقتها.. لابد من طردها).

هل ما زال الوقت مناسبًا لأن أقوم أنا بجمع أغراضك ووضعها في مكانها الصحيح أو أحتفظ بأشيائك الثمينة في غرفتي، ألا تدركين أنك كبرت وصرت شابة يافعة... أنت الآن في الثلث الأخير من ربيع عمرك الثاني، في مثل سنك كنت قد أنجبت أخيك سليمان، لا أطلب منك أن تكوني نسخة مني فوقتي يختلف كثيرًا عن وقتك ولكن فقط أريني أنك كبرت وصرت أهلا للمسئولية.

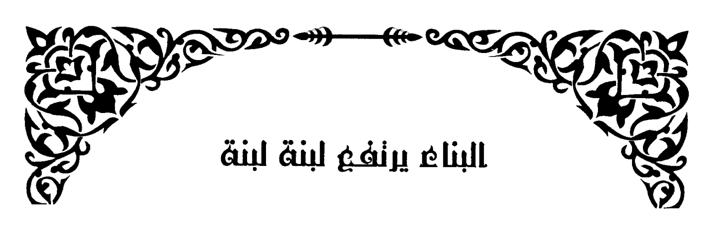
أم أنك تكبرين عشر سنوات حين تريدين زيارة صديقاتك، أو الخروج للسوق أو حين يمس الأمر حريتك الشخصية، تتضايقين حين أرافقك في زياراتك أو تسوقك تقولين أنك كبيرة، وتستطيعين القيام بهذا وحدك، ولكن أنا أمك ولن أسمح لك بفعل هذا فإن كنت متفرغة فسأذهب معك وإن لم استطع فليس من الضروري أن تقومي به.

أنت حرة ولك أن فتعلي ما تشائين ما لم يكن في هذه الحرية ضرر عليك أو على دينك وعفافك أو حتى ضرر علينا وعلى إخوانك ألبسي ما تشائين إلا أن يكون بنطالاً أو ثيابًا ضيقة أو عارية أو خفيفة، وعباءتك ليست مجالاً للموضة والاستعراض؛ إنها مثل صلاتك تمامًا ليس لك فيه حق التغيير.

بنيتي الحبيبة هل تودين أن تكوني إمعة في ذيل الركب تابعة ذليلة؟ أم تحبين أن تكوني قائدة فوق القمة يتطلع إليك الجميع يرفعون رؤوسهم إليك ويقتدي بك من حولك؟

ثقي أن النعم لا تدوم وأن الدنيا دوارة أخشى أن يمر عليكم زمان قاس لا تحتملون العيش فيه فتهلكوا.. اخشوشني يا ابنتي فإن النعم لا تدوم، وشمري عن ساعديك وأثلجي صدر أبويك بطبق تعدينه من يديك الغضتين، أو أريني إبداعاتك الجميلة في ترتيب غرفتك ولن أمانع أبدًا إن قمت بترتيب غرفتي أنا أيضاً فيوم المنى حين أرى بذري ينمو ويكبر ثم يثمر ثمارًا طيبة، فأريني من نفسك خيرًا.

"أمك"



البناء يرتفع لبنة لبنة

الزواج سنة الحياة وهو مسئولية قبل كل شيء ثم هو سكن ومودة ورحمة.

الزواج يا ابنتي ليس فساتين وحقائب ونزهات وعشاء من كل مطعم حين رضيت بالزواج الآن هل كنت تظنين أنك صغيرة؟، لا أبدًا لقد كبرت وصرت أهلا لهذه المسئولية لكن القليل من الصبر والكثير من التنظيم وشيء من الإدراك فقط هو الذي ينقصك.

أنا عمتك وفي مقام والدتك وأرجو أن تسمعي مني حتى وإن قسوت عليك.

إنه من العيب عليك أن تحضري ملابسك وملابس زوجك التي استخدمتماها خلال الأسبوع لقوم الخادمة (خادمة أهلك طبعًا) بغسلها وكيها.

هذا الأمر لا يتطلب جهدًا كبيرًا، الغسيل أمره سهل ملابس شبه نظيفة لم يلطخها الأطفال بعد لا تستغرق وقتاً حتى تنظف كان بإمكانك أن تقومي بغسلها ثم ترتبي الوقت لكيها ليس بالضرورة القيام بهذا دفعة واحدة، بل بالتدريج خاصة كما تقولين عن زوجك إنه يرفض أخذها للغسيل أو الكي في الخارج ولا يعلم أنك تجلبينها معك عند زيارة أهلك ولو علم لأغضبه ذلك كثيرًا.

ثم يا حبيبتي لماذا هذا التبرم والضيق من المطبخ وغسيل الصحون؟ هل تريدين أن يأكل زوجك من المطعم دائمًا أم يرضيك أن تكونا ضيفين ثقيلين على أهلك أو أهله. إن الطبخ ليس عملية شاقة ولم تعد الوجبات مرهقة في صنعها والمعلبات وبعض الأجهزة الكهربائية التي يمتلئ بها بيتك توفر عليك وقتًا كبيرًا، لا داعي للاتصال على والدتك لتطلبي منها أن ترسل لك وجبة الغداء قبل أن يأتي زوجك من العمل، ماذا تريدين أن

تعملي إذن؟ لماذا تزوجت؟ هل كان ينقصك التنزه في الأسواق؟ هل ظننت الزواج تسلية ومرحًا.

صدقيني إن هذه الفترة البسيطة التي قضيتها مع زوجك والتي لا تتجاوز خمسة أشهر هي فترة اختبار لك ومقياس لقدراتك ومهاراتك، أين الزوجة؟ أين الطاهية؟ أين المدبرة؟ أريه (صناعتك) ليس لديك في البيت شيء يحتاج إلى جهد كل شيء لم يزل نظيفًا مرتبًا جديدًا ما الجهد الذي تبذلينه في البيت حتى تجلسي للشكوى بين يدي أخواتك وخالاتك (لقد تعبت كل شيء يرفض أن أفعله، يتدخل ي كل شئوني، لا نريد طبخ أهلك، لا أحب أكل المطاعم، أكره غسيل المغاسل لا أعرف كيف يفعلون بالملابس في وسط هذا الصابون القذر، هذه ليست حرية هذه قيود وأغلال).

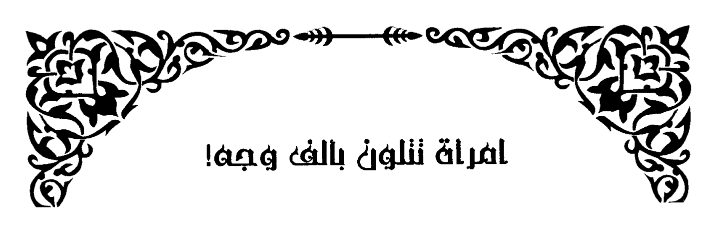
أنت طرية لم تعرفي الحياة بعد، تتحدثين معهن وهن يشفقن عليك لكنهن لا يبحثن عن مصلحتك، إلى متى سيبقين لك؟ سيقمن بأمورك؟ سيساعدنك؟ لابد أن تعتمدي على نفسك في كل شيء هذه حياتك، البناء الذي تشيدينه لنفسك لبنة لبنة، حياة لا تدخل فيها الخادمة التي تربيت في أحضانها.

أنت وزوجك شخصان في شقة أربع غرف ومنافعها هل تعجزين أن تنظمي وقتك؟ قولي لي ما الذي يشغلك؟ ألا تستطيعين تنظيم وقتك؟ مثلا: أجعلي وقتاً لعمل البيت وآخر للنزهات مع زوجك هل كل فراغ في وقتك أو في وقت زوجك يجب أن تقضيه خارج البيت؟ إذن أين وقت البيت، ووقت العمل والطبخ والغسيل، والترتيب وغيرها.

ابنتي .. لقد حرمت الأبناء وعشت معكم عمري كله.. ربيتك واعتنيت بك مع والدتك وأعلم مصلحتك مثلها تمامًا. صدقيني أن زوجك يحبك ويغار عليك لا تسمعي عبارات الذين يقولون (لا تعوديه على كذا) فهم لا يريدون الخير لك، بل اسمعي لزوجك وأطيعيه فهو جنتك ونارك، هو لم يخطئ حين رفض الخادمة فما زلتما في بداية حياتكما خففي الحمل والمسئولية.

فعله هذا ليس تسلطًا ولا فرض رأي إنه يختبرك بجس نبضك كما يقولون، هل تصلحين أن تكوني زوجة صالحة ومدبرة واعية أم أنك سترسبين في أول امتحان تدخلينه؟ كنت متفوقة في الدراسة فكوني أيضا متفوقة في الزواج وصمي أذنيك عن كلام الذين يحرضونك على زوجك وكوني له أمة يكن لك عبدًا.

"عمتك"



امرأة تتلون بألف وجه!

لا تعقدوا حواجبكم تعجبًا حين أقول إن هناك امرأة تشاطرني البيت لا أعرف لها وجهًا، ولا أميز لها شبهًا؛ ذلك أنها امرأة بألف وجه!! هل أصابكم الذعر؟! إذن ماذا أقول أنا التي ربما يصيبني الضغط والسكر من جراء احتكاكي بها.

إنها حماتي أو سلفتي كما يقول البعض، زوجي وزوجها أخوان نسكن بيتًا واحدًا، معها أشعر أنني أعيش مع ألف امرأة لا واحدة، لم استطع طوال تلك السنوات أن أسبر غرورها أو أغوص في أعماقها، تتقلب على كل شكل ولون تقابل هذه بوجه وتلك بآخر وأنا بثالث تعطي الكل ما يناسب حاله.

في رمضان كنا نجهز المعجنات للإفطار حدثتها عن استعداداتنا لزواج أخي في شهر شوال وأنه سيكون حفلاً عائلياً مختصرًا وأن أهل العروس يبدون رغبة في إحياء حفل كبير في إحدى صالات الأفراح وأن أبي أرضى جميع الأطراف، فالعرس مختصر وبعد أسبوعين سيقيم والدي حفلاً كبيرًا بعد عودة العروسين من السفر، أبدت لي تشجيعًا وأن تصرفنا نعم التصرف وهو دليل الحكمة، وبعد التراويح زارتنا أخت زوجي ومعها بناتها وسألنني عن العرس فحدثتهن خبره فأبدت كل واحدة رأيها وأجمعن على (والله ما لكم حق، هذا أول إخوانك المفروض تبكرون العرس لن تكونوا خاسرين على كل حال ومتكلفين وأنت ما رأيك يا سميرة)، وفجأة أبدت سميرة رأيها قائلة: (أنا والله قلت لها كذا وقلت إن الناس بتقطع جلودكم الآن البنات مكبرين عروسهم ويوم جاء الولد تجعلونه مختصر هذه عيبه في حقكم)!!! وألجمتني المفاجأة.

سميرة تكون حكيمة عاقلة حين تكون مع نساء عاقلات وتصبح أكثر الناس حمقاً حين تصاحب المغفلات الغافلات. عند آل فلان لا تلبس بناتها إلا اللباس السابغ الطويل لأنهم أناس صالحون إما سينكرون عليها أن ستنقص مكانتها عندهم، ولكن عند آل فلان تلبس بناتها البناطيل الضيقة الملتصقة بالجسم بل حتى فوق الركبة وبدون أكمام لأنهم أناس على قولها (ذوق ويهتمون بالموضة ويعرفونها جيداً).

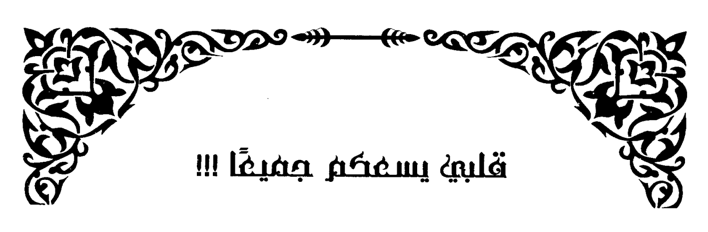
هذه العباءة للستر تلبسها عند أهلها (عباءة رأس طويلة وأكمامها سادة ليس فيها أي مخالفة) أما عند أعمامنا وأقاربنا فهي تلبس كل موديل جديد يظهر للعباءات المزركشة، الخفيفة، الفرنسية وغيرها فهي تجاريهم وتتبع هواها، وتريد في المقابل أن تسلم من عتاب إخوانها وإنكارهم عليها.

إنك لا تعرف لها وجهًا مهما حاولت التنقيب عنه، حين حضرنا زواج إحدى قريباتنا كان زواجًا باذخًا فيه طرب وموسيقى وإسراف في كل شيء، تحدثت النساء عنه كثيرًا وأبدين إعجابهن بالعروس وفستانها الذي صممته في الخارج وكذا منصة الفرح (الكوشة) وغيرها، فقالت: (هذا هو الزواج وإلا فلا، إذا جاء زواج عبير سأجعلكم تحكون فيه شهر، سأفعل مثلهم وأعظم) ولكن عندما صار الحديث مع جارتنا الشابة الملتزمة أم صالح والتي تربطها صداقة بأخت العروس قالت: (الله يهديهم جابوا لنا الإثم، والله ما تصدقين إني جالسة على أعصابي ضايق صدري أقول ليتني ماجيت، على الأقل — قلت لهم — ليتكم وزعتوا على الناس فتاوى أو أشرطة بدلا من الأموال اللي دفعت في أكل وشرب)!!! ما رأيكم؟!!! عند أهلها تحلف بالله أنها لا تذهب للملاهي (بيوت الشياطين) هكذا تسميها، أما عند أمثالها فهي تفتخر بعدد المرات التي ذهبت فيها وبمعرفتها بكل منتزه ترفيهي جديد أنها صبغت بناتها بهذه الصبغة، فعبير تقول لي ذات يوم (هذا التايور تنورته طويلة ألبسه عند أخوالي في العيد، وهذه البدلة الوردية ألبسها عند عماتي أكيد تعجبهم)!!!!

إنني أتساءل دائمًا: كيف لا تخجل من نفسها؟ ومني؟ ومن بناتها اللاتي يرينها مع الملتزمات تدعو لهن وتطلب المزيد من الفتاوى وتسألهن عن أدق الأمور التي تشكل عليها ثم تعطيهن ظهرها وتندمج مع نساء الفضائيات والمطربين والمسلسلات حتى أعماقها!!

لو كانت تصمت ولا تبدي رأيها لكان أهون أما أن تفعل شيئًا وتتحدث بشيء يخالفه فهذا هو الذي يصيبني بالغثيان إنها حقًا امرأة متعددة الوجوه حكمتها في الحياة جاري الناس تسلم منهم!!!

"أختك"



قلبي يسعكم جميعًا !!!

هي كلمة واحدة قلتها مرارًا وأكررها الآن (قلبي يسعكم جميعاً) لا تظني أن كثرة غضبك (وزعلك) ستجعلني أغير من طبائعي شيئًا، هؤلاء هم جذوري التي منها خرجت - بفضل الله - وأنتم الفروع التي هي امتداد لذكري.

هؤلاء أهلي برهم سبب خير لي ووصلهم قربى لي عند الله، ثم أني لم أنقصك من حقوقك شيئًا.

تعلمي معهم لا يسيء لك بحال من الأحوال، كل ردود أفعالك تلك منبعها (الغيرة) غيرة حريم فقط، فافعلي ما بدا لك لست في حاجة كل مرة لأبرر لك تصرفاتي، إنني أشعر أن هذا الرخاء وسعة الرزق التي نعيش فيها هي بفضل دعواتهم إن شاء الله. حين آخذ أبناء أخواتي معي في السيارة واشتري لهم بالونات وآيس كريم لماذا تغضبين؟ ألست أفعل نفس الشيء مع أبنائك؟ أنني أحب أن أدخل السرور في نفس هؤلاء الأطفال لتبقى في نفوسهم ذكريات حلوة عن خالهم.

وأيضا الكبار فدخولي على والدي بهدية تجلب دعاءهما وتبهج نفسيهما أحب غلي من نزهة خلوية مع أعز الناس. وثقي أنني مهما قدمت لهم فلن أوفيهما حقهما، فلا تستكثري ما أقدم حتى لو كان عيني.

ومنهجي في الحياة لن أحيد عنه، فحبي لخدمة أهلي هو سر سعادتي ورضاي وهو لا ينقص من حبك شيئًا فقلبي يسعكم جميعًا.

إن ثنائي على أختي وإعجابي بطريقتها في تربية أبنائها واهتمامها بزوجها وبيتها لا يعني أبدًا أنني (أدق عليك) كما تقولين، هو مجرد كلام وأنا لست امرأة حتى أسلك هذه الطرق. ثم أنني فقط افتخر بأختي، ألست تفخرين بأهلك دائمًا؟!!

وقضائي لبعض حاجات أخواتي - برضاي وقناعتي - كأن اشتري لها غرضًا أوصتني به أو يكون بيننا حديث هاتفي هامس وخاص كله لا يعني أنني أغيظك وأفعل ما يضايقك، كنت هكذا قبل أن أتزوج وسأظل هكذا بإذن الله.

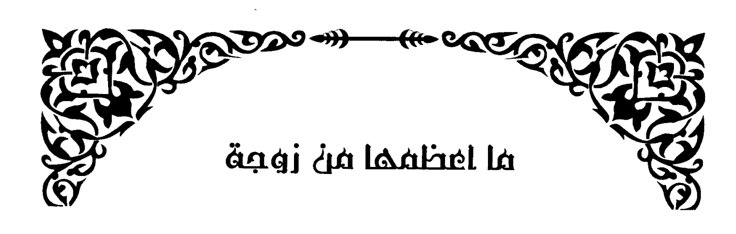
فلا تجعلي من نفسك خصمًا منافسًا لهم، فأنا أحبك وأكن لك كل الود، كما أني أحبهم وأودهم فلا تجعلي هذا يضايقك، ولا تلجئي نفسك للحديث عنهم بما لا يليق بك حتى تحصلي على غرض دنيوي عاجل، إنه من العيب أن تحاولي في حديثك أن تسيئي إليهم أو تشوهي صورتهم، وتذكري المواقف السلبية التي قد تصدر منهم ومن غيرهم.

هم ليسوا ملائكة، ولكنهم أيضاً ليسوا شياطين، هم بشر كبقية خلق الله يخطئون ويصدر منهم ما لا يرضي، ولكن هذا لا ينفي أبدًا أنهم أهلي الذين أحبهم وأتقرب إلى الله ببرهم والإحسان إليهم.

كنت أتمنى أن تدفعيني إلى خدمة أهلي خاصة والدي وأن تكوني عونًا لي في ذلك وأن تذكريني - إذا نسيت - أن أجلب لهم هدية وأتصل عليهم وأسأل عن حالهم وأتفقد حاجتهم، ولكن خيبت ظني، ومع ذلك فأنا أثني عليك أمامهم وأقدم الهدايا أحياناً باسمك واجعل الدافع والحافز على أفعالي تلك هو أنت. هم يحبونك ويثنون عليك خيرًا فماذا تريدين بعد؟!

هل تحبين أن يقولوا كان طيبًا فأفسدته، بارًا فعلمته العقوق، أم هل لديك استطاعة تحمل تلك الأوزار التي ستثقل كاهلي وكاهلك حين نعقهم ونقطع صلتنا بهم، ألا تريدين أن يبرك أبناؤك، إذن ساعديني على بر أهلي وصلتهم والله يوفقك ويحفظك.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من سره أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه»** رواه البخاري.



ما أعظمها من زوجة

الآن وبعد عناء هذه السنين لا يحق لي أن أختم بحثي وأنهي دراستي في أمريكا دون أن أشيد بالدور العظيم الذي قامت به زوجتي خلال هذه السنوات العجاف.

إنها كانت معي "على الحلوة والمرة"، تشاركني الهم وتقاسمني التعب، هنا في بلاد الغرب حياة صعبة ليس فيها مكان للترفيه أو للهو البريء كل دقيقة محسوبة من وقتنا إننا نستبق الزمن لننهي هذه الفترة في زمن قياسي.. ما أمر الغربة وأقساها!!

حين حزمنا حقائبنا قبل بضع سنوات ميمين نحو الغرب كانت "أم عبد العزيز" على وشك مناقشة رسالة الماجستير التي أرهقتها كثيرًا، كانت في انتظار تلك اللحظة التي ترى فيها نتاج بحثها المتواصل واعتكافها الطويل ولكنها ذهبت وتركت كل ذلك وراءها من أجلي وطلبًا لرضاي، لم تكن لتقدم شيئًا من أمور الدنيا على راحتي.

ولما وصلنا هنا إلى أمريكا أثبتت لي بحق أنها امرأة لا كالنساء، كانت تدفعني للبحث واستغلال الوقت والجدية في الحياة والعمل والدراسة، أدركت أن الحياة هنا غالية ومكلفة فكانت تقتصد قدر استطاعتها في المعيشة والنفقة، ويكفيها القليل، لم ترهقني بطلبات الأولاد، كانت تكتفي دائمًا بما عندها ، ومرة واحدة في الأسبوع أو الأسبوعين أحياناً نتصل بأهلها لتطمئن على والدتها كل هذا رحمة بي وإدراكًا لمسئولياتها كزوجة صالحة.

مهما قلت فلن أوفيها حقها، لقد عملت على عدة جبهات كانت معلمة لأولادنا حيث لا يوجد في مدينتنا مدرسة إسلامية، لم توفر لهم الكتب وتكتفي بقراءتهم لها، بل أخذت تشرح لهم وتوجههم وتنوع له في أساليب التدريس بكل ما نملك في بيتنا من وسائل

تعليمية من أجهزة الحاسب الآلي إلى الألعاب التعليمية إلى الطرق التطبيقية التقليدية، كما أنه جعلت لهم حلقة شبة يومية لتدريس وحفظ القرآن الكريم، ولقد أثمرت هذه الجهود امتيازات في سجل أبنائنا ولله الحمد والمنة.

وهي مع هذا العمل الدؤوب لا تخرج من بيتها إلا نادرًا ربما يمر الشهر وأكثر وهي قابعة في بيتها تشارك أبناءها العمل واللعب معًا، ترفه عنهم وتنسيهم هم الغربة وانشغال والدهم عنهم، تعمل دون كلل، وتبذل دون منٍّ أو أذى، لم تتذمر يومًا، ولم أسمع منها شكوى أعود على البيت في وقت متأخر نظرًا لظروف الدراسة والبحث فأجدها قد أخذت الأولاد إلى غرفتهم ليناموا ورتبت البيت وجهزت العشاء، تستقبلني ببشاشة كأنما أحضرت لها هدية أو جئتها ببشارة، وتتركني لأنام دون أن تحاسبني على شيء من تقصيري.

نعم اعترف أني مقصر في حقها وفي حق الأولاد، فهنا الكثير ممن يدرسون ويبحثون لكنه لا يضغطون أنفسهم مثلي، يرون أن لديهم متسع من الوقت أما أنا فكلي لهفة وشوق لألثم جبين والدي وأحضن تلك الأرض الطاهرة وأقبل ثراها وأفارق ديار الغربة القاسية.

إنها تخفف عني العناء وكان الأحرى أن أخفف عنها أنا، منذ قرابة السنتين لم نغادر إلى وطننا، لم تر أمها ولا إخوانها ولا صديقاها، لم تحضر أعيادهم ولم تشاركهم أفراحهم وأحزانهم. الأعياد هنا لها طعم ممض، مثقلة بالأسى، حتى يوم العيد كان لدي دراسة عدت إلى البيت لأمسح دموعها وأهون عليها البعد فوجدتها مع الأولاد في مرح وحبور يفجرون البالونات ويلقون النكات والطرائف ويعملون مسابقات ويكسبون الجوائز، إنها تخفي دموعها عنهم وتخبئ لوعتها حتى لا تكدر عليهم فرحتهم بالعيد، ومن يلومها حين تبكي لكن الصبر والثبات واحتساب الأجر ليس إلا.

بقي شيء واحد وهو أنه مع كل هذا الصبر والعلم والجهاد في تربية الأبناء لم تنس "أم عبد العزيز" أنها كانت في بلدها من خيرة الداعيات فهي هنا تشارك بعلمها ودعوتها في المؤتمرات الإسلامية والنشاطات الدعوية وتجلس للتدريس بين جاراتها وتقيم لهم

المحاضرات وتنسخ لهم الأشرطة وتقف معهم في الكرب وتفصل بين المتنازعات مبتغية الأجر من الله.

"أم عبد العزيز" كالغيث أينما حل نفع، جزاها الله عني خيرًا وأعانني على رد الجميل لها وإيفائها حقها. وقر عيني وعينها بصلاح أبنائنا زادها الله علمًا وعملا وبصيرة.

"زوجك"

ما كان العنف في شيء إلا شانه

(يا رب صلاح النية والذرية) دعاء كنت أردده في شبابي كثيرًا لكن لم أكن لأسعى إليه، أي أنني لم أبذل كثيرًا من الجهد في سبيل صلاح ذريتي، رزقت بأبناء وبنات كبروا وتزوجوا منهم الصالح ومن دون ذلك، كل منهم له طبائع جُبل عليها بترسيخها أو محوها.

صالح أحد هؤلاء الأبناء، نشأ بين بنات فهو أصغر من ثلاث وأكبر من اثنتين ولد هزيلا ضعيفًا فرحت به رحمته كيرًا ودللته أكثر، كان يمتطي ظهري، ويصعد على كتفي ويجلس في حضني، يتكئ على فخذي عند الغداء وعند العشاء ألقمه الطعام بفرح واسر حين أراه نائمًا على فراشي، كانت له رحمة خاصة فهو ليس الكبير وليس الصغير فالكبير في الغالب قريب من والده مستقل بشخصيته لديه ثقة كبيرة واعتداد برأيه وسرعان ما ينحي منحى الكبار، والصغير مدلل عند والدته وعند الجميع، أما صالح فهولا هذا ولا ذاك لذا زادت جرعة الحنان تلك حتى أضرته.

لم أكن لأسمح لاخوته بضربه أو رد كيده بل على العكس كنت أنهاهم عن ذلك وأحيانًا أضربهم وأجعله يضربهم هو أيضًا.

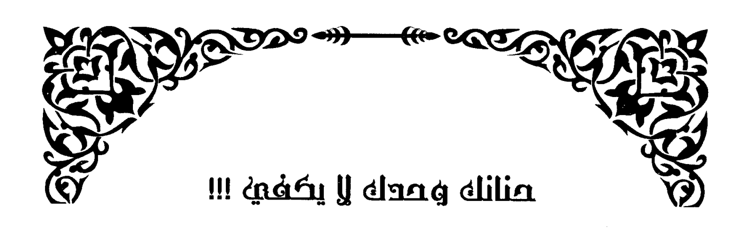
هذا الدلال الزائد من قبلي والنفور من أخوته أحاطه بشيء من التقوقع، بدأ يشعر بأنه غريب بين أسرته ليس مع الكبار ولا مع الصغار، والدته تحبه وترحمه لضعف حاله وأنا أحمل له في قلبي مشاعر خاصة، كل هذا ولد في قلب إخوانه كرهًا له فدخل مرحلة من الانطواء على الذات لا يكلم أحدًا في البيت ولا يكلمه أحد مما جعله بعد ذلك في فترة المراهقة يتمرد على كل شيء و"يتعفرت" في سن الخامسة عشرة ترك المدرسة عنادًا وصلفًا لا غباء ولا إهمالاً، بل كان من قبل من خيار التلاميذ ونجبائهم.

يخرج من البيت بعد الغداء في (عز الحر الشديد) ولا يعود إلا وقد خرج الناس من صلاة العشاء، رائحة الدخان تصبغ ملابسه، وسواد المعصية يلفح وجهه، أمه تبكي، وأخوه تعب من البحث عنه وأنا أكاد أجن، كيف لهذا الطفل المدلل أن يفعل كل هذا بي، طفح الكيل وبدأت أتخذ مسارًا آخر في التعامل معه فكأنما انقلبت محبته في قلبي إلى كره فصرت أضربه ضربًا مبرحًا موجعًا كانت آثاره تبقى في جسمه مما يجعل والدته تكمده وتضمده، أضربه حتى يغمي عليه ويلزم الفراش عدة أيام كنت — عفا الله عني — أضربه بأي شيء يقع في يدي (عصا، خرطوم، سوط، حبل، خشبة) (دوارنه في الشوارع في هذه الشموس وهو في هذه السن تجمد الدم في العروق) أعمى الشيطان بصري وطمس على قلبي وشل تفكيري فلم أحاول أبدا إيجاد حل آخر، ولم أجعل للصلح موضعا ولم أفكر في الأسباب المؤدية إلى هذا ولا العواقب الناتجة عنه، كنت أظن أن الضرب بهذا الشكل سيعيده للمدرسة، سيرد له عقله ورشده فإذا به ينشأ شرسًا غليظًا في طبعه حاقدًا على كل من حوله، علّمه الضرب الحقد والحسد وحب الانتقام والألم علّمه القسوة والفظاظة، صار يكره الجميع كأنه يرى فيهم ماضيه البائس، ومراهقته الصعبة العنيدة حيث الضرب الموجع والأخاديد السوداء والزرقاء في ساقيه وظهره.

أغلق بابه في وجه الجميع، تهمه نفسه فقط لا يأبه بما يدور حوله، لا يتفاعل مع قضايا إخوانه، ولا يلقي بالا لمشاكلهم، تؤلمه نجاحات الآخرين ويحقر إبداعاتهم بات أخوته يتضايقون منه، يتجنبون لقاءه والحديث معه لأنه يتسقط زلاتهم وينتقد آراءهم ويزدري عيشهم.

لقد شب جذعًا مائلا لا يمكن تقويمه إلا بكسره وكسره موته وفناؤه. اخوته يحملوني كامل المسئولية في اعوجاجه، حقا لقد سلكت مسلكًا خاطئًا في تربيته وتأديبه فلم يكن الضرب علاجا ناجحًا، بل إن العنف لا يولد إلا العنف فيارب إليك المشتكى اللهم أصلحه وأصلح ما بينه وبين اخوته.

"والدك"



حنانك وحدك لا يكفي !!!

حين انتهى العام الدراسي أسرع (معاذ) إلى غرفته يرتب أغراضه ويجمع كتبه، لم يكن لديه وقت لينتظر النتيجة ويأخذ (نجاحه) فهو في انتظار أمر أهم من هذا كله ملأ عليه قلبه وفكره.. إنه في لهف لرؤية أمه يريد أن يكحل عينيه برؤيتها ويرتمي في حضنها يستريح بعد عناء الاختبارات.

وحين سمع صوت المفاتيح تلتحم بالباب أسرع وكله شوق ليطلب من والده أن يفي بوعده ويأخذه إلى أمه فلقد أدى معاذ الاختبارات بامتياز لكن صعق بجواب والده (بعدين، انتظر حتى تطلع النتيجة، أنا وعدتك أخذك لأمك إذا كان مستواك ممتاز).

جاءني (معاذ) وهو يغص بعبرة كبيرة وعيناه ملأى بالدموع، مسكين يا ولدي أنك تولد لأب طلق أمك وأنت ما تزال جنينًا في رحمها وودعتها وأنت لم تتجاوز الرابعة من عمرك، أعلم أنك تتعذب كثيرًا لفراقها ولكن هذا قدر الله فسبحان الله والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه.

أنا أيضاً أتألم لألمك، ويرتفع الضغط عندي ويزيد السكر وحين يراني أبوك مريضة يقول (ماذا فيك أرجو ألا تكون زوجتي أغضبتك في شيء).

(زوجتك ما أغضبتني .. أنا غاضب منك، كيف يطاوعك قلبك تحرم ابنك من أمه، ما ذنب هذا الصغير، أنت تعذبه أكثر مما تعذبها، لا تجعل كرهك لها يعمي عيونك عن حاجة ولدك مهما كبر لحبها وحنانها، الأم لا يسد محلها أحد).

معاذ ولدك البكر، متفوق في دراسته، ذكي، يحبك ويحترمك ودائمًا يسعى لرضاك فلماذا لا ترضيه أنت أيضًا بزيارة - بين الحين والآخر - لأمه، يستمتع بدفئها ويقبل يديها وينام في حضنها وتحكي له الحكايات الجميلة.

إنه ينتظر المناسبات التي صار لا يذهب إليها إلا فيها، العيد والإجازات يقول لي:

"أحب العيد من أجل رؤية أمي فقط رمضان لا أحبه.. نذهب لمكة ولا أرى أمي"

"لكن في رمضان نذهب لمكة يا حبيبي"

"لكن أمي أحسن من مكة، مكة أرها في التلفزيون دائمًا وأمي لا أستطيع رؤيتها إلا قليلا" مسكين ذلك الصغير.

(معاذ) كبر الآن ويفهم ماذا تعني أمه، هل تظن يا ولدي أن الأيام ستمحو أثرها من قلبه، طبعًا لا تدري لأنك ما جربت فقد الأم، عشت في حضني طوال عمرك مدللاً مكرماً.

"شوف زياد يوم رديته مكسوف البال" جلس في ركن البيت يتذكرها ويتحرى ساعة لقائها.. دموعه الصغيرة تزلزل الجبال الصلبة وتدك القلوب القاسية.

هو يداري دمعاته عنك لا يحب أن تراها فيتكدر خاطرك، قلبه الصغير الغض يتحمل كل هذا الألم من أجل ألا يحدث ما هو أشد منه.

قلبك القاسي كيف يتحمل هذا البكاء المدفون في الأعماق، قل لي بالله ماذا جنت يداه؟ هل ذنبه أن أمه تزوجت وتركته.. هي أيضا محرومة وتبحث عن عفافها وسترها. هذه سنة الله، أم هل معاذ كان سببًا فيما حدث بينكما.. إنه كان في الظلمات لم يتخلق بعد، لثمانية أشهر بعد طلاقها وضعته.

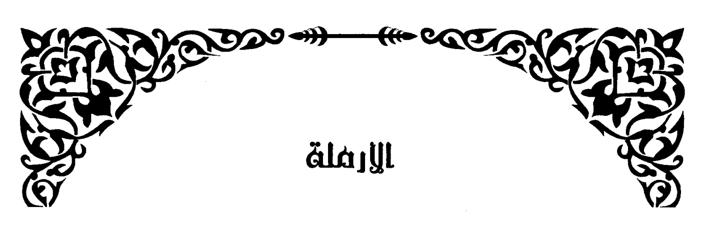
لا ياولدي.. لا تترك الماضي حاجزًا بين قلبين، قلب كبير يحتوي القلب الصغير ويضخ فيه دماء الحب الفطري الذي هو في أشد الحاجة له، إنه حب يسري في شرايينه وعروقه فيمده بالقوة التي تدفعه للتشبث بالحياة والنظر إليها بمنظار آخر، حب يدفعه

للنجاح بإذن الله لأنه يشعر بأنه مثل الآخرين... اسألني يا ولدي عن الأم... كنت في طفولتي لا أذكر من أمي إلا خيال امرأة ممددة في زاوية من زوايا البيت.. مريضة لم تقبلني يومًا ولم أسمع منها كلمة كل الذي أذكره منها عيناها التي ترقباني بألم .. ماتت أمي واجتمع النساء في بيتنا يبكين ويقبلني، لا أعرف شيئًا أمي اختفت يقولون أخذها الموت، وفي يوم العيد أخذت ثياب العيد التي كانت الثياب الوحيدة التي نعرفها طول العام ونرتديها حتى يأتي العيد القادم.. أخذتها إلى عمتي وقلت "سأعطي الموت ملابسي الجديدة وخليه يعطيني أمي"!! نعم أن ملابسي كانت أغلى ما أملك ولكنها لم تكن أغلى من أمي هذا في زمن مضى. فما بالك بولد ذكي مثل معاذ يدرك أن أمه موجودة وقريبة منه في مكان من هذه المدينة وفي بيت من بيوتها، ومع ذلك يُحرم من رؤيتها ويعاقب بفقدها. هل نسيت ماذا كان يقول وهو صغير "أمي أحلى من الشيكولاته والأيس كريم" هل ترى أن هذا الحب يتلاشى!! لا والله إنه يزداد رسوخًا وقوة.

إن حنانك وحده لا يكفي وحسن المعاملة من زوجتك أيضًا لا يكفي، والنائحة الثكلى ليست كالنائحة المستأجرة فاروي ظمأه لأمه واجعل له زيارة شهرية حتى يشب ولدًا مستقيمًا واجتماعيًا ومنتجًا.

والحمد لله وحده أولا وأخيرًا.

"والدتك"



الأرملة

لازلت أذكر ذلك اليوم جيدًا.. وكيف يُمحى من ذاكرتي وهو يوم التحول الكبير الذي طرأ على حياتي.. إنه يوم وفاة زوجي رحمه الله بالسكتة القلبية.. أذكره بكل تفاصيله ودقائقه وثوانيه الناس في هرج يدخلون ويخرجون بسرعة وأمي.. تبكي وهي تمسح شعري وتنفث على صدري وأنا في صدمة كأنني في رحلة خارج هذا العالم.. مرت أيام العزاء دون أن أستوعب ما حدث، كنت فقط أقبّل أبنائي وأحضنهم وأقول لهم "ادعوا لأبيكم".

وبالرغم من أن وفاة زوجي أحدثت شرخًا كبيرًا في حياتي إلا أن ما خلفه موته كان أشد علي من الموت ذاته، بل حتى من وقع الصدمة. لم أعد أنا وأبنائي كذلك، صرنا غرباء عن الناس بعيدين عنهم صارت حياتنا موحشة مقفرة، لم يطرق بابنا طارق منذ أن انتهى زمن الحزن!!! وهل زمن الحزن ينتهي؟! إنه باق في صدورنا موغل في أرواحنا.

أعمامنا "أهل زوجي" لم يعودوا يعرفوننا، لا يسألون عنا، تمر الشهور تلو الشهور لا أدى منهم أحدًا ولا أسمع هاتفًا من أحد. لم يعد أحد منهم يدعونا لولائمه ولا أعراسه وأفراحه، الألم يضغط على هذه المهجة التي بين جنبي ماذا أقول لأبنائي أنا التي تركت بيت أهلي وبقيت في بيت زوجي الذي بناه لنا بالقرب من إخوانه.. كان يحبهم ولا يريد البعد عنهم كان دائمًا يتمنى ألا نفترق.. يحثني على زرع محبة أعمامهم في قلوبهم.

ماذا أقول لهم وهم يرون هؤلاء الأعمام لا يأخذونهم لزياراتهم ولا يسألون عنهم إنهم لا يتفقدون حاجتهم.. عمهم القريب منا جدًا لم يأخذهم مرة واحدة للملاهي ولا حتى هو في طريقه ليشتري خبزًا وفولاً على الأقل يذكرهم بطيف والدهم الذي لن ينسوه أبدًا حين كانوا يتعلقون به كلما هم بالخروج.

في العيد الماضي أخذت أبنائي وذهبت بهم للسلام على أهلهم، دخلنا هذا البيت الذي طالما دخلناه في حياة زوجي رحمه الله.. صرنا كأننا غرباء..

احتفوا بنا كأي ضيف يفد إليك يوم العيد، جلست في صالة البيت وشعرت كأن الجدران والسقوف ترمقني بنظرة حنان.. ربما أنها تحن إلي.. أو تبحث عن "عبد الرحمن" رحمه الله.. إنها أكثر وفاء من البشر.

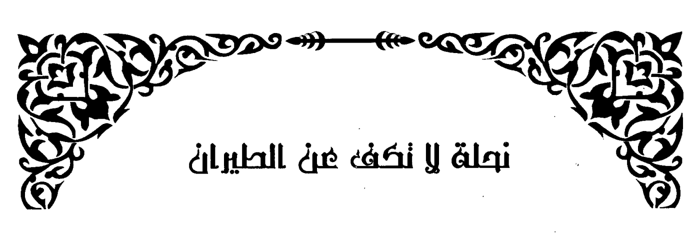
أبنائي لم يبتعدوا عني كثيرًا نفس الشعور الذي داخلني داخلهم .. "عمة العيال" قبلت ابني الصغير فنفر منها وحق له.. إذ لم يرها منذ فترة طويلة في الماضي.. كنا نجتمع كثيرًا.. كان هو الذي يسعى لاجتماعنا وينظم له أما الآن.. فمع تقادم العهد وطول البعد أصبحنا في عداد المنسيين، تلك الأحاسيس المرهفة والمشاعر الفياضة وعبارات التصبير والمعاونة التي أمطرونا بها في زمن الحزن نضبت وشحت حتى عن دعوتنا يوم العيد، لنشاركهم الفرحة. لماذا كلما مرت الأيام أبقت لنا الجفاء والبعد وسحبت في أذيالها ما ارتسم على شفاهنا من أهلة الفرح؟!

لماذا أنا التي أحاول التقرب إليهم؟! لأنني أريد أن يبقى لأبنائي حبال ود مع أهلهم وخيوط وصال تربطهم بأصلهم إنه أبناء آل "..." وليسوا أبناء أهلي. أنا لست في حاجة لأحد فالمال والعقار الذي أبقاه لي زوجي يكفينا عن حاجة الناس وسؤالهم، والسائق كفاني هم المواصلات ومشاوير المدرسة فلست في حاجة لأحد ولا استجدي أحدًا لكنني أحب فقط أن يشعر أبنائي بأنفاس والدهم تعطر البيت حين يأتي أحد أعمامهم يسأل عنهم ويتفقد حاجتهم ويحادثهم، إنني أبحث عن الحب الذي فقدوه.. عن الحضن الدافئ الذي يضمهم، والقلب الرحيم الذي يسع همومهم الصغيرة.. أريدهم لهم أهلاً وعشيرة.. ترى هل ذاب الوصل وانقطعت حبال الرحم؟

ألا تكفي قسوة الفقد تلهب قلوبنا؟... وسياط الوحدة تلسع أفئدتنا؟ فلماذا لا تزورونا، وتدعوننا لولائمكم.. إنني على ثقة تامة من أنني لو سعيت للزواج مرة ثانية

فسوف تهبون هبة مضرية لتنتزعوا أبناءكم من حضني وتحرموني من رؤيتهم فلماذا لا تقدرون تضحيتي لأجلهم وبقائي شمعة تذوب لتضيء دروبهم وتمنحهم الدفء وهي تحترق.. أرجو أن نعود أسرة واحد...

"زوجة أخيكم"



نحلة لا تكف عن الطيران

البر هذه الكلمة قليلة الحروف كبيرة المعاني عظيمة الأثر لا يحرمها إلا محروم بائس، ولا يمكن أن يعجز عنها أحد. هي ليست بالضرورة مالاً أو قطعة قماش أو هدايا وعطايا كما تظن ابنتي.. إنها أكبر من ذلك وأصغر أيضاً، وإلا لو كانت كذلك فلن يقدر عليها إلا الأغنياء والموسرون. البر يا ابنتي كلمة طيبة أسمعها منك، مكالمة هاتفية تصبحين بها على وجه بشوش، ومساعدة عند الحاجة ووقفة عند الكربة، كل هذا من البر وكل هذا هو أنت.

نعم يا ابنتي الغالية لا تظني أن عقدًا أهدتني إياه "سمية" أو عطرًا من "صفية" يفوقان في قيمتهما مكالمة منك في أحد الأيام الطويلة المملة.

أختاك موظفتان وليس لديهما ارتباطات مالية، السكن ملك، وما عليهم ديون وأنا أعلم بحالك، زوجك "على قده" ولست موظفة وما زلتما تجمعان حتى تؤمنا السكن، ومع هذا كله فو الله لم تقصري معي أبدًا.

ألست أنت التي تأتين قبل الولائم والمناسبات بيوم أو يومين تساعديني في ترتيب البيت وتجهيز مستلزمات العزومة، من الذي يطبخ الطعام، من يجهز معي الحلويات والكريمة، من يمد السفرة ويقف أمام الفرن لعمل الشاي والقهوة، إنها كلها مهمات صعبة ومتعبة تقومين بها بطيبة نفس وسماحة خاطر، وأختاك أشغلتهما الوظيفة إنه لا المرض ولا الحمل يعيقك عن مساعدتي والوقوف بجانبي أنت كالنحلة لا تكفين عن الطيران ولا تعرفين الراحة في سبيل راحتي وسعادتي.

أنت دائمًا معي تساعديني في شراء مستلزمات العيد من ملابس وأحذية وغيرها لإخوانك، تدخلين معي الشوق وتشيرين علي وتختارين معي بينما لا تستطيع أختاك فعل ذلك لانشغالهما بوظائفهما حتى عن قضاء حوائجهما.

أنت التي تمثلين إخوانك في تأدية الواجبات الاجتماعية، تذهبين معي وأحيانًا تذهبين بي لنزور الوالدات من قريباتنا وجيراننا ونسلم على الكبيرات من الجماعة، نعود المرضى، ونبارك لمن يعيشون مناسبات سعيدة.

أنه لا أحد غيرك استطاع أن يحل محلي حين أغيب عن البيت إما مراجعة لمستشفى أو حتى محجوزة فيه، ولن أنسى أنك كنت في البيت تراعين والدك واخوتك الصغار وأنا في مكة أؤدي فريضة الحج مع أخوتي.

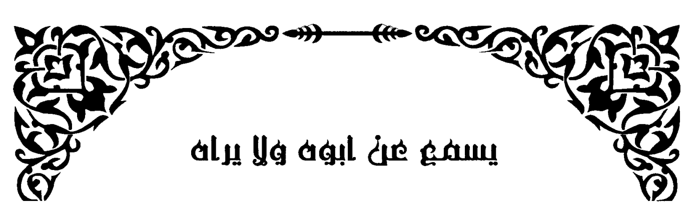
هل مازلت تشعرين بنقص وأنك أقل من أخواتك برًا بي؟!!!

إنك الوحيدة من بينهن التي تتصل بي كل يوم، في تمام الساعة الحادية عشرة، انتظر هاتفك تسألين عني وتحكين معي وتعرفينني بأحوالك.

وحين أهم بدعوة الجارات أجدك معي منذ ساعات الصبح الباكر تحضرين إذا أراد زوجك الذهاب لعمله، تساعدينني في عمل الفطور وتجهيز السفرة فدورية الجيران الصباحية شاقة فهي عبارة عن أطباق شعبية دسمة ومكلفة.

عزيزتي: إنني كلما أحتجتك وجدت بقربي، أبدًا لا أشعر بحرج حين أريد مساعدتك ووقفتك معي، ثقي أنني راضية عنك ودائمًا أدعو الله أن يحفظك ويساعدك ويخلي لك عيالك ويطعمك برهم ويسخر لك زوجك ويسعدكم. وأيضاً أختاك لا تقصران فهما يسدان النقص الحاصل منهما بهذه الهدايا والمساعدات المالية، وأنت تقومين بدور كبير لا يمكنني الاستغناء عنه كما أن ذهنك خال من هموم الوظيفة لذا فأنت محط سري وموضع استشارتي فاتركي عنك هذه الأوهام واعلمي أن البر هو هذا كله حفظك الله ووفقك.

واسلمي لأمك.



يسمع عن أبوه ولا يراه

حين يعتب علي البعض أن رضيت بهذه الوظيفة البسيطة فإنهم أولاً: لا يعرفون ما خفي وثانياً: شهدوا لي من حيث لا يعلمون بقدرتي على إخفاء حقيقة الوضع الذي أعيش فيه مع ابني الوحيد، وهذا بفضل الله عائد إلى أهلي (اللي ما قصروا في حقي وحق ولدي جزاهم الله خيرًا).

إن عشرات الكيلو مترات التي تفصل بين بيت أهلي وبين بيت زوجي - سابقًا - ووالد ابني قطعت العلاقة نهائيًا بين الابن وأبيه.

ولدي مسكين، لا يزوره والده ولا يسأل عنه ولا يعرفه ولم ينفق عليه منذ أن طلقني، وكان ابني رضيعًا في حجري، لم أر منه ريالاً واحدًا، كنت دائمًا أتمنى أن يتذكر ابنه ولو بشيء بسيط.

كسوة الشتاء والصيف، وكسوة العيدين، ولوازم كثيرة يحتاجها الطفل في مثل سنه، من أين لي بها؟ فمثلاً من أين لي بثمن علاجه، أحيانًا أضطر للذهاب إلى المستشفيات الأهلية لعدم وجود طبيب مختص في ذلك الوقت بالمستشفى الحكومي، لأن مواعيد العمل قد انتهت، فأحرج كثيرًا حين يقوم أبي بتسديد فاتورة العلاج والتي لا يخفى على أحد ما فيها من أرقام. أنني أبكي من أعماقي حين يحدث هذا، فوالد ابني (بخير وله أبناء يصرف عليهم بدلال ويرفههم) فلماذا لا يتذكرون أن لهم أخًا يحتاج إلى ما يحتاجون إليه.

ألست تأخذهم إلى السوق ليشتروا حاجتهم وزيادة، ألا تذهب بهم إلى البقالة ليتخيروا مالذ وطاب من أنواع الحلويات والشكولاته والعصائر؟ ألا يمرضون فتطير بهم على وجه السرعة إلى أمهر الأطباء بحثًا عن العلاج الشافي؟

إن ابنك هذا كباقي أولادك له ما لهم يحتاج إلى لباس ومأكل ومشرب وعلاج وترفيه وحب وحنان، إنه يشعر ويحس؛ ويغار حين يرى الأطفال في مثل سنه يتمتعون بصحبة والدهم إلى كل مكان وهو ليس له أب يضمه ويقبله ويأخذه بيده.

حين كان صغيرًا كنت اشتري له مما أوفره من مال يأتي له على شكل هدايا من بعض الأقارب وأقول (هذا اشتراه أبي) ، والآن كبر وما عدت أستطيع أن أكذب عليه، فأين هذا الأب الذي يسمع به ولا يراه، وكيف يشتري له وهو لم يره. كل أصدقائه يفتخرون بآبائهم حين يحضرون إلى المدرسة في مجلس الآباء يسألون عن أبنائهم- وهو الطالب المتفوق - لا يجد من يسأل عنه أو يشجعه، أو يعطيه هدية النجاح.

في رمضان يقص الأولاد فرحتهم حين يذهبون مع آبائهم إلى الأسواق ليقتنوا ملابس العيد (ثياب، أحذية، وغيرها وحتى حلوى العيد وهو العيد بالنسبة إليه كباقي الأيام، بل ربما هو يوم كئيب وذكرى مؤلمة، من يعطيه (العيدية) وأين أعمامه ليتعيد عندهم كباقي الأطفال؟ العيد هو يوم مثل أي يوم في السنة يجتمع فيه أحفاد أبي كلهم.

المدرسة مكلفة وتحتاج إلى أدوات مدرسية، ثياب كثيرة، ملابس رياضية، مصروف يومي وأغراض أخرى يطلبها الأساتذة أحيانًا، فمن أين له بكل هذا (بركة من أهلي إذا وفروا له الضروري).

أين والده؟ لماذا لا يهتم به؟ لماذا لا يتذكره حين يشتري لأبنائه متطلبات المدارس، أيشح عليه بالقليل من كل شيء يشتريه؟ أيرى أن حقيبته المدرسية غالية لهذه الدرجة؟

ها هم أبناؤه يرفلون في المدارس الأهلية وينعمون بسبل الرفاهية كلها وهو ارض وسعيد، فأين موقع ابنك في قلبك؟

إن أخوتي وأخواتي - جزاهم الله خيراً - لا يقصرون معي، إنهم يولونه اهتمامهم ورعايتهم منهم يأخذونه معهم إلى الحدائق، وأحيانًا يذهبون به إلى السوق ليشترى

حاجته، أو إلى المكتبة، إنه لن يضيع، فالله سبحانه معنا وهو الذي سيتولاه - ولكن أين والده؟

أليس له حق عليه لماذا لا يشعره بوجوده، بحبه؟ لماذا لا يزوره؟ لو أن تحت أطباق الثرى لهان الأمر قليلاً، أما أن يكون حيًا يرزق وله أبناء يشعر بمسئوليته تجاههم فهذا ما يغيظني ويفري كبدي.

ولكن، الحمد لله أنه ولد، وأنه وحيد، وإلا لو كان بنتًا لكانت المعاناة مضاعفة ولو كانوا أكثر من واحد لازدادت المشقة وكبر الحمل.

والآن سيزول العجب والعتب حين أرضى بوظيفة مثل هذه؟ أليس كذلك.

"أختكم"



الوهم القاتل!!

هذا الوهم الكبير الذي تعيشين فيه سيقتلك، الأيام تمر وتعقبها الشهور والسنون والناس يتمتعون بحايتهم ويرفلون في نعم الله، وأنت متقوقعة على نفسك منشغلة بهمك تذبلين كما تذبل الزهرة، الهم يرسم على وجهك أخاديد تزيد من تغضنه فيظهرك في عمر يفوق عمرك بسنوات.

السحر والنفس والعين والحسد هي شغلهم الشاغل وهي الخوف الذي صنعته بنفسك أنا لا أقول إنها - في حد ذاتها - أوهام إنني أؤمن بوجودها كلها تصديقًا لما جاء في ديننا الحنيف ولكني أيضاً أؤمن أكثر من هناك أسلحة فتاكة تقضي عليها وتحول بينها وبين أنفسنا حتى لا تخترق حياتنا ولا تنغص عيشتنا.

أليس هناك أوراد للصباح والمساء، وأوراد عند النوم وعند دخول المنزل والخروج منه وعند دخول الخلاء وعند الخروج منه، وعند الخوف، وعند لبس الثوب وغيرها وغيرها، أليس القرآن حصن حصينًا من الشيطان الرجيم؟! أليس هناك توكل على الله وحده.. أليس هناك التزام شرعي وانشغال في الطاعة يطرد هذه الوساوس؟ إذن لماذا هذا الوسواس؟! إنك دائمًا تتوهمين عندما يحدث لك أي شيء يضايقك حتى لو كان تافهًا أن بك نفسًا وعينًا من حاسد أو حاسدة، بت تخافين من كل من حولك من الخادمة والأقارب والجيران، يوم شعرت بشيء من الضيق لم تلجئي إلى كتاب الله، بل رحت تتهمين الخادمة وتتهمينها، وحين ارتفع السكر والضغط. معًا اتجهت أنظارك إلى (فلانة) التي كانت تشارككم الجلسة عند أم محمد (والله إن عيونها في أكلي). ألم تدركي أن الملح والمكسرات من ألد أعداء الضغط؟!

إن كل شيء في بيتك - يا أختي - معرض للحسد والسحر (الفرش والأثاث والأواني وأبناؤك وخادمتك وزوجك بل حتى حليك وأشياؤك الخاصة" لماذا؟ أعندك شيء يزيد عما عند الناس؟ ألهذه الدرجة حياتك مميزة؟ والله ما رأينا من هذا شيئًا.

ولكن الحل صار عندك أن تجحدي نعمة الله عليك وتنكري فضله وتظهرين حالاً سيئة أمام الناس ونسيت أن الله قال: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (الضحى: ١١) فزوجك تصفينه لأنه مقصر في حقك وحق بيته وأبنائه، وخادمتك لا تعرف كوعها من بوعها — مع أن النظافة تشع في أرجاء البيت، وأبناؤك لا يسمعون كلامك وهمهم حريمهم وعيالهم و... و...

هل هذا هو كل الحل؟ لا. فلقد تفننت — أختي - هداها الله - في هذا المجال بحال لم يسبقها إليها أحد، إن كل من يدخل بيتها لابد أن تتعقب أثره وتحتفظ بجزء منه في الثلاجة لحين الحاجة، لقد امتلأت القوارير بالماء المغسول فيه نوى التمر وقشر البطيخ والمكسرات تشرب وتسقي أبناءها وبناتها، إنها - مع الأسف - تقدم الفأل السيئ وتعتقد في الناس الظن السيئ.

إنني - وأنا أختها - بت أكره الذهاب إليها في بيتها أو الإطراء على شيء يخصها أو حتى الحديث مع أحد أبنائها. فمنذ مدة لم تمتلئ عيني من النظر إليهم خشية أن تقول حسدتهم وعانتهم. وعندما أدخل بيتها في مناسبة من المناسبات الكبيرة الضرورية فإنني لا أرع عيني في شيء من أثاث البيت ولا متاعه ولا لباسهم لأنني أعرف المصير؟

وعند أختي ليس هناك فرق بين من يذكر الله ومن لا يذكر الله سواء رفعت بها صوتك أم لا: فأنت معرض للشك ومكان جلوسك عرضة للمسح.

لقد صارت حياتك - يا أختي - نكدًا وهمًا، لا تبحثين أبدًا عن الأسباب وراء الأحداث وإنما تعلقين كل شيء على مشجب الحسد والنفس والسحر. ابنك إسامة رسب هذا العام بسبب النفس (هذه عين فلان - حسبي الله عليه - عياله كل سنة يرسبون وإسامة

ولدي كل سنة ينجح) لم تفكري في أن رسوبه أمر طبيعي - فهو في الصف الثاني الثانوي - ومعه سيارة فكيف يلتفت إلى دروسه؟

وسناء ذات السنوات الخمس معلقة بالخادمة تلاحقها أين ذهبت ولا تريد طعاماً إلا من يديها (أكيد الخادمة تعمل لها عمل وساحرتها. لكن كيف نفك السحر) سبحان الله!! ألست تذهبين إلى المناسبات والولائم وتتركينها عندها. وحتى إذا ذهبت بها أخذت الخادمة لتلاحظها عند الناس وتهتم بها فكفي عن هذا الهراء أصلحك الله.

إن هذه الأوهام والوسواس والأفكار السوداء انسحبت على كل شيء في حياتك حتى تحليلك لمصائب الناس وهمومهم، فهذا لم يوفق في زواجه إذن هو محسود وتلك زوجها يضربها وينكد عيشتها مسكينة (معمول لها سحر) وثالث صدمته سيارة وتسبب هذا الحادث الأليم في شلل رباعي - عافاه الله - (أكيد إن أحد حاسده وإلا السيارة ما تفعل كل هذا).. وقس على ذلك الكثير.

لقد صرت - يا أختي - موسوسة من الدرجة الأولى، عرفتك ملأى من القوارير المقروءة فيها والأخرى العكرة من فضلات أكل الناس وأماكنهم، وقلبك خال من ذكر الله ومن القرآن، وبيتك مليء بالمنكرات وصوت الموسيقى يصدح في جنباته، بناتك يجتمعن ويرقصن على أنغام التسجيل وأبناؤك فيهم الذي لا يصلي إلا قليلاً والذي يعرض، ومن منا يملك قلوب الناس فيهديهم ولكن ذكر الله والاستغفار وقراءة القرآن والتوبة والعودة إلى الله بصدق وعزيمة وإيمان والانشغال بأمور الطاعة كلها بإذن الله كفيلة بحفظ المرء مهما كان الوسط الذي يعيش فيه فأجعلي هذا هو منهج وطريقك وحفظك الله من كل مكروه.

"أختك"

عن عبد الله بن خبيب رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: **«أقرأ: قل هو الله أحد، والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء»**.

رواه أبو داود والترمذي.

عقوق من نوع خاص

في زمن مضى كنت أتأمل أبنائي وهم صغار وأرقب ذلك اليوم الذي يدخلون علي فيه ومعهم أزواجهم وذرياتهم وأنا أضم هؤلاء الصغار وألثمهم وهم يتدافعون نحوي صائحين (جدي جدتي) ولم يكن يدور بخلدي حينذاك أني سأفاجأ بعقوق من نوع خاص هو عقوق الأحفاد.

ابني محمد هو الوحيد من أبنائي الذي عاش معنا بعد زواجه بضع سنين فوالده كبير وأخواته مازلن صغارًا، وكان في بيتنا كما في كل البيوت، مشاكل وخلافات في الرأي وأخذ ورد بين البنات وزوجة أخيهم - هداهن الله - وكنت أنا الطرف المصلح دائمًا، أنهر البنات أحيانًا وأحملها اللوم في أحيان أخرى، ففارق السن بينهن يجعلها تترفع عن مثل هذه السخافات ولكن عقول النساء صغيرة.

ومرت السنين وتزوج البنات (وكل راح في حال سبيله) واستقل ابني في منزل مستقل ليس بسبب المشكلات ولكن لكثرة الأبناء، فقد ضاق بهم المكان ولم تضق بهم القلوب وذرفت الدموع على فراقهم ودعوت لزوجة ابني بالتوفيق والأجر على صبرها وتحملها وسألتها أن تستر ما واجهت فقالت: ما واجهت إلا الخير.

ولكن يبدو أن تلك السنين قد حفرت في قلبها وعقلها أخاديد لا يمكن أن تندرس هي لا تحب أن تظهرها لتبقي على العلاقة سليمة، لذا فقد انطبعت صورها في عقول الصغار من بناتها وأبنائها فنشأ أحفادي كارهين، ساخطين علي، فهي في قرارة نفسها تحملني مسئولية تصرفات البنات وتشعر أنني كنت أحركهن من خلف الستار كما يقولون، فحمل أبناؤها نفس الصورة وذات الفكرة.

فهي مثلا تبدي استعدادها لمشاركتنا في زيارة قريبة أو الخروج على أحد المنتزهات ولأن بيتها أقرب البيوت لي فطبيعي أن أرافقها وأن تمر علي، ويحل الموعد ولا يأتي أحد انتظر عند الهاتف لربما أخبرتني أنها في الطريق، وأخرج عند الباب حتى أسمع منبه السيارة ولا يحصل شيء من هذا، وفي الغد قلبي يؤرقني اتصل اطمئن عليهم أخشى أن يكون أصابهم مكروه وترد علي صفية ذات الأحد عشر ربيعًا تقول: (من قال إننا سنمر عليك خلي بناتك ينفعونك) هل تظنون أني سأصدم لهذا الرد، لقد اعتدت عليه، فكم من مرة يغلقون السماعة في وجهي بشدة، وكم مرة قالوا: (ما عند إلا هذا الولد)، (وأف من هذه العجوز). وهن -أي الصغيرات- لا يحترمن عماتهن ولا أبنائهن على الرغم من أن البنات - والله - نسين كل تلك الخلافات والمناوشات القديمة فهي غيرة بنات على كل حال وطيش شباب.

ولكن ما ذنبي حتى أحتمل كل هذا؟!

حين نجتمع في الدوريات الشهرية واحتاج إلى أي خدمة مثلا كأس ماء — علبة مناديل أو حتى تقريب السجادة للصلاة ولا أجحد إلا أبناء محمد استحي أن أطلبهم فالرد معروف (أين خادمتك لتأمريها) (تعالوا شوفوا جدتكم ماذا تريد) وكلمة (جدتكم) هذه تغيظني فكأنني لست جدتهم أيضًا.

إن زوجة محمد زرعت في نفوس أبنائها بذور الشك في محبة جدتهم وعماتهم وسقتها حتى ترعرعت وازدهرت وصارت يقينًا. هذا ما أشعر به؛ شيء من الكره والحقد في نفوس هؤلاء البراعم، نظرات الريبة والحذر في عيونهم وسلاطة ألسنتهم كلها تصدق توقعاتي حتى وإن أبدت أمهم شيئًا من الامتعاض المصطنع إزاء بذاءتهم أحياناً أو بعض السخرية المغلقة تجاه تعليقاتهم، فهذا لا يخفي أبدًا دورها القوي في توجيه بناتها. وخير دليل على تخرصاتي هو علاقتهم الطبيعية بأبناء أعمامهم وأعمامهم أيضاً فعندما ولدت زوجة محمد بنتًا قبل فترة وكنا عندها في البيت لزيارتها طرحت الأسماء المقترحة (سمية- هند - ..)

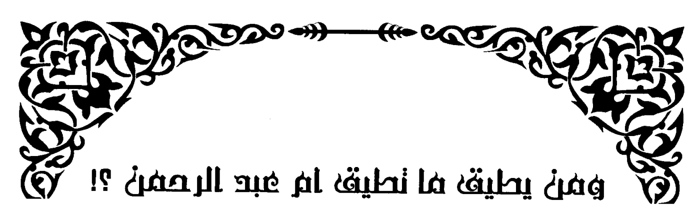
والكل يدلي بدلوه وحينما سئلت عن رأيي قلت بصراحة : (أنا لا تعجبني الأسماء الجديد وأحب أن تسمونها سارة) قفزت في وجهي بنت محمد الكبرى والتي تليها معترضتين على الاسم، يستهزئن به، ويحقرون رأي (قدميه.. أنت موضة قديمة) (لا نريد أراء العجائز) (طلع من فمك غبار)!!!

هل حقًا الاسم إلى هذه الدرجة من القبح؟! ثم ما رأيهم في الاسم الذي اقترحته زوجة عمهم (ابني خالد) لماذا لم يعترضن عليه ولم يستهوئن به مع أنه حقًا صار قديمًا. كل هذا حدث في وجود والدتهم لو كان ذلك خارج عن إرادتها على الأقل نهرتهن أو أخرجتهن من المجلس أو أسمعتني كلمة فيها رائحة الاعتذار. لقد اكتفت بتلك الابتسامة الماكرة التي يظن البعض أنها ابتسامة الغضب بينما هي في الحقيقة ابتسامة الرضا والاطمئنان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

تذكري يا مسكينة أن تربيتك هذه سجني ثمارها في القريب العاجل بعد أن يتزوجن بناتك وتتغير طريقة حياتهم وأول من سيتجرع تربيتهن هو أنت وكما قيل "كما تدين تدان" فمهما كانت طبيعة الحياة سينقلب السحر على الساحر يوماً ما وسيذوق ما سقاه للآخرين من سوء التربية والتحريض والكره والتعالي والمكر والكيد

أسأل الله أن يعيدك إلى رشدك وأن تدركي ما فاتك

"أختك"



ومن يطيق ما تطيق أم عبد الرحمن ؟!

لو كان لي دعوة مستجابة لصرفتها لزوجة أخي، ولكنني أدعو لها في ظهر الغيب دائمًا أن يوفقها الله ويذيقها بر أبنائها، فهي منذ دخلت بيتنا لم نر منها إلا الابتسامة العذبة والكلمة الطيبة وخفة النفس، كالفراشة تدور في أرجاء البيت تعطره بأنفاسها، تضفي على حياتنا طعمًا خاصًا، أغبطها حين أسمع عبارات الثناء من والدي، وأرى أكف الضراعة تبتهل إلى الله أن يحفظها ويحفظ لها شبابها وأن يسعدها ويوفقها، وحين تزوجت تمنيت لو أن لزوجي أما حتى أعاملها كما تعامل زوجة أخي أمي، ولكن من يطيق ما تطيق أم عبد الرحمن، إن الأجسام تتعب في مراد النفوس الكبيرة.

نحن خمس بنات وثلاثة أبناء كلهم متزوجون ولديهم أولاد، نجتمع في بيت والدي كل أسبوع فتستقبلنا ببشاشة ورحابة صدر وتحتفي بنا كأنها لم ترنا منذ مدة، تشعرنا أن الأرض إذا ضاقت بناء وسعنا قلبها، لا تتطايق من شقاوة الصغار ولا تبدي تجهما من طلبات الكبار.

كل أسبوع تتفنن - وهي الطاهية الماهرة - في تجهيز الوجبات وتبحث عن رغبات الصغار قبل الكبار، ولا تنسى مرضي السكر: والدتي وأختي الكبيرة، فتجعل لهم صنفًا خاصا.

الأطفال إذا اجتمعوا يعبثون ويكثر صراخهم فتتضايق أمي فتطمئنها بكلمات بسيطة (هم زينة الدنيا لو ما يلعبون قلنا أكيد تعبانين، خليهم على راحتهم متى يشوفون بعض إلا هذا اليوم). بعد وفاة والدي رحمه الله صارت ملازمة لأمي لا تتركها أبدًا، يسافر أخي في بعض أعماله يمكث قرابة الشهر أو يزيد فلا تغير من عاداتها شيئا تزور أهلها يوماً في

الأسبوع كما كانت قبل — مع أنه بإمكانها وقد ترك لها أخي الخيار أن تذهب عندهم للراحة — وتبقى يوم الخميس تستقبلنا وتعد لنا المائدة العامرة وتخدمنا بعيونها ومعسول كلامها.

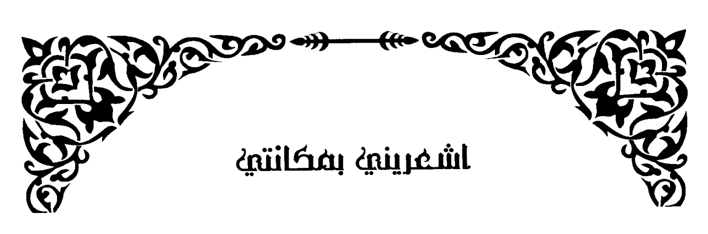
وتمر الأيام والشهور والسنوات وتكبر والدتي ويهدها مرض السكر فيصرعها مرات عديدة، وتزيد وفاة والدي من شدته فتتدهور صحتها وتلازم السرير في المستشفى شهرًا وتبقى عندها زوجة أخي ترعاها وتحفها بعنايتها — بعد الله سبحانه — تركت بيتها وزوجها وأبناءها ودراستهم وتفرغت للاهتمام بأمي، فالوظائف لم تدع لأحد منا فرصة المشاركة وربما أن البعض الآخر لا يرغب في ذلك، فأسوأ شيء أن تلازم مريضاً في المستشفى في غرفة ليس فيها فراش أو مكان معد للنوم سوى سرير المريض.

وتزداد حالة والدتي سوءًا - فرج الله كربها - فتفقد الوعي أحياناً وتنسى نفسها وترد إلى أرذل العمر وتعجز عن التحكم بعملية الإخراج - أعزكم الله - فتوليها أم عبد الرحمن كل عنايتها وتقوم غير متأففة ولا متبرمة بتنظيفها بنفسها محتسبة الأجر من الله سبحانه، ثم تطعمها بنفسها أيضا تاركة طعامها ليبرد، وربما اتسخت ملابس أمي فلا يهنأ لها بال حتى تقوم بتبديل ملابسها وتهيئتها للزوار. واستمر الحال هكذا حتى استقرت حالة والدتي وخرجت من المستشفى ولكنها صارت مقعدة طريحة الفراش، فصارت لها ممرضة وخادمة تعطيها العلاج في وقته وتقوم بالاهتمام بنظافتها وتحميها وحتى بعد أن جلب أخي لأمي خادمة وممرضة فلقد كانت ترفض - جزاها الله خيراً- أن يقوم أحد بتنظيفها غيرها، خرجت أمي وكثر الزوار الجيران، الأقارب، المعارف، فلم تتضايق ولم تبد تذمرًا وكانت تطبع البيت بطابع الرضا والاطمئنان بأقدار الله سبحانه.

لقد انقلبت حياتهم رأسًا على عقب بعد مرض والدتي، ولم يتغير حالهم، فالابتسامة لا تفارق محياها وبناتها يشاكلنها في فن الخدمة واللياقة والإحسان إلى الناس، ولقد رفضت أن تلغي الاجتماع الأسبوعي فهو رباط جميل يجمعنا فيه ذكرى والدي رحمه

الله، الزيارات والأفراح والدعوات - حتى ما يخص أهلها - لم تعد يهمها، فلقد تركته غير آسفة على شيء، فمهما كان رعاية هذه العجوز المسنة الضعيفة وسبحان الله مع أن والدتي تفقد وعيها كثيرًا إلا أنها لم ينقطع لسانها عن شيئين: ذكر الله والدعاء لأم عبد الرحمن. فهنيئًا لها. بقي أن أقول شيئًا أخيرًا فأخي هذا ليس أكبر أخوتي ولا أصغرهم، والبيت الذي تجتمع فيه هو بيته ولكننا اعتدنا تسميته بيت والدي. بعد هذا ألست محقة حين قلت من يطيق ما تطيق أم عبد الرحمن؟!

"أخت زوجك"



أحييكم وادعوا الله لكل عجوز (أنه يخلي لها شبابها وبيتها) الحاجة للناس مذلة حتى لو كان ولدك. مات أبو الأولاد من ست سنوات - رحمه الله - ولأني صرت وحيدة في ذلك البيت وليس لي إلا ولدان فقد رفضا بقائي في بيتي وصرت كل فترة أمكث عند واحد منهما، ولأن خالداً أيسر حالاً من صالح وأوسع بيتًا وعنده خادمة فمكثي عنده أطول.

خالد زوجته مدرسة؛ ربما هي لا تفرح بوجودي عندها ولكنها تحب ذلك من باب (رب ضارة نافعة) فهي تستغل ذلك لصالحها، فأنا عند الأولاد في الصباح وأراقب الخادمة وأشرف على عملها كما أن الأبناء يتعلقون بي أكثر وهذا بالنسبة لمدرسة أمر مريح جدًا، ثم إني لست عجوزًا بدرجة كافية فمازالت في بقية من نشاط أكفي نفسي وأقوم بها، وأحيانا في ظهيرة الشتاء الباردة أجهز الغداء طبعًا من الأكلات الشعبية (اللي تحبها قلوبهم).

في الظهر نجتمع على وجبة الغداء وبعد العصر ينامون وبعد المغرب أو العشاء تخرج منال زوجة ابني في زيارات ونزهات (تقول إنها ذاهبة للمكتبة لغرض ضروري، أصبح فيه مكتبة من بعد صلاة العشاء ثم تعود بعد فترة، وأخرتها قلم ناشف أو دفتر وأحياناً تقول إنها ذاهبة للمستوصف ولا شفت معها علاج ونادرًا ما تقول إنها ذاهبة للسوق) مع أن الصغار ينامون وأنا معهم قبل أني عودا، وطبيعي ألا أنام حتى أطمئن على عودتهما ولكن لا أحب أن تجدني في الصالة في انتظارهما حتى لا تظن الظنون.

أنا على علم إلى أين تذهب، وأحيانًا خالد يخبرني عن طيبة قلب يظن أنها قالت لي أحيانًا الأولاد يسمعونها تقول لوالدهم عن وجهتها فيخبروني، فلماذا تخفي علي الأمر هل تعتقد أني سأرافقهما إلى المطعم مثلا أو أنني أرغب في السوق بعد صلاة العشاء أم أنني لا

أعرف الأصول وسوف أذهب معهما إذا خرجا مع أصدقائهما في نزهة خلوية. كل هذا لا يحدث وهي تعرف ذلك جيداً، ولكن الذي أتمناه أن أعرف وجهتهما أو حتى موعد مجيئهما حتى لا أظل قلقة (وعلى أعصابي) وهما في أوج سعادتهما يتفكهان في أحد المطاعم أو على أحد (الشواطئ الرملية) مع أصدقائهما وكاسات الشاي والدجاج المشوي.

مادمت تخرجين وأنت مطمئنة على أبنائك فلماذا لا تشعرين بي وتدعيني أطمئن على أبنائي أيضًا؟ لو لم أكن عندك لم استطعت فعل ذلك، بل أنك حقاً (تحبسين في البيت) كما تقولين إذا كنت عند عبد العزيز وأطلت المكث عنده وتتصلين ترجين عودتي ومجيئي.

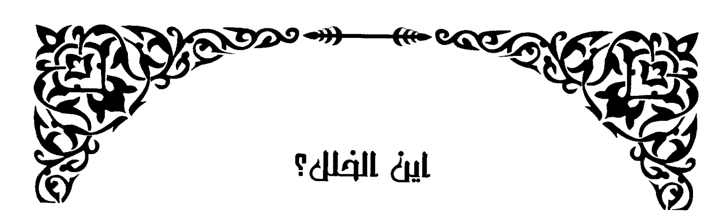
ها أنت تتركين أبناءك متعبين (حرارة وكحة والتهاب) وتذهبين إلى مناسبة دعيت إليها سواء في أيام العمل أو آخر الأسبوع دون أدنى تردد (مادام خالتي عندنا والشغالة موجودة فرصة لماذا لا أذهب، إذا راحت لعبد العزيز بعد كم يوم أنحبست في البيت) تخرجين غير عابئة بحال الأولاد، الخادمة غارقة في عمل البيت والطفل تحت يدي أرقبه أسأل الله له اللطف والرحمة، إن الاعتماد علي في كل الأمور انسحب حتى على الخادمة فهي حتى لم تكلف نفسها السؤال عنه أو تقريب الدواء له.

إذا أراد خالد دعوة أصدقائه إلى الغداء أو العشاء ألحت عليه أن تكون وسط الأسبوع وهذا جيد حيث إني آخر الأسبوع أكون في زيارة لابنتي وهي تذهب إلى أهلها ولكنها ترفض أن تكون الدعوة على العشاء متحججة (إن العشاء وقت سهر وغداً عمل) وخالتي ستظل سهرانة تنتظر مجيئك (أجعلها غداء والذبيحة عند الطباخ، وخذوا إحدى الاستراحات أحسن من جو البيت) ومعنى هذا أن أقوم أنا بما أنها في المدرسة — بعمل أقراص المعجنات والفطائر وإذا عاد محمد من العمل أخذها جاهزة والباقي نتغدى عليه، نأكل اللقمة وكل واحد يروح لحال سبيله هي تنام وأنا أجلس في غرفتي أحادث نفسي والجدران.

ما دورها في البيت؟ لا الأطفال ترعاهم ولا البيت تهتم به ولا المطبخ تدخله فماذا تفعل؟ إنها حتى مع جهودي هذه كلها لا تقر لي بفضل، بل ترى أن هذا واجب علي فلم تمد لي يد ولم تكرمني بشيئ وتظن في قرارة نفسها أن هذا ثمن جلوسي عندهم فهم قد فتحوا بيتهم لي فيجب أن أرضى بعيشتي والحمد لله على كل حال.

إن هدية بسيطة أو مبلغًا من المال تضعينه في يدي لن يزيدني شيئًا، ولن يدخل معي القبر، كما أنني لا ينقصني شيء حتى أطلبه ولكن ها أنت لا ينقصك شيء والمال في يدك تتصرفين فيه كيف تشائين ومع ذلك حين تأتيك قطعة قماش أو سجادة أو خاتم ذهبي هدية من إحدى أخواتك أو صديقاتك تفرحين بها وتريني إياها كما لو كنت طفلة أعطيت (عيدية) فهلا أفرحت قلبي وأشعرتني بمكانتي وفقك الله ورعاك.

"أم زوجك"



أين الخلل؟

عشرون عامًا مضت من عمري أبحث فيها عن الخلل في حياتي، كنت أظن أن كل الذين مثلي لا بد وأنهم يعيشون مثل عيشتي، إلى أن دخلت الجامعة بعد صراع ومكابدة، قابلتها وتعرفت عليها، هادئة، رزينة، لها منطق حلو، ثقتها في نفسها كبيرة، ليست مغررة ولا مسلوبة الإرادة، تعبر عن رأيها بكل صراحة وحرية، تتقبل النقد بصدر رحب، لها وجه طليق، خفيفة الظل، مرحة لا تخرج في مرحها عن الذوق والأدب، محبوبة طيبة المعشر وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، منذ رأيتها وخالطتها أدركت أن وراءها أما عظيمة وبيتًا كبيرًا، ذلك أن صديقتي تلك كانت كفيفة منذ ولادتها أي أنها لم تر النور مطلقًا في حياتها، عاشت في ظلمة ولكنها ظلمة المكان، أما القلب والروح فمبصران، عناية أهلها بها — بعد الله — انتشلتها من الظلمة وغمستها في أجواء مضيئة نيرة فصارة خيرًا من كثير من المبصرات، معرفتي بها زادت من يقيني بوجود خلل في طريق حياتي.

ما افتقده أنا رضعته مع حليب أمها منذ الصغر، الثقة بالنفس، وقوة الإرادة، مع العلم أن إعاقتي لا تقارن مطلقًا بإعاقتها، فالبصر لا يوازيه شيء من نعم الله سبحانه، أما أنا فهما فقط عكازان أحملهما بل يحملان جسدي حيث عجزت رجلاي عن حمله بسبب الشلل.

عشت معقدة، محرومة من كثير من متع الحياة المباحة، أواجه صراعًا مريرًا مع نفسي عند كل أمر حتى لو كان تافهًا، أدفع نفسي بكل قوة نحو النجاح والاستمرار في الحياة، تخذلني نفسي مرات عديدة، تقتلها نظرات الناس، بل حتى الأهل فصاحبتها مريضة،

عاجزة عن فعل شيء أو تقديم نفع لها فضلاً عن غيرها، أنا عالة على أهلي، عذاب لأمي، موتي راحة للجميع.

أثرت نفسي العزلة والانقطاع عن العالم بكل ما فيه، وأحببت الوحدة فكنت أجاهدها وأصارعها، لانتشالها من الوحشة لانتصر مرة وتنتصر مرة، حتى وصلت بها إلى أسوار الجامعة، فكانت معرفتي بتلك الصديقة بداية لإعادة النظر في مسيرتي كلها بحثًا عن الخطأ.

أمي من شدة حبها لي ومن رحمتها بي جعلتني على هامش الحياة ليس لي دور أؤديه في البيت لا أكنس، لا أغسل، لا أطبخ، ولا أعمل شيئا فقط أنام وأكل وكأن إعاقتي في بدني وفي عقلي، كم كنت أغار حين أرى أخواتي يطفن أرجاء البيت كالفراش يعملن وينجزن ويبدعن وأنا صفر، بل ربما أقل من ذلك، فالصفر كان اكتشافًا كبيرًا في عالم الرياضيات.

أذكر حينما كنت صغيرة أن والدي كان يرفض أن ألعب مع الأطفال مثلي ويحث أمي على الاهتمام بهذه الناحية، فربما يضربني أحدهم أو يطأ رجلي فيضرني، فكنت فقط أتفرج وقلبي يقفز في مكانه مع كل طفل، أريد أن أبدد هذا النشاط الذي يملأ جوانحي.

الزيارات والخروج من البيت ممنوع، فكانت أخواتي يتعاقبن الجلوس عندي، كل مرة ترافقني واحدة، وعندما دخلت المدرسة كانت أمي تلازمني حتى نهاية اليوم الدراسي حتى لا تؤذيني التلميذات كانت تحمل حقيبتي وتقدم لي الفطور، وتعزلني عن بقية البنات، الأمر أتعب والدتي كثيراً، كنت حقًا صغيرة لكن قلبي كبير، أدركت ذلك من عينيها ووجهها وهذا ما يزيد من ألمي، وظلت أمي على هذه الحالة حتى تكفلت أحدى المستخدمات بي وصارت تعتني بي، إن حمل الحقيبة على الظهر وتناول الإفطار باليد أمر سهل جدًا ولكن حرص والدي على ذلك جعلني كثيرة الاعتماد على غيري عاجزة عن الاعتماد على نفسي.

إن نظرات الرحمة والشفقة وعبارات العزاء والمواساة هي فقط ما أراه وأسمعه ممن حولي، وكأنني قطعة لحم جامدة لا أشعر ولا أحس ولا أتألم، وهذه النظرات والعبارات تترجمها كلمة واحدة هي أني عاجزة. فحتى ثيابي وغرفتي وكتبي لا يمكنني ترتيبها فوالدي حفظه الله جلب لنا خادمة لتقوم بهذه المهمة بعد زواج أخواتي الكبيرات.

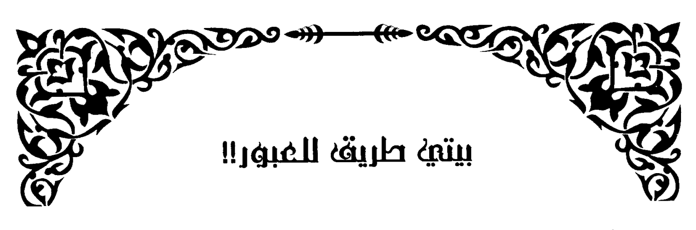
في قاموس حياتي كلمات مقفرة وعبارات موحشة كادت تودي بي على الهاوية لولا لطف الله ورحمته فكان اعتمادي على الله وحده ثم تمسكي بالعبادة وحرصي على الطاعة وإكثاري من الدعاء والذكر والحمد لله مما أعطاني دفعة قوية نحو الاندماج في الحياة والرضا بقضاء الله وقدره.

أعود إلى صديقتي تلك لأخبركم أنها تكنس وتطبخ وترتب غرفتها وتكوي ملابسها، من علّمها؟! تقول إن أمها علمتها كل شيء لتتمكن من الاعتماد على نفسها — بعد الله — وخدمة نفسها، فربما بعد عمر طويل يذهب الوالدان والأخوان فتعيش وحيدة فمن يخدمها ويتحمل أمورها وشئونها؟ إنها غير عاجزة فهي تستطيع أن تؤدي دورًا كبيرًا في المجتمع ربما أفضل من كثير من الأسوياء.

حقًا لقد صدقت إذ إن الإعاقة تشكل لنا تحديدًا كبيرًا يجعلنا نسعى نحو الانتصار عليها وقهرها، فقط اتيحوا لنا الفرصة، امنحونا الثقة، وانظروا إلى هذه النماذج المشرقة التي تعرضها وسائل الإعلام بين الحين والآخر، أرجو أن يكون لها صدى قوي ووقع فعال في نفوسكم لتعلموا أننا أيضا نستطيع أن نبدع في بيوتنا وخارجها.

ودمتم...

"أختكم"



بيتي طريق للعبور!!

ما أجمل صلة الرحم والتواصل والأجمل منها أن يلفها الوئام والإلفة، كم سعدت حين علمت أن أهل زوجي يسكنون في مجمع سكني واحد أربعة بيوت في سور واحد، بيت الوالد وأبنائه الخمسة.

كان نصيبي منها دور أرضي، فرحت به كثيرًا إذ إنه سيكون مملكتي الصغيرة، وعشت مع أحلامي تتقاذفني أمواجها حتى رمتني على شاطئ الواقع، فصحوت لأواجه حياة أخرى غير التي حلمت بها.

كنت أعرف أن البيوت ما وضعت إلا للستر، ولم يشرع الاستئذان إلا من أجل النظر ولكن يبدو أن معلوماتي قديمة، فليس في هذا المجمع شيء اسمه الاستئذان يدخلون متى شاءوا، ويقتحمون عليك خلوتك متى أرادوا، ومن أكبر المخازي أن أردهم أو أبقيهم عند الباب لحظات، ومن الذنوب العظام عندهم أن يجدوا الباب مغلقًا.

ليس لبيتي، بل ليس لجميع البيوت – خصوصية فلا أستطيع أخذ راحتي في بيتي لا في لباس ولا منام، وحتى الأكل و الشرب، لست حرة تلك الحرية التي تعيشها من تسكن في بيت مستقل.

أخوات زوجي وأبناء إخوانه وحتى زوجاتهم والجميع كل من أراد المكتبة فله ذلك، فالمكتبة العامرة هذه في بيتي، إذن يجب ترك الأبواب مفتوحة أربعًا وعشرين ساعة، فأنا لا أدري متى يحتاجونها، ويتأزم الأمر حين تكون هناك مسابقات، إما في الحي أو المدرسة أو وسائل الإعلام، فهذا يعني المرابطة في المكتبة دون انقطاع (ناس تروح وناس تجئ) ومع ذلك يقولون خذي راحتك) فمن أين يا حسرة؟!

إن أسوار بيتي ليست تابعة للبيت (ربما) أنها تابعة للبلدية كالشارع فهي طريق للعبور بين هذه البيوت، لذا لا تبدو أبدًا نظيفة ولم استمتع بها مطلقًا فهي مهملة كبعض الشوارع.

(والقبو) مشكلة أخرى جديدة، فبيت الوالد ضاق بحاجياتهم، وكذلك بقية البيوت فاقترحوا فتح هذا (القبو) كمستودع لهذا المجمع، وكل من زاد عنده شيء يجعله فيه، وهذا (القبو) تحت بيتي فقط، فلم تعد الحركة تهدأ في بيتي مطلقًا، فهذه خادمة إبراهيم أحضرت غرضًا وتلك خادمة عبد العزيز جاءت لأخذ حاجة، وكل أم تريد أن تخبئ عن ابنها شيئًا تخفيه فيه فمازال الأطفال يروحون ويجيئون بحثًا عن أشيائهم المفقودة، فصرت موظف صادر ووارد، أسال عن كل شيء دخل وكل شيء خرج.

الكلفة بينهم مرفوعة إلى أبعد الحدود، أذهب إلى أهلي دون أن أغلق باب بيتي فربما احتاجوا إلى المطبخ أو المستودع أو حتى أغراضي الخاصة، يلعبون بكتبي، وأشرطتي، ألعاب أطفالي دون حياء ولا خجل، وحين أقلي سمكًا أو بطاطس أو أخبز فطائر في الفرن تأتيني إحدى البنات لتأخذ حصتها وحصة أهلها فلقد أثارت الرائحة اللذيذة شهيتهم. ولو كان المطبوخ الطعام المعتاد يومياً لهان الأمر أما الفطائر فكيف سأصنع ما يكفي لأربعة بيوت، وكان سيكفيني أنا وزوجي وطفلي القليل.

نحن في هذا المجمع تحت المجهر، ليس من أهل زوجي فقط، بل من الجميع، تصرفاتنا مكشوفة، تحركاتنا مرصودة، نشعر في كلام كل واحدة أن لها مرصدًا تراقبه البيوت الأخرى، زوجة إبراهيم خرجت في الساعة الفلانية وعادت في ساعة متأخرة تحمل أكياسًا مليئة.

وبيت عبد العزيز خرجوا للنزهة ولم يخبرونا، الأغراض التي حملوها تدل على ذلك، والآخرون أحضروا عشاء من المطعم، وبيت فلان عندهم ضيوف على العشاء، (وعلى حديث الضيوف) فإن البيت الذي يستضيف شخصًا يجب أن يدعو الجميع، فمثلا حين أريد دعوة صديقتي أو أهلي.. فيجب أن أدعو جميع من في البيوت الأخرى من نساء

وأطفال وخدم فكيف بالله ستكون الضيافة وكيف يجد ضيفي راحته، وهذا ينطبق حتى على الرجال، وحي تكون مناسبة كبيرة في أحد البيوت يتضرر الجميع من عبث الأطفال وشقاوتهم، فالأبواب كلها مشرعة والكل في حالة استنفار.

البعض منهم يحيون هذه الحياة ولا يجدون فيها حرجًا، أما أنا فمازلت أحب المجتمعات السكنية وأرى أنها تزيد من أواصر المحبة والألفة، ولكن حين يجعل ساكنوها لتعاملهم بعضهم مع بعض ضوابط وقيود لا تحد من حريتهم وتمنحهم مزيدًا من الراحة والخصوصية والستر.

"زوجة أخيكم"



سئمت من انتظار الإحسان والثناء ؟

صدق الذي قال: إن الراحة عند أول قدم نضعها في الجنة، فهذه الحياة الدنيا ليس فيها راحة، نسعى لنبحث عن الراحة، وسعينا كله شقاء ونصب، نلهث ونبذل ونضحي ولا نجد الراحة التي ننشدها، الراحة حقًا في الإيمان وطاعة الرحمن وإخلاص النية؟ رزقنا الله وإياكم إخلاص النية.

كنت قد تزوجت منذ فترة طويلة برجل يكبرني بسنوات، ربما أنه في سن والدي أو ينقص قليلاً، له بنات من زوجات أخريات، أمهات البنات مطلقات، بقيت معه وحدي، كنت زوجة أب طيبة والله، ولكن كما يقولون الطيب ما له نصيب في الدنيا فقط.

عشت في هذا المجتمع غير مقبولة من البنات، لا أجد الاحترام ولا التقدير، لم يستطعن هضمي وربما يشعرن أنني السبب في طلاق أمهاتهن أو يحسدنني للحظوة التي لقيتها من والدهن حين تزوجني أما الآن فلم يبق فيه المرض شيئًا من صحة أو عافية.

أواجه هذا الواقع المرير وحدي، لا أجد عزاء من أحد ولا يسليني أحد، الكل هنا يفرض رأيه ويبدي اعتراضه إلا أنا تعودت الصمت و ألفته، ليس لي رأي يؤخذ ولا أسأل في شيء ولا تطلب استشارتي، مع أنني لم أكن في يوم ما سلبية معهن بل بالعكس كنت أتودد لهن وأقف بجانبهن وأدافع عنهن وأسعى في مطالبهن حيث إن والدهن كان شديدًا بعض الشيء، أردتهن صديقات لي وأخوات، ولكن رأين أن طيبتي معهن دليل ضعفي فاحتقرنني وخصوصاً أنني من أترابهن.

الغريب أنهن لم يتغيرن إلا بعد زواجهن وهذا راجع لشدة والدهن في التعامل معهن، وبعد الزواج كنت أنا الهدف لسهامهن؛ هذه ترفع صوتها في وجهي، تتلفظ بألفاظ لا تليق بالصغار فضلاً عن الكبار تسميني أم المصائب!! أي مصائب تقصد؟! لست أدري.

والأخرى تكرر على سمعي دائمًا أنهن سيجتمعن كل أسبوع في بيت والدهن رضيت أم لا، وليس لي فضل ولا منة!!! مع أنني والله لم أعترض يومًا على ذلك.

كنت أتعب وأبذل وأضحي من أجلهن، كنت انتظر الشكر والعرفان فلا أجد من ذلك شيئًا، جهزت سبعًا منهن بأحسن جهاز، جعلتهن متميزات بين قريناتهن؛ أقمت لهن حفلات كبيرة دعوت لها كل الأقارب والصديقات.

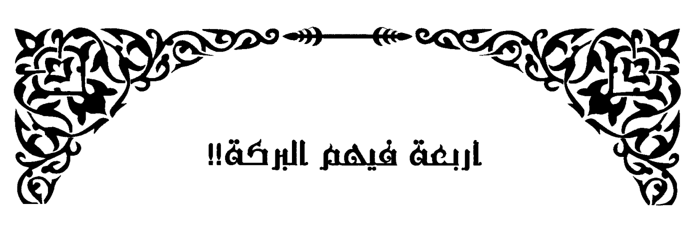
يجتمعن عندي واستعد لمجيئهن خير استعداد، يتركن أبناءهن عندي ويذهبن إلى السوق أو إلى وليمة مسائية فاعتني بالصغار ولا أتضايق أبدًا، كنت أنتظر شكرهن وثناءهن، أقوم (بتنفيسهن) واعتني بمواليدهن كأي أم، هل تدرون كيف يكون النفاس؟! سهر بالليل على بكاء الصغير واستيقاظ من الفجر لتجهيز الإفطار واستعداد مبكر لاستقبال الضيوف. النفاس هو العمل على قدم وساق لراحة النفساء وصغيرها.

تركت أعباء أهلي من أجلهن، مع أنني لا أزور أهلي إلا في العيد فهم في مدينة بعيدة عني إذ لو ذهبت فمن سيكون في استقبالهن ومن سيشعرهن بالعيد، يأتين وقد جهزت السفرة بألذ الأطعمة التي اعتدنا عليها في مثل هذه المناسبة يأكلن ويشربن ويسمرن وحين يأتي العصر يتركن أبناءهن ويذهبن للسلام على عماتهم وخالاتهن وأقاربهن. كل هذا أعمله وليس لي منة بل رغمًا عني - كما يدعين - .

لقد قررت الآن أن أتغير، أن أريح قلبي من همومه، أن أطبع حياتي بطابع جديد زوجي لم يعد يعرف شيئًا، ضعف سمعه وبصره، وصار معظم الوقت حبيسًا للفراش، كنت أخدمه وسأظل كذلك، وكنت أخدمهن وأتودد لهن وسأظل كذلك لن أتغير، أن الذي سوف يتغير هو نيتي فقط، تعبت من أجل المدح والثناء ولم أحصل عليهما، والآن

سأتعب وأبذل وأضحي مثلما كنت، ولكني أنتظر الأجر من الله، نعم من الله سبحانه، فلن يعود لكلماتهن صدى في نفسي، ولن تقلقني معاملتهن عسى الله أن يعفو عن الزلل ويغفر لي ما قدم وما أخرت إن أجري إلا على الله وأنا من المتكلفين.

"زوجة والدكم"



اربعة فيهم البركة!!

كل يوم يمر يأخذ من جسمي قوته ومن بشرتي نضارتها، كيف لا والألم النفسي الذي يسببه لي هذا الوضع الذي أعيش فيه يدمر كل خلية من خلايا جسمي، ما أصعب أن يخطئ غيرك وتتحمل أنت وزر هذا الخطأ ليس جهلاً بل ظلمًا وعدوانا حتى والله لو كان المخطئ فلذة كبدك.

أنجبت أربعة أطفال أصغرهم أتم عامه السادس من عدة أشهر، ومنذ أن أتم ثلاثة أعوام وأنا في حال لا يعلمها إلا الله، من عيادة إلى أخرى ومن كشف إلى تحليل وهكذا والنتائج كلها سليمة، حاولت مع زوجي أن يقوم هو بعمل الفحوصات اللازمة، فهذه العملية لا تكلفه شيئًا من المعاناة وليست صعبة ويكفيه تحليل واحد ثم تظهر النتيجة فإن كان سليمًا وصفحته بيضاء قمت أنا بالأخذ بالأسباب التي سببها الله عز وجل وإن كان منه الخلل كفاني هم هذه الكوابيس وبدأ بمعالجة نفسه، ولكنني بمجرد أن اقترحت هذا الاقتراح كأنني طعنته في رجولته فأقام الدنيا ولم يقعدها وأسمعني من الكلام الجارح ما أسأل الله أن يثقل به ميزاني.

هذا جانب و الجانب الآخر أهل زوجي أمه وإخوانه اللائي ما فتئن يلححن عليه بالزواج من أخرى، وتجربة حظه من غيري، فهم قد انخدعوا بي وزوجوا ابنهم عجوزًا لم تستطع أن تنجب أكثر من هؤلاء، وكأن الأمر بيدي ونسوا أن الله (يجعل من يشاء عقيمًا) ويهب لمن يشاء الذكور أو الإناث سبحانه.

لقد بدأ زوجي يفكر جديًا في أمر الزواج ويخطط له، وصارت دموعي لا تجف من عيني، ماذا نريد لقد بذلت كل ما أستطيع وقمت بعمل كل ما يلزم فهذه أشعة ملونة وتلك

تحاليل وزراعة ومناظير لم يبق شيء تفعله النساء في هذه الحالة إلا وعملته، صرت زبونة دائمة في عيادات العقم طرقت باب كل عيادة، واستخدمت كل الأدوية الشعبية والأعشاب حتى تعفنت كبدي وتلفت معدتي فلم أعد أحتمل المزيد، تحاليل سليمة والطبيبة الاستشارية أشارت علي بأن أتوقف فليس هناك شيء أعمله غير هذا وقالت بقي الدور على زوجك يجب أن يقوم بالكشف اللازم، فرجائي إليك أن تقوم بهذا الكشف لن يكلفك إلا زيارة واحدة فقط ثم تظهر النتيجة وعندها أفعل ما بدا لك، تزوج أو طلقني.. المهم لا تقتل في الأمل أرجوك..!!

وتوسلت له وقبلت يديه وكدت أن أقبل قدميه لولا أن شيئاً من الرحمة غلف قلبه ووافق، وحينها لم تسعني الدنيا من الفرحة ولكنها فرحة مشوبة بقلق، فقد بدأ يماطل في الذهاب، مرة يقول احجزي لي بالهاتف عند الطبيب فلان ثم يتهرب من الذهاب، وأخرى يقول: ذهبت ولم أجد الطبيب وثالثة يقول: دعيني أفكر التأني في مثل هذه الحالات محمود.

لقد تعبت معه، وتعبت منه وأسلمت أمري إلى الله، وفي ذات يوم شعرت بتغير كبير طرأ عليه، كان قادمًا وفي يده كيس حاول جاهدًا أن يخفيه، لقد تبينت كنهه هو كيس علاج وفيه حبوب قال بنبرة فيها أسي إن الطبيب صرف له هذا العلاج ليستعمله ستة أشهر ثم يعود لعمل الفحوصات فإن نفع الدواء به كان بها وإلا فإن سيضطر لاستعماله فترة أخرى حتى يكتب الله له الشفاء، يبدو أن زوجي قال ذلك الكلام في لحظة ضعف وإلا فإنه بعدها بفترة تكدر مزاجه وتغيرت نفسيته وصار مرة ينكر هذا الكلام وأخرى - وهي الطامة - يحذرني ويهددني بالطلاق إن أخبرت أحدًا عن السبب - أعني سبب تأخر الحمل - منه، وهذا جانب ثالث من جوانب الألم النفسي الذي حدثتكم عنه.

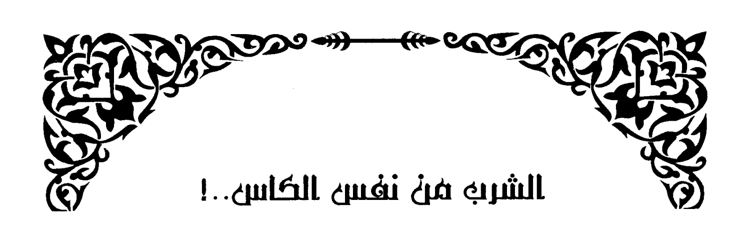
وتكتمل الصورة عندكم حين تعلمون أن زوجي قد استخدم العلاج لفترة ثم رماه بحجة أنه قد مل هذه السموم التي يحشوها في جسمه، ورفض أن يستخدم علاجا آخر أو

يحاول محاولة أخيرة "أربعة أبناء فيهم بركة" هذا ما يقوله لي أما عند الناس وعند أهله فكلام آخر.

لقد صبرت وتحملت ولكن فاض بي فلو كان الجميع يعلمون الحقيقة لهان الأمر ولكن أن أواجه أنا بكل هذه الأسلحة فهذا هو الظلم بعينه، بعضهم يقترح حلولاً لعلاج تنفعني، وآخرون يلمزون ويهمزون والطفيليون ينقبون عن أدق التفاصيل وأهل زوجي متضايقون لأنني لم أستطع أن أنجب أكثر، ولم أفك السحر الذي عملته لابنهم حتى لا يتزوج فهو قد كان موافقًا ومستعدًا وفجأة صرف نظره عن هذا الموضوع. صرت عاجزة عن إسكات هذه الألسن الحادة، عاجزة عن مواجهة الناس بالحقيقة، عاجزة عن مصارحة زوجي بالألم الذي يعتصرني، فأي كلمة سيكون فيها حتفي.

﴿رب إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾

"زوجتك".



الشرب من نفس الكاس..!

لا أعرف إن كان كل النساء يشعرن بأن زوجة الابن تأتي لتأخذ الولد من أمه فتستحوذ على قلبه وتمتلك مشاعره، لكن هذا هو شعوري أنا.

تزوج أبنائي قبل البنات، فعاملت زوجاتهم من هذا المنطلق - عفا الله عني - لم أكن لأعلم أن هذا يضايقهم بل يضايق أهلهم أيضاً أو ربما لم تكن تهمني مشاعرهم.

كنت أرى أنني إن تركتهم (على كيفهم) ضاعوا مني وتمروا علي فضيقت عليهم العيش حتى أملكهم وأحكمهم.

الذهاب إلى الأهل ممنوع أكثر من مرتين في الشهر حتى وإن كانت هناك مناسبات مهمة فيمكنها أن تذهب إلى أهلها وتحضر عشاءهم ثم تعود بسرعة.

ليس من الضروري الاستجابة لكل الدعوات ولا القيام بكل الواجبات الاجتماعية الخاصة بهم (يعني كل يوم لابسة عباءتها وطالعة، تزور نفاس، أو مريض أو تسلم على خالة أو عمة) هذا يمكنكم القيام به إذا سكنتم في بيوتكم الخاصة فقط أما هنا فأنتم تحت تصرفي.

حين تزوج أكبر أبنائي سفّرت الخادمة، فزوجة الابن يجب أن تقوم بخدمة أهل زوجها ورعايتهم والاهتمام بشؤونهم من الطبخ والغسيل وترتيب البيت وغيرها من الأعمال، فبناتي مازلن صغيرات لا يقدرن على تحمل المسؤولية.

كنت أتحكم في أمزجتهم وأتدخل في أمورهم الشخصية وأذواقهم، حين ندعى إلى وليمة ما فيجب أن نذهب جميعاً أو نبقى جميعًا لا يحل لأحد منهم أن يعتذر سواء أبنائي أو زوجاتهم، الغداء والعشاء أنا التي أحدده، كثيرًا ما كانت أختي تنصحني في هذا الجانب

بالذات (الله يهديك يا سميرة خليهم على راحتهم من أجل ما تخسرينهم، وسعى عليهم شوي، أنا في بيتنا أربعة وأطبخ الغداء قدرين كل واحد يأكل من اللي يشتهي) (ما عليك منهم متى قاموا ومتى ناموا ما داموا - جزاهم الله خير - ما قصروا في حقك ومن حق أزواجهن ولا تركوا شغل بيتك).

لا، لا يمكن أبدًا أن أفرط في أبنائي، وأتركهم لبنات الناس، كنت أفتخر عند الناس بقوة شخصيتي وإمساكي بزمام الأمور، وأرى في عيون النساء نظرات الإعجاب والغبطة والحسد أيضاً حين يرونني مع زوجات أبنائي وهن يتسابقن لخدمتي وتقريب الطعام لي والجلوس بقربي لقد كان هذا هو ما يرضيني سواء عملوا ذلك مرغمين أو راغبين لا يهم!!

ولكن.. وما أصعب لكن هنا... لم تدم سعادتي بل قد كانت تلك السعادة قشرة تغلف واقع الحياة المر الذي كنت أعيشهم فيه، تزوجت أولى بناتي ثم تبعتها الثانية بأشهر، بنتين كفلقة القمر وحبة الجمان وأشقيت عمري في تربيتهما بعد وفاة والدهما، وعلمتهما وأسبغت عليهما من الحنان والدلال ما جعلهما تعيشان مترفتين مدللتين مخدومتين مني ومن إخوانهما وزوجاتهم، وكنت أود أن تظلا هكذا حتى بعد زواجهما ولكن..

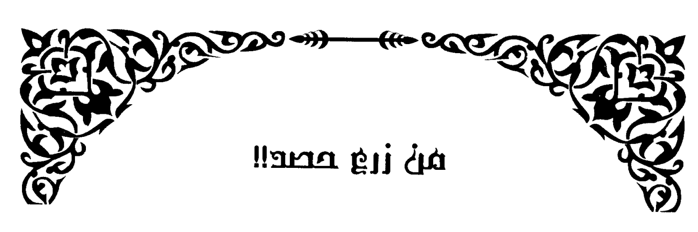
الأولى، لاقت من زوجها من العنت والضيق ما الله به عليم، كان يمنعها من زيارتي، أو الاتصال بي وحين تتصل يكون هو بجانبها حتى لا أفسد أخلاقها - كما يقول - راتبها في جيبه ومع هذا يضيق عليها في متع الحياة المباحة.

والثانية لم تكن بأحسن حالاً من الأولى لزوجها أم عكست صورتي الحقيقية التي لم أكن أراها، جعلت ابنتي كالدمية تحركها متى وكيف تشاء، عاملتها كما عاملت زوجات أبنائي بل أشد، الخروج ممنوع، الهاتف ممنوع، السوق ممنوع..

كان قلبي يتقطر ألماً وحسرة على ابنتي حين تغيبان عني كل هذه المدة، أريد أن أراهما وأن أقبلهما وأضم أبناءهما أشتاق إلى صوتهما وإلى أنفاسهما.

هل كل أم تشعر بهذا تجاه بناتها، إذن لابد أن أمهات زوجات أبنائي يشعرن به ويتحسرن على ذلك، ثم إن بناتي في عذاب وشقاء فهل زوجات أبنائي كذلك؟ لقد أدركت خطئي الآن لقد كنت مخطئة حين ظننت أني بأفعالي تلك سأطوق أبنائي بأجنحتي سأجعلهم تحت رعايتي.. سأكسبهم في صفي دائمًا، لقد أخطأت - أكررها مرارًا - وها أنذا أعتذر للجميع وأكرر أسفي، وأطلب منكم جميعًا أن تسامحوني، عيشوا كما تحبون، وافعلوا ما تشاءون وسوف ترون مني كل الحب والاحترام والحنان فأنتم (ما قصرتم ولن تقصروا) والعذر والسماح يا بنات عسى الله إن يعفو عني ويرحمني.

"أمكم وخالتكم"



من زرع حصد!!

أتدرون من أنا؟ أنا أم البنين؟ أم الذكور؟ من يا ترى لا يحسدني أنا ملكة في مملكة شعبها كله رجال، أسواري حصينة وجيشي منيع هذا الذي يظهر للناس أما الخافي فالله سبحانه أعلم به.

وإن كان بعضه ظهر للناس بعد هذه السنين كلها، زوجي – هداه الله – ليس كباقي الرجال، لم يستشعر يوماً واحدًا مسئوليته تجاه أبنائه، لم يدرك أو أنه لا يريد أن يدرك أن الذكور من نصيبه هو ويتحمل هو جزءًا كبيرًا في تربيتهم.

أهملهم حتى شبوا كالنساء، رقيقين متميعين ثم جاء ليلومني، أين كنت من عشرين سنة؟ هل فرطت يوما في (شياكتك) وسهراتك؟ هل تركت زملاءك لحظة واحدة؟ هل ضحيت بكأس شاي تشربها معهم وجلست مع أبنائك تعلمهم وتربيهم؟ أم هل أخذتهم معك ولو مرة واحدة ليجلسوا مجالس الرجال؟ إذا كنت تعرف الجواب مسبقًا لا تلمني.

منذ كان أطفالنا صغارًا لم تكن لتدمجهم مع المجتمع الخشن، لم يخرجوا معك لحضور مناسبة أو زواج قريب، لم تعودهم تقديم لوازم الضيافة لضيوفك، لم يعرفوا استقبال الضيوف، ولا إجراء بعض المكالمات الهاتفية العائلية التي تخص دعوة لاجتماع أو إقامة دورية، كنت ترفض أن يردوا على الهاتف في وجودك أو وجودي بحجة أنهم لا يعرفون أو لاتكالك على موقف سابق لصغير منهم، كنت أقول: "لن يتعلموا إلا من أخطائهم" وكنت تقول: "ليس عندي استعداد لتحمل النتائج أخطائهم".

وها هي السنون تمر كلمح البصر والذي خشيته وقع صار الأولاد بنات، - بل إن بنات هذا الزمن خير منهم - إنهم لا يستطيعون مجالسة الرجال ولا التحدث معهم،

يكرهون مواجهة المجتمع والاختلاط بالناس، يتعثر الواحد منهم حين يرد على الهاتف - أو أرغمه على ذلك - ويشير بعينيه ويديه طلبًا الإسعاف، ماذا يقول. وبماذا يجيب؟

لم أتمكن من الاعتماد على الكبير في شراء بعض الأغراض بالرغم من أنه في المرحلة الجامعية يقود سيارة خاصة به وكيف لي ذلك "وأحدهم يغرق في شبر ميه"، كما يقولون، وربما غشه البائع أو أحضر لي بضاعة تالفة أو .. أو .. والمواقف من هذا كثيرة.

إن وضع أبنائي يقلقني.. صرت مرهقة، أعصابي تالفة ونفسيتي متعبة استخدم حبوبًا مهدئة فحتى الآن لم يستفق والدهم ولم يدرك خطورة وضعهم.

هم حقًا متفوقون في الدراسة، هادئون ولكن هذا ناتج عن جلوسهم الدائم في البيت وعدم احتكاكهم بأحد وندرة الأصدقاء والمكالمات..

تزورني أختي.. يأتي بها ابنها فلا يقوم واحد منهم للسلام عليه في الباب واستضافته وهو ابن خالتهم أقرب الناس إليهم.

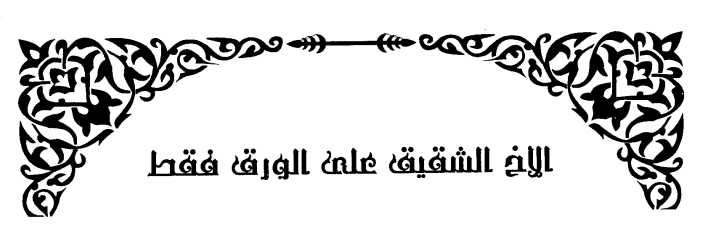
أسئلة كثيرة تدور في ذهني: ترى كيف سيتزوجون؟ وهل سيوافقون؟ وبأي شكل سيتعاملون مع نسائهم؟ كيف سيبنون حياتهم؟ كيف سيربون أولادهم؟ كيف أعيد لهم الثقة الضائعة؟ وكيف ابني شخصياتهم؟

إنني كلما فتحت الموضوع مع والدهم أغلقه بجملة واحدة "لو فيك خير ما صاروا كذا" إذن الخلل عاد إلي والعيب في؛ ولقد نسيت إذن تلك الأيام، يوم كنت أحمل أحدهم صينية الشاي وادفعه دفعًا ليقدمه إلى ضيوفك كيف كنت تطرده بشكل مزر وتوبخه أمام الضيوف ثم تعود وتعنفني أمام أبنائك لأنني فعلت ذلك.

اليوم فقط تلومني لأن زياد لا يعرف الاحتفاء والترحيب بالضيوف وعبد الله لم يبيض وجهك عند زملائك، والبقية يكرهون الاجتماعات العائلية وحضور المناسبات والسلام على الأقارب.

تذكر جيدًا كل ذلك - مع أنك لم تنس - ثم حاول تجديد أسلوبك، أعطهم الثقة، أزرع في نفوسهم الحب والألفة، أمنحهم الفرصة ليثبتوا لك عطاءاتهم، مازال في الأمر متسع، وإن فرط منا الكبار ففي الصغار كل الأمل، أنا واثقة — بإذن الله — أن هذه المحاولات ستجدي وأن الزرع سيثمر، فأبناؤنا هم ثروة المستقبل وهم الأمل بعد الله فمن زرع حصد. والسلام.

"زوجتك"



الأخ الشقيق على الورق فقط

لم بوسعي فعل شيء إلا أن أتساءل: ما الفرق بيننا وبينهن؟! وما الفرق بين الأخوات وبين الزوجات؟ أليس كلانا أنثى تحمل بين جنبيها نفسًا تفيض عذوبة ورقة؟ أليس مصير كل منا إلى أن تكون أما ينبض قلبها حبًا وحنانًا؟

لماذا يعمد البعض إلى التفريق بين أخواته وزوجته، أخواته اللائي يسري في عروقهن دمه، ويحمل وجهه بعض ملامحهن، ويملك نفس العادات الاجتماعية والطبائع البيئية.

سبحان الله !!! أهي تلك النظرية الفيزيائية (الأقطاب المتشابهة تتنافر) ألهذا الحد تصل العلاقة بيننا، تنافر تام؛ وكيل بمكيالين، إن مشاهد من حياتنا اليومية تعطي صورًا واضحة لما أريد بيانه.

إن زوجة أخي يحق لها أن تشتهي ألذ المأكولات وأشهى الحلويات من أجود المطاعم واشهرها، لا يهم السعر ولا المشوار في سبيل رضا (أم العيال)، أما نحن (الأخوات الضعيفات) فحرام في عرفهم أن نفكر ولو مجرد التفكير في مثل هذه الممنوعات.

فعندما نطلب على استحياء (مرة في العمر) شيئًا من هذه الأصناف ونقدم بين يدي طلبنا مبلغًا من المال يفي بالغرض نواجه بالتهكم والسخرية (ما للبنات هم إلا بطونهن) (أخر زمن .. إذا جاء لكم رجال تدللوا عليهم) فالبنت التي ليست في كنف زوج لا يحق لها ما يحق لزوجاتهم لماذا؟ وما الفرق؟ لا أدري.

والسوق ثاني المحظورات، ويل لنا أن أردناه، هل تظنون أننا متبرجات أو سافرات؟ كلا إننا والله لا نملك حتى عباءة واحدة من تلك المزركشات، ومتى نذهب للسوق؟ أو متى نرغب في ذلك؟ حين نود شراء مستلزمات المدرسة من مرايل وبلايز وأقمشة تنانير وحقائب

وأحذية وخلافه، أو حين نكون على أبواب مناسبة مهمة كالأعياد والأفراح. فنحن نذهب للحاجة فقط وليس للتنزه ومع ذلك فهذه للحاجة في نظرهم (سخيفة — تافهة).

أما حاجة زوجاتهم فهي من الأهمية بمكان، بل يتحتم عليهم أن يتفقدوا الأسواق ويقلبوا البضائع حتى يعرفوا الجديد والرخيص والغالي وليس في ذلك غضاضة فمتطلباتهم ضرورية ولا تنتهي لماذا .. ومال الفرق؟ لست أدري.

وفي الإجازات تحزم الأمتعة وتجهز الحقائب ميممين شطر الشرق أو الغرب فارين من جو الرياض الحار إلى أجواء أبرد وإلى سواحل ألطف، فهم زوجاتهم في حاجة إلى وقت راحة وتنفيس بعد عناء الاختبارات والمذاكرة طوال العام (والحبس في البيوت)!!!! مع إنهن لا يتركن مناسبة ولا حفلة إلا كن في الصفوف الأولى (ما شاء الله!!).

أما الأخوات المسكينات من أمثالنا اللائي ليس لهن ألا والد كبير قد هدت السنين قوته وأضعفت جسمه، وأم عاجزة مسكينة تؤثر الصمت وتهضم حقها وحقنا في سبيل سعادة الأبناء ورضاهم فإنهن يجب ألا يتضايقن أو يشعرن بالاكتئاب من هذا الجو الحار ولا يمللن من طول المكث في البيت فهذا ما كتب لهن ويجب أن يرضين به، ثم إن أخوتي غير موكلين بنا - عفوًا - أقصد غير مكلفين بسعادتنا وراحتنا، بل مكلفين فقط بالصراخ في وجوهنا، والاعتراض على مطالبنا، فهذا في مفهومهم دور الأخ وقوامته.

أما الأخ الشقيق، الرحيم بأخواته، الساعي على شئونهن، المقدر لضعفهن فهذا فقط في الكتب المدرسية وفي القصص الخيالية، إنه كالسندباد أسطورة تحاك حولها الحكايات.

اللهم أرحم ضعفنا وهواننا على إخواننا.

"أخواتكم"

عن أبي شريح خويلد بن عمرو الخزاعي رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «اللهم إني أحرج حق الضعيفين اليتيم والمرأة» رواه النسائي.

لماذا تنغص علي حياتي؟

- هذا جنون.. هذه عجلة والعجلة يتبعها الندامة.

- أنا لا ألومك إن قلت هذا وزيادة، فأنت بالتأكيد لم تعيشي وضعي لذا لن تستطيعي فهم موقفي.

- أرجوك كفي الملام فما عدت احتمل هذه العبارات اللاسعة، يكفيني ما أعانية واسمعه من زوجي صباح مساء.

لو كنت مكاني لفعلت مثلي. أنا واثقة؛ إذ لم يعد لزوجي هم أو حديث سوى الزواج بأخرى، هل هو محق أم هازل؟ هل هذا وهم أم حقيقة؟ والله لا أعلم.

منذ ست سنوات وهو على هذه الحال.. لو كان عازمًا على الزواج فما الذي يمنعه؟ ولو كان جادًا فلماذا هذه المماطلة؟ وإن كان مازحًا فلم لا يكف عن هذا المزاح الثقيل؟

إذا جلسنا على مائدة الطعام، عند اجتماعنا على إبريق الشاي، عند النوم، على الهاتف، إذا كنا في زيارة لأهله، هذا هو ديدنه الكلام في الزواج (أريد أن أتزوج) .. ليتني متزوج من ثانية.. حظ فلان عنده ثلاث وعنده أبناء وبنات كثيرون.. هذه هي السعادة.. أنا مسكين عندي واحدة فقط..).

بات يكرر على مسامعي هذه السيرة (أريد فتاة بمواصفات معينة .. بيضاء .. طويلة ...) صرت أتمعن في وجهي كثيراً في المرآة.. مازلت شابة.. بل إن كثيرات من قريباتي لم يتزوجن بعد وما زلن يملين شروطهن.. وهبني الله شيئًا من الجمال وشخصية هادئة تحبب من حولي في والحمد لله، فماذا يريد يا ترى؟!

عند كل صغيرة وكبيرة يتهدد ويتوعد بالزواج؛ حتى عند المزاح، يأخذ الهاتف ويتصل من مكان أخر في البيت، أو يتحدث عندي مع أناس لا أعرفهم أو لا يريد أن أعرفهم بكلمات ورموز غامضة فيها إيهام كبير برغبته في الزواج، بل ربما في مشروع خطبة، يريد إغاظتي.

يسأل أمه بعد كل وليمة عمن رأيت من البنات، ويسأل عن (أبو فلان عنده بنت.. ما هو شكلها؟ طولها؟ عمرها؟) وخالتي امرأة جاهلة كبيرة السن فبمجرد سؤاله تبدأ في سرد الإجابات الدقيقة التفصيلية حتى لكأن السامع يرى رأي العين.

لكثرة حديثة في كل مجلس عن هذا الأمر، صار البعض يعرض عليه بنات فلان أو أخوات فلان وهو يدقق في السؤال ويتمعن في العرض ولكن لا يقدم خطوة واحدة.

قل بالضبط ماذا تريد؟ تلك المواصفات التي تتحدث عنها وتحرص عليها لن تجدها في واحدة من بنات حواء ولكنها حتما جزء من مواصفات حورية من الجنة، ربما تجد الجمال الأسر ولكن ينقصه الشخصية المقنعة أو ربما اجتمعنا وانعدمت الأخلاق أو وجدت معه غرورًا وعجبًا أو لم يكتب لك الله منها الولد أو واجهت متاعب أخرى.. المهم أننا تعلمنا أن الكمال لله وحده وأن الله كتب علينا النقص ونفى عنا الكمال، وكم من قصة سمعناها لجمال صار وبالاً على صاحبته.

هل ترى في نفسك الكمال؟ ألم تجلس مع نفسك يومًا لتحصي لها عيوبها؟ ألا ترى أن التوافق والانسجام هو من أكبر نعم الله علينا؟ لماذا لا تحمد الله وترضى بما قسم لك؟ ألست أحمد الله ورضيت بما قسم الله لي؟

كنت أرغب في جامعي يحمل الشهادة الجامعية، وله مركز مرموق، وليس لديك شيء من هذا ومع هذا قبلتك وعشت معك في أهنأ حال سنين عددًا فلماذا تنغص علي حياتي وتكدر عيشي بهذه السيرة.

تريد الزواج.. تزوج ولكن لا تجعل العيب في.. لا تبحث عن مساوئي وتقول إنك ترغب في عكسها.. (تريد شعرًا طويلا لأن شعري قصير، وترغب في البيضاء لأنني قمحية.. ولو كان العكس لطلبته).

لا يغرنك صور هاتيك النساء السافرات في المجلات فهي لم تظهر إلا بعد تحسين وتزويق وتزوير، وطبقات الدهانات كفيلة بإخفاء أدق العيوب.

وأرحني - أراح الله قلبك - بكلمات ناصعة بينة: هل ترغب في الزواج؟ أم ترغب في الحديث عنه فقط؟ أدام الله علينا فضله ونعمته.

"زوجتك"

حقاً إنها المسكينة!!

وضعت مديرة المدرسة سماعة الهاتف، نظرت إلى المدرسة نظرة ارتياح، ثم قالت:

هذه فرصة لنثبت لجميع الأمهات سوء هؤلاء السائقين.

قالت المدرسة بنشوة.

حقاً... لكن تصوري ما هو موقف الأم عندما نخبرها بتصرف السائق العفن؟

هزت المديرة رأسها بثقة ثم قالت:

أقل شئ أن تلح على زوجها بالاستغناء عنه.

تنهدت المدرسة عن كدر وغمقائلة: مسكينة الطالبة وأمها، الكل ضحية لإهمال الأب الذي هو سبب لعدم مبالاة السائق.

جلست المديرة نقرت بقلمها طاولة المكتب، زفرت بمرارة وقالت:

كم من بيت عفيف، انقلب بسببهم إلى وحل زاعف ملئ بالقاذورات.

وصلت أم الطالبة، دخلت المكتب، ألقت التحية، انقبض صدر المدرسة لمرآها، عرفت بنفسها، ابتسمت المديرة مرغمة لتداري امتعاضها، انقلب جو المكتب إلى جو مضغوط كورت الأم عباءتها القصيرة بين يديها، جلست تنحنحت، ثم قالت بعد أن تثاءبت طويلاً وقالت: خيراً؟

قالت المديرة بهدوء متكلف: أأنت أم نوال؟

قالت الأم بنبرة ثقيلة ناعسة: نعم خيراً لقد أجلت طعام الإفطار من أجلكم.

نظرت المديرة إلى المدرسة ثم نظرت إلى الساعة الحائطية الحادية عشرة داهمتها الخيبة لكنها أصرت على الأمل.

قالت المدرسة باندفاع متسائلة: ابنتك بالأمس أين هي؟

قالت الأم بدهشة: أين هي؟ ثم بلهجة باردة ملؤها الثقة:

في الصباح عندكم، وفي الأوقات الأخرى عندي في البيت.

قالت المديرة بضيق ضاغط: متأكدة؟

قطبت الأم، بدأت خلايا فكرها تستيقظ هتفت: ماذا؟

قالت المدرسة وهي تحاول أن تسيطر على انفعالاتها: نعم للأسف أقول أنها لم تكن عندك بالأمس.

اضطربت الأم، تحركت جلست على مقدمة الكنب، تنحنحت، بلا إرادة وقالت:

أقصد إنها عند الخادمة، هي أطعمتها واعتنت بها.

قالت المدرسة وقد ضاق بها الامتعاض: لماذا؟ من الأم هي أم أنت؟

رمشت عينا الأم بسرعة، قامت و رمت المدرسة بنظرة نارية ملؤها الحنق، قالت وهي تهز رأسها بشدة: لا.. لا... هذا يكفي لقد تدخلتم في الشئون الخاصة.

قالت المدرسة وكأنها لم تسمع كلامها، وهي تضغط بكل على انفعالاتها:

كانت بالأمس عندي في البيت.

صرخت الأم بهلع: نعم. ماذا؟

نعم كنت بالأمس أنا المناوبة، حتى الساعة الثانية لم يحضر أحد لأخذها، انتظرت، سألتها عن رقم هاتف المنزل طبعاً لا يمكن أن تعرفه وهي في السنة الأولى الابتدائية، سألتها هل تعرف مكان البيت؟ هزت رأسها بالنفي، في الأخير قررت أن أذهب بها معي إلى البيت، وكتبت على باب المدرسة اسم الطالبة ورقم هاتفي، انتظرت رنين الهاتف، لم

يتصل أحد، كادت أن تسبب لنا ابنتك مشكلة إذ انخرطت بالبكاء، رددت اسم "ناني" بكثرة سألتها اسم من هذا؟

قالت: اسم الخادمة

كورت المدرسة قبضتها ضربت بها طرف المكتب توقفت وهي تنفث ألماً ومرارة.

ثم بعد ذلك أتيت بها معي اليوم.

اضطربت الأم، ارتعشت شفتها السفلى بشدة، قالت:

لا ... لا .... هذا لا يحتمل، لا يمكن تصوره ...

أحسست أنها أمام تحد جديد، تحد من نوع آخر "أنا ما انغمست في الطلاء والكعب العالي والإصرار على السائق والخادمة إلا لمقاومة التحدي، ثم أواجه الآن بهذا التحدي العنيف، تحد في أعز صفاتي وهي الأمومة"

أفاقت، جالت ببصرها في أرجاء المكتب بذهول ودهشة، هتفت.

لا يمكن تصوره...

قالت المديرة بمرارة: هذا كل ما حدث، وإن كنت غير مصدقة.

أمرت بإحضار نوال. هبط صمت، تكاثف ضاعت الأم فيه، تبادلت المدرسة والمديرة النظرات، جلست الأم، أطرقت رأسها غاصت بالألم، ثم رفعت رأسها بحدة، قامت بعصبية نظرت إلى حذائها، عبثت بعباءتها القصيرة لبستها باضطراب عنيف، رددت النظر بين المدرسة والمديرة ثم قالت بحنق:

عملها كوكو .... طيب سوف أطلب من زوجي........

ابتسمت المدرسة إحساساً بقرب الظفر، تهيأت المديرة للارتياح!

سوف أطلب من زوجي أن يخصم منه العلاوة التي أعطاها إياه قبل أربعة أشهر.

تجهم وجه المدرسة، لطمتها اللامبالاة بيد من حديد، تهاوت على الكنب.

"حقاً إنها مسكينة"



يا أخي لا ترمي بولدك إلى التهلكة!

حين سمعت قرار أخي الأخير هالني حجم المصيبة التي قد تقع علينا جميعاً، شعرت وكأنه مغمض العينين يحمل ابنه بين يديه ويرميه في البحر بكل رضا، يجيد السباحة أو يغرق أو يتخبط ذات اليمين وذات الشمال؟ لا يهم، المهم أن يعود بالشهادة من الخارج.

أخي ... ترى أين كان عقلك حين اخترت هذا السبيل؟ لابد أن أقسو عليك قليلاً لأجلي لك الحقيقة فتنقشع سحب الظلام الكثيف الذي غشي ناظريك لترى بؤس الحياة التي ارتضيتها لابنك وشقاء المستقبل الذي ينتظره إن لم ... إن لم يعصمه الله.

أخي: كيف ترضى أن تقذف ثمرة فؤادك وهو ما زال غضاً طرياً في بحور الكفر المهلكة، تتركه هناك ليسبح ضد التيار فيتعب أو مع التيار فيهلك والعياذ بالله.

ألهذا ربيته وعلمته وصرفت عليه دم قلبك؟ لتفقده في لحظة زائغة؟ ألا تخشى أن يعود إليك بعد سن الدراسة تلك وقد تنكر لك وساءته حالك ومعيشتك؟ ألا تخشى أن يسفه أفكارك ومعتقداتك؟ هذا إن عاد لك حقاً وقد أكمل دراسته وحصل على الشهادة. إذ ربما بدد الأموال وقتل الساعات والأيام دونما فائدة. وعاد إليك يحمل عار فشله وربما انحرافه فتكون ضيعت مالك وضيعت ابنك.

تقول إنك كمن ألقى بالمكتوب في اليم، وتحذره من البلل! ألست معي في أنك إن آمنت عليه من فتنة الشهوات فلن تأمن عليه من فتنة الشبهات التي تدك معاقله في كل لحظة، وتصطدم بقناعاته وأساساته التي نما عليها وتشكل منها فكره وعقله.

ثم كيف يمكنك أن تقول إنك تأمن عليه الفتنة وهي هناك تتجسد في كل مكان وتسير على قدميها وتطل برأسها عبر وسائل عديدة، ألا تعلم أن النار حفت بالشهوات.

قل يا أخي — بالله عليك — كيف سيعود إليك ابنك بأي فكر وبأي شكل وأنت تسلمه لهم عجينة طرية قابلة للتشكيل زاعماً بهذا أنك ترتقي بفهمه.

وأن الدراسة هناك تفوق نظيرتها هنا. وأنه سيكتسب لغة وثقافة وسيتعود الاعتماد على نفسه.

وكل هذا هراء، إنك تغالط نفسك، تصادم الواقع! إن كان الأمر جاء مبادرة من ابنك ووافق هوى في نفسك، فهذا خطأ كبير إذ كيف تنساق وراء أمنية خادعة لشاب ما زال يافعاً جاهلاً بدروب الحياة ومشاق الغربة، ألا ترى لو أنه طلب أمراً آخر لا يوافق هواك كيف ستكون ردة فعلك؟

وإن كان الأمر مبادرة منك وحدك فهذا أيضاً خطأ محض إذ أنك سمحت لنفسك بالتفريط في المسئولية التي أولاك الله إياها وغششت رعيتك من حيث وجب عليك نصحهم وإرشادهم؟ تصور معي: شاب صغير لم يتجاوز الثامنة عشرة بعد في عنفوان شبابه وثورة حيويته ونشاطه وقوة اندفاعه وتأجج عواطفه، ترسله وحيداً إلى بلاد لا تعرف لله حقاً، الشيطان يحكم سيطرته عليها، والمادة تحرك حياة الناس، والشهوات هي الدافع الحقيقي للحياة، إذا لم يعّبوا منها حد الامتلاء بحثوا عن منافذ ليفرغوا فيها غيظهم ليس الانتحار إلا واحداً منها.

تتركه مع عائلة ليس لها من اسمها نصيب، إما تطمع في ماله أو تغير دينه وأفكاره، يتعلم منها التمرد والتفلت الذي يسمونه - التحرر - وتبهره حياتهم ببهارجها وزخرفها وهو لا يعلم أن هذا هو جلد الأفعى الأملس الجميل يخفي وراءه سماً زعافاً يقضي عليه، تتركه يكابد مناظر مؤذية ومشاهد فاضحة تقول له بلسان الحال: هيت لك.

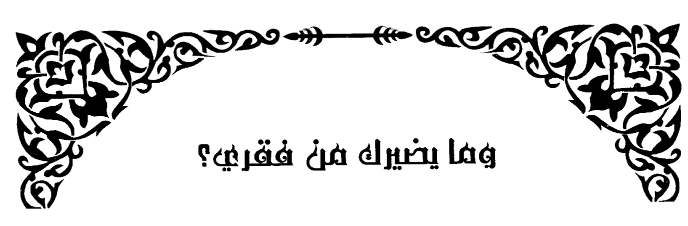
ما إفرازات هذا الوضع في نظرك؟

يا أخي: اتق الله في نفسك وفي ولدك ولا تستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، وفي وطنك الخير الكثير، ألا يكفي أن يتعلم ابنك بقربك؟ وتحت نظرك؟ وبين محمد وإبراهيم وصالح وعبد الله؟ خيرٌ له من البعد والتقرب الموحش، وخير له من جورج وليندا وجون وجوليا ... شباب ضائع لا خير فيهم.

ظلمات بعضها فوق بعض، راجع نفسك جيداً وتأمل فيما أقدمت عليه هداك الله للحق وأرشدك إلى الصواب.

"أخوك"

قال رسول الله ﷺ: «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول»



وما يضيرك من فقري؟

كنت طالباً فاشلاً في دراستي، عجزت أن أتخطى المرحلة المتوسطة أيقنت أني لم أهيئ لها، تركت المدرسة وتوجهت إلى العمل، فقد كلفت والدي الكثير من المال والجهد ليس معك شهادة ولا خبرة، إذن أرض بما يقسم لك من عمل، بعت مع والدي في سوق الخضار في مبسطه، كان الربح بسيطاً والعمل مرهقاً فتركت والدي وبحثت عن عمل آخر أيضاً بائع ولكن في محل تسجيلات مكثت فيه مدة ليست بالقصيرة واستفدت كثيراً. ساعدني والدي في شراء سيارة وأشار علي بعض الأصدقاء بالاستفادة منها في توصيل الطلاب أو المعلمات وحقاً بدأت بهذا العمل مع عملي في محل التسجيلات، فرزقني الله من فضله وصرت أوفر دخلي كله ولا أصرف منه إلا القليل وحرمت نفسي من أشياء كثيرة يمتع الشباب بها نفسه من اجل أن أعف نفسي وأتزوج. والحمد لله بحثت عن المرأة التي تناسبني وحرصت على خلقها وأمهرتها (ما ورائي وما دوني) وتزوجت.

طبعاً لم تكن متصورة أن تطأ بقدميها السجاد الصيني أو تتقلب على السرير الأمريكي ولكنها تفاجأت بسوء الحال (لم أكن أتوقع أن حالك لهذه الدرجة) تعني من الفقر من قلة ذات اليد، ولكنها الحمد لله دائماً مستورة، ولم أفكر في مد يدي لأحد أو الاستدانة من أحد إلا من جاء بنفسه وعرض العون، وهذه الديون التي في ذمتي لن يهنأ لي عيش ما لم أردها في أسرع وقت فيجب أن تتحملي معي شظف العيش حتى نتخلص من هذا الهم.

تمر الأيام أسرع مما نشعر، تطحننا بنيرانها ونحن نكابد الحياة نستل اللقمة من فمنا لنطعم أهلنا وصغارنا أصبحت المسؤوليات تتتابع والأولاد تزداد والديون تتراكم وأنا واقف لا أستطيع عمل شئ حيال ذلك.

سألت الله العون والسداد وأن يعيننا على قضاء الدين فزوجتي هي الأخرى لا تحمل شهادة، ثم لو خرجت لتعمل فمن يعتني بالأولاد.

لم أكن لأحدث أحداً بحالي، ولكن الحال لا تخفى على أحد، قبل رمضان بعدة أيام جاءني أحد الذين أعرفهم يرتادون المحل كثيراً ويعرف صاحبه أحضر معه أرزاقاً (أرز – سكر – حليب وغيرها) أقسمت ألا آخذها فنهرني وقال (الناس للناس أم تريد أن تحرمني الأجر). تألمت كثيراً وكان الموقف قاسياً على نفسي حتى أنني لم أستطع أن أخبر زوجتي إلا بعد أن رأت ذلك بنفسها، ومن شدة ألمي زادني موقفها ألماً، حيث بدأت تولول وتختزي وأقسمت ألا تستعمل شيئاً منها ولكنها تحت إلحاح الحاجة اضطرت للحنث بقسمها.

منذ ذلك اليوم وأنا أبحث عن عمل رسمي ثابت لعل الله أن يصلح حالي، سألت وطرقت الأبواب مستعيناً بالله، حتى وجدت عملاً بسيطاً يدر دخلاً لا بأس به ولكني معه خسرت نقل المعلمات، حيث صرت مرتبطاً بعملي حتى الساعة الثانية والنصف ولم أتمكن من الاستئذان دائماً.

في ظل هذه الظروف وتكالبها علي اشتدت الحاجة وزادت طلبات الأهل فصرت أجد بين الحين والآخر من يمدني بشيئ استغني عنه وهو بحالة جيدة فإن احتجته استخدمته وإن لم احتاجه بعته واستفدت من ثمنه، ومن هنا بدأت المشاكل بيني وبين زوجتي فهي حتى الآن لم تستوعب الوضع جيداً أنا لست معدماً حتى أسجل في الجمعيات الخيرية وأجلب لك العار كما تقولين، إنني لم أعلق لوحة على باب بيتي أطلب من الناس مساعدتي، هم الذين يقدمون ما عندهم، بل إنه من الجيد والصالح يحترمون وضعي

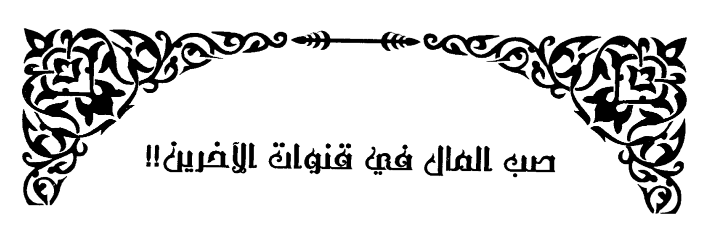
ويقدرون نفسيتي، ألم تشتكي من هذه السجادة المتهالكة في الصالة اشتريتها أيام زواجي من سوق المستعمل.

الآن اتضح أنها قديمة، لا يمكنني شراء غيرها وأنت تعلمين ذلك فلماذا تطلبين؟ ثم لماذا ترفضين هذه السجادة التي جاءتنا من عمتي!!. إنها ليست غريبة ونحن لا يدخل بيتنا أحد ولا أحد يعلم بذلك، فماذا تريدين لأرضيك؟

أرجو أن تكوني تلك الزوجة الصالحة التي اخترتها، تكونين عوناً لي في الضراء وأن تصبري معي على الحلو والمر، نحن حقاً لا يمكننا اختيار أقدارنا ولكن يمكننا التكيف معا والصبر عليها والرضا بها، الفقر ليس عيباً.

العيب في البطالة والقعود عن العمل، ولقمة حلال من عرق الجبين أحب إلي من الذهب والفضة من طريق معوج، وما يجيئنا من الناس فضل من الله يستحق الشكر والتقدير، نحن نعرف هؤلاء الناس جيداً وهم يحسنون اختيار ما يقدمون ووالله إننا نجد فيه ما يسد حاجتنا وما يضيرك من الفقر ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام – أو كما قال – فأي فضل بعد هذا الفضل هداك الله وأصلح حالنا جميعاً.

"زوجك"



صب المال في قنوات الآخرين!!

تخرجت من الجامعة منذ سنتين وحصلت على وظيفة متواضعة براتب لا يفي بمتطلباتي كشاب مقبل على الحياة – بإذن الله – أرغب في الزواج وفي شراء سيارة تليق بي بدل هذا السيارة المتهالك الذي أعطانيه والدي بعد أن أجهده سنوات طويلة.

ألتفت إلى والدي أطلبه العون على الزواج أو المساعدة في شراء سيارة فإذا حاله كالمثل القائل "جيتك يا عبد المعين تعين ...." رغم المكانة الإجتماعية التي يتبوؤها والمرتبة التي وصل لها فهو لا يملك في حسابه شيئاً ذا قيمة فأمواله كلها عند الناس (ضايعة).

من هم هؤلاء الناس؟ وكم عندهم؟ إنه لا يعلم فهو يقرض الآخرين ولا يكتب عليهم شيئاً، فهذا ولد عمه وهذا ابن خاله، وثالث من قبيلته، جاءه رأساً من منطقته وبعضهم يعرفهم بوجوههم وآخرون درسوا معه أو جاوروه أعواماً أو ربما صلوا معه في نفس المسجد.

هو يخجل أن يسجل عليهم أو يأخذ منهم وصلاً بالمبلغ فيترك الأمر لأمانتهم وعهودهم التي طالما خذلته وردته خائباً.

إنه يرى أن مجرد سؤال الناس عن الدين - الذي هو حقه - عيب ومشين في حق شخص مثله وفي مكانته، فهل يعقل أن يقول لأحدهم أين الخمسمائة التي أقرضتك؟ أو رد الألفين التي أعطيتك أول الشهر؟ وهل يليق بأن يأتيه ابن عمه يستقرضه عشرة آلاف ثم يقول له خذ هذه الورقة وقعها؟ إن هذا في نظره أكبر إهانة له قبلهم، يكفيه فخراً وشرفاً أن جماعته ومعارفه يقصدونه في حاجاتهم.

ثلاثون عاماً ونحن نسكن في ذات البيت لم نقدر على شراء أكبر منه مع مسيس حاجتنا له، وسيارة والدي اشتراها بالتقسيط بعد أن أعياه شراؤها نقداً حيث أسلمت سيارته الثمانينية الروح.

وليت هذه "الأسلاف" لمن هو في حاجتها فعلاً لربما تحمل المرء قليلاً هذه الضائقة ولكنهم يستدينون لمجرد الدين فقط، فوالدي اشتهر بأنه لا يرد يد لامس للمال لذا فقد انهالت عليه الطلبات وكثرت الأيدي التي وددت لو أقطعها حتى لا تطرق بابنا أبداً، ابن أخيه يريد أن يقتني هاتفاً نقالاً ووالده يرفض فاقترض المال من أبي الذي أعطاه دون نقاش، وصديقه في العمل اقترض منه حتى يستقدم خادماً لزوجته، بل هناك الكثير بستدينون ليسددوا فواتيرهم، وخاصة فواتير هواتفهم المحمولة التي اشتروها لزوم الوجاهة وعجزوا عن تسديد كلفتها.

ولما جاءه أحد أبناء عمومته من المنطقة وطلب سلفة ستين ألف ريال ليكمل قيمة الأرض التي اشتراها لم يسجل والدي المبلغ ورأى أ ن رجلاً في مثل سنه لا يمكن أن يسرق حلال الناس، وها هي الآن سبع سنوات تمر دون أن يرد ريالاً واحداً ولم نر وجهه بعد.

جلست مع والدي وحاولنا إحصاء الديون التي لوالدي على الناس فإذا هي قرابة المئتي ألف ريال تزيد أحياناً حين لا يسدد البعض ما عليهم وتنقص أحياناً حين تستيقظ بعض الضمائر وتؤدي ما عليها من الحقوق، هذا عدا بعض "الفكة" من أمهات الخمسمائة وبناتها التي لا يتذكرها والدي لكثرتها وكثرة طالبيها.

في موسم الإجازات تكثر الأيدي، فهذا يريد أن يسافر وليس عنده ما يكفيه فيجد عند والدي حاجته فلا يستحيي من طلبها مع أن الأمر ليس بهذه الأهمية ووالدي يخجل من سؤاله عما أقرضه وهو من حقه وله أهميته.

والبعض غسلت وجوههم بمواد حارقة فلم يعد فيها من ماء الحياء شيئ، فهو يسأل والدي من غير ما حاجة ألف ريال أو ثلاثة، إنني أخشى أن يكونوا من سيئ السمعة وأصحاب المخدرات ووالدي لا يعلم شيئاً.

والدي:

إلى متى تظل تصب مالك في قنوات الآخرين، هلا حاولت السؤال عن حاجتهم الحقيقية له، أيهما أشد إلحاحاً رغبتي في الزواج أم سفر ابن عمي؟ وخادمة صديقك؟ وأيهما أكثر حاجة لشراء سيارة لي أم دفع مبلغ لشخص ليتم عمارته التجارية؟

والدي العزيز: لقد كبرنا وازدادت حاجتنا لك، فهل آن الأوان لتدفق قليلاً فيمن يستقرضون فتقبض يدك عمن لا يحتاجها وتبسطها لمن يحتاج لقد حان الوقت فعلاً لتكتب كل مالك عن الآخرين حتى نعرف مالنا وما علينا لعلنا نستطيع شراء البيت الذي طال انتظارنا له، والذي تاقت قلوبنا لسكناه، البيت الذي يليق بمن هو مثلك، أم أن لك رأياً آخر؟

"ابنك"



ابنتي والمظاهر

كل أم تتمنى لابنتها السعادة، وتحب دائماً أن تعيش ابنتها في حال أحسن من حالها، وهذا ما دفعني لان أوافق على ذلك الشاب الغني من أسرة غنية، راجية ألا ترى ابنتي يوم فقر في حياتها.

واليوم لا أقول إني نادمة على ذلك ولكن ربما لو كان زوجها من مستوانا لكان أفضل عاشت ابنتي في ذلك العالم وتريدنا أن نعيش معها أيضاً، صارت تفرض علينا طبائعهم وعاداتهم مع أنها لا تناسب ووضعنا على كل حال.

الولائم التي اعتدنا على إقامتها بين فترة وأخرى لا تعدو أن تكون من الطعام الذي أعتدنا أن نأكله مع بعض السلطات والفاكهة، لكن (وفاء) ترفض أن تدعو خالتها على (سماط الفقر) لماذا لا تنوعون معجنات حلوة ومالحة وبعض الكريمات، اطلبوا من المطعم، الآن كل شئ عارض نفسه، وتلمح وتضغط على والدها حتى يرضخ لطلبها مع أن هذا فوق طاقته.

و"كلما طق عود حصاة"، قالت: لو تشوفون عزايم خالتي أقل من أربعة أصناف لا يمكن ترضى، ومن أحسن المطاعم، وهذا كله للضيوف العاديين والجيران.

لقد صرت في كل مناسبة أقدم حلويات مع القهوة والشاي بالمبلغ الفلاني من محل الحلويات الفلاني وكذا العصير الطبيعي الذي يكلفني الكثير خصوصاً إن كان عدد الضيوف كبيراً ، "فالناس في نظرها تركوا العصير المعلب لأنه ضار بالصحة" وحتى هندامي صارت تعيبه وتعيره خصوصاً إذا كانت مدعوة عندهم "هذا قديم عندك من العام الماضي،

والأحمر شكله قروي، والأخضر المشجر راحت موضته، ما رأيك تفصلين واحد جديد يتناسب مع عزومتنا!!.

لقد أحرجتني ابنتي بطلباتها كثيراً وكأنها تجهل حالنا، كلما غيرت خالتها أثاث بيتهم طلبت منا بالمقابل ذلك، قماش الكنب صار قديم، الآن الموضة الألوان الفاتحة، وتعرفين أني على وشك ولادة وليس معقول أجلس في غرفة زي هذه.

وأمام هذا المنطق وافق والدها وقمنا بتغيير مجلس النساء والمدخل والصالة، ثم إنها دخلت السوق مع زوجها واشترت أباريق الشاي والقهوة وصواني التقديم وكاسات الشاي وفناجين القهوة وأكواب العصير بأسعار خيالية وقالت لزوجها "إن أمي وصتني عليها" ومعناه أن أدفع مكرهة فلا يصح أبداً أن أحرجها أمام زوجها، كما أنه يجب أن نظهر بالمستوى اللائق أمام أهل زوجها وخاصة في النفاس.

والدولاب الذي أرغمتنا على شرائه كان من سوق المستعمل لكنه جديد وقوي لكنها قالت لخالتها أننا أشتريناه من أفضل المحلات بأسعار كبيرة وغالية، ولكم أن تتصوروا بقية الموقف حين أبدت خالتها إعجابها به مستفسرة عن مكان شرائه فأخبرتها أنا الحقيقة المرة.

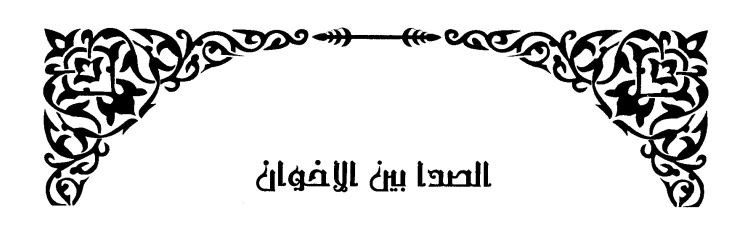
إنه حتى المناسبات التي يقيمها أهل زوجة أخيه "يعني حمات ابنتي" تريدنا أن نفعل مثلهم ونسيت أن والدها موظف بسيط ووالد تلك صاحب مصنع بلاستيك، وصارت ترفض أن تقدم الهدايا التي أجلبها معي من العمرة "أكياس حناء، سجاجيد، قطع أقمشة" إلا إذا جعلت معها خاتم من ذهب أو حتى ساعة على الأقل فأهل تلك الحماة لا يقدمون إلا الذهب.

لقد غرقت ابنتي في المظاهر حتى أذنيها وحملتنا من التكاليف ما لا نحتمل نفاسها هم وولادتها هم وعشاء زوجها عندنا هم آخر.

ابنتي الحبيبة:

كم أنا سعيدة لأنك تعيشين في بحبوحة العيش، وأفرح كثيراً بهذه الهدايا الألماسية التي تزين جيبك ومعصمك وأدعو الله أن يديم عليك نعمه ويرزقك شكرها ولكن لسنا فقراء ولكننا أيضاً لسنا أغنياء بدرجة تجعلنا نساير طموحك ونوازي أهل زوجك. أرجو ألا ينسيك الأثاث الأمريكي واللباس الفرنسي أثاث أهلك وملابسهم وحالهم فأنت تعلمين مدى حبنا لك وخصوصاً والدك ومدى ضعفه أمامك فلا تشقي عليه وارفقي به رفق الله بك وأدام عليك النعمة فدوام الحال من المحال.

"والدتك"



الصدا بين الإخوان

ما زال ذلك اليوم الذي انتقلت فيه من مدرستي إلى مدرسة أخرى في حي آخر مطبوعاً في ذاكرتي؟، ليس لأني استوحشت من الجو الجديد ولم أكن ذلك الواد الخجول ثم إني كنت في الصف الرابع الابتدائي، ولكني لأول مرة التقي بإخوان لي يدرسون معي في نفس المدرسة، أربعة أولاد، اسم والدهم وعائلتهم يماثل اسم والدي وعائلتي، ذهلت وعندما رجعت للبيت أخذت أفكر في نظراتهم الحادة وتعليقاتهم الساخرة، إذن هم يعرفونني وببراءة سألت والدي عنهم وببرود أجابني، هؤلاء إخوانك ونحن انتقلنا إلى هذا الحي حتى أكون قريباً منهم فظروف والدتهم أصبحت صعبة.

منذ ذلك اليوم وأنا في قلق وضيق لا يعلمه إلا الله، نسيت طعم اللهو والمرح، سعيت بكل إمكاناتي الضعيفة لمصادقتهم ولكنها ذهبت أدراج الرياح، حاصرت والدي بالأسئلة، وألحت حتى عرفت شيئاً مما كان خافياً علي، زوجة والدي هي أم أبنائه ووالدتي هي زوجته الأخرى لذا فوالدي اسمه أبو محمد وأنا اسمي خالد، وأم محمد هي التي رفضت هذا الفرع الجديد في شجرة العائلة وكسرته، لقد أعلنت (أم العيال) الحرب على والدي وعلينا ووضعت شروطاً لرضاها ورجوعها إلى بيتها ليس أقلها (لا أشوفها ولا تشوفني ولا عيالها يعرفون عيالي) ولم يكن والدي ضعيفاً حين وافق ولكنه آثر الابتعاد عن المشاكل حتى لو كان ذلك على حسابنا فراحة البال لا يعدلها شئ.

عشنا في شبه عزلة عن العائلة الكبيرة، اللهم إلا بعض الزيارات القصيرة لجدي وجدتي حيث لا نجد هناك إلا الخادمة التي ترعى شئونهما، أما أعمامي وعماتي فنصلهم

في الأعياد ونسلم عليهم، لا أذكر أني ذهبت إلى أي وليمة من جهة أقارب والدي أو حتى حفلة عرس فأنا لا أعرف جماعتي.

هذا لا يهمني كله، بالقدر الذي يهمني فيه هذا النفور بيني وبين إخواني، هذه المشاحنات بيننا في المدرسة تثير فضول البعض السب والشتم هو لغة التخاطب بيننا فأنا محط سخرياتهم في المدرسة والحارة ضارت لنا حلبة مصارعة وضرب وفرق، عندما أعود إلى البيت بعد عراك بالأيدي وتراشق بالحجارة أشعر بالحسرة تعصر قلبي وتفته فتاً، والسبب أن هذا الخصم العنيد هم اخوتي، أكاد أجن وأنا أرى كل من حولي رضوا بالأمر، فلم يتدخل أحد لإصلاح الوضع وكأنه أمر طبيعي.

إنني أغبط كل طفل في الحارة أو المدرسة له إخوان، ويعجبني ذلك الرجل في السوق يتبضع ومعه مجموعة من أبنائه، ومنظر أولئك الإخوان يلعبون على الشاطئ ويتقاذفون الكرة ويتراشقون بالماء لا يغيب عن بالي أبداً بعد رحلتنا تلك إلى ساحل البحر.

ربما تسألونني ما شعورك؟

أقول: إنني أفتقد شطراً من حياتي يوم كنت لا أعلم أن لي إخواناً وبعد أن علمت شعرت بأني أفتقد حياتي كلها، ما قيمة الحياة حين تعيش صراعاً وخلافاً، مع من تسري في عروقهم دماء كدمك؟!

وما هو إحساسك وأنت في أمس الحاجة إلى أخ يشاركك همك ويقف بجانبك وقت الشدة وتستند إليه وقت الضعف حين تعلم أنك تملك هذا الأخ ولكنه بعيد عنك بقلبه قريب منك بيته؟ إن الألم يعتصر قلبي والحسرة تقطع فؤادي والهم يتلف أعصابي حين يقفز ذلك السؤال إلى مخيلتي من المسؤول.

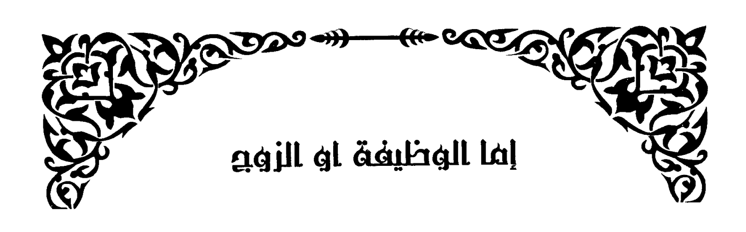
أهو والدي الذي رضي بهذه الشروط التعسفية في سبيل راحة باله؟ أم والدتهم التي آثرت عزلنا عنهم وأوغرت صدورهم وأفسدت قلوبهم وتسببت في فرقتنا وشتاتنا؟ أو والدتي التي رضيت أن تعيش في هذا النطاق في سبيل المحافظة على البيت والزوج مستخلصة درساً من تجربة سابقة؟

قيموا الوضع بعد عدة سنوات، ما مصيرنا بعد وفاة والدي - بعد عمر طويل - أو موت والدتي- لا قدر الله - أو حتى موت أم محمد؟ من سيتحمل تلك المشاغبات والخلافات، من سيحل الإشكالات بيننا من سيرعى الصغار؟ ويحفظ الكبار بعد الله سبحانه؟

إنني أحمل الجميع عاقبة ما يجري وما سيجري غداً، وأسأل الله أو يؤلف بين قلوبنا.

أخوتي، مازال في الوقت متسع، مدوا أيديكم فها أنا أمد يدي لأصافحكم وأصالحكم، فهيا نتعاون لنتم بناء البيت ونسد فيه الثغرات حتى نحمي قلوبنا من عوامل التعرية، تعريتها من الحب والوئام.

"أخوكم"



إما الوظيفة أو الزوج

(لا وجع إلا وجع الضرس ولا هم إلا هم وظيفة الزوجة) كتبت هذه العبارة على لوحة وعلقتها في غرفتي راجياً أن تراها تلك المنكفئة على دفاتر تلميذاتها المنشغلة عني بأعباء الوظيفة والتدريس، ولكن لم يحصل ذلك.

زوجتي تعمل منذ تزوجنا لم أشترط عليها شيئاً ولم تشترط علي ولكنها أحبت الوظيفة بإخلاص وتفانت في خدمتها، لم أشعر بشيئ من التقصير في مستهل حياتنا؟ ربما لأن الأولاد لم يكونوا قد أتوا بعد وهي كانت حريصة على عدم التقصير حتى لا تفقد وظيفتها.

ومرت السنوات وساءت الأحوال وكثر العيال فتعكرت نفسية زوجتي وتكدر مزاجها وأصبحت عصبية معظم الوقت، مقطبة الجبين تشكو دائماً من صداع وضيق في الصدر واكتئاب بسبب مشاكل العمل.

لا أسمعها إلا تدعو على أبنائها يذاكرون على نغمات الدعاء ويأكلون على نغماته، حذرتها أكثر من مرة من هذا مبيناً حرمته وكرهي له (ما ذنب الصغار حتى تصب جم غضبك عليهم إن كنت لا تستطيعين الجمع بين الحسنيين فاتركي التدريس وتفرغي لبيتك).

إن عملك هذا وبال علينا جميعاً، المال ولسنا في حاجته، ومهمتك في المدرسة هناك من يقوم بها والخريجات بالمئات، ثم كيف ستنتجين بهذه الأعصاب التالفة؟ أليس شيئاً مضحكاً أن تتركي أبناءك للخادمة وتربين بنات الناس؟

زوجتي: إن هذا العبوس والتجهم على وجهك زادك عشر سنوات على عمرك، وأنساك أشياء كبيرة لعل أهمها زوجك — أنا — تعودين من المدرسة قبل موعد عودتي تولين

مهمة الطبخ للخادمة، تنامين تاركة الأولاد في خناق ومضاربات والبنات عند التلفزيون والكتب مبعثرة والحقائب متناثرة وكل شئ على ظهر تلك الخادمة المسكينة.

وعندما تقومين من النوم، لم يكن هذا النوم كافياً لتعويضك ذلك الجهد والعرق الذي بذلته فيصبح المزاج نكداً والنفس متعبة فلا أسمع إلا صراخاً وعويلاً.

ملابس المدرسة الأنيقة استبدلت بقميص فضفاض جعلك تبدين أكبر من سنك بكثير، والشعر المسترسل جمع بعناية فائقة خلف الرأس وثبت بعدد من المشابك حتى لا ترى منه شعرة، والوجه المصبوغ بعدة ألوان نظف تماماً بالصابون بحجة أن الماكياج يضر بالبشرة وعندما أعاتبك تقولين بغضب: "خلني آخذ راحتي شوية في البيت ... في المدرسة كأني مربوطة لبسي كاتم على قلبي" ومع أنه يضايقك فإنك تفعلينه ولكن للمدرسات فقط.

عبر الوقت وأنت في عراك مع أبنائك أو مدفونة بين دفاترك ودرجاتك ثم يأتي الليل فترتمين على الفراش جثة هامدة بلا حراك من عناء يوم عمل شاق.

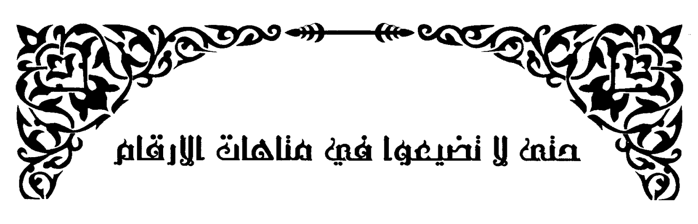
الوجبة الطيبة الهنيئة لا نعرفها إلا في الإجازات الصيفية "أرجوك لا تتشرط، تأكل ما أعددته واحمد ربك لا أريد نكد، يكفي نكد المديرة".

الزيارات وسط الأسبوع ممنوعة منعاً باتاً حتى لو كنت سأذهب للسلام على أمي أو عمتي وأردتها أن تشاركني الزيارة، فأنا من الرجال الذين يحبون هذا وحجتها الوقت لا يكفي، وأيضاً بابنا مغلق طوال الأسبوع فليس لديها استعداد للولائم ولا لاستقبال ضيوفي وعندما اضطر إلى دعوة أحد للعشاء ألجأ في انكسار إلى أحد المطاعم القريبة لأحضر طعام العشاء.

زوجتي الغالية: إنني أكن لك كل حب وتقدير وأتحمل منك الكثير وأصبر وأعذرك في كثير من تصرفاتك ولكن لي رجاء حار وهو أن تقفي الآن وتحاسبي نفسك وتسأليها: هل الله راض عنك. إذن هل أرضيت زوجك؟

إنني أقول بكل صراحة: أنا لست راض عنك ما دمت بعيدة عني فاختاري بين اثنين لا ثالث لهما البيت أو الوظيفة ولك مني كل الحب والتقدير.

"زوجك"



حتى لا تضيعوا في متاهات الأرقام

(يقولون إذا وقع الجمل كثرت سكاكينه) وهذا المثل ينطبق على حالي مع أبنائي، فأنا رجل أعمال ناجح مكثت أربعين عاماً من حياتي أنمي هذا المال وأحافظ عليه وأدرس مشاريعي بعناية وأخطط للمستقبل بكل دقة - والأمور كلها بيد الله - وعندما هدتني السنين وأخذت من صحتي وفكري آثرت البقاء في البيت مختاراً طائعاً لنصائح الأطباء مقدماً الصحة على المال واضعاً كل ثقتي - بعد الله - في أبنائي موكلاً لهم أعمالي، فلقد تربوا جميعاً في ربوع تلك المؤسسة الكبيرة وهم لن يعدموا الخبرة والمعرفة.

جلست في البيت وبارت سوقي وكسدت بضاعتي وصرت (دقة قديمة) فلم يعد أحد منهم يستشيرني في شئ من أمور العمل، طبعاً في البداية كانوا يرجعون إلي في كل صغيرة وكبيرة، ثم صاروا يهملون الصغائر وبعدها نحوا رأيي جانباً وبدأ كل واحد منهم يعمل لحسابه ويدخر لمستقبله أصبح همهم جمع المال وتوسيع النشاطات على حساب ميزانية المؤسسة، عندما أشم رائحة صفقة خاسرة أو مشروع فاشل أبادر بطرح رأيي وأشير عليهم بتركه أو التراجع عنه لأنه أسلم، ولكن يقابل رأيي بالاستهزاء وأنه رأي عفا عليه الزمن، ولم أعد أفهم السوق الآن، وأن مثلي وقيمي لا تؤكل خبزاً في هذا الزمن، أتضايق ويرتفع الضغط وأرقد في المستشفى أياماً عدة أتألم فيها لهذه العجوز المسكينة التي ليس لها بعد الله أحد سواي، فاعقد العزم على ألا أتدخل أبداً في أي شيئ وأنسى العمل كله.

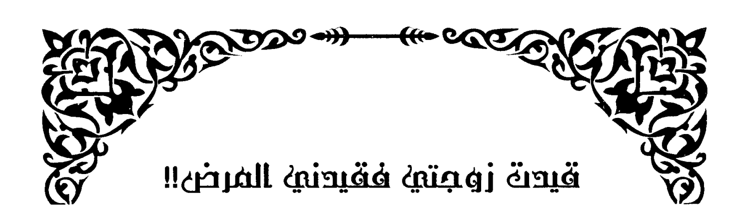
لكن صمتي وسكوتي يزيدهم استشراء في العمل فالفروع تفتتح في كل مكان دون دراسة أو روية، وأنا آخر من يعلم، والضغوط على ميزانية المؤسسة تزداد والحسابات تسوء ومع هذا لا أدري عن شئ، وكلما طلبت منهم كشفاً بالحسابات أو مراجعة بعض المعاملات جوبهت

بالرفض (وصرفوني) وأشعر أن هناك خلافات بينهم ونزاعات أخشى أن تؤدي إلى تفرقهم وتقسيم المؤسسة أو إهمالها حتى تموت، لذا كثيراً ما أحشر نفسي بينهم وأحاول التعرض على قضاياهم وهم مع الأسف يبتعدون عني ويخفون كل شيئ خوفاً علي وربما خوفاً مني.

إنه حتى رحلاتهم الخاصة وتنزهاتهم أصبحت على حساب المؤسسة (فأسامة) كل يوم والثاني في بلد هو وعائلته (وزوجة إسماعيل) باتت لا تولم إلا في أرقى الاستراحات والشاليهات، مرة أهلها وأخرى صديقاتها وثالثة صديقات بناتها، وكل واحد من أبنائي يريد أن يستحوذ على النصيب الأكبر وأن يعب من هذا المال حتى آخر قطرة، وبالمقابل فأنا لا أطلب شيئاً إلا قالوا هذا ترف وإفساد فعلى سبيل المثال: عندما تسبب السائق الخاص بي في حادثين متتاليتين طلبت منهم استبداله بسائق جديد أفضل منه وأكثر خبرة. فالسيارة كلفتني في إصلاحها مبالغ باهظة، وربما حادثان آخران - لا سمح الله- يكلفاني قيمة سيارة جديدة وهذا من الظلم وأن تركت القيادة بنفسي بعد مرضي لضعف نظري وألم في رأسي يعاودني بين الحين والآخر، فكان رد أبنائي: (إن هذا ترف وإفساد للمال فكل يوم سائق جديد يكلفنا مبالغ كبيرة، والسائقون -هكذا يقولون- كلهم سواسية المهم أن يتعلم جيداً بعد أن يأتي وأن تصبر عليه حتى يتقن القيادة) إذن حياتي ليست ذات أهمية عندكم، فمرة (انعدمت) السيارة، والأخرى من يدري ربما أنا سامحكم الله أما ترون حالكم مع نسائكم كل يوم خادمة جديدة تلك شكلها لا يعجب (أم فلان) والأخرى عملها بطئ والثالثة تريد عاملة فلبينية فأين الصبر على تعليمهم؟!!

أبنائي الأعزاء: ليس في يدي أن أرجع إلى عملي كما كنت، ولا يهمني أن أجمع المال وأكدسه ولكن راحة بالي وسعادة نفسي أن أرى المال خادماً لكم ولستم أنتم خدامه، لا تجعلوه يفرق بينكم، ولا تجعلوه كل همكم حتى لا تضيعوا في متاهات الأرقام، وتذكروا جيداً أن وراءكم حساباً عسيراً «وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه» فالله الله بالحلال الخالص والنية الصادقة واسلموا.

"والدكم"



قيدت زوجتي فقيدني المرض!!

تزوجت منذ زمن فتاة فيها كل ما يتمناه رجل، أحببتها وتعلق قلبي بها وعشت معها أحلى لحظات عمري – ربما من جانبي أنا فقط – كان يكدر هذه السعادة دقائق تجهش فيها بالبكاء دون سبب واضح وحين أسألها تقول إنها اشتاقت إلى أهلها.

مرت الأيام سريعة وزادت معها موجة البكاء تلك، كانت تبكي بألم، تنسل من الفراش وتتجه إلى الغرفة المجاورة وتبكي حتى أسمع نشيجها لم تكن تحدثني كثيراً وكانت تقابل حديثي لها بابتسامة بدأت تذبل مع الأيام أمي أحست أن هناك شيئاً ما صارحتني في غياب زوجتي (شف يا ولدي الله مقدر لك أمر ولازم ترضى به، بنت الحلال ما منها تقصير لكنها ... الله أعلم إنها ما حبتك).

فاجأتني والدتي وصفعتني المفاجأة. هل يعقل ألا تحبني وما العيب الذي جعلها تنفر مني لا . لا يبدو أن والدتي واهمة.

ولكن.. ولكن النساء أدرى بحال بعضهن .. أعدت شيئاً من شريط الذكريات وتوقفت عند محطات معينة أدركت من خلالها صدق حدس والدتي، فما الذي يجعل زوجتي تحاول الهرب مني بأي وسيلة، إنها تجلس مع أمي وأخواتي، وتحادثهن ويتبادلن النكات والمرح والسمر وحين أدخل عليهن يصيبها الوجوم.

قررت مصارحتها وأنا بين مصدق ومكذب لعل هذه الظنون تتلاشى (اسمع يا خالد لم تقصر معي في شئ لكن هذا شئ لا أملكه، من يوم تزوجت وأنا أحس بضيق وكآبة وكتمة خصوصاً إذا كنت معك، حاولت أتطيب، تعالجت وقرأت وما رأيت فايدة،

صحتي تدهورت، وإذا كنت عند أهلي لا أحس بأي شئ من هذا لكن بمجرد أنك تتكلم لأجل تأخذني ترجع لي الحالة. أرجوك طلقني وريحني الله يريحك) ثم أجهشت بالبكاء.

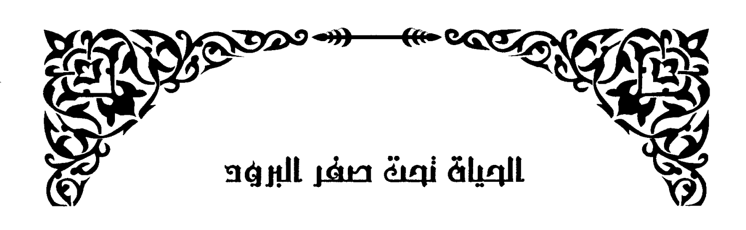
تذكرت كلام والدتي وأخذتني العزة، أخذتها لبيت والدها لترتاح عدة أيام، وبعدها يأتي خير، انقضت الأيام ولم أر خيراً لقد رفضت أن تعود صارحتني بأن ليس في قلبها مثقال ذرة من حب لي، جن جنوني وركبني الشيطان نسأل الله العافية والسلامة وقادني وأسلمت نفسي إليه، كيف أهبها قلبي فتدوس عليه بأقدامها، وأمنحها حبي فتلقي به في بحر الحرمان والله لأذيقها الأمرين وأرد لها الصاع صاعين، لقد أهانتني وجعلتني محط شماتة لذا فقد ثأرت لنفسي، لم أطلقها ولم أعدها إلى بيتي أبقيتها معلقة سبع سنوات افتدت نفسها بما تملك فلم أقبل، لم يكن المال هدفاً لي، جعلت هدفي إذلالها والحط من كرامتها أريد أن أعلمها درساً لا تنساه صممت أذني عن قول كل ناصح ورفضت سعي المصلحين، ولكي أمعن في إذلالها كنت أتصل بها بين الحين والآخر لأسمعها السم الزعاف.

بعد فترة قصيرة تزوجت ليس رغبة في الزواج ولكن حتى أفرد عضلاتي في وجه هذه الضعيفة أكلمها في الهاتف (تزوجت وزوجتي حامل، وبيجيني عيال وأنت أقعدي في بيت أبوك...) (والله لأزهدك في الرجال حتى تعرفين قيمتي) (لا تفكرين أني أرجعك ولا أطلقك خليك معلقة).

(وبعد ما أنطحنت البذور اللي في رأسي مثل ما يقولون) جعلت مبلغاً كبيراً لتفتدي نفسها مني، وتم لي ما أردت فجاء والدها ومعه بعض الأقارب سلموني المبلغ وأخذوا الورقة وقال والدها (الله يوريك في نفسك ما تكره).

مرت على هذه الحادثة سنين طويلة نسيت معها كل شئ، إلا أنني الآن أقلب الصفحات القديمة، أعبث بأوراقي أعض أصابع الندم، دعوة مظلوم لا ترد أصابتني فطرحتني على الفراش، بل القيد الأبيض آذيت المسكينة وقيدتها في سجن الزواج فقيدني الله في سرير المستشفى مرض خبيث وعلاج إثر علاج وألم ومعاناة ووحدة كلها أحيتني من غفلتي فها أنا ذا أطلب منها العفو والمسامح كريم.

« زوجك السابق »



الحياة تحت صفر البرود

المرأة رحمة ومودة، سكن وراحة، هي نصف الحياة وحين تطيب تصبح نصفها الآخر، هي الأم الرؤوم والزوج الودود، والبنت الحنون، افتقدت المرأة في حياتي، أمي رحمها الله ودعت الحياة وأنا في المهد، ليس لي أخوات أو عمات، فأنا متعطش لحنان المرأة وحبها، لرحمتها وودها، فتزوجت آملاً أن تروي زوجتي ظمئي أن تشعرني بحنان الأم وعطف الأخت ومحبة الزوجة.

لكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، فزوجتي لم تجعل لها حضوراً في وجداني ولم تجعل لنفسها مكاناً علياً، كان بإمكانها أن تملكني، أن تستحوذ على قلبي لأنه كان شاغراً، ليس في حياتي امرأة سواها، ومع ذلك فقد فشلت!! لا، إنها لم تفشل إنها أصلاً لم تحاول.

هي باردة في عواطفها وأحاسيسها لا تأبه بوجودي ولا تبالي بغيابي لا تقلق حين أتأخر، بل أجدها تغط في سبات عميق.

أسافر في مهمة للعمل فأنجزها في مدة قياسية ثم أعود لبيتي على جناحي السرعة، أتلهف لرؤيتها وسماع حديثها، أحضر لها أثمن الهدايا فلا أسمع إلا (كثر الله خيرك) (الحمد لله على السلامة) تقولها كما أقولها لمديري حين يعود من سفر.

أعلم أن زوجتي (أم يوسف) تحبني ولكنها ربما تعجز عن التعبير؟ أو تخونها القدرة في تلك اللحظات أو أن اعتقادها بمعرفتي بما في قلبها كاف عن ذلك كله.

أنا رجل (بيتي) أحب البيت وآوي إليه كما يأوي الطير إلى عشه، أجد فيه الأمان وأبحث فيه عن الهدوء النفسي والاستقرار العاطفي، لست كهؤلاء الرجال الذين جعلوا بيوتهم فنادق للنوم فقط. ولست من أولئك الذين يجلسون في بيوتهم كرجل المرور يراقب الحركة ويوجه الأوامر، كما أنني لا أحب أن أكون كطالب الثانوية المجتهد لا تراه إلا ممسكاً بكتاب أو منكباً على كتاب.

في بيتي أحب أن أجلس مع زوجتي أحادثها وأسامرها، أبثها همي وأمنحها مشاعري أشاركها فرحها وترحها، أصير لها الأب والأخ والزوج.

لا أعرف إن كان ذلك مما تحب النساء أو تكره، ولكني موقن بأنني خير من كثير من الرجال، نعمة لم تقدرها زوجتي حق قدرها، آتي منهكاً من العمل الميداني أتمنى فنجان قهوة أو شاي يريح أعصابي فأجدها في كامل زينتها متهيئة لزيارة جارتنا المريضة، هي تعلم مقدار حاجتي للراحة والجلسة الهادئة ولكنها ترى أن جارتنا أهم.

أجلس في البيت كبقية الأزواج أضحك وأفرح فتنهرني بحجة أن الخادمة ربما تسمع وهذا لا يليق.

حين تتحدث فحديثها في العمل والأصدقاء وحاجات المنزل والأولاد، أحاديث جامدة كأننا في مكتب عمل.

الجدية حقاً مطلوبة ولكن ليس إلى حد أن تشاركنا الأيام الأولى في حياتنا أو تقاسمنا زوايا البيت وحجره.

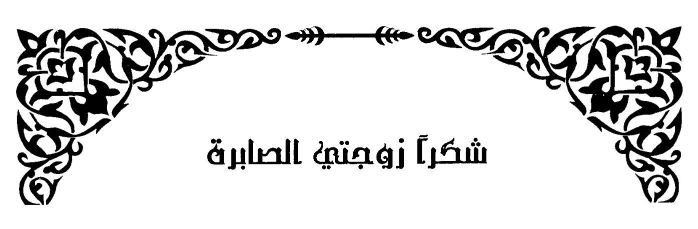
الرجل يتزوج ليكمل نصفه الآخر، يبحث فيه عما يفتقده فإن وجده وارتوى منه اكتمل بدر حياته وأشرقت دنياه حتى وإن دار البدر دورته فلا بد له أن يؤوب إلى استدارته وهذا أمر طبيعي في كل البيوت.

ولكن إن لم يجد الرجل نصفه الآخر عاش نصف الحياة وفقد السعادة وركبته الهموم وصار كل همه أن يبحث عن نصفه الضائع لتتم له السعادة، ألسنا جميعاً نبحث عن السعادة؟

أم يوسف: لن أقول لك أنني سأتزوج ولن أهددك بالطلاق، فقلبي رقيق لا يحتمل ذلك، ولكني سأبذل كل المستطاع لأحفظ هذا الكيان من الانهيار، وأرجوك أنت أيضاً أن تحاولي التغيير، أفصحي لي عن مشاعرك، شاركيني أفراحي وأحزاني، عبري عن حبك وإخلاصك، أشعلي فوانيس المرح في بيتنا، في عشنا اسمعينا شقشقة العصافير وتغريد البلابل، ابعثي الدفء في جوانحنا وأذيبي ثلوج الرتابة والملل لتصفو لنا الحياة.

والله يحفظك.

"زوجك"



شكراً زوجتي الصابرة

لم تكن تلك الدورية هي التي تجمعنا فقط، فحب السفر والمغامرة والسباحة وصيد الغزلان وتعلم بعض اللغات الحية والسهر في الاستراحات كلها من الأشياء المشتركة بيننا إضافة إلى كوننا زملاء عمل يضمنا مكتب واحد.

لنا مفاهيمنا في الحياة (حين تجمع القرش إلى القرش تطول خطوتك يعني تستطيع السفر إلى بلاد بعيدة) البيوت - في نظرنا - لا تصلح للسهر نبحث عن الاستراحات المخيمات، نسهر ونلعب الورق ونشاهد الدش بغثه وغثيثه، نضحك حتى تكاد تتمزق منا الأشداق، نذوب في اللعب فننسى أنفسنا نسب ونشتم و .....

هذا العالم جديد علي لم أكن كذلك منذ سنوات لكن الطريق بدأ بخطوة واحدة ثم خطوات فمشي ثم هرولة ثم جري لاهث يعقبه سقوط- والعياذ بالله - تكون نهايته موت أو حياة جديدة.

اقتحمت هذا العالم دون سلاح، بهرني ببهرجه، وغرتني سعادته صرت كالببغاء أردد ما يقولون وأقلد ما يفعلون، فضعف إيماني واهتزت شخصيتي.

بدأت أفرط في كثير من مسئولياتي تجاه والدي وزوجتي وأبنائي، رميت الحمل على ظهر زوجتي المسكينة، صارت ابنة بارة لهذين الشيخين، وأباً حنوناً على أبنائه، قامت بأداء هذه الأدوار على أكمل وجه فكانت طيبتها وإخلاصها دافعاً لي إلى مزيد من الهروب والتقلب، كثر سهري خارج البيت تقريباً كل ليلة، لا أعود إلا قبيل الفجر بقليل، أرمي هذه الجثة المنهكة على السرير وأغط في نوم عميق بلا حراك حتى يأتي

موعد العمل الرسمي فتقوم معركة كلامية كل يوم لأنهض من فراشي متجهاً إلى عملي، بوجه متجهم ومزاج متعكر، وهي تقابل كل هذا بوجه صبوح ودعاء طيب بأن يهديني الله ويصلح حالي.

صرت فظاً غليظ القلب مع أبنائي ووالدي ومعها، كلما طلبوا مني شيئاً نهرتهم (أنا مشغول، ليس عندي وقت لمشاويركم التافهة- وكأن مشاويري مهمة وضرورية- والمال صرت أدخره وأشح به عليهم حتى أستطيع السفر مع الشلة، الكسوة مرة واحدة في الصيف، مبلغ بسيط أصرفه كإيجار يومي للسكن في إحدى البلدان السياحية أرى أنه يكفيهم وزيادة، البيت خال من مستلزمات المعيشة أجعل فيه ما يكفيهم الموت جوعاً (أرز – دقيق – سكر – وخلافه) فلو أكملت لهم لوازمهم فماذا سيبقى لي لأرفه عن نفسي؟

سنوات وأنا على هذه الحال لم أر من زوجتي المسكينة الصابرة إلا الدعاء وبشاشة الوجه، آتي في ساعات متأخرة من الليل فأجدها على سجادتها تصلي وتدعو الله وتبتهل إليه أن يهدي زوجها ويرده إلى رشده وأن يحفظه من كيد الأشرار وشياطين الإنس والجن، كانت كلماتها التي توجهها لي رقيقة كالنسيم، لم ترفع صوتها في وجهي، ولم تجلسني لتحاسبني، كانت تعفو كثيراً وتسامح، كان قلبها كبيراً وصدرها رحباً وسع أخطائي وتجاوزاتي، كانت تبرر تقصيري أمام والدي، تطلب منهما أن يدعوا لي ألا يغضبا علي أن يعذراني لأنني مشغول عنهما بمكابدة الحياة، وأبنائي يرفعون رؤوسهم افتخاراً بي، لم تؤلبهم علي، ولم تحاول فضحي أمامهم (والدكم مشغول بعمله وهو يشقى لأجلكم، لا تكثروا عليه الطلبات ولا تحملوه ما لا يطيق، إذا الله وسع عليه في رزقه فأنتم أول المستفيدين).

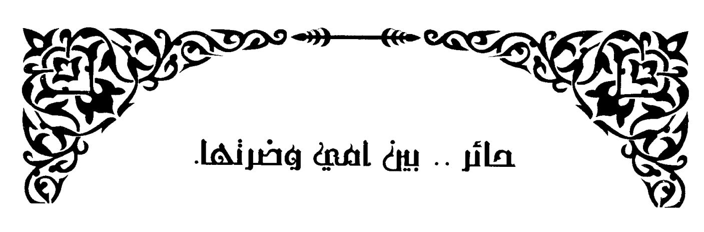
كانت تصرف على البيت والأولاد، بل حتى على والدي من مرتبها فهي موظفة في إحدى الدوائر الحكومية، صحيح إنه مبلغ بسيط لكن الله بارك فيه ونفع به فهي تسدد وتقارب، في كل مرة أسافر أجد بين ثنايا أمتعتي رسالة رقيقة العبارة، صادقة الإحساس

تنبع من قلب محب مخلص ناصح تذكرني فيها بالنهاية وتشفق علي من سوء الخاتمة (حين تجعل من رضا نفسك هو همك الأوحد تذكر أن لك أبناء سيفعلون ذلك أيضاً، الحياة سلف ودين) (أرجوك أن تعود لنا بخير وعافية ولا تدع في سفرك طاعة الله، فاحرص على ما ينفعك وترك ما يخزيك).

الصبر ثم الصبر ثم الصبر كان زادها في الحياة، والدعاء لم أذكر أنها تركته لسانها رطب به وبذكر الله، لم تيأس ولم تمل من النصح وإبداء المشورة صمودها كان يدفعني دائماً إلى مواجهة نفسي، دعاؤها كان حافزاً لي على الوقوف هنا عند هذا الحد، أين الصواب. أين (سيف) قبل هذه السنوات؟ ماذا فعلت بنفسي؟ بوالدي؟ بأبنائي؟ بها هي؟ ما الذي يبقيها في بيت كالنزل، للنوم فقط تخدم والدي وتبرهما أيضاً وهي غير مسئولة عنهما؟ والدها غني وبيته مفتوح لها متى أرادت، ما زالت في شبابها وجمالها، هي تملك شيئاً فقدته، نسيته منذ سنين، أين هو؟ أين هو؟ أبحث عنه في تضاعيف وجداني، في حجرات فؤادي تراكم عليه الغبار والران والذنوب والغفلة، علته الغشاوة والضلال لكنه موجود - بإذن الله - سأصقله سأجده سأعود إليكم (سيف) الذي تعرفونه سأكون على قدر المسئولية سأصير كفؤاً لك ولكن لن أفيك حقك فجزاؤك عند الله سبحانه الذي لا تضيع عنده أجور المحسنين.

ربما أن هذه الساعة التي أحادث فيها نفسي في هذه الغربة هي ساعة دعاء رفعت فيها زوجتي أكف الضراعة إلى الله سبحانه أن يهديني ويردني إلى رشدي وديني فوافقت ساعة استجابة فحمداً لله على هدايته وتوفيقه، وشكر الله لك زوجتي صبرك ودعاءك.

"زوجك"



حائر .. بين أمي وضرتها

تزوج والدي وحدثت ضجة كبيرة في بيتنا لماذا يتزوج؟ وتساءلت بيني وبين نفسي ولماذا لا يتزوج لقد أبيح له ذلك؟ وشنت والدتي حرباً شعواء وقاطعت أبي منزلياً فلم تعد تكلمه ولا تخدمه بل إنها فرضت على البيت حصاراً فلا يدخله والدي ولا يرانا ولا نراه إلا قليلاً.

والدتي ذات شخصية قروية تدبر البيت وتدير أموره، هي الآمرة الناهية وكلمتها نافذة على الجميع بمن فيهم (أبي)، ووالدي طيب كريم، رقيق القلب تغلبه دمعة في عين إنسان، لا أدري كيف خطا هذه الخطوة الجبارة.

المهم كنا أمام زواج والدي فريقين، مؤيد - في الخفاء طبعاً - وفريق معارضة علناً وصراحة، وكنت أتزعم الفريق الأول وحين نجتمع مع بعضنا أحث إخوتي على الهدوء وضبط النفس (إن والدنا لا يجوز أن نقاطعه أو نعبس في وجهه حين يحضر، يفرحنا ما يفرحه هو لم يفعل محظوراً وربما كان وراء عمله دوافع نحن لا نراها ولا نعلمها، النساء كلهن لا يرغبن في هذا الأمر، هذا شيئ طبيعي ولكن الأيام تمحو الآلام بإذن الله، وستعود المياه إلى مجاريها بعد حين ويجب أن نسهل لها الدروب).

كان حديثي يأتي أحياناً بنتيجة، ووالدي، يقابل كل ردود الأفعال هذه بصمت، يدخل يسلم على الصغار ويسلم على الكبار ويسال عن حاجتنا ثم يخرج.

قال لي ذات يوم إن زوجته طيبة وهي تود لو ترانا، تزورنا ونزورها فراقت لي الفكرة فأخذت هدية قيمة ورافقتني زوجتي وقمنا بالواجب والسلام عليها، كانت طيبة

بشوشة استقبلتنا بحرارة وأقسمت ألا نخرج دون عشاء وأكدت علينا أن نكرر الزيارة، إنها ليست كزوجة الأب التي كنا نقرأ عنها في القصص ونحن صغار كنا نذهب إليها سراً دون علم والدتي، ولقد أبدت لنا الرغبة في السلام على والدتي وأن تكون أسرة واحدة يلفها الحب والوئام، أخبرتها أن الوقت لم يحن بعد وحين يكون هناك فرصة فلن نتوانى عن استقبالها لصالح الجميع.

ولم يدم الحال طويلاً فلقد علمت والدتي بأمر هذه الزيارات فغضبت علي وطردتني من البيت، بحثت عن سكن قريب واستأجرته، وكانت هذه بداية المتاعب الحقيقية، أحب والدتي، فلها فضل كبير علي ولا يمكن أن أغضبها أو أعقها، وكذلك والدي لم نر منه في حياتنا ما يسوءنا حليم سمح كريم ورضاه مهم بالنسبة لي وزوجته (خديجة) تأسرنا بكريم خلقها وكبير فضلها ذات خلق ودين لم تغير والدي ولم تؤلبه ضدنا ثم إنها أم لإخواننا الآخرين فلماذا نقطعها ونهجرها، نحن إذن نهجر بيت والدي.

إن خديجة أثبتت لنا مع الأيام صدق نواياها وحسن أدبها، ووقفت معنا مواقف لا تنسى كان أولها حين ثارت والدتي لما علمت بخبر زياراتنا لها فذهبت غاضبة إلى بيت (جدي) أخذت الخادمة والطفل الرضيع وتركت البيت لأختي (سمية) لترعاه وتهتم بشئونه قالت لأبي (عيالك اللي تعصيهم علي تكفل بهم) فأخذ والدي أجازة قصيرة حتى تعود الأمور إلى سيرتها الأولى انتهت الإجازة ولم تنته المشكلة.

سمية تعود من الكلية مجهدة منهكة والبيت فوضى وإزعاج وقلق ليس فيه موطئ قدم للراحة، وزوجتي معلمة لا يمكنها القيام بشئ في هذه الأزمة ثم إن بيتها يتطلب منها جهداً لذا فقد قدمت (خديجة) الحل الصغار يأتون عندها صباحاً حتى العصر والغداء تقوم بإعداده لأهل البيت كل يوم وفي آخر الأسبوع ترسل خادمة أهلها لتقوم بأعمال الغسيل والكي وخلافه.

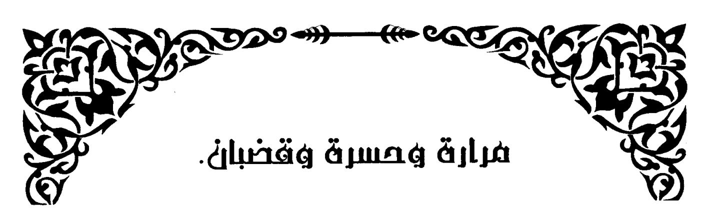
ما الذي يدفعها لعمل ذلك كله إن لم يكن الحب، حبها لوالدي، وطلبها رضاه وحبها لنا والتقرب منا والتودد، إلينا.

إن والدتي دائماً تطلب مني ما أعجز عن عمله، "لا تكلمها لا تذهب لزيارتها لا تدع أبناءك يزورونها" وحين تكون عندي مناسبة عائلية ترفض أن أدعوها ودائماً تحشو عقول أخواتي ضدها لذا فالبنات كلهن في صف والدتي والمرة الوحيدة التي ذهبت فيها البنات للسلام على زوجة أبي حين أنجبت (حسين) كن فيها متجهمات لم تحاول أي واحدة منهن أن تقدم هدية ولو بسيطة أو كلمة طيبة واحدة.

ووالدي يفرح كثيراً حين يرى ترابطاً وهو يحضر إخوتي الصغار معه حين أدعوهم إلى بيتي يقول (يتعرفون على إخوانهم) ويحب هذا التواصل. فهو إذا انشغل بعمل ما أوصاني للقيام ببعض المهمات لبيته الثاني، آخذها مثلاً للسوق، أكمل بعض أغراضها وهكذا فهل يمكنني أن أرفض أو أثير غضب والدي (اتق ثورة الحليم إذا غضب).

أمي الحبيبة: حبك في قلبي لا يوازيه حب، ومكانتك تعلو الجميع وأنا حين أخدم أي امرأة من قريباتي خالة أو عمة أو جدة، فإنك تفرحين وتزدادين نشوة حين تسمعيهن يدعون الله أن يوفقني ويحفظني لك ولأبنائي، إنك دائماً تقولين لي أنك ترفعين رأسك افتخاراً بابنك البار (محمود) الذي هو أنا، فتخيلي أن هذه المرأة التي أساعدها وأبرها هي أخت لك أو خالة أو عمة وأن في برها ورضاها زيادة لي في الأجر لأنه بر وصلة وإكرام لوالدي ثم من يدري فربما يكون أبناؤها خيراً لك من أبنائك، أرجو ألا ترهقي نفسك بالتفكير فيها كثيراً وابنك البار. بار دائماً ومع الجميع ودمت.

"ابنك"



اليوم تشتكي تطلب مالاً، تبحث عن حل حين ضاقت بك الدنيا تذكرت نصائح والدك، نصحتك فلم تستمع ووجهتك فلم تبال.

ماذا تريد مني الآن، أنت تعلم أن رأس مالي هو النصيحة وقد محضتك إياها فضربت بها عرض الحائط.

موظف متواضع أنت: هل نسيت حين بدأت تبني بيتك هذا؟ لقد كلفت نفسك هذه المبالغ الضخمة له إرضاء لزوجتك ولشهوتك، لم تفكر مطلقاً في عاقبة الأمر، حب الظهور والتباهي والتميز أعمى عينيك، ديون فوق ديون، وغارمون متربصون وعجز وفقر كلها اتفقت عليك وأردتك، أناس يطالبون بحقهم وهو حقهم لا مراء فيه، هل تبخسهم حقهم؟ هل تنكره؟ من أين لك السداد؟ لماذا تشتري أطقماً للجلوس وللضيوف بعشرات الآلاف وكان في مقدورك أن تحصل على نوع جيد بسعر يناسبك؟ هل كان ضرورياً أن تستدين ليغطي الرخام أرضية بيتك وواجهته، إنك لم تترك حتى الحمامات — أعزكم الله — فحرصت على تحليها بإكسسوارات فاخرة.

أخزى الله هذا التقسيط الذي يدفع البعض لأن يشتروا دون حساب على أمل أن يسددوا أقساطاً تلو أقساط قد يعجزون عنها لتراكمها ثم تكون الكارثة.

البيت مأوى وسكن وحين يكون جاهزاً لتأدية مهمته تلك فهذه نعمة عظيمة والأثاث وتوابعه تكون بالتدريج جزءاً جزءاً بما لا يثقل الكاهل ولا (يمص الجيوب)

لقد نسيت يا ولدي ابن من أنت؟ نسيت أنني عشت الفقر صغيراً وكبيراً وذقت الحرمان، قاسيت الآلام لأوفر لكم اللقمة الحلال، اخوتك كلهم موظفون صغار فتحوا بيوتهم بشق الأنفس، هي حقاً بيوت صغيرة لكنها ضمتهم وآوتهم لكن هذا هو طبعك الذي طبعت عليه، منذ كنت صغيراً كنت لا تنظر إلا إلى الأعلى تحب الثراء والوجاهة، تتمنى أن تناسب فلاناً أو فلاناً، كنت ترى في المال كل شئ.

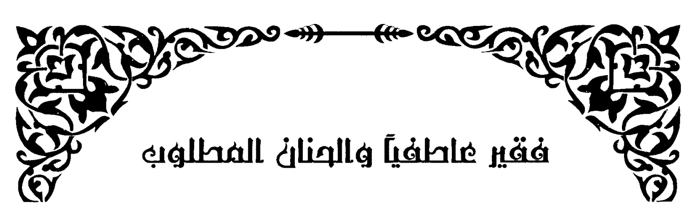
جميل وها انت الآن ستبيع بيتك من أجل المال، وتضيع زوجتك وأبناؤك من أجل المال، أصبح المال مصدر شقاء لك، مبالغ طائلة لا قبل لنا بها، هي في رقبتك والغارمون لن يتركوك فهذا أحدهم يرفض كفيلاً فماذا فعلت بنفسك يا ولدي؟

أبناؤك من سيتحمل نفقتهم؟ زوجك إلى متى ستصبر؟ إن حياتك الجديدة ثمن لشهوة زائلة ونزوة عارضة تدفع ثمنها، لم ترد إلا التباهي والشهرة وهذه نهايتها مرارة وحسرة وقضبان حديدية، إن كلامي موجع لكن ألم تستلزمه العافية.

ثق يا ولدي أنني سأبذل قصارى جهدي واستمد العون من الله وأسأله وأتضرع إليه أن يعينك على سداد ديونك وأن يتحمل عنك وكفى بالله كفيلا، وأرجو ألا تترك الدعاء وأن تبتهل إلى الله أن يرفع عنك هذا الهم ويفرج كربك ويسدد دينك.

ثم إنني ما زلت أطرق باب المحسنين أريق ماء وجهي عند عتباتهم أطلب المساعدة، هذا يردني، وذاك يعطيني القليل، وآخر يوجه لي النصح بعدم الاستدانة والبعض يرفض بحجة أن الدين لم يكن للضرورة، فعسى الله أن يوفق مسعاي وينفع بالأسباب وإلى ذلك الحين أرجو ألا تغفل عن الدعاء طرفة عين. وفقك الله وقضى عنك دينك.

"والدك"



فقير عاطفياً والحنان المطلوب

كنت غريقاً أوشك على الموت، أسبح في وحل من الطين، يجذبني نحو الأعماق المهلكة يئست من الحياة وكرهت الموت في آن واحد، لم يخطر لي على بال أن الله سيرسل من ينقذني ويمد لي طوق النجاة.

عشت طفولتي وشيئاً من شبابي في مدينة صغيرة تبعد عن العاصمة كثيراً، توفي والدي وأنا جنين في بطن أمي ولحقت به أمي بعد سنوات، عشت في بيت أخوالي — لا أم ولا أب ولا جد ولا جدة كنت مهملاً وعبئاً ثقيلاً عليهم، لم أشك لأحد ولم أتكلم مع أحد، لا أطلب شيئاً... كنت مهيض الجناح كسير النفس... ينقصني الكثير لكنني لا أتحدث فيكفيني اللقمة أسد بها جوعي، نشأت غريباً في بيت شغل أفراده عني بتوفير لقمة العيش لأبنائهم... كان حالهم مستوراً ...لذا عشت على الصدقات من فلان وفلانة. مما أشعرني بالذل والهوان، المدرسة لا تعني لي شيئاً .. ليس لي فيها صداقات تعودت الوحدة والاعتزال عن الناس... لم أكن أجرؤ على رفع رأسي حين الحديث مع أحد ولم تكن عيني لتقع على عين أحد حياءً وخجلاً وكنت أواجه بالتعنيف من أخوالي والسخرية من أبنائهم حتى كرهت نفسي والمدرسة والبيت والناس وحين بدأ نساء أخوالي وبناتهن يحتجبن عني شعرت بالعزلة أكثر.

نتيجة هذه الضغوط المتواصلة بدأت حالتي النفسية تتدهور وصحتي تسوء كنت أغلق باب غرفتي وأبكي وأحياناً أمتنع عن الطعام أياماً وفي حالات قليلة أثور لأضرب أي شئ في يدي بالجدار.

هنا تغيرت نظرة الجميع لي بدأوا يرتابون مني ويهمسون فيما بينهم واشتهر أمري في جماعتي حتى وصل إلى خارج مدينتي.

ذات يوم جاءني خالي ومعه رجل لا أعرفه، قال إنه من أبناء عمي. والدي لم يكن له أشقاء، هو من أبناء عمك البعيدين، يريدك أن ترحل معه إلى العاصمة.

لا أعرف ماذا أصابني لكنني بكيت، ثم صمت فجأة ولم أستطع أن أقول شيئاً.

في الغد كنت أجهز حقائبي بكيت أيضاً لفراق أخوالي، الذين وعدوني بحياة أفضل فأبناء عمومتي هؤلاء من كبار التجار.

وصلت إلى العاصمة، لم أستطع أن أرد على عبارات ابن عمي الترحيبية الحارة، ذلك لأنني أعاني من التأتأة التي اكتسبتها من حياة العزلة والانطواء ولكن في غضون سنوات أصبحت شيئاً آخر.

عبد الله الشاب الخجول الذي لا يكاد يرفع رأسه ولا يبين صوته خجلاً صار ذا شأن فهو مسئول في شركة يدير الاجتماعات ويعقد اللقاءات ويتحدث ثلاث لغات.

ابن عمي الذي صرت أناديه بعمي انتشلني من ذلك العمق المظلم والقرار السحيق ورفعني إلى مكان سام مرموق.

ألحقني بالمدرسة لأواصل تعليمي، جعل لي سريراً مع أبنائه لأندمج معهم، كانوا يأخذونني إلى أحد المراكز الرياضية لأمارس الرياضة أسوة بهم. وأحياناً نشارك في رحلات تقيمها جماعة التحفيظ بالجامع، تعرفت على أناس كثيرين وتعلمت الشيئ الكثير. كان عمي يدفعني لتكوين صداقات جديدة ويبدي سروره لذلك.

يكلفني بالقيام ببعض المهام المتعلقة بالبيت، ويطلب مني أحياناً الرد على هاتفه الخاص، وتسجيل أسماء المتصلين ويأخذني في بعض رحلات عمله القصيرة.

اشترى لي سيارة وألحقني بمدرسة تعليم القيادة، فقد كان هذا الأمر يرعبني في السابق. لقد أعاد لي شخصيتي ورد ثقتي بنفسي، دفعني إلى النجاح وشجعني على العمل

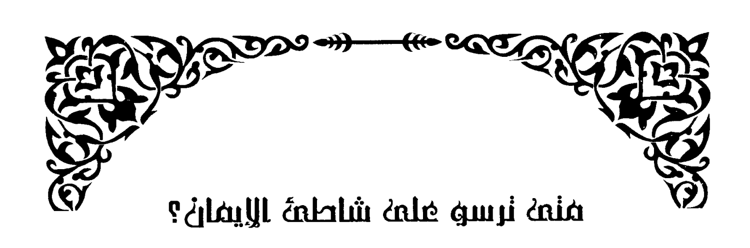
والإبداع، أغدق علي المال وراقبني، علمني كيف أصرفه وكيف أستثمره كان يوجهني بكل رفق ويعتذر لي دائماً عن تقصيره معي. ومع كثرة مشاغله إلا أنه أبدى اهتماماً كبيراً بنجاحي بقسم اللغات وكان يقول " متى تتخرج علشان أشغلك عندي في الشركة في العلاقات العامة" وكان هذا دافعاً لي لمزيد من التحصيل والتفوق.

كانت فرحتي لا توصف حين يناديني "اسمع يا ولدي" ويعرفنني بكبار الشخصيات والأعيان يقول "هذا ولدي عبد الله" والذي يستفسر يزيده "ولد أخوي".

عشت في بيت عمي معززاً مكرماً، شملني أبناؤه بكل الحب والاهتمام لقد كانوا كرماء فعلاً. هذا ما كنت أحتاجه فلست مجنوناً أو مريضاً نفسياً كنت أفتقر إلى العاطفة. أجدب قلبي وجفت أحاسيسي وفقدت السند والعضد ولو استمر ذلك الحال لكنت الآن في عداد الهالكين.

فلك الحمد يا رب مهما عملت فلن أؤدي شكر نعمتك. وأنت يا عمي سأبذل كل ما أستطيع في سبيل راحتك ولا أزال مقصراً حتى وإن قال أبناؤك مازحين "عبد الله ما بقى لنا مجال للبر" وفقك الله وجعل الجنة مثواك وأطال عمرك على طاعته.

"ولدك"



متى ترسو على شاطئ الإيمان؟

من نقطة البدء من أول يوم ترى عيوننا النور، خرجنا لهذه الدنيا ضعيفين هزيلين. شاركتني الرحم، وقاسمتني الغذاء، وزاحمتني في المهد، زحفنا وخطونا ونطقنا أول الحروف سوياً، لعبنا وتخاصمنا وحين نظرنا إلى صورتنا في المرآة ضحكنا: ألهذا الحد نشبه بعضنا أين حسن؟ وأين حسين؟

صعدنا سلم الحياة من أول درجة، دائماً لنا نفس الزي، ونفس الحذاء، وذات الحقيبة والناس يتساءلون أين حسن وأين حسين؟

جلسنا في الفصل في درج واحد رفضنا أن يفرق بيننا المعلمون، فميولنا الدراسية واحدة، وهواياتنا واحدة، وحين نلعب الكرة فإننا نضربها بطريقة واحدة بقدمنا اليسرى فنبهر أصدقائنا في المدرسة بهذا التشابه فيذهلون أين حسن وأين حسين؟

وركضت السنون مخلفة وراءها ذكرياتنا العبقة الجميلة، كاشفة لنا عن واقع مر يفرض سؤالاً كبيراً بحجم الألم الذي نعيشه، سؤال لم يعد للتفكه والتعجب أين حسن الآن وأين حسين؟

لم يعد التفريق بيننا صعباً، فاللحية حسمت الأمر أحبك يا نصفي الآخر حباً صادقاً لا يشك في ذلك عاقل وهل يبقى العمر محاقاً؟! إنني أنتظر اكتمال بدري في كل مرة أرى فيها الهلال ضعيفاً خافتاً، لذا أمحضك النصح وأشفق عليك وأتمنى لك كما أتمنى لنفسي حياة خصبة يسقيها وابل الإيمان فتثمر يقيناً وصدقاً وتوكلاً على الله كأطيب ما يكون

الثمر، حياة إيمانية تشرح الصدر وتريح البال يكون فيها رضا الله ومحبوبات الله مقدمة على رضا نفسك ومحبوباتها.

اسمح لي يا توأم الروح أن أقول لك بكل الحب المعجون بالصراحة، إنك غافل لاه عما يهمك في أمر دينك وآخرتك، مقصر في حق ربك وخالقك ابتلعتك الدنيا بزخرفها وبهرجها، أنت عبداً لله الذي وسعت رحمته كل شئ فلماذا لا تتعرض لنفحاتها؟

تعمل وتكد وتنصب، ولكني أخشى ألا تحمد العمل ولا ترض العاقبة، لأنك تعمل لغير الله وتنصب في غير سبيله تعمل لنفسك ولولدك تتعب للدنيا ولتحصيل أطماعها، ثم تجد عاقبة هذا الكد والعمل شقاء في الدنيا وعذاباً وخزياً في الآخرة، أعاذنا الله وإياك من الخذلان وعذاباً.

إنك على استعداد لأن تجوب المعارض بحثاً عن قطعة فنية تضيفها إلى بيتك - ولا بأس - ولكن الجامع على بعد دقائق تقام فيه الدروس والمحاضرات والدورات العلمية ولم تكلف نفسك مرة واحدة الحضور والاستماع.

وقبل ذلك هجرك لصلاة الفجر في المسجد منذ سنوات فضلاً عن تضييعك للصلوات الأخرى وخروج وقتها أحياناً قبل أن تدركها، كل هذا ولا تهتز فيك شعرة واحدة إذا خاطبتك وذكرتك وكأن الأمر لا يعنيك.

حين أرى اهتمامك بسيارتك وحرصك على تفقدها وصيانتها وصيانة بيتك على يد أمهر الفنيين مهما كلفك ذلك من جهد ومال، وفي المقابل أرى تملصك من الصدقة وعدم حرصك عليها وتفويتها بحجج كثيرة وضعيفة أرثى لحالك، فهذه المؤسسات الخيرية وجمعيات البر التي ترمي بالمسئولية عليها ما قامت بعد فضل الله إلا بتبرعات المحسنين الذين هم أنا وأنت وهو ... فإن حرمنا أنفسنا هذا الأجر، فمن يطعم اليتامى؟ ويكسو العرايا؟

أخي الحبيب:

في كل مرة أجلس معك أو يجمعني بك مجلس أراك تشرق في أمور الدنيا وتغرب تتحدث عن خططك المستقبلية، عن المحلات التي تنوي افتتاحها، وعن الاستراحة وغيرها التي ستنشؤها عند تقاعدك، عمن ماذا تعتزم فعله بعد التقاعد، عن السفر الذي زاحمته الوظيفة عن أشياء كثيرة تحيل مجلسنا إلى مجلس حسرة تقوم دون أن تذكر الله!!

أنسيت أنك لم تحج فرضك؟ كم مضى من السنوات وأنت بعد لم تعمر عمرة واحدة؟ هذا الراتب الضخم - ما شاء الله - ماذا لو اقتطعت منه ألفاً أو اثنين وجعلتهما في صدقة جارية أو طباعة كتب أو كفالة يتيم أو غيرها من المنافذ الدعوية والإعلامية والإغاثية التي هناك من هم في أمس الحاجة لها؟

كل هذه الأمور لم تضعها في خططك المستقبلية مع أنها هي التي ستبقى في سجلك حتى تلقى الله!! إنك تعمل وكأن الموت بعيد عنك، للدنيا ومن أجل الدنيا، لا تجلس إلا وفي يدك ورقة تحسب وتجمع وتطرح ونسيت أن عليك ملكين يحصيان ما تقول وتفعل!!

تصوم رمضان وتنام النهار كله وتضيع بعض الصلوات لا تصلي التراويح ولا تجلس في المسجد لذكر الله والتسبيح قل لي - هداك الله - متى تستيقظ من غفلتك، أنسيت أننا نام في قبورنا نوماً طويلاً فلماذا يضيع رمضان بين النوم والسهر؟!!

أخي الحبيب شقيقي التائه: كن صريحاً مع نفسك مرة واحدة واسألها أما آن لهذا الشيخ أن يرتاح؟ ألا ترى الشيب قد بدأ يغزو سواد شعرك؟ لقد بلغت الأشد وما زالت أشرطة الغناء وأفلام الفيديو تتربع على عرش سيارتك وبيتك توليها اهتمامك وتبحث عن الجديد ولا تنسى أولادك منها؟

تجلس على أريكتك الوثيرة، تمد رجليك، تلبس نظارتك السميكة وتقرا لموليير وأجاثا كريستي وغيرهم ولكن لا تقرأ في المصحف ولا يخيفك هجره.

أخي... سلوتي في هذه الحياة ... كم أخاف عليك من نفسك، حين تسحب الأيام رداءها المخملي وتكشف عن عوارها تنبئك بنهايتك وأفول نعمتك وتقلب حالك. حين تفقد الأنيس والجليس والزوج والولد لن يصاحبك إلا عملك فانظر ما هو. ولغت في بحور الغفلة كثيراً، وآن لك الآن أن ترسو على شاطئ الإيمان ومنتجع الإحسان لتخلو بنفسك وتراجع حساباتك إن خيراً فخير وإن شراً فبادر إلى التوبة ذلك الرداء الذي تتقي به برد النار وحرها.

اسكب الدمعات لتزيل عن القلب الحسرات، إن الحسنات يذهبن السيئات، وفقك الله لما يحب ويرضى.

"أخوك"



الفهرس

دار الطباعة والنشر الإسلامية

مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية/العاشر من رمضان/المنطقة الصناعية ب٢ تليفاكس : ٣٦٢٣١٣ - ٣٦٣٣١٤

Printed in Egypt by ISLAMIC PRINTING & PUBLISHING Co. Tel:. 015 / 363314 - 362313

مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ش ابن هانيء الأندلسي ت : ٤٠٣٨١٣٧ - تليفاكس : ٤٠١٧٠٥٣